مكتبة

ليف تولستوي

مكتبة ٧٩٧

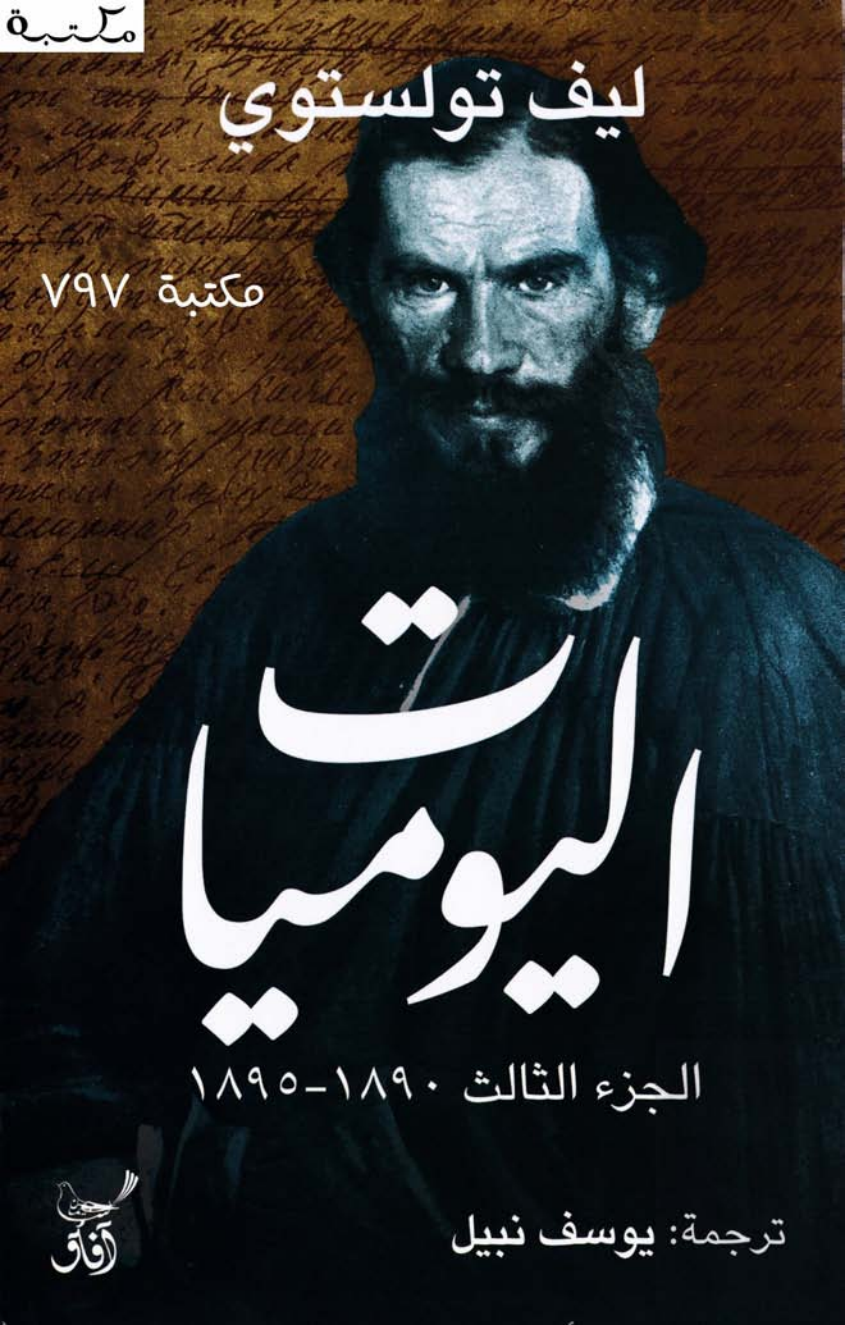

اليوميات

الجزء الثالث ١٨٩٠-١٨٩٥

ترجمة: يوسف نبيل

آفاق

مكتبة | 797
سُر مَن قرأ

ليف تولستوي

اليوميات

الجزء الثالث

١٨٩٠ - ١٨٩٥

- المؤلف: ليف تولستوي
- العنوان: اليوميات - الجزء الثالث
- ترجمة: يوسف نبيل
- الطبعة الأولى 2020
- تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ

رقم الإيداع:
٢٠١٩ / ٢٦٤٧٩
الترقيم الدولي: ISBN
978 - 977 - 765 - 265 - 0

مكتبة
t.me/t_pdf

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

ليف تولستوي

اليوميـــــات

ترجمة

يوسف نبيل

الجزء الثالث

١٨٩٠ - ١٨٩٥

مكتبة | 797
سُر مَن قرأ

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

تولستوي، ليف.
ليف تولستوي : اليوميات - الجزء الثالث - ترجمة: يوسف نبيل
ط1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2020
560 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 26479 / 2019
الترقيم الدولي 0 - 265 - 765 - 977 - 978
1 - الأدباء
2 - تولستوي، ليف

مكتبة
t.me/t_pdf

١٨٩٠

٣ يناير (ياسنايا بوليانا).

في الأول من يناير قضيت اليوم بأكمله في مراجعة مسرحيتي الكوميدية (ثمار التنوير). لا بأس بها. في ذات اليوم وصلوا من تولا وأخذوا يرقصون[١]. أما بالأمس لم أكن في حالة جيدة لأني لم أنم الليلة السابقة. وصل باستوخوف بصحبة يهودي يُدعى بروبين على ما أذكر. في المساء وصل رايفسكي وابنه. أخذ الأطفال يغنون ويلعبون. قرأت كتاب مينسكي[٢] المكتوب بشكل رائع، لكن نهايته سيئة بشكل مريع. أنهيت قراءة (الأم الثرثارة)[٣]. نشعر بالإهانة لدرجة أننا لا نرغب في الانتقام سوى ممن نحبهم. وما إن تبدأ الرغبة في الانتقام من أحدهم، حتى نشعر بالأسف عليهم.

النبي؛ النبي الحقيقي، أو من الأفضل أن نقول الشاعر ποητα الفاعل هو إنسان يفكر ويفهم مسبقًا ما سوف يشعر به الناس بعد ذلك بما فيهم هو . أنا دائمًا ما أفكر فيما لم أشعر به بعد. مثلًا: ظلم حياة

(١) آل زينوفيف وآل دافيدوف.

(٢) في ضوء الضمير: «أفكار وأحلام عن هدف الحياة».

(٣) مخطوطة في أحد دفاتر تولستوي.

الأثرياء والحاجة إلى العمل الشاق... إلخ، وبعد ذلك سرعان ما أشعر بهذه الأمور.

قرأت الآتي: أخبروا إيمرسون أن العالم سرعان ما سوف ينتهي، فأجابهم: «حسنًا، يمكنني تدبر أمري من دونه»[٤].

الإيمان؟ الإيمان ضروري كما يؤكدون عادة، ولكن ليس الإيمان بالتثليث ولا بخلق العالم[٥] والقيامة وما إلى ذلك. ثمة أمر واحد لا مفر من الإيمان به؛ إنه أمر كامن في الإنسان فيما يتعلق بالإيمان، ألا وهو: ما الهدف من كل ذلك؟ ما الذي ينتج عن نشاط الإنسان؟ لا بد وأن نؤمن أن هذا أمر ضروري. لقد كُشِف لنا بوضوح عن إجابة سؤال: «ما العمل؟»، لكن لم يُكشف لنا ما الذي سينتج عن ذلك. هذا الإيمان له فتنته. إنهم يجبرونني على فعل شيء ما دون أن يخبروني عن سبب فعله، لكنهم يحبونني وأنا أحبهم وأفعل ما يطلبونه. الإيمان هنا مدموج بالحب، وينبع منه ويُنتِجه في الآن ذاته. الأمر لا يقتصر على أن الأمل الذي يتحدث عنه بولس يسيء إليه، لكنه يجلب شيئًا فظًّا منفرًا لمفهوم الإيمان والحب[٦]. الإيمان الذي يطرحه بولس لا يتأسس على فحوى ما يقولونه لي بقدر ما يتأسس على هوية مَن يخبرني إياه، لكن في حقيقة الأمر لو لم تكن هناك حاجة للإيمان، وكان كل شيء معلنًا ومحددًا بوضوح -كما يحاول أن يفعل رجال الكنيسة الدوجمائيون، لانهار كل شيء رائع في

---

(٤) رالف إيمرسون: شاعر وفيلسوف أمريكي، والمقطع وارد بالإنجليزية.

(٥) ربما يقصد قصة خلق العالم في ستة أيام كما وردت في التوراة.

(٦) يشير إلى تعريف بولس للإيمان في رسالة العبرانيين: «وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى».

العلاقة بالله. لم يكن بالإمكان أن يكون ثمة حب وإيمان به. إن كان كل شيء واضحًا - كما يؤكد رجال الكنيسة - وأدركنا لماذا فعل الله كل شيء ولماذا خلق وأفنى وسامح وكفَّر عن خطايانا وأشار لنا إلى وسائل التكفير عن خطايانا، فماذا يمكن أن يكون الإيمان حينها؟ لا شيء سوى عملية حسابية. ولماذا يظهر الحب حينها؟ ما الهدف منه؟ ولمن؟ هذا الإله الذي يظهر في هذه القصص التي يخبروننا بها والتي تفسر لماذا فعل كل شيء وما طبيعته.. إلخ، لا يستدعي فينا أي شعور بالحب.

نحن في حاجة للإيمان؛ لأنه يكشف لنا عن نطاق النشاط الإنساني. لو كان كل شيء قد أُعلن ولم تكن هناك حاجة للإيمان به، لما توجب على الإنسان أن يفعل شيئًا. لكن الإيمان شرط للنشاط الإلهي الأصيل. أفكاري غير واضحة، لكني سوف أعود للموضوع ذاته في دفتر آخر.

اليوم جلبنا شجرة عيد الميلاد للأطفال. غادرت المنزل، وبعد الغداء قضيت وقتي كله بالطابق السفلي. في الصباح صحَّحت في كتابي «عن الحياة»، وبدأت في رواية كوني[٧]. الساعة الآن التاسعة. سأصعد إلى الطابق العلوي[٨].

٤ يناير.

نمت نومًا سيئًا جدًّا. تنزهت. شعرت بالحزن من حياتي الشريرة، والغريب أن تزامن هذا مع تفكيري في تفاصيل لا بأس بها في مسرحيتي

---

(٧) ذكرنا في المجلد السابق أن فكرة رواية البعث خطرت على ذهن تولستوي من حكاية حكاها له شخص يُدعى كوني.

(٨) الطابق السفلي خاص بتولستوي فقط، أما العلوي فتعيش فيه بقية الأسرة.

الكوميدية. وجدت «أوجيل» و«رودزيفيتش» في المنزل وتحدثنا عن إمكانية التعاون في جريدة «جاتسوك». عطلاني عن العمل، وبالتالي لم أفعل شيئًا. بعد الغداء خرجا للتنزه، ثم ذهبت للقائهما. من الغريب أني كنت خائفًا من السير وحدي بسبب الذئاب. التقيتهما. كانا مسرورين جدًّا. حكيت لهما عن القضيب الأخضر والأشقاء من النمل[٩]. الساعة الآن الثانية عشرة.

٥ يناير.

نحن نبحث عن العقل والقوة والفضيلة والكمال في كل شيء، لكن الكمال لم يُعطَ للإنسان في أيٍّ مما سبق. لا يمكن للكمال أن يتحقق إلا في أمر وحيد؛ ألا وهو التوافق مع حقيقة الأشياء. يمكننا الوصول إلى ذلك، وحينها يتحقق الهدوء والرضى الكاملين، وأهم ما يحقق ذلك هو الاتضاع.

١٠ يناير.

مرت الأيام من ٥ - ٩ يناير. آلمتني معدتي، وبعدها استولى على رأسي ألم شديد. كان ذلك في يومي ٦، ٧. وصل دونايف وبصحبته ألمازوف. تركا فيَّ انطباعًا جيدًا، وخاصة دونايف. بعد ذلك أقبلت على العمل بكدٍّ ليومين على مسرحيتي الكوميدية، وكتبت كل ما خطر على ذهني. غريب هذا الحماس الفني! بالأمس جاءتني خطابات من روجين ومن تشيرتكوف، وخطاب من الثوار بخصوص المذابح التي تُرتكب

(٩) على ما يبدو أنها قصص خرافية للأطفال، تعلق بها تولستوي في زمن الطفولة.

في حقهم. الحقيقة ليست كذلك، وإن كانت هذه الحقيقة فقد تم التعبير عنها بطريقة كاذبة. صوفيا في حالة سيئة جدًّا. غضبت ماشا، وهي لا تجيد الرفض. قلت لها إننا نحتاج إلى تَعلُّم الآتي:

- ندفع الشر.

- نتحمل المعاناة.

- نشفق على الغاضب.

- نساعده.

منذ وقت طويل وأنا أفكر في الآتي: عندما تحدث ستاخوفيتش عن شاركو وهيبوليت بيرنهايم[١٠] قال: إن أحد الفريقين يقول إن بالإمكان تحريك العقارب في الساعة التي يزيلون منها الوزن أو الزنبرك بتحريك العجلة، وهذا يعني أن كافة الساعات ذات الوزن أو الزنبرك مصممة بحيث لا يكون هناك فارق بين تحريك العقرب باليد أو بالزنبرك، بينما يقول آخرون إن الأمر بأكمله يعتمد على الزنبرك، وإن تأثير العقارب على العجلة غير ممكن إلا في حالة إزالة الزنبرك. لقد أضعت فكرتين مهمتين... هل سأستعيدهما؟

الآن صباح ١٠ يناير ، وقد نهضت لتوي للمرة الأولى منذ عدة أيام لأرتب غرفتي ودوَّنت كل ذلك.

---

(١٠) الأول طبيب أعصاب فرنسي من أساتذة فرويد، والآخر طبيب فرنسي معروف بنظريته عن الإيحاء والتنويم المغناطيسي.

١٥ يناير (١٠ – ١٥).

لم أكتب شيئًا طوال ستة أيام، ومن الصعب تذكر ما حدث. بالأمس (١٤) جاء كل مَن ينجول وستوروجينكو وسامارين ودافيدوف ورايفسكايا. قرأت لهم بعض أجزاء مسرحيتي الكوميدية. لم أفعل شيئًا. تحدثت مع ينجول عن الاشتراكية المسيحية. من الممكن قول الكثير، وقد قيل الكثير فعلًا في الأمر، لكني لا أعرفه جيدًا. في الفترة الأخيرة تنامت بداخلي لا مبالاة غريبة بخصوص التعبير عن حقيقة الحياة. من الصعب جدًّا قبولها. في يوم ١٣ جاء أبناء رايفسكي، وغضبت بسبب تانيا. راجعت مسرحيتي الكوميدية، وفي يوم ١٢ جاء أبناء رايفسكي ثانية، وذهبت إلى المدرسة[١١] لأشعل الموقد. في يوم ١١ عملت كذلك على المسرحية وذهبت للمدرسة.

أمر واحد هام في يوم ١١، ألا وهو تفكيري في فكرتين:

الأولى: إن جاذبية الفعل الجنسي في الأساس بسبب أنها تنزع مسؤولية تحقيق القانون الإلهي عن المرء وتحرره منها وتلقي بها على عاتق الآخرين، فيقول المرء لنفسه: لست أنا مَن سيصل إلى ملكوت الله، بل أبنائي، وهذا ما يفسر استغراق النساء الشديد في أطفالهن.

الثانية: كل ما في العالم يسير في حركة دائرية، أي أنه يبدأ وينتهي ثم يبدأ من جديد كدوران العجلة. هكذا تدور الأيام والشهور والأعوام،

---

(١١) مدرسة قد افتتحتها ماشا عند كوخ البستاني لتعليم أبناء الفلاحين بياسنايا، وكان تولستوي وتانيا يدرسون فيها أحيانًا.

وهكذا هو الأمر مع القمر وهكذا تدور الأرض حول نفسها وحول الشمس، وهذا ما يُمكِّننا من التنبؤ بالاعتدال الربيعي أو الخريفي، وهكذا تدور الشمس وتنمو النباتات وتعيش الحيوانات وهكذا هو الأمر مع المياه والرياح، فكل شيء في العالم يولد وينمو وينضج ويهرم ويموت، ثم يولد من جديد... حتى النهاية. هكذا وُلدت وخرجت إلى الحياة. صحيح أني بدأت حياتي، لكنها ليست بداية فعلًا، فلو لم يكن هناك أناس من قبلي في الحياة لما جئت للوجود. أنا نتاج لمن أتوا قبلي، أي أني قد نشأت عَمَّنْ هو قبلي، وكذلك سوف يستمر من بعدي، لكني أتساءل: هل ستستمر أنايا؟ أنا؟ لا يمكن أن أجد إجابة عن هذا السؤال إلا عندما أعرف بوضوح ماذا تعنيه كلمة «أنا». معظم الأطفال والشباب يقصدون بكلمة «أنا» شيئًا ماديًّا تمامًا، أي ذاك الكائن الموجود الذي يأكل ويشرب ويضحك ويستريح. وهذا قطعًا لن يستمر في المستقبل لأنه سيفنى، لكنَّ كيانًا آخر سيستمر، ذلك الذي صنعني، وهو ما أحمله في داخلي وقد انتقل لي من أسلافي. هذا ما سوف يستمر من بعدي، وإن أسميته «نفسي» سوف أشعر أنه أنايا فعلًا، وحينها سأدرك بقوة أني لن أموت. رغم ذلك لا يمكن توضيح ذلك. إن سؤالا من قبيل: هل سأحيا بعد الموت؟ يشبه دائمًا أن يسأل اليوم نفسه: هل أنا اليوم ذاته الذي كان بالأمس وذاك الذي سيكون غدًا، أم أني مختلف؟ يشبه الأمر كذلك أن يتساءل الربيع: هل أنا ذات الربيع الذي مضى، وذاك الذي سيأتي أم لا؟

لا أتذكر ما إن كنت كتبت ذلك في موضع آخر أم لا. يقولون عن الإيمان: فلتؤمن بقصة خلق العالم والتثليث وقيامة المسيح من الموت

وما إلى ذلك، ولكن من المستحيل الإيمان بكل ما سبق. يمكن للمرء أن يثق بمن قال ذلك أو لا يثق به، لكن لا يمكن إطلاقًا الإيمان بالموضوع نفسه. يمكن للمرء أن يصدق من يقول ذلك، لكنه لا يمكنه تصديق الافتراضات أو الأفكار ذاتها. الإيمان ضروري للإنسان: بمعنى الثقة في الله، لا الإيمان بوجود الله. يستحيل على الإنسان العاقل ألا يثق بالله الذي أرسله إلى هذا العالم على حسب تعبير المسيح. لكن سرًّا سوف يبقى مستغلقًا على الإنسان؛ ألا وهو: لماذا يعيش؟ الإجابة المنطقية الوحيدة: هذا ما يريده الله، ولكن التساؤل عن سبب إرادته لذلك، سيبقى سرًّا مستغلقًا على الإنسان، وهذا السر لا يمكن لشيء أن يتعامل معه سوى الثقة بالله، أي الإيمان بأنه صالح، وأنه صنع ذلك من أجل خيري.

وصلني خطاب من تشيرتكوف مع بعض الملاحظات عن سوناتا كرويتزر، ودار مجددًا حوار بين صوفيا وماشا عن بوشا[١٢]. كتبتْ له ماشا خطابًا. خرجت قبل الغداء، وفي المساء استغرقت في القراءة. كتبت خمسة خطابات: خطابين لجمعية مناهضة السُّكْر، وثالثًا لتشيرتكوف ورابعًا ليفدوكيموف وخامسًا لإرتيل.

أنا مضطرب من ناحية الشهوة الجنسية. فكرت في ردود أفعال البعض صوب سوناتا كرويتزر: سامارين- ستوروجينكو، وكثيرين آخرين مثل لوباتين. يبدو الأمر بالنسبة إليهم متعلقًا بشخصية معينة، ويقول كل منهم لنفسه: إن هذا لا يشبهني في شيء. ألا يمكنهم فعلًا اكتشاف شيء؟ ما من توبة لغياب أي تقدم أو ربما لا يحدث تقدم بسبب

(١٢) يريد الزواج من ماشا وصوفيا تؤجل الأمر. (راجع الجزء السابق).

غياب التوبة. إن التوبة تشبه ثغرة في جدار بيضة أو في حبة حنطة، ونتاج لهذه الثغرة يمكن للحبة أن تنمو وأن تتعرض لتأثير الهواء والضوء، أو أن النمو ذاته يحدث نتيجة هذه الفتحة في جدار البيضة. نعم، يمكننا أن نقسم الناس تقسيمًا حيويًّا شديد الأهمية: أناس يشعرون بالندم أو التوبة، وأناس لا يشعرون به.

١٦ يناير.

استيقظت مبكرًا وذهبت إلى تانيا في المدرسة، ودرَّست هناك، ثم قرأت قليلًا ونمت. دعونا نرى ما إن كان صحيحًا أن الألم يأتي بعد النوم أم لا. الساعة الآن الرابعة. سأتنزه. لا بد وأن أكتب لبوبوف وبيريوكوف ومقدمتين: لكتاب بالو[١٣] وألكسيف. خرجت لأجهِّز بعض الحطب للمدرسة. بعد الغداء خرجت على متن الجواد إلى يسينكا ولم أعد أشعر بالألم. استلمت خطابًا من يفدوكيموف ومن ماينوف ومن ضابط شاعر، وجميعها لا تسر القلب. ليس أمامي سوى عدم الرد على خطابات ماينوف، فسيكون ذلك مفيدًا له بإجباره على التفكير. جاءني خطاب من بوشا، إنه يكتب على نحو جيد أن اليأس قد جعله يشعر أنه متسامح غريب الأطوار، وأن العالم يمضي كما كان في الماضي.

كم كان غريبًا أن تخطر على ذهني فجأة فكرة واضحة بهذه الطريقة فور أن نفضت التراب عن الأريكة الجديدة! لماذا تخطر على ذهني فكرة بعينها، تراودني بوضوح وتُشعرني بالسرور رغم أنها كئيبة وغير مهمة وغير جميلة؟ أليس السبب هو أن الحاضر الحقيقي هو حاضر روحي

(١٣) مقدمة لكتاب أدين بالو عن عدم المقاومة. (راجع الجزء السابق).

فقط، وأن الواقع في حقيقة الأمر ليس إلا غابات تم قطعها من أجل تشييد حياة روحية حقيقية؟ الواقع هو دخان ينبعث من نيران وأضواء الحياة الحقيقية، وهو يحجب ويفسد الحياة الحقيقية.

١٧ يناير.

نمت نومًا قلقًا، واستيقظت مبكرًا ثم ذهبت إلى المدرسة. درَّست هناك، ثم غفوت ثانية. لعبت الورق بمفردي في شرود. الساعة الآن الثانية. أريد أن أكتب خطابات لبوشا وبوبوف وراخمانوف. تحدثت مع ينجول ووصلنا إلى اتفاق بشأن الآتي: الضوء الكهربائي ليس فقط غير مهم لكنه ضار؛ لأنه يضيء ناي ماركت[١٤] ونيفسكي ومعسكرات الأعداء. لن يكون مفيدًا إلا عندما يُستخدم في أمر مفيد. لا، الأمر ليس كذلك. كنت قد عبَّرت عنه بطريقة أفضل. لم أفعل شيئًا سوى كتابة خطاب لراخمانوف وآخر لبوبوف وثالث لبيريوكوف.

الساعة الآن الحادية عشرة. سأذهب للقاء الفتيات (يقصد ابنتيه: تاتيانا وماريا) في كوزلوفكا. صحَّحت في مسرحيتي الكوميدية وأنهيتها. إنها مسرحية كوميدية سيئة.

١٨ يناير.

نمت نومًا سيئًا. بالأمس أعدت كتابة مسرحيتي الكوميدية، واليوم بدأت في مراجعتها. إنها سيئة. قطع بوتكيفيتش عملي بمجيئه من الريف. تحدثت معه. أخبرني أن الكثيرين كرهوا سوناتا كرويتزر. في البداية

---

(١٤) Hay Market: شارع شهير بلندن يضجُّ بالمسارح.

انزعجت، لكني بعد ذلك شعرت بالسرور من أنها قد أثارت شيئًا ما على الأقل لا بد من إثارته. بالطبع كان يمكن أن تكون أفضل من ذلك، لكني فعلت أقصى ما يمكنني فعله. وصلتني برقية من تشيرتكوف. أصبحت كافة أنواع الطعام تثير معدتي، لكني أمسك نفسي وأحاول الامتناع عنه قدر الإمكان.

١٩ يناير.

استيقظت في وقت متأخر. ذهبت إلى تانيا في المدرسة، والتقيت بيفدوكيموف. لقد جاء من أورل. إنه خائف دومًا من أن يُجن ويفقد ذاكرته ويصبح أبله. تحدثت طويلًا معه، وقلت له عرضًا إن الحياة الحقيقية تبدأ عندما تصبح بمثابة رابط بين الماضي والمستقبل، وحينها فقط ينال المرء حاضره ويجد أن دلالته تسر القلب.

فكَّرت مجددًا في الإيمان. إن الإيمان شرط ضروري للحياة. ما يجب أن نؤمن به؛ ذلك السر، هو شرط ضروري لكل حياة؛ أي للحركة. من دونه لم تكن هناك إمكانية للتقدم للأمام صوب المجهول. إن كنتُ قد بلغت فعلًا ما أتوجه إليه الآن لما كانت هناك حركة. الحياة تتلخص في الحركة صوب هذا المجهول، وفي محبة ذلك المجهول نجد الإيمان. سنسير في كل الأحوال. لكن الإيمان يجعلنا مسرورين بينما يحدث ما لا بد له أن يحدث.

بينما كنت أتحدث مع يفدوكيموف وأحاول إقناعه أن فقدانه قوة التركيز ليس أمرًا استثنائيًا ولا يجب أن يبعث فيه الهلع، حدثته بالحقيقة عن نفسي وكرَّرت ما فكرت فيه منذ زمن طويل؛ ألا وهو أن كل إنسان

يؤول دائمًا إلى الموت منذ لحظة ولادته. وكما يقول لاوتسو: بينما يكتسب الطفل قوته وصلابته، يفقد مرونته وحيويته. الموت الجسدي بالنسبة للإنسان الذي يدرك أناه الروحية لا يفعل شيئًا سوى أنه يكشف المزيد من الأنا الروحية. هكذا هو الأمر مع موت عضلة في الذراع أو الساق، وحتى مع المخ. إن قوتي العقلية لا تتدخل في وعيي بأنايا الروحية، فعملية الوعي هنا مختلفة بعض الشيء؛ لأنها تعتمد على أمور أخرى، كالاتضاع والتسليم لإرادة الله، والتي في أغلب الأوقات تجد معارضة من قِبل القوة الجسدية والعقلية في الإنسان على السواء. ينتج الوعي الروحي عن الموت الجسدي على نحو عفوي.

٢٠ يناير.

جاء يفدوكيموف. في الصباح خرجت وحدي، وخطرت على ذهني مجددًا أفكار تافهة بخصوص مسرحيتي الكوميدية، فأخذت أدونها، لكن سرعان ما وصل بوتكيفيتش وكان يفدوكيموف لا يزال موجودًا. الأول لا يعرف كيف يُدير حياته مع زوجته. إنها تخشى الوحدة. تحدثت مع يفدوكيموف عدة مرات وأُنهكت منه. سأكتب خطابًا لجي. لقد رحل.

٢١ يناير.

راجعت مسرحيتي الكوميدية وقرأت قليلًا. لعبت مع الأطفال وتزحلقنا فوق الدكك. صوفيا مضطربة وعصبية جدًّا.

غريب هو الاهتمام بكمال الشكل. إنه لا يأتينا عبثًا، لكن ذلك مرهون بجودة المضمون. لو كان جوجول قد كتب مسرحياته الكوميدية

على نحو أخرق ضعيف لما قرأها واحد على مليون من عدد الناس الذين قرأوها حتى اليوم. لا بد للعمل الفني من الصقل والتهذيب كي يمكنه اختراق الهدف. الصقل هنا يعني أن نجعله كاملًا من الناحية الفنية، وحينها سيتغلب على اللا مبالاة ويشق طريقه عبر تكرار قراءته.

٢٢ يناير.

استيقظت مبكرًا وراجعت مسرحيتي الكوميدية بأكملها. آمل أن أكون قد انتهيت منها. ذهبت إلى المدرسة. ماشا مريضة، وقد كتبت خطابًا جيدًا لبوشا. تانيا طيبة وبسيطة ومبتهجة. قبل أن أذهب انهمكت في قراءة كتاب آخر يضم أقوالًا لحكماء الهند، يحوي الكثير من المواضع الجيدة والشاملة. بفضل مسرحيتي الكوميدية وعرض «سلطان الظلام»[١٥] في بطرسبرج وبرلين بدأت أستسلم للاستمتاع بالثناء. أردت الذهاب لأخي سيريوجا، لكني لم أستطع. الساعة الآن العاشرة.

٢٧ يناير.

بالأمس كان يوم ٢٦. ذهبت إلى ليسكوف[١٦]، ولأني شعرت أني لست في حالة تسمح لي بالعمل، اصطحبته وقُدت العربة بنفسي إلى تولا. تركت وديعة عند تشيرتكوف، ثم تغدينا عند دافيدوف. تحدثنا كثيرًا. التقينا بالفتيات. أما أول أمس (٢٥) تحدثت في الصباح مع تشيرتكوف وليسكوف بينما كنا نتنزه. عرجت على المدرسة، ثم انهمكت في تصحيح الفصل الرابع من المسرحية، على ما أذكر. في

---

(١٥) مسرحية أخرى لتولستوي.

(١٦) نيقولاي ليسكوف الكاتب الشهير، وقد أتى إلى ياسنايا بوليانا في ٢٤ يناير بصحبة تشيرتكوف.

المساء تحدثنا وقرأت لهما المسرحية الكوميدية. كبرياء طوال الوقت! تشيرتكوف أقرب إليَّ. في يوم ٢٤ عملت على تصحيح المسرحية في الصباح من البداية. لم أنتهِ منها حتى حان موعد الغداء. ذهبت إلى تولا من أجل رؤية تشيرتكوف وليسكوف، وتمشينا طويلًا. في المساء ودَّعت صوفيا؛ لأنها راحلة إلى موسكو. لا أذكر ماذا فعلت في صباح يوم ٢٣. يبدو أني حاولت الكتابة في رواية كوني (البعث) ولكن دون جدوى.

أما اليوم ٢٧، استيقظت في وقت متأخر. دار بيني وبين تشيرتكوف حديث جيد جدًّا عن الفن والموت، ثم خرجت لأتنزه. بالنسبة للفن قلت: إن كل ما لدينا روحيًّا يأتينا عبر ما يُبث إلينا، ولكن من بين كل هذه الأمور يبرز ما ندعوهما: العلم والفن، فترى ما هما؟ إنهما ليسا موضوعين لا يمكن تجاهلهما، أو حتى ينتقلان لنا من تلقاء نفسهما، ففن السير والحديث وارتداء الثياب وما إلى ذلك... كلها أمور ليس من المستحيل أن نتجاهلها، بعكس أمور أخرى خاصة مثل الحدادة وصنع الأحذية، فهي أمور لا بد لكل إنسان أن يجيدها.

أما عن الموت، فقلت: إننا لا يجب أن ننسى أبدًا أن الحياة عبارة عن عملية موت مستمرة، والقول بأني أموت باستمرار يماثل القول بأني أحيا. إن الوعي بعملية الموت المستمرة مفيد؛ لأنه يستحيل نيله دون وعي بالحياة، ومن شأن هذا الوعي أن يستدعي فينا ضرورة الاستفادة من هذه الحياة التي يدب فيها الموت بصورة مستمرة.

٢٨ يناير.

وصل جي، وقد جلب معه مخطط لوحة جيدة جدًّا. أتحدث مع

تشيرتكوف طوال الوقت. يحكي لي عن حالته الروحية. حالته مخيفة حقًّا!

٣٠ يناير (٢٩ - ٣٠).

بالأمس وصلت صوفيا، وكانت في حالة مزاجية جيدة. اليوم اصطحبت تشيرتكوف وجي إلى تولا. كانت الأمور لتمضي بخير لولا خوفي من حالة تشيرتكوف المضطربة. شعرت صباح اليوم أني لا أريد أن أُدلي له بأفكاري، خاصة أنه يستقبلها بنهم شديد. أمر مخيف! أنا سيئ! أنا نفسي في حاجة إلى الشبع منها. طوال هذه الأيام الأخيرة كنت أحاول كتابة تعقيب على سوناتا كرويتزر، ولكن دون جدوى. الساعة الآن الثانية عشرة. معدتي تؤلمني.

٣١ يناير.

أمر غريب: رأيت في الحلم بوضوح وسرور شديدين أن الحياة الإنسانية ليست ما كنتُ أتصور، وليست دائرة أو كرة ذات مركز، بل إنها قوس لا نهاية له، ويبدو منه ما يشبه الكرة.

١ فبراير.

استيقظت شاعرًا بالحيوية، وتمشيت، ثم عدتُ وقد انتويت العمل، لكني وجدت نيكوفوروف ومعه أحد الطلبة. لم أفعل شيئًا. استغرقت في القراءة. خاب أملي في الطالب؛ فقد وجدته غبيًّا. أمر يدعو للخزي! استلمت خطابًا من فوروبيوف يدعوني فيه لحضور حفل راقص.

٢ فبراير.

كتبت ردًّا، وبعض الخطابات الأخرى. وصل دولجوف وحدثني

بشأن «طب التوليد[١٧]». كتبت المقدمة فعلًا، ثم ذهبت بصحة تانيا إلى بيروجوفو[١٨]، ووصلنا بخير، لكننا لم نجد سيريوجا (أخاه) وفيرا. في المساء شعرت بالملل.

٣ فبراير (بيروجوفو).

استيقظت مبكرًا. خطرت على ذهني فكرة واضحة بخصوص التعقيب على سوناتا كرويتزر، لكنني لم أكتبها. الساعة الآن الحادية عشرة. أريد أن أكتب، لكني أشعر بالضعف والنعاس.

غفوت لساعة. كتبت في التعقيب. الأفكار صحيحة، لكن ليست لديَّ الطاقة الكافية لكتابتها. ضحكت مع ماريا ميخايلوفنا الطيبة وحكيت لها عن حياة القديس ومعلم الموسيقى[١٩]. سيكون من الجيد أن أكتبها. ابنة تاجر مريضة. هل ستكون مُغوِية؟ مرضها وجريمتها... إنها قاتلة. كاهن الاعتراف «يل» الذي يتلقى الاعترافات من سيرجيه فلاح فظ. الجميع يأتونك، وهي كذلك تنوي أن تأتي إليك. مهما كنت قديسًا فهي أكثر قداسة منك.

في المساء اطلعت على جريدة نيفا، وأفرطت في تناول الطعام. لم أستطع النوم حتى الثالثة من ألم معدتي.

---

(١٧) ترجم دولجوف كتاب أليس بانكر "طب التوليد: كتاب لازم لكل امرأة"، وطلب من تولستوي أن يكتب مقدمة له.

(١٨) المكان الذي يقطن فيه أخوه سيريوجا.

(١٩) حكى تولستوي لزوجة أخيه عن أفكاره الأولى بخصوص قصة الأب سيرجيه.

٤ فبراير (بيروجوفو).

استيقظت في وقت متأخر. راودتني أفكار كثيرة جيدة بشأن التعقيب ودوَّنتها في دفتري. شربت القهوة. استلقيت وراودت ذهني أفكار كثيرة جيدة لكني نسيتها.

الجسد بمثابة غابات تتألف الحياة بداخلها. الجسد طعام الروح. الماديون، أي أولئك المجانين البائسون، يقولون إن الحياة بأكملها تنحصر في الجسد. القول بأن لا حياة من دون الجسد يماثل القول بأن الحياة كلها في الطعام لا في الجسد؛ لأن ما من جسد دون طعام. الجسد لا يعيش من تلقاء نفسه، والطعام لا يمنح الحياة من تلقاء نفسه، فلا بد من وجود جسد كي يمنحه الطعام الحياة، وكذلك هو الأمر مع الروح، فلا بد من وجود روح حتى يمنحها الجسد الحياة. الطعام يدخل الجسد ثم يخرج ويمنحه الحياة. الجسد يدخل الروح ويخرج وقد منحها الحياة.

عدنا إلى المنزل في حالة رائعة. أنا أحب الأطفال لكني وحيد.

٥ فبراير.

أردت أن أمارس العادة[٢٠]. وعكفت من الصباح على العمل على التعقيب. بدأت بتجهيز الحطب، ثم ذهبت إلى تانيا في المدرسة. غفوت بعد أن شربت القهوة. لا بد وأن أجرب الكتابة صباحًا على معدة فارغة.

---

(٢٠) ذكرت في الجزء السابق أنه يستخدم تعبيرًا يعني حرفيًا: ينام نومًا سيئًا، لكنه يقصد ممارسة العادة السرية في بعض المواضع كما تبين من السياق أكثر من مرة. الأمر ملتبس؛ لأنه يقصد أحيانًا هذا وأحيانًا أخرى يقصد النوم، لكن في هذا الموضع الفعل مقرون بالرغبة لذا فمن المؤكد أنه يقصد العادة. في مواضع أخرى بعيدة عن الرغبة سأترجمها بالنوم السيئ.

بعد الغداء استغرقت في القراءة والتفكير وأردت أن أكتب، لكني افتقدت الطاقة المطلوبة. فكرت في كتابة مسرحية عن الحياة تتناول يأس الإنسان الذي يرى النور، ويجلب هذا النور إلى الظلام آملًا أن يضيئه، وفجأة يجد الظلام يشتد وطأة[٢١].

ما من إشارة إلى الزواج في الإنجيل، وهناك مقاومة للفجور والطلاق بالنسبة للمتزوجين بالفعل، ولكن ليس هناك ذكر لقاعدة الزواج كما تقول الكنيسة. الموضع الوحيد الذي يبارك الزواج هو المتعلق بمعجزة قانا الجليل اللا معقولة، وهو يؤكد عليه بقدر ما تؤكد زيارة زكا على ضرورة تحصيل الضرائب[٢٢].

جاءني خطاب من تشيرتكوف ومن ليوفا.

٦ فبراير.

نمت نومًا سيئًا. يعتريني ضعف. لا أفعل شيئًا.

٩ فبراير (٧ – ٩).

ضعف وتبطل وعدم رضى عن الحياة. كتبت خطابًا لفوروبيوف، وصححت في مسرحيتي الكوميدية.

---

(٢١) الحديث عن مسرحية «الضوء يسطع في الظلام».

(٢٢) معجزة قانا الجليل هي معجزة حول المسيح فيها الماء لخمر في عرس عندما فرغت الخمر وشعر أصحابه بالإحراج، أما زكا فهو محصل ضرائب زاره المسيح في بيته، وبسبب هذه الزيارة أعلن زكا توبته ورد كل ما سرقه من الفقراء. والمقصود هنا أن الزيارة بالطبع لا تؤكد على ضرورة دفع الضرائب لذا فمعجزة قانل الجليل -رغم سخافتها من وجهة نظر تولستوي - لا تؤكد على ضرورة الزواج.

١٠ فبراير.

تمكنت بصعوبة من كتابة خطابات لجي وبوشا وفاسيلي إيفانوفيتش. جميعها سيئة. راجعت قليلًا في المسرحية.

١١ فبراير.

أمر غريب! حلم حسي! نمت قليلًا. ضعف. أريد أن أكتب، لكني أفتقر إلى القوة. فكَّرت اليوم في الخطاب الذي بدأت كتابته لجي الصغير[٢٣] عن أن الإغواء الرئيس في موقفي يتلخص في حقيقة أن الحياة في إطار من الترف الشديد يتم التسامح معها في البداية بهدف عدم القضاء على حب المرء لأسرته، وبعد ذلك تبدأ في الاستيلاء على صاحبها بما لديها من إغواءات، ولا يعود يعرف ما إن كان يعيش بهذا النمط خوفًا من تدمير علاقات المحبة بينه وبين أسرته، أم بسبب استسلامه للإغواءات. إن كان الموقف الأول هو الحقيقي فدلالة ذلك أنه لا يشعر فقط بأن مطالب ضميره الأولى لم يتم إرضاؤها، بل تظهر لديه مطالب جديدة أخرى.

فكَّرت كذلك في أن لا حاجة بي لكتابة تعقيب على سوناتا كرويتزر؛ لأنه من المستحيل على الناس الذين يفكرون بطريقة مختلفة في ذلك الأمر أن يقتنعوا بأي حجج يمكن أن أذكرها في التعقيب. ولكن أهم شيء هو أن أوجِّه مشاعرهم أولًا إلى اتجاه مختلف، بينما

---

(٢٣) ردًا على خطاب أرسله جي الابن له يقول فيه لتولستوي إنه (تولستوي) يتنازل أحيانًا عن متطلبات ضميره من أجل أن يتجنب تعقد المشاكل مع أسرته.

يجادلون بأنهم على حق. سوف يشعرون بأنفسهم أنهم ليسوا على حق، لكنهم سوف يستمرون في الجدال بأنهم على حق. الأمر ليس أن الناس في حاجة إلى الجدال، لكن ليس بإمكانهم الحياة من الأساس من دونه. العقل بمثابة مصباح معلق على صدر كل إنسان. لا يمكن للإنسان أن يسير أو يعيش إلا في ضوء هذا المصباح. دائمًا ما ينير المصباح الطريق أمام صاحبه، والمجادلات التي أذكرها تنير طريقي. حتى إن كان طريقي صحيحًا وطريق الآخرين خاطئًا، لكن طريقي ليس بإمكانه أن يجعل الآخر يرى الطريق الصحيح، أو ألا يجعله يرى ما يراه فعلًا في الطريق الذي يسير فيه. لا بد وأن يتنحى أولًا عن طريقه، وهذه ليست مهمة العقل أو المنطق؛ بل الشعور. حتى إن فارق الآخر طريقه الخاطئ، وسار في الطريق الصحيح، سيظل لمدة طويلة يرى ما كان يراه من ضوء مصباحه في الطريق الأول.

بينما كنت أتمشى فكرت كثيرًا في رواية كوني (البعث). كل شيء جلي وحسن:

هو لم يرد أن يحوزها، لكنه فعل ذلك لأن هذا ما يجب على المرء أن يفعله كما يعتقد. في مخيلته يراها فاتنة. يبتسم ويشعر برغبة في البكاء.

مسيرة إلى الكنيسة. ظلام وفستان أبيض وقبلة.

تأخذ الخادمة العجوز المال، لكنها تنظر بحزن.

تؤمن الخادمة العجوز بالقضاء والقدر، وكاتيوشا وحيدة.

عندما تراه يمر، تود أن تلقي بنفسها أسفل عجلات القطار، لكنها

تُحجم عن ذلك، وتشعر بالطفل في أحشائها.

يسأل عمته عن مكانها. الخادمة عند مالك الأراضي. إنها تعيش حياة سيئة، وتنخرط في علاقة مع أحد الخدم، ولا يمكنها أن تُحجم عن هذه العلاقة فقد استيقظت النزعة الحسية بداخلها.

يضطرب ويتساءل: هل طردتها؟ هل بكت كثيرًا؟ هل أنا الملوم؟ إلخ.

جرَّبَ الطموح. النتيجة سيئة. لا تتناسب مع شخصيته. سافر للخارج. باريس - فجور، والنتيجة لا تزال سيئة. لم يتبقَّ له سوى القراءة والأناقة والصيد ولعب الورق. يغزو الشيب شعره ويشعر بالملل.

١٤ فبراير (١٢ - ١٤).

لا أزال في حالة من الضعف العقلي. لست قادرًا على كتابة شيء. يوم أمس (١٣) جاء جيلتوف وزوجته وشقيقته وصهره. إنهم أناس يتمتعون بالأصالة، وهو تحديدًا ذكي وحر. سيكون له تأثير ضخم. نمت نومًا سيئًا. لم أحاول حتى أن أكتب ولم أدوِّن شيئًا. الساعة الآن الثالثة. أريد أن أكتب بعض الخطابات.

كتبت خطابًا سيئًا لبوشا. قبالة المساء آلمتني معدتي بشدة.

١٥ فبراير.

لا جديد.

مكتبة
t.me/t_pdf

١٦ فبراير.

أنعش ألم معدتي نشاطي الروحي. أنا مسرور لأني في أسوأ اللحظات لا أسقط في فخ كراهية الناس والشك في الحياة الحقيقية. كل ما يحدث هو أن تخور قواي. لم أعترف بذلك طوال الأيام الأخيرة، وكنت أطرح على نفسي أسئلة عن الحياة، حتى إني دوَّنت في دفتري الصغير بعضًا مما هو غير واضح بالنسبة لي بخصوص هذه الفكرة؛ أقصد تحديدًا بلية الموت بحسب الجسد. ستموت شخصيتي على أي حال، أو سيموت الوعي بها وحده. إن كانت الشخصية نتاجًا للقوى المادية، فوجودها إذَنْ محض خداع. وكلما أسرع أوان التخلص من هذا الخداع كان أفضل. أما إن كان هذا الوعي يتضمن شيئًا سيزول وآخر سيبقى، فمن الأفضل أن يحل سريعًا أوان ما من شأنه أن يزول؛ لأن هذا الوعي الشخصي يعوقني عن الحياة في عالم الله. الحب هو ذلك السعي للخروج من إطار ما سيزول من الوعي.

واصلت العمل في رواية «كوني». لا بأس بها. حصلت على كتاب رائع يُدعى *Rising Star* من بائع كتب إنجليزي. قرأت مقال إيلدر إيفانز الرائع بمناسبة الذكرى المائة للجمهورية الأمريكية.

١٧ فبراير.

استيقظت في وقت متأخر. لا أزال أشعر بالألم. بينما أتنزه اليوم فكَّرت في الآتي: إن خطأ الناس الرئيس في الحياة، وهو الأكثر شيوعًا وضررًا، يتلخص في أننا نرغب في: إما أن يكون العمل فذًّا وإما لا داعي

منه على الإطلاق. هذا الأمر ليس صحيحًا البتة كما أنه مستحيل. إنه يشبه القول أنَّ الرجل الذي أُمِر بالحراثة، ينقل المسافرين بمحراثه - وحتى هذا ليس صحيحًا أيضًا - أو رجل أُسنِد إليه شدّ طقم الجياد في محطة بينما يود أن ينقل المسافرين. كل ما علينا أن نفعله هو أن نقوم بما نحن في حاجة للقيام به بشكل جيد، أي بمحبة. هذا يعني أن نقوم بكل ما من شأنه أن يوحِّد الناس. لم يُعطَ لنا أن نقوم بما يجعلنا كاملين؛ لأن حياتنا ليست كاملة أو تامة، لكنها بمثابة جزء من كيان ضخم بطريقة لا يمكن تصورها، وهي جزء محدود في كيان غير محدود. ليس بإمكاننا فعل شيء سوى أن نجعل الجزء يندمج في الكل جيدًا. إن أردت أن تحقق شيئًا ما، فليس بإمكانك أن تقوم بعمل فني، أو مجموعة من الأعمال، وليس بإمكانك تنوير الشعب أو توحيد ألمانيا أو شيئًا من هذا القبيل؛ بل يمكنك القيام بعمل واحد ألا وهو أن تحيا حتى آخر نَفَس لك، ومع ذلك فأنت لا تعرف ما حققته، وحياتك ستصبح مرئية بالكامل للآخرين لا لنفسك. كرويسوس[٢٤] وسولون[٢٥]. التفكير الآتي مفيد ويبعث السرور: مهما هرمت أو مرضت، ومهما فعلت كثيرًا أو قليلًا، فالأمر لا يقتصر على أن كافة أعمالك لن تكتمل، لكنها حتى لن تنال قيمتها النهائية الحاسمة حتى نَفَسك الأخير. هذا يبعث على السرور ويشجع النفس.

---

(٢٤) هو ملك ليديا من الأسرة الميرمنادية، وحكم بين عامي ٥٦٠ - ٥٤٦ ق م

(٢٥) مُشرِّع، شاعر ورجل قانون أثيني، قام بسن مجموعة من القوانين الإصلاحية والتي تعارضت مع نظام الدولة المتبع آنذاك، ورغم أن إصلاحاته فشلت فيما بعد إلا أنه يعتبر الممهد لقيام ما تم تسميته لاحقًا بالنظام الأثيني الديموقراطي. وقد عُثِر في مكتبة تولستوي على كتاب بعنوان «الملك كرويسوس والمعلم سولون وقصص أخرى».

قرأت في كتاب صيني: «أخشى أن أتعلم شيئًا جديدًا طالما لم أطبق بعد ما تعلمته بالفعل».

قرأت اليوم عن فظائع قتل الأطفال في وارسو[٢٦]، فكتبت صباحًا بصدد الأمر، ولا أعرف ما الذي سينتج عن ذلك. وصلني خطاب حزين من فاسيلي إيفانوفيتش. جاءني كذلك خطاب حزين من سيمون الأرثوذكسي، وخطاب بائس من نيمولوديشيف بزهوه الأحمق. لا بد وأن أكتب له الآتي: تكتب قائلًا أن لا حاجة لبذل الجهود. أي جهود؟ هل نبذل جهودًا في الظلام من أجل أن نفتح الباب أم لتجهيز الحطب؟ بالطبع ليس الأمر الأخير منطقيًّا، ولكن الأكثر عبثًا ألا نبذل جهدًا من الأساس حتى نضيء المكان. علينا أن نضيء المكان، أي أن نبذل جهدًا، بقدر ما نستطيع. تنوير النفس هو الجهد الوحيد والرئيس اللازم على الإنسان القيام به والذي لا يجب أن يتوقف أبدًا، وليس المقصود أن نملأها بمعرفة علامات الترقيم وكرات الدم البيضاء وما إلى ذلك من هراء، فما نهتم به اليوم سيُنسى غدًا، ولكن المقصود أن نملأها بالحكمة الحقيقية للناس التي يدين بيريوكوف[٢٧] لتنويرها بالرصانة والسرور. وعندما يتنور الإنسان، سيقوم بما تجذبه إليه طبيعته دون بذل الجهد، ومن ثم يجب التفكير كثيرًا وعلى نحو جيد مع حكماء العالم.

---

(٢٦) قتلت امرأة في وارسو ما يقرب من مائة طفل.

(٢٧) كارل بيريولوف: رسام روسي شهير.

١٨ فبراير.

قرأت عن الجرائم التي تُرتكب في وارسو، وكتبت لائحة اتهام بالأمر، أتهم فيها الحكومة والكنيسة والرأي العام، لكنها غير جيدة. وصل بوتكيفيتش مع شقيقه. كل هذا حدث في يوم ١٧. اصطحبتهم للخارج، وعدتُ مريضًا. طوال اليوم كانت معدتي تؤلمني.

١٩ فبراير.

نمت نومًا سيئًا. أشعر بالألم طوال الوقت. ذهبت إلى المدرسة، وقرأت وثيقة تاريخية عن الديسمبريين. وصل دافيدوف. يكتنفني كسل عقلي، ولكن حمدًا لله لم أرتكب شرًّا.

يعتقد كل من القيصر والوزير والبابا والمندوب السياسي أنه سيكون مسؤولًا عما يمكن أن يحدث إن لم يقم بهذا أو ذاك من الأمور. كل هذا هراء. لا يمكن للإنسان أن يكون مسؤولًا عن شيء سوى أفعاله أمام الله. من غير الصحيح أن نُقسِّم الواجبات إلى: أسرية - اجتماعية - شخصية. لدينا واجب واحد فقط وهو واجبنا أمام ضمائرنا. أنا لا أعرف ماذا سيحدث، ولا يمكنني أن أعرف، لكني أعرف فقط ماذا يتوجب عليَّ أن أفعل. ليست الخطية إلا إخماد المرء لنوره، أو الأسوأ من ذلك إخماد نور شخص آخر.

٢٠ فبراير.

لا أزال أشعر بالضعف طوال الوقت، ومعدتي تؤلمني، وأرغب في الكتابة، لكني لا أستطيع حتى أن أكتب بضعة خطابات. قبل أن أذهب

إلى المدرسة بالأمس فكرت في الآتي: ليست الخطية إلا إخماد ذلك النور الذي يتقد داخل المرء، والخطية الأسوأ من ذلك أن يُخمد المرء النور في الآخرين.

أشعر أن مسألة حرية الإرادة يمكن اختصارها في تلك الفكرة، لكني ما زلت لا أعرف كيف يمكن ذلك. فكرت كذلك في الآتي:

المادة تشكل حدودي؛ حدود أنايا. تتجلي أنايا في مواضع التفاعل بيني وبين بقية المخلوقات والعالم بأثره. لكنَّ شيئًا ما آخر بداخلي ليست له حدود، واحد وجامع في الآن ذاته. إنه نشاطي الروحي والعقلي والمحب.

قرأت في مجلة (المسيحية الجديدة): «إن هدفت إلى سعادتك الشخصية فهو الجحيم، وإن كان خير الآخرين هدفك ستخدم الله وتنال السماء والملكوت».

٢١ فبراير.

تحسنت حالتي الصحية. حاولت الكتابة في رواية كوني (البعث) ولكن بلا جدوى. الساعة الآن الرابعة. سأذهب إلى ماشا وأتمشى. ذهبت إلى مامونوفا[٢٨].

٢٢ فبراير.

عاصفة ثلجية. لم أخرج، ثم تحسن الوضع. رأيت في الحلم أني

---

(٢٨) ألكسندروفنا ديميتريفا مامونوفا. كانت تشارك تولستوي في ذلك الوقت في نسخ مسرحيته "ثمار التنوير".

ذهبت إلى مدينة ما على متن جوادي، ثم هبطت من على متنه، ودخلت أحد الأروقة، وخرجت ولم أجد الجواد، وشعرت باليأس. سعيت في الحلم إلى كافة الوسائل التي يمكنني بها حل المشكلة، حتى إني قلت في نفسي إني ربما أكون نائمًا، وبذلت كافة جهودي كي أستيقظ، واستيقظت فعلًا. يبدو أن الأمر كذلك مع الانتحار، فهو بذل الجهد من أجل الاستيقاظ.

فكرت كذلك في الآتي: وحده الموت، والدقائق والساعات والأعوام الأخيرة ما يمنحنا معنى للحياة. بهذا المعنى قد لا أكون قد بدأت الحياة بعد.

لا يرى الماديون -الذين يفسرون كل شيء بنظرية ميكانيكية آلية- شيئًا في العالم سوى المادة والطاقة، ولذلك يعتقدون أنه يجب إنكار الأرواحية[٢٩]، لكنهم في الآن ذاته يؤكدون بدرجة أقوى وأكثر تحديدًا من كافة المثاليين على أن جوهر الحياة لا يمكن أن يكون إلا روحيًّا. طبقًا لمنظورهم ثمة مادة غامضة لا يمكن قهرها، وطاقة ومركبات مختلفة تشكلت من هذه المادة وتلك الطاقة. أنا إذَنْ مزيج غامض من جوهرين غامضين امتزجا ليشكلا جوهرًا واحدًا. لدينا إذَنْ مادة غامضة وطاقة غامضة ومركب غامض، أليس هذا هو الكيان الواحد الذي نتعرف عليه بداخلنا؟ يتلخص الفارق بين الماديين والأرواحيين في أن الفريق

(٢٩) الاعتقاد بوجود الأرواح وأن أي نظام حي أو كائن أو حتى المواد الجامدة أحيانًا تمتلك نوعًا من الروح مثل الحجارة، والنباتات، وكذلك في الظواهر الطبيعية مثل الرعد، وحتى بداخل المعالم جغرافية كالجبال والأنهار.

الأول يضع في اعتباره المادة والطاقة، وقد افترض أن أشكالهما لا بد أن تكون جوهرًا طبيعيًّا من المادة والطاقة، أما الفريق الآخر يضع في اعتباره قبل أي شيء آخر ذلك الكيان الناتج عن الوحدة، ولا يولي المادة والطاقة أي أهمية كشرط حتمي لوجود الأشياء. هراء!

٢٣ فبراير.

استيقظت في تمام الصحة، وكتبت بضعة خطابات. تنزهت. الساعة الآن العاشرة. سأذهب إلى كوزلوفكا. كنا نستعد للرحيل، لولا أن كوزمينسكي جاء وأزعجنا.

٢٤ فبراير.

ذهبت إلى المدرسة. جرَّبت أن أكتب التعقيب. نمت نومًا سيئًا جدًّا. ما من خلاص في النضال ضد الشر الخبيث سوى بالحب.

يبدو أني خلطت التواريخ. سأراجع تواريخ اليوميات.

أعدت كتابة خطابي لبالو، وأرسلته. كتبت خطابات لليتوشينكو وخيلكوف وفاسيلي إيفانوفيتش وثلاثة خطابات أخرى.

٢٥ فبراير.

استيقظت مبكرًا. الطقس الآن رائع بعدما انتهت الرياح والعواصف الثلجية التي هبَّت بالأمس. أيقظتني تانيا وكذلك ماشا وفيرا. تجهزنا جميعًا للرحيل، وبدأنا طريقنا في العاشرة. كنا جميعًا فرحين مرحين في الطريق. تناولنا الطعام في كرابيفني، ووصلنا في السابعة إلى أودويف، وقضينا ليلتنا في ردهة رائعة. أُدوِّن فيها الآن اليوميات. لم تراود ذهني

أفكار بخصوص الكتابة. جاءني خطاب من جي.

٢٦ فبراير (بيليف)[٣٠].

خرجنا في الثامنة. ذهبنا في رحلة رائعة إلى بيليف. لم أجد ماشينكا. إنها في أوبتينا[٣١]. ذهبت إلى باستوخوف. وجدته جالسًا إلى المنضدة يُدرِّس بعض الطالبات. استلمت خطابًا من دولنير. العمل الفكري لديهم يتقدم بقوة وطهارة. يكتب دولنير عن الزواج وعن أحلامه بشأنه. يقول باستوخوف أنه يختبر هو أيضًا الأمر ذاته. نمنا نومًا رائعًا. في الصباح وصلنا أوبتينا.

٢٧ فبراير (أوبتينا).

وصلنا مبكرًا. من اللافت للنظر كيف لحق التغيير بتانيا. بدأت تقول أمورًا غير حقيقية، فغضبت منها، ولم أستطع أن أنتصر على نفسي طويلًا، ولكن الفكرة التي هدَّأت مني كانت أن بإمكاني أن أقول لها ما أنا في حاجة لقوله لها فيما بعد، عندما أهدأ تمامًا. عندما تذكرت الأمر بعد ذلك قلت في نفسي ربما لم أكن على حق، وقلت لها هذا بالمساء وأنا أضحك. التقيت بماشينكا في أوبتينا وحدثتني عن أمفروسي، وكان كل ما قالته يثير الهلع. لقد تأكد لي ما رأيته في كييف. المبتدئون الصغار قديسون والله معهم، أما الشيوخ فلا رفيق لهم سوى الشيطان! بالأمس

---

(٣٠) مر تولستوي على بيليف بهدف العروج على شقيقته ماريا التي كانت تعيش في ذلك الوقت بدير هناك.

(٣١) ذهبت ماريا (ماشينكا) إلى هناك تحت تأثير الشيخ أمفروسي الذي كان يرأس الدير هناك. وكان دير أوبتينا شهيرًا حيث اعتبرت أوبتينا أهم مركز روحي للكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وكانت بمثابة نموذج للعديد من الأديرة الأخرى.

التقيت بأمفروسي، وتحدثنا عن صيغ الإيمان المختلفة. قلت له: حينما نعيش مع الله أي مع الحقيقة، نكون متحدين معًا، وحينما نعيش مع الشيطان؛ أي مع الكذب، ننفصل جميعنا عن بعضنا. أثر بوريس[٣٢] فيَّ، بعكس أمفروسي، فهو سيئ إلى أقصى حد خاصة مع قدرته على الإغواء. إنه يضرب الناس على رؤوسهم، ويُعلّمها (يقصد شقيقته) قائلًا أن لا حاجة بها لأن تحزن من حقيقة أنها تعامل خادمتها بطريقة شريرة، ولا يرى حتى أنها في حاجة إلى ذلك. من الواضح مما تقوله أن الدير بمثابة مكان لإشباع المتع تحت إطار روحي كاذب. قال بوريس إن الهدف من العالم والبشرية هو زيادة عدد الملائكة.

٢٨ فبراير (أوبتينا).

رأيتني في الحلم أتحدث مع كاهن عن السُّكْر والتسامح وعن موضوع آخر نسيته. قلت عن التسامح: لا تحتقر يهوديًّا أو تتريًّا ولكن أحبهما. بالنسبة لي ربما هذا يعني حب الكنيسة الأرثوذكسية. يبدو لي أني قد حققت ذلك في هذه الزيارة الثالثة لي في أوبتينا. ساعدني يا إلهي! إن بلاءهم يتلخص في أنهم يعيشون طبقًا لمنظور الآخرين. إنهم قديسون قد ترعرعوا في قلب العبودية. الساعة الآن العاشرة. سأمضي الآن لرؤية ليونتيف[٣٣].

التقيت بليونتيف، وحظينا بحديث رائع. قلت له: «أنت بلا أمل، ومع ذلك مليء بالأمل. هذا يعبر بوضوح عن موقفنا من الإيمان». ثم قمنا برحلة ممتعة إلى ميشنيفو التي تبعد ٤٠ فرست عن أوبتينا، وقضينا

---

(٣٢) قريب لصوفيا زوجته وراهب بالدير.

(٣٣) صحفي وناقد، وكان يعيش في تلك الفترة في الدير، وترهبن فعلًا قبل موته بأعوام.

ليلتنا في كوخ ريفي.

١ مارس (ياسنايا بوليانا).

استيقظت مبكرًا، وقضينا اليوم كله في الطريق. أُنهِكت الجياد للغاية، ووصلنا في الثانية. التقتني صوفيا بفرح وسرور.

٢ مارس.

نمت نومًا سيئًا، واستيقظت في وقت متأخر. جاء جي وجوبكينا. كنت مسرورًا معهما. حكى لي جي عن الهيكل الذي أُقيم لتخليد ذكرى ألكسندر الثاني، وكيف سرقوه تمامًا. لم يكن مما يبعث السرور أن أستمع إلى جوبكينا وهي تتحدث عن الإنجيل. جاءني خطاب من ماشا. أجبت عنه اليوم.

٩ مارس.

من المستحيل أن أتذكر ماذا حدث طوال الأيام السبعة الماضية بالتفصيل. سأحاول التذكر قدر الإمكان. اليوم ٩ مارس. لا أزال أشعر بألم قوي طوال الوقت منذ أن بدأ في مساء يوم ٣، وخارت قواي. روجين هنا.

فكَّرت مساء اليوم في الآتي: الفارق الرئيس بين المفاهيم المختلفة للتأثير على الحياة -ولا أقصد المسيحية، بل أقصد حياة الوعي الأخلاقي الجادة- هو أنه بالنسبة للبعض، ثمة مواقف وأوضاع ومؤسسات في العالم راسخة تمامًا لا يمكن المساس بها، وهم يحاولون في مثل هذه المواقف أن يتَّبعوا توجيهات المسيحية أو التعليم الأخلاقي، ولكن بالنسبة لآخرين

فإنهم يتساءلون حول تلك المواقف والأوضاع والتنظيمات ذاتها، وكل شيء بالنسبة لهم يمكن تغييره. المسيحية بالنسبة للفريق الأول هي بمثابة إرشاد لأفعال المرء في مواقف معينة، لكنها بالنسبة للفريق الآخر بمثابة معيار للتحقق من صحة المواقف «الغني وذو المركز الرفيع لا بد وأن يفعل كذا لفائدة كذا.... إلخ». بالأمس كنت أقرأ في مجلة (المسيحية الجديدة): «لا بد وأن يكون المسيح في الحياة الاجتماعية والسياسة وفي شؤون العمل». تخيلوا المسيح في شؤون العمل! هذا القول يشبه القول بأن المسيح في الركل أو القتل والحرب! بادئ ذي بدء لا بد أن نقنع هؤلاء الناس أن كافة الوظائف في المجتمع، بدءًا من مالك الأراضي إلى السيَّاف تنقسم طبقًا للنزعة الأخلاقية، لذا لا يكفي أن تكون حسنًا في الوظيفة التي تشغلها، بل على الإنسان أن يختار بين وظيفة وأخرى.

أنا مستغرق الآن في قراءة ليسكوف. العمل غير جيد؛ لأنه مفتعل. تراودني هذه الفترة أفكار كثيرة. في يوم ٤ مارس قال لي سيريوجا: «على المرء أن يكون مشغولًا». عبارة لا معنى لها إطلاقًا، فعلى المرء أن يعرف ما الذي يجب عليه أن ينشغل به أولًا. ثمة وسيلة واحدة لمعرفة ذلك: أن تفعل ما أنت في حاجة لفعله، ما تستهلكه، أو الدعوة التي تجد نفسك منجذبًا إليها انجذابًا يتعذر كبحه.

لا يمكن إصلاح الحياة الرهبانية وجعلها حياة مسيحية حقيقية إلا بوسيلتين: التوقف عن أخذ المال الناتج عن عمل الآخرين والاكتفاء بما يعملونه هم أنفسهم، والوسيلة الأخرى هي القضاء على كافة الشعائر الشكلية، وكل ما حرَّمه الإنجيل من صلوات عامة في ساحات دور

العبادة مثلما ذُكِر في متى [٣٤]٦، وكل ما يرتبط بذلك، فكل من الأمرين السابقين يدعمان بعضهما مثلما يدعم لوحان من الخشب كوخًا.

لقد جعلت الكنائس من المسيح ربًّا مخلصًا، لا بد من الإيمان به والصلاة إليه. من الواضح أنهم لم يعودوا في حاجة إلى المثال العملي الذي تركه إلينا، وأصبح شاغل المسيحيين ينحصر تحديدًا في رسم أو نحت هذه اللوحة أو تلك. إن كان المسيح إنسانًا، فالنموذج الذي يطرحه لنا هو ما يهم، وكل ما سأهتم به هو كيف أُخلِّص نفسي، أي أني سأخلص إن فعلت ما فعله.

الوضعيون والليبراليون والثوريون وأفراد كافة الطوائف المسيحية يؤمنون بتلك الحقيقة المسيحية التي أؤمن أنا أيضًا بها، لكننا نؤمن بها تحت أسماء مختلفة، لذا فالأمر لا يقتصر على أنه من غير الضروري الجدال والتشاحن، بل لا بد كذلك من أن نصبح أصدقاء.

كنت أقرأ في يوميات تانيا، وشعرت بالحب والرقة صوبها بينما أنظر إلى ضعفها وروحها المنهكة. كتبت: «أنا لست إنسانة سيئة حقًّا». لقد قالت هذا بنفسها وكانت هناك فرصة لتحقيقه، لكن الجميع يقولون ذلك، حتى بوبيدونوستسيف ونيكانور وسكابيتشيفسكي[٣٥]، ولا بد للمرء أن يحكم على صحة نظرتهم هذه، وهذا أمر ممكن.

---

(٣٤) «وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلَا تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ».

(٣٥) الأول عضو حزب سياسي محافظ ورجعي، والآخر أسقف اعتاد مهاجمة تولستوي، والثالث مؤرخ أدبي اعتاد مهاجمة أعمال تولستوي وخاصة أنا كارينينا.

إن أفظع صنوف المعاناة هو أن أدرك أني أعاني، لا من شر الأحزان ولا من الجراثيم، بل من الأشقاء الذين كان عليهم أن يقدموا لي الحب، لكنهم كرهوني وجلبوا لي المعاناة.

هذا ما حدث عندما اقتادوا الديسمبريين للإعدام والسجن. يا للفظاعة!

بالأمس، يوم ٨، شعرت بالضعف والألم وإفراز الصفراء المفرط. قرأت في كتاب ليسكوف، وكتبت بعض الخطابات. كثير من الخطابات بشأن سوناتا كرويتزر. يتساءل أصحابها: وماذا بعد؟ لا بد من كتابة تعقيب، لكني لا أستطيع.

لا جديد بأول أمس، يوم ٧، كانت الآلام شديدة جدًّا بالمساء. فكَّرت في الموت، والآن أنا مستغرق في التفكير فيه. لا يمكنني حتى فهم سبب للشعور بالخوف، ولست أشعر بالأسف. في أوقات الصحة تراودني الرغبة في الموت سريعًا، وفي أوقات الألم أشعر بلا مبالاة كاملة، أي يتساوى حينها الحياة والموت. قرأت في مجلة (المسيحية الجديدة) ما كتبه روبرتسون عن الحب. يقول: «تمسك به وسيهزم كل شيء، وسيبدو لك وكأنك لم تواجه شيئًا من الأساس». من الغريب أني مهما فكرت في أي شيء أجد الأمور كلها تؤول لأمر واحد: الحب. لا تتعامل مع أحد من دون حب ولا تفكر فيه حتى دون حب، حتى إن كان غائبًا أو ميتًا. كم سيكون الأمر رائعًا عندما تصل إلى ذلك!

في يوم ٦ كنت حزينًا متضايقًا طوال الوقت. تحدثت مع روجين عن جي. لا أذكر شيئًا بشأن يومي ٤، ٥ سوى أني حاولت الكتابة ولكن

دون جدوى. الساعة الآن العاشرة من يوم ٩ مارس. سأصعد إلى الطابق العلوي. أشعر طوال الوقت بالألم والضعف.

١٠ مارس.

حالتي الصحية سيئة تمامًا. ضعف وحمى وإفراط في إفراز الصفراء. لكن كل ذلك لم يمنعني من التفكير، وخاصة في الحياة الصالحة. أفكر طوال الوقت في الحب. يمكن في كل مكان وزمان أن ينزع المرء من قلبه كل حقد وهو يستمع إلى حوار أو بينما يقرأ أو يفكر. وصل دافيدوف. يبدو أن المسرحية راقت للجمهور ثانية[٣٦]. مدهش! رايفسكي هنا وكذلك بيرجيري. ساد الارتباك عدة مرات، وبالتالي الضغـ....[٣٧]. أقرأ في كتاب ليسكوف. من المؤسف أنه غير حقيقي. لا أعرف كيف أقول ذلك.

١١ مارس.

تحسنت حالتي قليلًا. وصلتني مقالة ينجول وقرأت بعضها. بيت القصيد في وجهة نظرهم هي أن لا حاجة لنا لتغيير الحياة، أو المساس بالمؤسسات، ولكن كل ما يلزمنا هو إجراء بعض التحسينات. أود أن أكتب عن هذا وعلاقته بما كانوا يقولونه عن «العمل المسيحي»[٣٨].

كارثة أن يفكر الإنسان في خدمة الله والناس، بينما تكون كافة قوى الروح موجَّهة في الحقيقة لخدمة الذات. على المرء ألا يعلو عن

---

(٣٦) يقصد عرض مسرحيته «ثمار التنوير» على الجمهور في ياسنايا بوليانا.

(٣٧) غالبًا كان يقصد الضغينة، لكنه لم يكتب الكلمة كاملة.

(٣٨) يقصد ما ناقشه في ٩ مارس: "المسيح في العمل...".

متطلبات وعيه وألا يتدنى عنها. الساعة الآن الرابعة. سأتنزه.

١٥ مارس (١٣ – ١٥).

لم أفعل شيئًا. وانهمكت في عملية التصحيح ببطء. وصل فاسيلي إيفانوفيتش الحبُّوب وكذلك فاينرمان. مضت الأمور على نحو جيد مع فاينرمان وتحدث حسنًا عن أعضاء الطوائف، لكنه لم يتحدث حسنًا عن الطوائف ذاتها. لقد بدأوا يشعرون بالزيف. أكوام من الخطابات بشأن سوناتا كرويتزر، وجميعها تعرب عن الحيرة والتساؤل.

١٦ مارس.

استيقظت وقرأت خطابًا يعرب فيه سيريوجا عن توبته ويصرخ من الفرحة. حاولت كتابة التعقيب في الصباح ولكن دون جدوى. في المساء كتبت خطابات لدوجكين وتشيرتكوف وسولوفيوف وخيلكوف وبوجوروسلانسكي والمفتش وسيريوجا. دار بيني وبين صوفيا حوار غير لطيف، ثم لانت الأمور ثانية. نعم، يمكن الانتصار على العالم بالحب. لديَّ الكثير من الأفكار، لكني لم أدوِّنها بعد في دفتري.

١٧ مارس.

بالأمس نمت نومًا سيئًا جدًّا، ولم أكتب شيئًا، ولم أعمل كذلك. تحدثت مع فاسيلي إيفانوفيتش وفكرت. مع قدوم المساء شعرت بالمرض ولكن ليس بقوة. أما اليوم فنمت جيدًا، لكني على أي حال في حالة ضعف فكري. لم أسجل التالي إلا الآن:

لدينا نوعان من الناس: أحدهما لا يتعامل بشكل حاسم مع السلوك

فقط، ولكن كذلك مع وظيفته. على سبيل المثال لا يمكنه قبول وظيفة موظف حكومي، ولا يمكنه تكويم المال وحفظه وقبول الفائدة... إلخ، ونتيجة لذلك فهو في عوز وفقر دائمين، وليس بإمكانه أن يعيل أسرته ولا حتى نفسه، ومن فرط الضعف يصبح في وضع مهين لنفسه وكئيب للآخرين يضطر فيه للاستجداء. النوع الآخر يتعامل بشكل حاسم مع سلوكه فقط، ولا يتعامل مع الوظيفة بذات الطريقة ويصبح غنيًّا ويتمكن من إطعام نفسه وأسرته من وسع ويساعد الآخرين، ولا يشكل عبئًا على أحد، على الأقل بطريقة ملحوظة. من الأفضل؟ كلاهما ليس حسنًا، ولكن النوع الثاني سيئ قطعًا.

الحياة الأبدية حقيقة، لكنها ليست كتلك الحياة التي يمكننا فيها أن نرى ونسمع ونلمس ونشعر بالجسد. لا يمكننا أن ندرك الحياة الأبدية إلا بما هو أبدي. ينبع الشك في أبدية حياتنا تحديدًا من أننا عندما نسأل أنفسنا: «هل سنتمكن من رؤيتها أو سماعها أو الشعور بها بعد الموت؟»، نجد أنفسنا نجيب بشكل لا إرادي: «لا»، وننسى أن ثمة شعورًا وإدراكًا روحيًّا. إن كان ثمة إدراك روحي الآن هنا، فمن الواضح أن هلاك الآذان والأعين والقدرة على اللمس يمكن أن يقضي على الشعور، لكن ليس بإمكانه أن يعوق عمليه الإدراك الروحي.

إن كنت لا تحب طبيعتك الحيوانية وشهواتك وتريد أن تقمعها، فعليك أن تشعر بالسرور بكل أنواع الحرمانات، وحتى بالمعاناة كوسيلة لتحقيق هدفك. إن كنت لا تحب مديح الناس وتريد التحرر من إغوائه، فعليك أن تُسر بكل صنوف الإذلال. إن كنت لا تحب الانتقام، فعليك أن تُسر بكل فعل كراهية يقوم به الناس صوبك، فبه وحده يمكنك أن تُظهِر

الحب الحقيقي؛ ألا وهو الحب لمَن يكرهونك.

لذا لا تخف من صنوف الحرمان والمعاناة والخزي والإذلال وكراهية الناس لك، بل عليك أن ترغب فيها.

لا تحاول أن تفعل الخير، ولكن حاول أن تكون خيِّرًا. لا تحاول أن تضيء المكان، بل حاول أن تكون طاهرًا. يحمل الإنسان في داخله ماسة، يمكنه أن ينظف طرفها، ويمكنه ألا يفعل ذلك. كلما أضاء الله والنور بداخله، ازداد استنارة لنفسه وللآخرين، لذا فعمل الإنسان الداخلي الرئيس لا يتلخص في فعل الخير ولا في إنارة الطريق للناس، بل ينحصر في تطهير نفسه، ولا بد لذلك حتمًا من أن ينشر النور للناس.

الضغينة التي تحملها لشخص واحد تُفسد الروح بقدر ما تفسده الضغينة التي تحملها للعالم كله، ولهذا فكاليجولا الذي رغب في أن تكون ثمة رأس واحدة للبشرية جمعاء كي يمكنه قطعها ليس أكثر شرًّا من زوج لا يحب زوجته ويرغب في التخلص منها. الضغينة، كالحب، ليست نتاجًا كيميائيًّا، بل هي نتاج عضوي، كالخميرة التي يمكن لقطعة صغيرة منها أن تُخمِّر العجين كله.

كتب جاستون بواسييه[٣٩] أن المسيحيين الأوائل لم يتعاملوا مع روما والدولة بجفاء وعداء إلا في القرن الأول، لكنهم بدءوا بعد ذلك في التأقلم مع الدولة، ولم تضر المسيحية الدولة. كان عليه أن يقول إن بعد ذلك ظهر أناس يطلقون على أنفسهم مسيحيين، وعاشوا في تناغم مع الدولة؛ الأساقفة منهم ورجال الإكليروس بشكل عام. أما المسيحيون

(٣٩) عالم ومؤرخ فرنسي.

الحقيقيون فالأمر لا يقتصر على أنهم كانوا - ولا يزالون - أعداء للدولة، بل هم كذلك يُعلِّمون بتعليم مناقض لها. أحد أفظع وأشنع الأوهام هي الادعاء بأن قسطنطين وفلاديمير الأول[٤٠] مسيحيون. لم يكونوا كذلك ولن يكونوا كذلك أبدًا. ما من شعوب مسيحية، ولكنْ ثمة مسيحيون فقط، وسنجدهم بين التُّرك والصينيين والهنود.

يود نوفوسيلوف أن يخرج عن الطائفة الأرثوذكسية لأنه لا يطيق هذه التسمية ولا يطيق موقفه أمام الخالق. لا بد وأن أكتب له أن الخطوة الأولى هي إنكار الشهوات والملكية. الخطوة الثانية البعد عن كل من الكبرياء والرغبة في إرضاء الناس.

فكَّرت اليوم بسرور شديد وأنا في حالة بين الاستيقاظ والنوم في الآتي: يتميز المجنون الذي ينتفض ويرغو ويزبد ويقاتل من حوله ويقوم بأفعال دنيئة عن كل أولئك المدعوين «عقلاء» ويقومون بالأمور ذاتها بشيء وحيد، ألا وهو أن المجنون ليست لديه القدرة ذاتها التي لغيره على تفسير هذه الأفعال الدنيئة. لدى كل إنسان مصباح معلق على صدره؛ ألا وهو عقله، وهو يضيء لصاحبه طريقه، ويُبيِّن له أفعاله، سواء كانت منطقية أم لا. بالنسبة للمجنون، تَعَطَّل هذا المصباح بشكل تام أو جزئي، وهذا هو الفارق. يمكننا إذَنْ أن نقول إن الفارق بين العاقلين والمجانين

---

(٤٠) الأول هو الإمبراطور اليوناني الذي حكم من ٣٠٦ م إلى ٣٣٧ م، وهو مَن تصالح مع المسيحية وتسبب في نشرها في الإمبراطورية، وترأس أول مجمع مسكوني في نيقية، تدخل في الصراع العقيدي الدائر ورسَّخ لتدخل الدولة في المسيحية. أما فلاديمير الأول فهو أمير كييف منذ ٩٧٨ حتى ١٠١٥، أدخل المسيحية إلى كييف وجعل إمارته أمة مسيحية جديدة تتبع الطائفة الأرثوذكسية.

بأنواعهم المختلفة هو أن العاقل يسير في الطريق الوحيد الحقيقي الذي يبدو له، وهو طريق لا ينيره له مصباحه الخاص، بل ضوء ليلي، ورغم أنه يأتي من بعيد إلا أنه جلي كضوء المصباح، وهو ضوء مشترك. أما المجنون فيسير دون هدى هذا الضوء. الفكرة واضحة لي، لكني عبَّرت عنها بشكل سيئ.

الساعة الآن الثالثة. سأرافق فاسيلي إيفانوفيتش.

لم أستطع فعل ذلك، فقد ساءت حالتي الصحية.

١٨ مارس.

وصل إيليا (ابنه)، الأتربة تغطيه، وقد نضج وازداد قوة، لكنه لا يزال دون عمل. لم أفعل شيئًا. لا يزال كبدي يؤلمني. ربما هو مرض خطير، وهو أمر لا يبعث فيَّ الهلع أو الضيق. كل ما في الأمر أني لم آلفه بعد. أرغب طوال الوقت في العودة إلى العمل كما كنت في الماضي. ذهبت إلى يسينكا. اكتنفتني الآلام في الطريق. حاولت الكتابة ولكن دون جدوى. في المساء قرأت في كتاب سينكيفيتش[٤١]. رواية عبقرية. جاءت صوفيا وبدأت الحديث عن بيع الأعمال الجديدة[٤٢]، وشعرت بالحزن والخزي.

١٩ مارس.

استيقظت مبكرًا. تمشيت. شربت القهوة، ثم شعرت بالألم

---

(٤١) كاتب بولندي حصل على جائزة نوبل في عام ١٩٠٥، والرواية المقصودة هي "بلا عقيدة".

(٤٢) انتوت صوفيا نشر جزء جديد لأعمال تولستوي الكاملة (الجزء الثالث عشر)، وهو ما حدث فعلًا في ١٨٩١.

يعاودني. لا يمكنني الكتابة، مع أن الأفكار تبدو جلية لي وأنا أفكر فيها، لكني لا أتذكرها. الذاكرة تخونني وتعوزني السلاسة. جاء المفتش[٤٣]. لم أستقبله، وكان هذا خطأً مني. لقد بدا كرجال الشرطة، يريد أن يقوم باستجواب. طردته ماشا تقريبًا. لا بد وأنهم سوف يغلقون المدرسة. أشعر بالأسف على الفتيات. إيليا هنا، ولا أزال غير قادر على التحدث معه. أود بشدة أن أتحدث معه، لكني لم أكن قادرًا على الاقتراب منه خاصة مع برودته تجاهي. كل شيء فيه؛ حديثه ونكاته، بمثابة توابل لطبخة ليست موجودة من الأساس. كثيرًا ما يتضح أن الحياة والنشاط والأحاديث وخاصة المرحة منها والنكات، بمثابة مرق أو توابل لطبخة غير موجودة.

٢٠ مارس.

صحَّحت قليلًا. أشعر بالألم. لم أفعل شيئًا في الصباح. ودَّعت صوفيا وإيليا، ولم أتمكن من التحدث معهما. أشعر بالخزي. في المساء كتبت تسعة خطابات، وجميعها إجابات عن خطابات وصلتني. تحدثت مع ألكسي ميتروفانوفيتش عن مقالة إيفانوف عن الرواقيين. إنه يتحدث بالصواب عن الرواقية، بمعنى أنها دِين. كم من المدهش ألا يدرك الفلاسفة المحترفون أن إبيكتيتوس وسقراط وكونفوشيوس ومينسيوس وساكيا موني هم شيء، وبقية الأفلاطونيين والأرسطيين والديكارتيين والهيجليين والشوبنهاوريين هم شيء آخر تمامًا. الفارق بينهما كالفارق بين لوحات الفنانين والحرفيين. لدينا من ناحية الحكمة والحياة، ومن

(٤٣) لزيارة المدرسة التي افتتحتها ابنة تولستوي دون تصريح.

ناحية أخرى أفكار فارغة وكلمات. يمكن ضم المسيحية بالطبع إلى الفريق الأول، عندما تُزال منها الهالة الكاذبة التي تجعلها أقل اكتمالًا وعمقًا. لا بد من رفع حكمة الحكماء إلى قدر عالٍ واستخلاص حكمة المسيح ووضعهما تحت ضوء البؤرة ذاتها. قرأت مع الفتيات في رواية سينكيفيتش. لا بأس بها.

٢١ مارس.

استيقظت في وقت متأخر. وصل جورافوف[٤٤] ومعه قصة كتبها عن عمل مجنون من أجل الربح والمديح، كنت قد أسديت له النصح بشأنها. لم ينهها بعد، لكننا تحدثنا معًا كما اعتدنا.

من الممكن أن يخرج شيء رائع من هذا العمل. انخرطت في كتابة التعقيب. ليست لديَّ رغبة. الساعة الآن العاشرة. سأذهب إلى كوزلوفكا.

٢٥ مارس.

كتبت في الصباح خطابًا لفاجنر[٤٥]، ثم أنهيت كتابة التعقيب. إنه ضعيف على ما أعتقد. بالأمس، يوم ٢٤، استلمت بعض الخطابات، أحدها من فاجنر. في الصباح كتبت قليلًا. في المساء ذهبت إلى يسينكا وكوزلوفكا. أول أمس، يوم ٢٣، عادت صوفيا. نمتُ كثيرًا ولم أفعل شيئًا. قرأنا في رواية «لا مفر» (رواية لليسكوف)، ثم قرأت بمفردي. شعرت بالسوء. وصل ليوفا وكان في حالة طيبة. يريد أن يواصل الدراسة

---

(٤٤) فلاح من قرية بتولا، ويكتب القصص، وكثيرًا ما كان يأتي لتولستوي طلبًا لنصيحته.

(٤٥) أستاذ جامعي استاء من مسرحية تولستوي: (ثمار التنوير)، فقد رأى فيها تعريضًا به وسخرية منه.

بكلية اللغويات. تحدثت معه. في حديث مع ألكسي ميتروفانوفيتش عن سعادة الحياة الأسرية تبين أن التعاسة هي السعادة؛ لأن في قلب تعاسة الأسرة ينال الإنسان سعادة حقيقية. هكذا يجب أن يكون الأمر. اليوم ٢٥ مارس، نمت نومًا سيئًا. حلمت بأن المادة يمكنها أن تتخذ هيئة ما ويمكنها أن تغير شكلها لكنها لا تزول، وكان هذا إثباتًا لي على الخلود. الساعة الآن الثانية عشرة. رحلت صوفيا.

٢٦ مارس.

أردت الكتابة، لكن أورلوف وبوتكيفيتش عطلاني. جاء دافيدوف وبولجين على الغداء. لم أفعل شيئًا.

٢٧ مارس.

وصل باستوخوف. بينما أتمشى فكرت في الآتي:

أحيانًا يشعر المرء ببعض الاضطراب في وعيه؛ يشعر بالخزي وبفقدانه لشيء ما. اسأل نفسك: أليس مرد ذلك أني قمت بشيء ما سيئ؟ نعم، ولكن هذا ليس السبب الوحيد. ماذا أيضًا؟ نعم، هناك سبب آخر، وهو مُخْزٍ وأخرق، فثمة شيء ما تفتقده. قد يبدو الأمر كحالة قلق عرضية، لكن الحقيقة أن هذا مرده إلى الوعي بحركة الحياة الحقيقية بداخلك. أنت ترى إمكانية تحقيق الأفضل وتسعى إليها.

السخط الذي يشعر به كل من الليبراليين والثوريين من استخدام الناس لقواهم في أنشطة مسيحية تبدو للفريقين لا طائل منها، بل ومدمرة لأهدافهم، يشبه السخط الذي يمكن أن يشعر به إنسان بوَّرت الماكينات

قمحه وهو في مهده.

وصل سيريوجا. تحسنت أموري معه.

٢٨ مارس.

طوال الغداء كنت أشعر بالألم في معدتي. نمتُ، ثم صحَّحت في التعقيب. حصلت الآن على خطاب أوبولينسكي[٤٦]. تمشيت في المساء وصليت. يا أبانا، فليتقدس جوهرك فيَّ؛ أي الحب، حتى يحل ملكوت الحب، وتتحقق إرادتك، فيسود الحب كل شيء؛ أي تسود أنت، وتتحقق ملكوتك هنا على الأرض كما هي في السماء بحسب ما أؤمن. هبني الحياة؛ أي أن أشارك في تحقيق الملكوت هنا على الأرض الآن، وامحُ عواقب أخطائي، والتي قد تعيقني. امحُ كذلك آثار أخطاء الآخرين البادية لي من وعيي، فقد تحول بيني وبين محبتهم. لا تدخلني في تجربة، سواء كانت معاناة جسدية، أو ضبابًا فكريًّا، أو إغواء، فجميعها يشكل عوائق أمام تحقق الحب، ولكن قبل كل شيء نجِّني من العائق الرئيس الكامن بداخلي؛ نجِّني من شر قلبي. هذه الحياة بأكملها في حاجة لأمر واحد؛ ألا وهو الحب، فزِده بداخلي.

يراودك الشك في أبدية حياتك؛ في أن شيئًا منها سيتبقى ولن يموت مع جسدك. ما الحب إذَنْ؟ إنه السعي لمواجهة طبيعتك الحيوانية. الحب لذكر أو لأنثى أو لأطفال أمر ضروري للجنس الحيواني، ولكن ما طبيعة الحب الموجه للجميع؛ للحيوانات والأعداء؟ كيف يمكن أن ينشأ عن

---

(٤٦) محرر جريدة روسية، وقد أرسل لتوستوي خطابًا يحمل هجومًا شديدًا على سوناتا كرويتزر.

قوى حيوانية؟ الحب غرس داخل طبيعتك الحيوانية، لكن ليس بالإمكان أن يموت بموتها.

بدأت في كتابة إجابة عن خطاب أوبولينسكي. من المحتمل ألا أكتب له.

٧ إبريل.

سأعود إلى الأيام السابقة. بالأمس يوم ٦، أنهيت الكتابة صباحًا، وصحَّحت في التعقيب. ودَّعت جازنيف[٤٧]. في المساء تمشيت وصليت. الأمور أفضل مع سيريوجا. حمدًا لله أن خدمة الحب تُزيِّن الحياة وتبعث فيها الهدوء والسرور. جاءني خطاب من كوليتشكا (جي). كل شيء يثيره للأسف.

لم أخرج من المنزل طوال يوم ٥، واستغرقت في تصحيح التعقيب.

الأمر ذاته في يوم ٤، ولكن الطقس كان جيدًا، فتمشيت في المساء بمفردي وصليت.

في يوم ٣ انشغلت تمامًا بالعمل. ودَّعت دونايف الطيب، ومضت أموري معه بخير. جاءني خطاب رائع من خيلكوف.

في يوم ٢ جاء دافيدوف. إنه يضيق ذرعًا بحياته. كتبت في التعقيب.

الأمر ذاته في يوم ١. وصل جانزين. في يوم ٣١ مارس ذهبت إلى بولجين على متن الجواد. كل شيء كان بخير عدا شعوري بالوهن. لا أذكر ماذا حدث في يوم ٣٠ مارس.

---

(٤٧) ترجم العديد من أعمال تولستوي إلى الدانماركية.

سجَّلت الآتي خلال هذه المدة:

أود أن أضيف الآتي إلى صلاة: «أبانا»: ليس مطلوبًا منك شيء؛ لا عمل بطولي ولا أي فعل ظاهري. المطلوب منك أمر واحد فقط: أن تسلك بحسب وضعك الداخلي؛ أن تسلك بروح الحب. افعلْ ما يطلبه منك الجوهر الإلهي بداخلك؛ أي الحب، واقمعْ ما هو حيواني فيك، وضحِّ به، والأهم من ذلك لا تفكر في النتيجة. ما إن يحاول التفكير في التدخل في نشاط الحب، حتى ستجدك تقول لنفسك: لن أمتنع عن الذهاب لشخص يدعوني لأني أعرف أني لن أكون مفيدًا له، والأفضل أن أمارس عملًا أكثر فائدة. بهذه الطريقة سيهلك كل شيء. المقياس الوحيد هو أن ينظر إليك الله والناس الآن مبتسمين شاعرين بالرضى.

اليوم ٧ إبريل. الساعة الثانية عشرة. تمشيت في الغابة وكتبت كثيرًا في خطابات لخيلكوف وكوليتشكا وكذلك في التعقيب. بالأمس استلمت خطابًا جيدًا من ماريا ألكسندروفنا، وآخر سيئًا من كوليتشكا. قرأت قصة ليوفا (ابنه). إنه لطيف وبائس. صحتي ليست بخير.

٨ إبريل.

نمت نومًا سيئًا. حالتي الصحية سيئة. لا أستطيع الكتابة، وأمامي الكثير لأفعله. كتبت بضعف خطابات سيئة. بينما كنت أقرأ قصة ليوفا خطرت على بالي بعض الأفكار: تعليم الأطفال؛ أي تدميرهم، وأنانية الوالدين والنفاق. أود أن أكتب قصة على غرار إيفان إليتش. نعم، ليس من الجيد أن تأتي وتملأ غرف الناس بدخانك، ولكن أليس الأسوأ من ذلك أن تأتي إلى أناس مليئين بالفرح والسرور فتجعل الكآبة ترتسم على

وجوهم وتفسد فرحتهم؟

٩ إبريل.

كتبت بحمية بعض الخطابات لخيلكوف وكانتير وبروزين وراتشينسكي. حالتي الصحية سيئة طوال الوقت. في المساء خرجت للتنزه، والتقيت بوجويفلينسكي، وعبثًا تحدثت معه بحدة بشأن(سوناتا كرويتزر).

١٠ إبريل.

خرجت لأتنزه، وفكَّرت اليوم والأمس كثيرًا في الآتي:

واحدة من أكثر أشكال معارضة المسيح وقاحة هي القداسات والصلوات العامة بالكنائس وتسمية رجل الإكليروس «أبونا»، فلا بد أن نتذكر ما كُتِب في متى ٣: ٥ – ١٥، ويوحنا ٤: ٢٠ –٢١، ومتى ٢٣: ٨.

من الصعب أن تعبر بالكلمات عما تقصده بحيث يفهم شخص آخر ما تقصده بنفس درجة فهمك. سوف تشعر دائمًا أنك بعيد جدًّا عن تحقيق ما بإمكانك تحقيقه وما يتوجب عليك أيضًا. وهنا تضع على كاهلك مهمة أخرى، وهي ترتيب الكلمات بنظام معين. أليس هذا جنونًا؟ لكنهم مستعدون لأن يؤكدوا لك أن الكلمات يمكنها أن تتشكل من تلقاء نفسها؛ كلمات من قبيل: "يثير دمائي– الحب". كيف يمكن تصديق ذلك؟

يقول الاشتراكيون: لسنا نحن، المستمتعين بالثمار الجيدة للحضارة والثقافة، من في حاجة للحرمان من هذه الثمار لنعيش في مستوى العامة

المتدني، ولكن أولئك من حُرموا من نصيبهم من الخيرات الأرضية هم الذين في حاجة لأن يرتفع مستواهم وينالون حصتهم من الثمار الرائعة للحضارة والثقافة. العلم هو الطريق إلى تحقيق ذلك، فهو يُعلِّمنا أن نسيطر على الطبيعة، وبإمكانه أن يزيد الإنتاجية إلى ما لا نهاية. يمكنه أن يجعل شلالات نياجرا والأنهار والرياح وسيلة لإنتاج الكهرباء. سوف تعمل الشمس أيضًا من أجلنا، وستكون هناك وفرة من كل شيء للجميع.

الآن لا يستمتع بثمار الحضارة الطيبة سوى عدد قليل من الناس؛ إنهم أولئك الذين في السلطة، بينما القطاع الغالب من البشر محرومون منها. يقولون فلنُزِد إذَنْ من الثمار الطيبة، وحينها ستكفي الجميع. ولكن بيت القصيد هو أن أولئك الذين في السلطة لا يستمتعون بما هم في حاجة إليه فقط، لكن بما يستطيعون نيله، لذا فمهما زادت الثمار الطيبة للحضارة، سوف يستغلها أولئك الذين يحتلون قمة الهرم لأنفسهم فقط. لا يمكن للمرء أن يستخدم أكثر من كمية معينة مما هو ضروري له، ولكن لا حدود للترف. يمكن إطعام الجياد والكلاب بعدد لا نهائي من الحبوب، ويمكن تحويل ملايين الديسياتينات[٤٨] إلى متنزهات وما إلى ذلك. هذا ما يحدث فعلًا. إذَنْ ما من زيادة في الإنتاجية أو الثروة بإمكانها أن تُزيد ما لدى الطبقات السفلى مثقال ذرة طالما تمتعت الطبقات العليا بالقوة والرغبة في استغلال ثرواتهم المتبقية في الترف. الأمر على النقيض من ذلك، فالزيادة في الإنتاجية تمنح الطبقات العليا قدرًا أعلى من السيادة على قوى الطبيعة، وقدرًا أكبر من القوة والقدرة

(٤٨) الديسياتين: وحدة قياس روسية قديمة تساوي ما يقرب من ١,٠٩ هكتار.

على الاحتفاظ بكافة خيرات الحضارة لأنفسهم، والسيادة على الطبقات الكادحة الفقيرة. أما كافة الجهود التي يمكن أن تبذلها الطبقات الكادحة من أجل إجبار الأغنياء على مشاركتهم هذه الخيرات، مثل الثورات والإضرابات، فستنتج صراعات، وسيكون الصراع بمثابة تبديد للثروة. سيقول المشاركون في هذا الصراع: «لن ينال أحد شيئًا طالما لم أنله».

إن السيطرة على الطبيعة وزيادة إنتاجية الموارد الأرضية بهدف أن نملأ العالم بخيرات الطبيعة بحيث تكفي الجميع أمر لا معنى له تمامًا، يشبه أن نُزيد كمية الحطب ونلقي بها في الموقد بهدف زيادة الحرارة في منزل تُرك الموقد فيه مفتوحًا. حينها مهما وضعت فيه من حطب، سوف يدفأ الهواء البارد ويرتفع ويحل محله على الفور هواء بارد جديد، ولن يحدث أي توزيع للحرارة ولن تشعر بأي دفء.

طالما هناك منفذ للهواء البارد، سيكون هناك مخرج للهواء الدافئ الذي من سماته الصعود لأعلى، وسيستمر الأمر على هذه الصورة طالما يتحرك الهواء من أسفل إلى أعلى. لقد ابتكروا حتى الآن ثلاث وسائل للمقاومة، ومن الصعب أن يكتشف المرء أيَّ هذه الوسائل الثلاثة هي الأكثر غباءً. الوسيلة الأولى هي التي يدعو إليها الثوريون، وتتأسس على فكرة تحطيم الطبقات العليا التي تبدد كافة الثروات. هذا يشبه أن يحطم إنسانٌ أنبوب المدخن الذي تهرب منه الحرارة، معتقدًا أنه إن أزال الأنبوب لن تكون الحرارة قادرة على الهروب. ولكن الحرارة سوف تتسلل عبر الفتحة نفسها كما كانت تتسلل عبر الأنبوب، وبذات الطريقة سوف تنتقل الثروة إلى يد السلطات الجديدة طالما السلطة لا زالت موجودة.

أما الوسيلة الثانية فهي القيام بما يقوم به الآن فيلهلم الثاني[٤٩]؛ ألا وهو الاستيلاء على جزء بسيط من الثروة من يد الطبقات العليا التي تتمتع بالسلطة والثروة، وإلقائها إلى يد الطبقات التي في قاع الفقر، دون تغيير النظام الاجتماعي القائم. يشبه ذلك عملية إصلاح المراوح الموجودة في أعلى المدخنة لتحول دون هروب الحرارة وتعيد إرسالها إلى الطبقات الباردة لتُدفئها. هذه بالطبع وظيفة غبية؛ لأن الحرارة عندما ترتفع، مهما حاولت إعادة إعادتها إلى أسفل - ولا يمكنك إجبار كمية كبيرة منها على ذلك- سوف تهرب ثانية وسيتبدد العمل تمامًا. أما الوسيلة الثالثة والأخيرة، والتي يولونها عناية خاصة الآن في أمريكا، فتتلخص في استبدال المنافسة ومبدأ الفردانية في الحياة الاقتصادية بالمبدأ الجماعي التعاوني. هذه الوسيلة، بحسب ما تم التعبير عنها في جريدة *Dawn and Nationalist* تتلخص في تدعيم العمل التعاوني بالكلام والأفعال على حد السواء، وفي محاولة إقناع الناس بأن المنافسة والفردانية والصراع جميعها يبدد قدرًا أكبر من القوى وبالتالي قدرًا أكبر من الثروة، وأن المبدأ التعاوني هو الأكثر ربحًا، أي أن من الأفيد لكل إنسان أن يعمل من أجل الصالح العام ثم ينال حصته من الثروة العامة. كل هذا رائع، ولكن المشكلة هي أن لا أحد في المقام الأول يعرف الحصة التي سينالها إن نال الجميع نسبًا متساوية. أيًّا كانت الحصة، ستبدو غير كافية لأولئك الذين يعيشون الآن لأجل أنفسهم. سيكون الجميع على ما يرام، وأنت مثلهم.

---

(٤٩) كان قيصرًا للرايخ الثاني الألماني، إلى جانب كونه ملكًا لبروسيا. وهو ينحدر من أسرة هوهنتسولرن، التي حكمت مملكة بروسيا ابتداء من سنة ١٧٠١.

سيقول هؤلاء الناس في أنفسهم: «لكني لا أريد أن أعيش مثل الجميع. أريد أن أعيش في حال أفضل منهم. كنت أعيش طوال الوقت في حال أفضل منهم، حتى إني اعتدت ذلك». وربما يقول آخر: «لكني عشت في مستوى أسوأ من الجميع لمدة طويلة، وأريد الآن أن أعيش كما عاشوا من قبل». إن هذه الوسيلة هي أغبى الوسائل الثلاث؛ لأنها تفترض مسبقًا أنه يمكن مع حركة الدفع من أسفل لأعلى؛ أي مع الرغبة في الكفاح من أجل تحقيق الأفضل، أن نقنع جزيئات الهواء ألا ترتفع أكثر من ذلك عندما تسخن بقدر مناسب.

ثمة وسيلة واحدة؛ ألا وهي أن نكشف للناس عن خيرهم الحقيقي، وأن نجعلهم يدركون أن الأمر لا يقتصر على أن الثروة سيئة فقط، لكنها كذلك تشتتهم عن خيرهم الحقيقي.

ليست لدينا سوى وسيلة واحدة؛ أن نردم بئر الرغبات الدنيوية. بهذا وحده يمكننا أن ننال الدفء، وهذه الوسيلة هي النقيض التام لما يقوله الاشتراكيون ويفعلونه؛ أي بزيادة الإنتاجية بهدف زيادة الثروة العامة.

الساعة الآن الثانية. ستاخوفيتش هنا. لم أكن لطيفًا معه للأسف.

١٣ إبريل (١١- ١٣).

كتبت أول أمس مجددًا عن المخدرات[٥٠]. لا بأس بالمقالة. صباح الأمس راودتني بعض الأفكار الممتازة ودوَّنتها في دفتري، لكني لم

(٥٠) مقالة (لماذا يُخدِّر الناس أنفسهم؟)، تُرجمت هذه المقالة في كتاب (في العلم والأخلاق والسياسة)- دار آفاق للنشر.

أستطع الكتابة. توجهت إلى تولا بعد الغداء وحضرت البروفة[٥١]. مملة جدًّا! الكوميديا فقيرة فعلًا. هراء. حينما كنت أتحدث مع ستاخوفيتش أول أمس شتمت القيصر لإعادته العمل بحكم الإعدام. استيقظت في وقت متأخر اليوم، ولم أستطع الكتابة، فعملت بحياكة الأحذية. تمشيت في المساء. ليوفا حزين وتانيا لطيفة. الساعة الآن الواحدة. فكرت في الآتي:

المؤمنون بالجبرية، أي أولئك الذين يرفضون فكرة حرية الإرادة، يتحدثون عن البيضة كشيء موجود داخل قشرة ما، وله خواص فيزيائية وكيميائية معينة. أما الذين يؤكدون على حرية الإرادة، يتحدثون عن البيضة كجنين حي لطائر ما، وبالتالي لا يمكن الاتفاق بين الفريقين، فالأول يرى أن الإنسان كائن حيواني وما هو إلا نتاج لقوى مادية، أما الآخرون فيعتقدون أن ثمة قوة غامضة في الإنسان كامنة داخل الإطار الحيواني الذي أنتجته القوى المادية فيه.

يقولون: بفضل حياة الترف التي تعيشها الطبقة العليا، وبفضل ما لديهم من وقت فراغ، الذي هو نتاج لعدم المساواة بين الطبقات، ظهرت شخصيات بارزة لا تُبالي على الإطلاق بخيرات هذا العالم، ولا تحركها سوى اهتمامات روحية محضة. هذا يماثل القول بأن ثمة سنابل قمح رائعة في حقل وطأته الماشية. هذا هو التعويض الذي لا مفر منه على ما يُرتكب من شر، ولا يمكن استخدامه كتبرير للشر.

يقول أورلوف وكثيرون غيره: "أنا أؤمن كالفلاح". ولكن حقيقة أنه

---

(٥١) ثمار التنوير.

يقول ذلك تؤكد على أنه لا يؤمن كالفلاح، فالأخير يقول هو الآخر: "أنا أؤمن كالمثقفين، كالأساقفة".

١٨ إبريل.

أنا بخير صحيًّا. مضت أربعة أيام منذ آخر ما دوَّنته. اليوم ١٨ إبريل. استيقظت في وقت متأخر بعد نوم جيد، وعكفت على العمل على التعقيب. فكَّرت كثيرًا وكتبت قليلًا. رحل سيريوجا، وذهب ليوفا وستاخوفيتش إلى أوبتينا. بعد الغداء ذهبت إلى جرومانت بصحبة نوفيكوف. جاءني خطاب جيد من هوليستر[٥٢]. فكرت في كتابة رد على خطاب كودريافتسيف الذي كتب لي فيه أن العلاقة الجنسية هي فعل مقدس، يستمر به الجنس البشري. فكرت في أنه ما دام الإنسان كمخلوق حيواني يخضع مع جميع الحيوانات لقانون الصراع من أجل الوجود، فهو كذلك مثل بقية الحيوانات يخضع لقانون التكاثر الجنسي، ولكن الإنسان يمكنه كبشري أن يجد في نفسه قانونًا آخر يعارض قانون الصراع من أجل الوجود؛ ألا وهو قانون الحب، وأن يجد في داخله أيضًا قانونًا يعارض قانون التكاثر الجنسي؛ ألا وهو قانون العفة.

فكرت في فكرة بخصوص مسرحية قادمة؛ ألا وهي كيف يتظاهر الفلاحون بالإيمان، من أجل سادتهم، وكيف يتظاهر السادة بالإيمان، من أجل الفلاحين.

بالأمس، يوم ١٧، جاءني خطاب رائع من تشيرتكوف، وآخر غبي

---

(٥٢) ألونزو هوليستر: كاتب ديني أمريكي من طائفة المرتجفين، وكانوا على تواصل مع تولستوي كما جاء في الجزء الثاني من اليوميات.

من كودريافتسيف مع أنه محزن. خرجت لوداع راخمانوف. جاء آل زينوفيف[٥٣]، وتعالى الضجيج. أول أمس جاء دافيدوف ومر الوقت ثقيلًا معه. جاء راخمانوف[٥٤] ووصله خطاب من أهله كتبوا له فيه: «وصل خطاب من تولستوي. إنه يكتب عن الملكية، لكن ميخائيل لن يجيبه؛ فتولستوي لن يفهم على أي حال». هذا حسن جدًّا لي. رافقت الجميع إلى المسرح. أشعر بارتباك من الخمول. أكتب طوال الوقت في التعقيب. الساعة الآن الثانية عشرة.

٢٤ إبريل.

مرت خمسة أيام مجددًا. مساء أمس، يوم ٢٣، جاء جروت وأستاذ جامعي تشيكي. لم أتعامل بطريقة حسنة. في الصباح صحَّحت كثيرًا في التعقيب. وصل جوربونوف[٥٥]. أراد الرحيل في يوم ٢٢. في المساء نثرت البذور. يوم ٢٢ كان يوم أحد، وقمت فيه بحرث الأرض. في الصباح كتبت في التعقيب. يوم ٢١ كان يوم سبت. بعد الغداء عملت بالحرث. في الصباح كتبت. جاء جوربونوف. في يوم ٢٠ عملت بالحراثة وكتبت كثيرًا.

اليوم ٢٤ إبريل. عاودت الكتابة في الصباح وانتهيت من التعقيب. كتبت كذلك خطابات لخيلكوف وباستوخوف. جاءني خطاب من

---

(٥٣) محافظ تولا وزوجته وبناته الثلاث.

(٥٤) جاء سيرًا على الأقدام من موسكو إلى ياسنايا بوليانا.

(٥٥) وصل ياسنايا في يوم ٢١ من أجل الطبعة الأخيرة من (سوناتا كرويتزر) التي ستضم تعقيب تولستوي.

راسنوف. جاءت فلاحة مجنونة من مستشفى المجانين. إنهم يختبئون في تلك البقعة من الأرض التي كانت لهم، ولا أحد قادر على طردهم منها.

٣٠ إبريل (٢٥ - ٣٠).

وصل زولوتاريف اليوم. إنه شديد اللطف والجدية كما أنه موهوب. لقد كتب مقالة بديعة عن (سوناتا كرويتزر). كتبت بعض الخطابات لجيلتوف وبوتكيفيتش وخيلكوف وباستوخوف وروجين وبوبوف وديلون. عملت بالحرث مع زولوتاريف. لست بخير صحيًّا. وصلت تانيا، وكنت في حالة سيئة جدًّا من إفراز الصفراء، وأَدَنْتُ ستاخوفيتش، وغضبت من ليوفا، وشعرت بخزي شديد. جاء جايدبيروف وراخمانوف الحبُّوب. شعرت بثقل حضور جايدبيروف. حكى راخمانوف عن خطاب تشيرنيايفا وتحدث عن الكبرياء فيه. عملت بالفلاحة حتى شعرت بالإنهاك. الجو حار جدًّا!

فكرت في هذا الوقت في الآتي:

بالنسبة لقصة آل فريدريكس[٥٦]، قبل الانتحار ينقسم العقل: هل أريد أم لا؟ لا أريد. يمكنني رؤية كل هذا الهلع، وفجأةً يجدها تظهر في تنورة حمراء ويُنسى كل شيء. مَن يريد ومَن لا يريد؟ أين أنا؟ معاناة بسبب حالة انقسام العقل، ونتيجة لذلك ينتابه اليأس ويحدث الانتحار.

---

(٥٦) الاسم الأول لقصة المجنون. تُرجم العمل في كتاب بعنوان: تولستوي (الأعمال المنشورة بعد وفاته).

لا يمكن تعريف الحب والسعي صوبه بحب الذات، وهذا أمر لايمكن إجبار أحد عليه، ولكن من أجل أن يسود الحب والتفاهم بين الناس، لا بد بالضرورة أن يندرج حبك لنفسك تحت هذا.

بالنسبة للتعقيب: إن أخطأ رجل أو امرأة، فلا بد لهما أن يدركا أن ما من تكفير عن خطيتهما إلا بالآتي:

تحرير أنفسهما من إغواءات الجسد.

تربية أطفالهما كخدم لله.

الكبرياء هو أول وسيلة لتحقيق الكمال وأكثرها فظاظة. في البداية يمكن استخدامها كوسيلة ضد الشهوات الحيوانية، ولكن بعد ذلك لا بد من أن يُعالَج الإنسان من دوائه، وهو أمر صعب. لا أعرف شيئًا أفضل من حب الله.

الساعة الآن التاسعة. سأصعد إلى الطابق العلوي. زولوتاريف نائم.

٥ مايو (بيروجوفو).

كتبت بعض الخطابات، ونثرت البذور وحرثت الأرض. في يوم ٢ انتهيت من مقالتي عن السُّكْر[٥٧]. أُنهكت بشدة. في المساء عملت بالحرث وأُنهكت وأصابتني حمى. أول أمس صحَّحت مقالة وذهبت بصحبة ماشا إلى بيروجوفو (لزيارة أخيه). وصلنا في وقت متأخر. عاودتنى الحمى ثانية. قبل أول أمس بيوم لم أفعل شيئًا. في المساء ذهبت إلى قرية ريجافي وعدتُ ثانية. حالتي الصحية سيئة جدًّا.

---

(٥٧) مقال (لماذا يخدر الناس أنفسهم؟).

اليوم ٥ مايو، ونحن في بيروجوفو. استيقظت مبكرًا شاعرًا بالضعف. أصبحت الأفكار أكثر جلاءً في رأسي بعض الشيء. لم يشرب سيريوجا خمرًا أو يدخن منذ شهرين. وهو في حالة صفاء ذهني رائعة. بالأمس فكَّرت في الآتي بشأن مقالتي عن السُّكْر:

لا بد للإنسان أن يَقبل شيئًا ما صعبًا كي يمكنه التقدم. لا بد أن يستنير، بينما هو يُشوِّش من حاله بالمخدرات.

يفشل المرء في ذلك ولا يسمح بتلك الصعوبة. ولكن من أجل التقدم للأمام لا بد من جلاء الذهن بينما هو يزيد من تشوشه.

لا بد من اتخاذ أشد الإجراءات حدة من أجل إحداث ذلك التقدم.

الشيء الوحيد الذي يمكننا أن نثق فيه هو أن الخير خير، وأن بالإمكان القيام به دون انتظار مكافأة، بل يتوجب علينا ذلك. إننا لا نتوجه إلى الله إلا عندما نشعر بالضعف ولا نجد مَن يساعدنا، ولكن عندما تتحسن ظروفنا ننساه. لا نتوجه إليه سوى في الضعف. سامحني يا سيدي وأعني!

٩ مايو (بيروجوفو).

مريض تمامًا. لا يمكنني حتى السير. فكَّرت اليوم في الآتي:

كثير من الأفكار التي كنت أعبِّر عنها في الفترة الأخيرة ليست لي، بل لأناس يشعرون بانجذاب نحوي، وانتقلت لي عبر مشاكلهم وحيرتهم وأفكارهم وخططهم. الفكرة الرئيسة إذَنْ في (سوناتا كرويتزر) -أو بالأحرى الشعور الرئيس- يخص امرأة بعينها؛ امرأة سلافية كتبت لي خطابًا بلغة ركيكة ولكن بمحتوى رائع، وكان الخطاب عن الضيق

الذي ترزح المرأة تحت وطأته بسبب احتياجاتها الجنسية. بعد ذلك أتت لزيارتي وتركت فيَّ انطباعًا قويًّا. أما فكرة أن الآية المذكورة في متى: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (متى ٥: ٢٨) لا تشير فقط إلى زوجات الآخرين، ولكن كذلك إلى زوجتك، فقد انتقلت لي من رجل إنجليزي كتب عنها، ولديَّ أمثلة أخرى كثيرة على ذلك.

هناك تناقض مدهش بين مواقف الناس من فرعي العلم: فرع التعليم الأخلاقي، أو حتى الديني، والفرع الآخر الذي يحب الناس أن يدعونه: العلم. أولئك الذين قطعوا شوطًا طويلًا في الفرع الأول، غالبًا ما يتخذون من معلمي الماضي قدوة أو نموذجًا لهم، مثلما اتخذ منسويس من كونفوشيوس، وأفلاطون من سقراط، وبوذا من البراهمة، والمسيح من أشعياء. دائمًا ما اعتبر هؤلاء المعلمون أنهم لا يعرفون شيئًا من تلقاء أنفسهم، وقد قال سقراط هذا مباشرة. إنهم يعتبرون أن حكمتهم قد انتقلت إليهم من أسلافهم، ولا يولون أنفسهم أي أهمية خاصة. أما أولئك الذين يُطلق عليهم "العلماء" فيتخذون موقفًا مناقضًا تمامًا، فهم دائمًا ما يعتقدون أن لا أحد يعرف شيئًا سواهم، وأن العلم قد أصبح بين حوزتهم هم وحدهم الآن، إن لم يكن بصورة كاملة، فعلى الأقل بنسبة لم يجرؤ أسلافهم حتى أن يحلموا بها. إن تذكر أحد العلماء كيف كان العلماء في الماضي ينظرون إلى الكون ونظام الجسم البشري وأصل العالم وما يملأه... إلخ، سيكون متيقنًا من أن كافة أسلافه كانوا على خطأ، أما هو فليس كذلك، وأن ليس بإمكانه إلا أن يحتقر

كل النشاط العلمي إلا نشاطه ونشاط زمانه[٥٨]. الأمر على النقيض تمامًا مع رجال التعاليم الأخلاقية، فجميعًا سواء كانوا مسيحيين أو بوذيين أو كونفوشيوسيين ليس بإمكانهم ازدراء أنفسهم أو تعاليم زمانهم.

في حقيقة الأمر، يمكن حدوث مثل هذه الانقلابات في مجال المعارف العلمية ومواضيع من قبيل الإقرار بوجود عناصر، ونظريات الكيمياء، وأن تكون الأرض مركز العالم أو بمثابة قمر تابع لشمس من ملايين الشموس... وما إلى ذلك من تفاصيل، وقدرة عملية فصد الدماء على الإنقاذ أو الإقرار بأنها عملية مهلكة.

لا شيء يشبه ذلك في مجال التعاليم الأخلاقية، ولم يحدث ما يشبه ذلك من قبل، ولن يحدث. بوذا والمسيح (سواء كان لهم وجود حقيقي في الواقع أم لا، فالأمر سيان) سيظلان بالنسبة لنا نموذجين للكمال، لا يمكننا أن نضع أحدًا في موقع أعلى منهما. أنا بالطبع لا أتحدث عن أولئك الهمج الذين لا يفهمون العظمة الأخلاقية للمسيح، ويعتبرون أنفسهم علماءً، ويتصورون أن المسيح لو كان ثوريًا، وربما بوذا كذلك، لكان الوضع أفضل كثيرًا.

١٠ مايو.

تحسنت الأمور بالأمس. جلبوا الطبيب رودنيف. لقد حدَّد المرض بشكل سليم: التهاب الاثنى عشر، لا الصفراء، بفعل انسداد إحدى

(٥٨) أعتقد أن الأمر تغير تمامًا فيما يتعلق بهذه النقاط التي يهاجم بها تولستوي العلم، لكن وجهة نظره على ما تبدو صائبة تمامًا فيما يتعلق بأن ازدياد التقدم التقني والتكنولوجي سيؤدي إلى مزيد من تركيز الثروة في يد فئة قليلة، فالعلم تابع تمامًا لأهداف مَن يموله.

القنوات. من الأفضل ألا يعرف المرء شيئًا على الإطلاق عن أن يعرفه بشكل خاطئ. قضيت اليوم كله على نحو جيد، وقرأت في كتاب لنيمير[٥٩]، وآخر عن اليهودية. ما كتبه ليسينج رائع وضروري جدًّا لمقالتي عن السُّكْر. لقد كتب: «يتوقف الكثيرون عن التفكير فور أن تصبح عملية التفكير صعبة». كنت لأضيف على ذلك أيضًا: «ومثمرة». لست في حالة جيدة... الحب قليل بقلبي.

١١ مايو.

مر عليَّ وقت فكرت فيه كالآتي: ألن أموت؟ لست أشعر بالخوف حمدًا لله. كل ما أخشاه أن أموت بعد حياة شريرة. الجميع في حاجة لنظام غذائي صارم. لا بد وأن أكتب كتابًا عن الطعام[٦٠].

١٨ مايو (ياسنايا بوليانا).

تحسنت حالتي قليلًا في يوم ١١. تحركنا في يوم ١٢. عشية السفر وصل خيلكوف الحبُّوب، وجاء معنا إلى ياسنايا. لقد ازداد حبي له. قلت له إن عليه الآن أن يتغلب على الرغبة في نيل مديح الناس. لديه الآن ما يجب أن يتغلب عليه. في يوم ١٣ وصل آل كوزمينسكي ورحل خيلكوف. في يوم ١٤ ساءت حالتي ثانية. ظللت مريضًا طوال يوم كامل ولم أستطع النوم. جاء الطبيب. تحسنت حالتي في أيام ١٥، ١٦، ١٧. لم أتناول شيئًا، واكتفيت بالسوائل. روحي في حالة طيبة ومرحة.

---

(٥٩) فيليكس فون نيمير: طبيب ألماني.

(٦٠) كتب تولستوي فعلًا بعض الأفكار عن الطعام في مقالة "الدرجة الأولى"، وقد ترجمتها ونُشرت في كتاب «في الدين والعقل والفلسفة» - صادر عن آفاق للنشر.

في يوم ١٨ انشغلت بتصحيح بداية مسرحيتي (يقصد ثمار التنوير) وكتبت خطابًا لستراخوف وبدأت في تصحيح مقالتي عن السُّكْر. ثمة أمر واحد مهم ورئيس؛ ألا وهو أني أخشى أن أكتب لئلَّا يُضعف الوعي من قواي. كنت أفكر في دناءة حياتي، فهي إن لم تكن بأكملها من أجل إرضاء المعدة، فهي من أجل إرضاء الناس، من أجل البحث عن الكرامة الأرضية، ولكن مع المرض والموت يستشعر المرء في نفسه أنه لا يعيش بالناس، بل بالله. بدأت التفكير في ضرورة أن أتعلم العيش من أجل الله، وما دمت معافى وسليمًا، لا بد أن أجد السرور. قرأت كذلك مقالة رائعة في مجلة (المسيحية الجديدة) عن أهداف الإنسان ومواضيع حبه. إن كانت أهدافه دنيوية ويحبها، فهو في الجحيم، وليس العكس. فكرت بالأساس كذلك في أن المرء إن عاش من أجل الله، فلن يهمه على الإطلاق ما إن كان الناس يفكرون فيه أم لا، وما الذي يفعلونه ليعوقوه عن تنفيذ نواياه أو أفعاله. كل هذه الأمور معًا أدت إلى أن هذا اليوم الثاني الذي يصبح فيه التفكير في الله والحياة وسيلة لبعث الطمأنينة في نفسي ومصدر تأثير قوي عليَّ. إن غضبت ستشعر بالحزن، وإن رغبت في شيء ما، تذكر أن الحياة بأكملها ستمر في غمضة عين. أخشى الضعف. عونك يا إلهي!

كنت أفكر طوال تلك الفترة في الآتي:

من الخطأ أن نقول إن الحياة في الله أكثر مدعاة للسرور من الحياة في العالم. في كلا الحياتين يمر الإنسان بأفراح وأحزان، ولكن الأمر يتعلق بطبيعة هذه الأحزان والأفراح. دوَّنت هذا فعلًا، لكني الآن أرى

أن هذا غير صحيح. ما من حزن أو شقاء مع الحياة في الله. ما كتبته يثبت أني ضعيف روحيًا. أذكر ما استدعته هذه الفكرة فيَّ من فهم لحزن بوبوف[٦١]. أردت أن أُبرِّر سلوكه فلم أقل سوى هراء. يمكن قول ذلك عن حياة إنسان، سواء اعترف بوجوب تحقيق تعاليم المسيح أم لم يعترف. هذا هراء.

ينقسم فن الحياة إلى قسمين: فن إلهي وآخر إنساني. كل ما في الأول راسخ، بينما يتراجع ما في الثاني.

يخضع الإنسان من حيث طبيعته الحيوانية لقانون الصراع من أجل الوجود والسعي الجنسي لزيادة النسل، أما من حيث طبيعته العقلية فهو مخلوق إلهي محب، ويخضع لقانون مناقض، فهو غير خاضع لقانون الصراع مع المنافسين والأعداء، بل لقانون التواضع أمامهم والحب لهم، ولا يخضع لقانون السعي الجنسي، بل العفة.

كما أن شهوة التذوق هي شرط ضروري من أجل تطور نمو الطفل، كذلك الكبرياء شرط ضروري للتطور في وقت لاحق، ولكنَّ كليهما مدمج في طبيعة الإنسان بحيث لا يمكن تطورهما إلا بالتعليم.

الأناركيون على حق في كل شيء؛ في رفض ما هو موجود، والتأكيد على أن في غياب السلطة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحدث ما هو أسوأ مما يحدث في وجودها مع كل ما لديها من امتيازات. إنهم على خطأ في أمر وحيد؛ ألا وهي فكرتهم أن الأناركية يمكن تحقيقها

(٦١) كتب بوبوف لتولستوي ليُعلمه بانفصاله عن زوجته.

بالثورة، أو كما يقولون: «فلنُشيِّد الأناركية!». يمكن أن تُشيَّد الأناركية فعلًا، ولكن ما من وسيلة لتحقيق ذلك سوى بازدياد عدد الناس الذين لا يشعرون بالحاجة إلى الدفاع عن سلطة الحكومة، وبازدياد عدد الناس الذين يشعرون بالخزي من الانضمام إلى هذه السلطة أكثر فأكثر.

دار حديث بيني وبين أخي سيريوجا عن تأمين سُبُل الحياة في المستقبل:

سيريوجا: يستحيل العيش بالنسبة لي دون أن أتيقن تمامًا من أن يتوفر لأطفالي كل ما يحتاجون إليه في المستقبل.

أنا: يستحيل على المسيحي أن يقلق من ذلك، فهذا بمثابة إنكار كامل للتعليم المسيحي.

سيريوجا: تتحدث بهذه الصورة؛ لأن الجميع بخير فعلًا، وأطفالك يشربون اللبن ويصبون الشاي بأنفسهم.

أنا: هذا ما قيل. لقد قيل: لا تهتموا... وهذه كلها تُزاد لكم[٦٢]، وانظروا إلى طيور السماء... إلى آخره.

المثال الذي قدمه لنا المسيح هو خدمة الآب خدمة استثنائية تفوق عناية الإنسان بالطعام واستمرار الجنس البشري. كل هذه المحاولات التي تم القيام بها لإنكار هذه الاحتياجات لم توقف الجنس البشري. ولكن ماذا سيحدث بعد ذلك؟ لا أعرف.

الإيمان الحقيقي بالله هو فعل الخير دون الإيمان بفكرة المكافأة. إن

---

(٦٢) متى ٦: ٢٥ - ٣٤.

عزو فكرة المكافأة والعقاب لله هو نوع من إنكاره، كما أنه بمثابة حرمان كامل للنفس من إمكانية فعل الخير. لا بد وأن يكون فعل الخير من أجل الخير ذاته، فهكذا هو الله.

عمل الخير الوحيد هو أن يفتح المرء نفسه لله، وفتح نافذة يمكن عبرها رؤية الله، فعبرها وحدها يمكن أن يعمل الله داخل المرء. آآه لو نتمكن من فتح هذه النافذة على مصراعيها!

نكتب الروايات، وبالرغم من أنها ليست مبتذلة كما كانت الروايات من قبل، لكن الأشرار فيها أشرار، والأخيار أخيار، لكنها بذلك لا تزال رتيبة جدًّا من فرط أحادية الرؤية فيها. فالناس ليسوا كذلك -بما فيهم أنا- فالإنسان أرقط، أي أنه يضم بداخله سمات سيئة وجيدة، ولا يقتصر الأمر معه على السمات الجيدة فقط، كما وددت ألا يرى الناس فيَّ سواها، ولا يقتصر كذلك على السمات السيئة التي تبدو لي في الناس الذين يثيرون غضبي أو الذين يسيئون إليَّ.

الأفعال الصالحة التي يقوم بها المرء من أجل المكافأة أو طاعة للشيوخ الروحيين لا تحمل من الخير إلا قدرًا قليلًا، تمامًا كما لا يحمل الكافيار الفاسد من الطعم سوى نكهة بسيطة. يستحيل أن تستمر كما يستحيل رؤية الله بالنوع الأول.

حالتي الصحية كما هي. ألتزم بنظام غذائي صارم ولا أتناول سوى السوائل. تراود الأفكار ذهني لكني أشعر بالضعف. حاولت الكتابة في

المقدمة لكني تعثرت. أقرأ في رواية «الوافدون الجدد»[٦٣].

١٩ مايو.

حمدًا لله أن وعيي بالحياة أمام وجه الله لا يتوقف ولا تهدأ حدته، ولكن سرعان ما سيلوح الحزن والاضطراب والقلق. ساعدني يا إلهي! استيقظت في الثامنة. إنه نمط الحياة ذاته. صحَّحت قليلًا في المقدمة. توقفت عند الجزء الثاني. لا بد من إعادة كتابته كاملًا. الموضوع مهم للغاية. لن أكتب إلا في المساء، فحينها ستزداد شهيتي وقواي. الأمور مع صوفيا وأبنائي تمضي بخير. أدنت سيريوجا (ابنه)، وهو أمر سيئ.

٢٠ مايو.

فكرة واحدة اليوم: نحن نأكل المرق واللحم والسكر والحلويات... نحن نفرط في تناول الطعام، ولا نفكر حتى في الأمر. لا يخطر حتى على بالنا مدى سوء الأمر، حتى أصبح التهاب المعدة سمة أساسية في عصرنا. ألا يماثل إقبالنا على الطعام اللذيذ، إقبالنا على القصائد والقصص والسوناتا والأوبرا والقصص الرومانسية واللوحات والتماثيل؟ إنه الالتهاب ذاته، ولكن في العقل. إنها عدم القدرة على الاختصار أو حتى تناول طعام صحي، والنتيجة: الموت!

وصل دونايف. اليوم عيد العنصرة. لا أزال أشعر بالضعف، وألتزم بنظامي الغذائي وأعاني من عسر الهضم. حالتي الروحية جيدة جدًّا، وأتقدم إلى الله بعزم، لكني فعلت السوء اليوم بإدانتي أشينوف وبايسيه مع تانيا.

---

(٦٣) رواية للأديب الإنجليزي: وليام ثاكري، The Newcomes.

٢١ مايو.

استيقظت مبكرًا. لا أزال أشعر بالضعف. أقرأ في رواية ثاكري. سيئة. ودَّعت دونايف، وصحَّحت قليلًا في المقدمة.

٢٥ مايو.

أصحِّح ببطء. تنزهت اليوم، وصحَّحت قليلًا في مقالتي عن المخدرات وبدأت في كتابة خطاب ردًّا على اليهودي[٦٤]. جاء رودنيف. بالأمس كان ٢٤، وفي مسائه وصل دافيدوف، أما في نهاره فلم أفعل شيئًا. في يوم ٢٣ جاء تشيستياكوف. كتبت خطابًا لتشيرتكوف وكتبت قليلًا في مقدمة مقالتي. في يوم ٢٢ كنت لا أزال أعاني من الضعف ذاته، وعملت قليلًا في المقدمة. وصل تشيستياكوف. يشغلني طوال الوقت ما يتعلق بدفاتر اليوميات، فتشيرتكوف يخشى أن أموت وتضيع هذه الدفاتر[٦٥]. لا يمكن أن يُفقد شيء. لكني لا يمكن أن أرسلها له. سيتسبب ذلك في إساءة شديدة (يقصد لصوفيا). لقد استنسخت ماشا المواضع التي علَّمتها. الأمر مقبول بهذه الصورة. فكَّرت اليوم وأمس في الآتي:

ما نطلق عليه «الحياة الأرضية»، ليس بأكمله سوى أحد واجبات

---

(٦٤) أرسل أحد الكتاب اليهود فايفيل بينتسيلوفيتش خطابًا لتولستوي يصف له فيها أوضاع اليهود وما يعانون منه.

(٦٥) في أحد رسائله إلى تشيرتكوف أخبره تولستوي أنه سيرسل له دفاتر اليوميات بحيث يقتبس منها ما يراه ضروريًّا، لكنه تخلى عن نيته هذه، ثم أخبر تشيرتكوف أنه سيضع علامة محددة في دفاتر يومياته على ما يراه مهمًّا ويستنسخها له.

حياتنا بأكملها، فالحياة الأرضية هي واحدة من أشكال الخدمة والنمو الحاليين، وهي تنتمي للحياة بشكلها الكامل، كما أن الخادم عندما يؤدي عملًا مما عليه، يعتبر هذا العمل أحد الأعمال الواجب عليه تنفيذها في حياته كلها. ما العمل إن لم يرضَ البعض عن عملي؟ يلزم أن يشعر السيد وحده بالرضى.

كم كانت قوتنا لتبدو هائلة ومثمرة فيما نقوم به من نشاط صالح لو لم نكن قد وجَّهنا أدنى قدر من الاهتمام بتقييم الناس له وكيف سيتحدثون عنه. لا شيء يمكنه أن يُضعف من أي نشاط بقدر الاهتمام بنتائجه.

أكبر وأهم وأعظم الأعمال لا علاقة لها بالله، فبالنسبة له ثمة أعمال كاملة متكاملة. ليس عليك أن تقوم بشيء عظيم كي تكون مع الله، فكل ما يلزمك أن تفعله هو ما تفعله الآن بطريقة مثالية قدر الإمكان. إن آمن المرء بالله، سيؤمن بالحياة في الحاضر، وسيُتم ما يفعله الآن حتى نهايته وبدرجة من الكمال بقدر ما يمكنه. مثال: لا تكتب تعاليم الحقيقة، ولا تُخلِّص الناس من الحرب، لكنك الآن واقف مع شيخ جاء ليسألك كيف يعالج ضيق تنفسه، وكيف يخلص ابنه من التجنيد، لذا كل ما عليك هو أن تتدبر أمرك معه بطريقة جيدة بقدر إمكانك. إن أكبر قدر من الاقتراب من الله يتلخص في أكبر قدر من التمركز في الحاضر، والعكس صحيح.

جاءني اليوم خطاب ضعيف من نوفوسيلوف. عملت بالأمس واليوم على تصحيح مسرحيتي الكوميدية.

حدث ما أخشاه. بدأ الضعف يكتنف توجهي إلى الله والسلوان به. حاولت تجديد نفسي اليوم بقدر ما أمكنني.

٢٦ مايو.

في الصباح جاء ن. جي. إنه ذاهب إلى بطرسبرج من أجل لوحته. تحدثت معه وقرأت وكتبت خطابًا لجيتس، وجاءني خطاب من راخمانوف وآخر من بوشا.

٢٧ مايو.

خرجت للتمشي، وعندما عدت وجدت بوبوف وتحدثت معه. يشكو من فترات انخفاض روحه المعنوية. الساعة الآن الخامسة. لم أكتب شيئًا، وليست لديَّ رغبة في ذلك.

٢٨ مايو.

أشعر ببعض التحسن. صحَّحت مقالتي عن السُّكْر. لا أذكر ماذا فعلت كذلك. رحل جي. حدث صدام سيئ بيني وبين صوفيا، ولكن حمدًا لله، بدأت الآن أشعر صوبها بالشفقة.

٢٩ مايو.

سرت بعيدًا، والتقيت مباشا. جاءتني برقية من تشيتشيرين. كتبت قليلًا. أشعر بضعف شديد. وصل تشيتشيرين. إنه مدمن للخمر. إنه واثق في نفسه، وساخر ويشعر بالرضى دومًا عن نفسه. ابتعدت عن الجميع بعض الشيء.

مكتبة
t.me/t_pdf

٣٠ مايو.

جاء تشيتشيرين مجددًا، ثم رحل. عكفت على الكتابة، لكن

باستوخوف جاء. أردت أن أنهي العمل، لكن أحد الطلبة اللاتفيين جاء من ريجي. حالتي تتحسن جسديًا، لكني في حالة سبات عقلي. الساعة الآن التاسعة. جاءني اليوم خطاب من جيتس وعريضة احتجاج[٦٦].

٣١ مايو.

كتبت قليلًا في المقالة. لايزال عقلي واهنًا. جاء كل من سامارين ورايفسكي على الغداء. أشعر بالضيق والكسل.

١ يونيو.

ساءت حالتي الصحية، والأمر ينذر بالوعيد. نمت نومًا سيئًا. جاءتني خطابات لطيفة من تشيرتكوف وزولوتاريف وبيريوكوف. مراسلات مولتشانوف تافهة[٦٧]، والأسوأ منها تلك التي تخص باتاشيف من تولا، والطبيب. الساعة الآن العاشرة مساءً. لست في حالة جيدة على الإطلاق. قرأت في كتاب أرنولد[٦٨] الفصل المتعلق بمنهجية وسر المسيح. الجزء المتعلق بالسر جيد. أردت أن أقرأه لبناتي.

٨ يونيو (٢- ٨).

مرَّ أسبوع بطوله. أنا في حالة عقلية سيئة وكئيبة جدًّا. اليوم وصل جي. صحَّحت قليلًا وبدأت في شرب الكومس (لبن مخمر). يوم أمس، ٧ يونيو، جاءت أنينكوفا ورحلت. في الصباح الباكر وصلت صوفيا

(٦٦) عريضة احتجاج أُرسلت لتولستوي ليوقع عليها بشأن الجور الذي يتعرض له اليهود.

(٦٧) مولتشانوف: روائي وصحفي، كتب عن مراسلات مع تولستوي ونُشِرت.

(٦٨) الأدب والعقيدة.

(جاءت من موسكو). لم أفعل شيئًا، وروحي في حالة كارثية. يوم ٦ جاءت أنينكوفا، ووصل باستوخوف ومعه خطاب محزن من دولنير. لا بد وأن أكتب له. لم أفعل شيئًا كذلك في هذا اليوم، وأشعر بثقل الحياة بشناعة. بدأت في العمل على (الأب سيرجيه) وأمعنت التفكير فيها. إن اهتمامي كله منصب على المراحل النفسية التي يخوض فيها. في مساء يوم ٥ وصلت أنينكوفا، وأنهيت المقالة. في يوم ٤ جاء آل زينوفيف. كتبت، ولا أذكر شيئًا آخر. دار حديث بيني وبين ليوفا عن رحلته[٦٩]، وقلت له إنه يعيش حياة السادة، ولا بد وأن يستجمع شتات نفسه ويتوب عن ذلك. لم يفهم شيئًا. أما اليوم دار حوار سيئ بيني وبين صوفيا بخصوص خطاب بيريوكوف الذي جلبه جي. فقدتْ أعصابها تمامًا وخرجتْ عن السيطرة. في رواية (الوافدون الجدد) لثاكري تقوم حماة كليف، وهي امرأة طيبة، بتعذيب كليهما، ولا تجني من ذلك إلا مزيدًا من العذاب لنفسها. فكَّرت في الآتي:

أنا أتجنب الناس، وأراهم مصدر إزعاج لي. ولكن المرء يقينًا يحيا بمساعدتهم ومن أجلهم. إن كان الناس مصدر إزعاج لي، فلا جدوى إذَنْ من الحياة. التهرب منهم هو نوع من الانتحار.

الجدال الذي دار في مجلة *Open Court* بخصوص رواية إدوارد بيلامي[٧٠] شيق جدًّا. في البداية اعترضت المجلة قائلة إن الصراع هو

(٦٩) يود الذهاب في رحلة إلى ضفاف الفولجا.

(٧٠) روائي أمريكي اشتراكي، والرواية المقصودة (الرجوع إلى الماضي). في الجزء السابق تحدث تولستوي عن الرواية.

قانون الحياة، وإن تصور الحياة من دون صراع يماثل تصور العالم من دون قانون جاذبية. تشبيه سهل ولكن غير ممكن. إنهم يعارضون هذا التصور قائلين إن مَن ينتصر في الصراع أولًا هو الأقوى، ثم الأصلح، كما أن ذلك سيجعل الأفضل أخلاقيًّا هو المنتصر. هذا هراء، فالأصلح تعني ذلك من يصلح أكثر للحياة الاجتماعية، فالمجتمع الذي يضم أعضاءً منضبطين ولائقين، سيكون أقوى من مجتمع آخر يضم أعضاءً ساخطين وغير منضبطين، ولذلك سينخرط في الصراع مجددًا. ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ نحن في حاجة إلى الأفضل أخلاقيًّا. لا بد وأن يكون الأفضل أخلاقيًّا هو الأقوى والأذكى والأصلح. إن كان الأمر كذلك، فسيعود الأقوى للحرب، وسيكون لكلمة «أخلاقي» معنى آخر. ولكن ماذا نفعل مع السيئين طالما هم موجودون فعلًا؟ أتقول الضعفاء؟ الأغبياء؟ من الواضح أننا لا بد وأن نقتلهم! فوجودهم يدمر كافة احتماليات زيادة قوتنا وانتصارنا في الصراع، والعكس صحيح. وفقًا للأخلاقيات القديمة ثمة مكان للضعيف والمريض والكهل، ولكن لا مكان لهم وفقًا للأخلاقيات الجديدة. لا بد وأن نقضي إذَنْ على إمكانية انتقال شيء بالوراثة، وعلى المرض والعجز. ما كل هذه الحماقة!

الساعة الآن السادسة. سأتنزه وأشرب الكومس.

١٢ يونيو (٩ - ١٢).

مرَّت ثلاثة أيام أخرى. بالأمس، يوم ١١، كتبت خطابات لتريتياكوف وبوشا وتشيرتكوف وجوربونوف، ووصل ستراخوف كذلك. تحسنتْ حالتي، لكني أشعر بكسل جسدي شديد. في يوم الأحد جاء دونايف

الحبُّوب وستاخوفيتش الذي لا يتمتع باللطف. رحل ليوفا، وقد قرأ مقالتي بلطف وفهمها[٧١]. بالأمس جاءني خطاب رائع من بوتكيفيتش. صحَّحت كثيرًا. لوحة جي رائعة. لا أذكر شيئًا آخر. لم أُدوِّن شيئًا.

أهم ما حدث هو أني فكَّرت في أن المرء ليس بوسعه أن يهزم نفسه تمامًا، فالشيطان قابع فيها، ولكن لا بد له من ترتيب مسكن يليق بالله في نفسه حتى يأتي ويسكنها.

كتبتْ ماشا لبيريوكوف ووافقتْ على أن أكتب له أنا أيضًا[٧٢]. شعرتُ بكآبة مريعة مما قاله أندريوشا (ابنه) اليوم. قلت له: إن من السيئ أن يشرب المرء قهوة قوية. أشاح بوجهه عني وارتسمت عليه ملامح الازدراء المعتادة التي يواجهني بها أبنائي. قال جي له إن ذلك من أجل صالحه، فأجاب: «الأمر لا يقتصر على القهوة، لكنه يشمل كل شيء. فلا يمكن للمرء أن يفعل كل ما يقوله له أبوه». لقد قال ما يفكر فيه الأبناء بالفعل. أشعر بالأسف الشديد عليهم، فأنا أحاول إفساد ما تقوله أمهم لهم، وأمهم تحاول إفساد ما أقوله لهم. مَن المخطئ هنا؟ أنا. الحادية عشرة صباحًا الآن. أريد أن أواصل العمل على رواية كوني (البعث).

حاولت الكتابة، ولكن بلا جدوى. تنزهتُ وشربتُ الكومس مع نيكولاي نيكولايفيتش الثاني[٧٣]. إنه يُثقل عليَّ بتدخينه للسجائر. كم

---

(٧١) يقصد مقالة (لماذا يخدر الناس أنفسهم؟).

(٧٢) لم يعارض تولستوي فكرة زواج ماشا من بيريوكوف، لكنه ردد كثيرًا أن الزواج ذاته يقف حائلًا أمام مَن يريد أن يحيا حياة مسيحية صالحة.

(٧٣) نيكولاي الأول هو جي، والثاني هو ستراخوف.

كان سيتمتع بالقوة لو لم يكن يفرط في تناول الطعام هكذا ويدخن السجائر! نمت نومًا سيئًا.

١٣ يونيو.

استيقظت مبكرًا بعد أن حظيت بنوم جيد. أردت أن أغفو، لكني لم أستطع. أردت أن أكتب في رواية كوني، ولكن بلا جدوى. معدتي مضطربة، وأشعر بالحرارة. سأخرج. إنها الثالثة.

لم أفعل شيئًا، فقد أثقل عليَّ عبء الزيارات.

١٤ يونيو.

كتبت قليلًا في رواية كوني. إنها لا تجذبني. صحَّحت نسخ الطباعة الخاصة بمسرحيتي. أنا بخير. قمت ببعض العمل، وقطعت بعض الحطب.

١٥ يونيو.

استيقظت مبكرًا. شربت قهوة مع ستراخوف، وتحدثنا عن مقالة ميخايلوفسكي عن الإرث. بيت القصيد هنا أننا نسينا التقسيم الذي قام به إبيكتيتوس بين ما يعتمد علينا من أمور وبين ما هو خارج عن إرادتنا. ليس في يدنا شيء يتعلق بما نرثه أو بالبيئة المحيطة بنا، أي أنها تعتمد علينا بنفس الدرجة الذي يعتمد علينا فيها عدد لا يحصى من العواقب التي يمكن أن تنتج عن عملنا. الأمر هو أن ليس بإمكاني أن أتنبأ بكافة العواقب التي يمكن أن تنتج عن فعلي، وبالتالي ليس بيدي سوى أن تكون كافة هذه العواقب خيِّرة وغير ضارة بأحد. لا يمكنني كذلك أن

أعرف أي العواقب أكثر أهمية عن غيرها إلا بطريقة واحدة؛ أن أعرف أي الأفعال أفضل لي وأيها أسوأ. لا يمكنني أن أُنتج أفضل العواقب إلا بالسلوك على أفضل نحو ممكن من أجل روحي. لن أقوم بما هو أفضل للإرث إلا عندما أقوم بما هو أفضل من أجل روحي؛ أي أني سأقوم بما هو أفضل للناس.

قلتُ لستراخوف إن كافة المجادلات بخصوص تبريد الشمس وأصل الأنواع هي مجرد هراء. فقال: الأكثر هراءً من ذلك هو الحديث عن التراتبية السمائية. نعم، ما من غباوة إلا واعتبرت نفسها معقولةً لتوغلها أكثر في الغباء. قلت لستراخوف ليت الإنسان يدرك أن ثمة أمورًا تعتمد عليه، وأخرى ليس له يد فيها. من المهم أن يرى أن الفكرة الوحيدة المهمة وهدف حياته بأكملها هو تحسين ما يعتمد عليه؛ أي روحه. لذا فكل شيء يتحدد طبقًا لما تبقى من حياة كل إنسان بأكملها، بغض النظر عما مضى، سواء كانت خمسين عامًا دنيئة، أي تافهة، أو كانت خمسين عامًا صالحة، أي مفيدة، فبإمكان الإنسان أن يغيِّر ما فعله في الماضي، فيجعل الشر خيرًا، أو الخير شرًّا. هذه المدة المتبقية هي ما تُحدِّد كل شيء، سواء سيصبح الإنسان يهوذا وسارقًا أو لا[٧٤]، لذا فالأمر ليس مزحة، وليس هناك وقت للتفكير في التفاهات. مَن يفكرون في التفاهات هم أولئك الذين لا يدركون ما سبق، وهم في حاجة لشيء يملأ هذا الخواء الذي يكتنفهم.

---

(٧٤) هو أحد تلاميذ المسيح، الذي سلَّمه لليهود مقابل ثلاثين من الفضة، كما أنه كان يسرق صندوق المال حسب القصة الإنجيلية

الساعة الآن الحادية عشرة. أريد أن أكتب وأخرج. لا أعرف أيهما سأختار.

كتبت قليلًا.

١٦ يونيو.

كتبت قليلًا. أنا في حاجة لبعض المواد. عليَّ أن أفكر كثيرًا. شربت الكومس بإفراط. تحدثت مع ستراخوف. إنه ثمل دائمًا[٧٥]. فكَّرت كثيرًا في الفترة الأخيرة، وصليت من أجل شيء ما فكَّرت فيه مئات وآلاف المرات، ولكن ربما اختلف الاسم ظاهريًّا. الأمر هو أني أريد أن أخدم الله بنشر الحقيقة فعلًا، لا بالكلام، بل بالفعل، بالتضحية وتقديم المثال الحي، ولكنَّ شيئًا لم ينتج عن كل ذلك. بدلًا من ذلك، أعيش حياة مرتبطة بتنورات زوجتي، تابعًا لها، ونعيش أنا وأبنائي جميعًا حياة دنيئة خسيسة، أُبرِّرها بشكل خاطئ بحجة أن ليس بإمكاني تدمير الحب بيننا. وبدلًا من التضحية وتقديم مثال للنصر على كل ذلك، أعيش حياة دنيئة خسيسة فريسية[٧٦] تجعلني مغتربًا عن تعاليم المسيح، لكنك تعرف ما في قلبي وما أريده. إن لم يكن ذلك مقدرًا لي، وإن كنت لا تريدني من أجل الخدمة، بل تريد أن تستخدمني فقط كسماد للأرض، فلتكن إذَنْ مشيئتك. هذه أنانية دنيئة مني. لا يمكن تفسير ذلك بأني أريد إحراز النجاح في تحقيق ملكوت الله على الأرض، وبسبب هذا أرتكب

---

(٧٥) ربما يقصد بالمعنى المجازي.

(٧٦) نسبة للفريسيين، وهي طائفة دينية كانت موجودة أيام المسيح، وصفها المسيح كثيرًا بالرياء، لذا فتولستوي يقصد هنا أنه يعيش حياة مليئة بالرياء.

الخطيئة! الأمر لا يستدعي الحزن، فكل شيء يمكن أن يتم من دوني، حتى إن مجرد التفكير في ذلك يثير السخرية. يشبه ذلك أن تقلق دودة بشدة من عدم قدرتها على التغذي من الشجرة؛ لأن وجود الشجرة متوقف عليها، وأن من شأن ذلك أن يبعث الفوضى في ترتيب العالم بأكمله. هل أرغب في أن يستخدمني؟ نعم، ولكنه يعطينا خبز اليوم. أعطني الحياة الحقيقية. إنها موجودة وقد أُعطيت لنا فعلًا، ولا شيء لنطلبه. يا سيدي الآب! أحبك، خُذني إليك. أشكرك لأنك كشفت لي نفسك. لا تحجب وجهك عني.

فكرت في الآتي:

فسد ستراخوف وكثيرون غيره بسبب هذا الاستمناء الروحي -إن جاز التعبير- الذي ينظر إلى الأخلاق من وجهة نظر جمالية. بالنسبة له، ليست الأخلاق أفضل من الفجور، إلا لأنها تبدو أجمل.

أتذكر نفسي كيف أردت تطبيق الخير كاملًا في حياة الفلاحين. أرى أناسًا يؤمنون أن المثال متحقق في الدول الأوروبية، أو في الأديرة أو جبال الهند. جميعهم شباب، وبتأملهم في المثال يأملون دومًا أن يجدوه في مكان ما، ويسرعون بالبحث عنه. إنهم لا يعرفون ولا يريدون تصديق أن لا داعي للبحث عنه في مجال الزمان والمكان، وأننا قد وُهِبنا إياه كي نحققه في الآن. إن ملكوت الله بداخلنا، ويتحقق ببذل الجهد.

استلمت خطابًا من تشيرتكوف وآخر من جوربونوف، وكلاهما يطلبان مني أن أكتب بيانًا للناس، لكني لا أستطيع. يبدو لي أني لا أستطيع فعل ذلك وأنا أعيش بهذا النمط.

١٧ يونيو.

استيقظت مبكرًا. تحدثت مع ستراخوف، وكتبت يوميات يوم ١٦. الساعة الآن الحادية عشرة. بدأت في العمل بالحصاد، ولا أستطيع الكتابة.

١٨ يونيو.

فكَّرت أثناء العمل أن عليَّ أن أبدأ رواية كوني (البعث) بمشهد المحاكمة، وفي اليوم التالي أضفت أني يجب أن أنثر هنا وهناك علامات على عبثية المحاكمة بأكملها. حالتي الصحية أفضل. وصل دياكوف.

١٨ يونيو[٧٧].

نمت نومًا سيئًا، ولم أحاول حتى أن أكتب. عملت بمنجلي. وصل ميتيا أولسوفيف. إنه ضعيف جدًّا من الناحية العقلية. جاءني خطاب من سيريوجا يطلب فيه مزيدًا من المال. صوفيا محاصرة بطلبات المال من الأبناء. سيزداد الأمر سوءًا. يقينًا كان من الممكن أن تتحسن الأمور لو تخلت فقط عن المال الذي تربحه من الحقوق الأدبية. كم كان من الممكن أن يريحها ذلك! كم كان ذلك ليؤثِّر أخلاقيًّا على الأبناء! كم كان ذلك ليبعث السرور في قلبي! كم كان ذلك ليفيد الناس ويرضي الله!

---

(٧٧) تكرار التاريخ من قِبل تولستوي.

٢٢ يونيو.

مرت عدة أيام؛ خمسة أيام. يبدو أني لم أكتب شيئًا خلال هذه الفترة. سأحاول أن أتذكر. بالأمس، يوم ٢١ لم يأتِ أحد. رحل أولسوفيف. عملت بمنجلي مع سيفاستيان[٧٨]. رحل الأطفال وجاء سيكورسكي[٧٩]. عملت كثيرًا بمنجلي، ودارت الأحاديث بيني وبين سيكورسكي. يا لطيشه المذهل! لقد قام كعالِم بقياس كمية الأكسجين بالنهار، واستبدله بالمساء، وفي غضون أسبوع تبين كل شيء! ولذلك لا بد من الراحة يوم الأحد. ويقول إن هذا كانت عملية علمية! يقول كذلك أن ثمة مراكز تتكون في الجنين في فترات مختلفة، وإن أصاب المرض الأم في مثل هذه الأوقات، يكون ذلك بسبب غياب هذه المراكز، وبالتالي يظهر الجنون. وبهذا نحسب عدد المجانين! إنه طيب لكنه فسد تمامًا.

أما في يوم ١٨ عملت ثانية بمنجلي. جاء ستراخوف، وشعرت أنه يثقل عليَّ. أنا في حالة سيئة جدًّا، لا من الناحية العقلية، فهذا لا يُعد شيئًا، لكني أقصد من ناحية القلب والحب. روحي المعنوية منخفضة، كما أن الغضب ينتابني. أجلس هنا وأشعر بالغضب من الناس، وذهني حاضر وغائب في الآن ذاته. كل كلمة أو فكرة تخطر على بالي، لا تستدعي في نفسي بصيرة أو تعاطفًا مع مَن يقولها، بل رغبة في أن أعلن له ما أعتقد أنه الحقيقة. أمر دنيء... دنيء جدًّا. اليوم أدركت ذلك بوضوح

---

(٧٨) شيخ الفلاحين بياسنايا.

(٧٩) طبيب نفسي، رجعي جدًّا، يشارك بأمر من الحكومة في جلسات المحاكمات وأعمال اللجان للإدلاء برأيه.

وشعرت بالخزي. سأدوِّن كافة انحرافاتي وخطاياي. ساعدني يا إلهي! إني سأقوم بهذا في ضوء وجهك وحدك. لكن أكثر ما صدمني هو هذا التعبير الخائف والغاضب والخجول الذي استدعيته داخل أولسوفيف. لا بد ألا يسترشد بي، لكني أقول أمام نفسي وأمام الله: إنه يعرف أن لا شيء بداخلي صوب الجميع سوى الحب. الساعة الآن الثانية عشرة.

أثناء العمل والحصاد توصلت إلى الإطار الخارجي لرواية كوني (البعث). لا بد وأن أبدأ بالجلسات، وأعرض الكذب القضائي والحاجة إلى تبريره، وكذلك الحديث عن الدولة والمهاجرين.

انهمكت في العمل ثانية. وصلني خطاب ويلسون[٨٠] الرائع إلى تشيرتكوف، وكذلك خطاب تشيرتكوف. استلمت كذلك خطابات أخرى أقل أهمية. في المساء وصل الأمريكي ستيفنز على متن جواد، بعدما جاب العالم بدراجته وكذلك جاب أفريقيا. تذكرت أن أُولِي انتباهي لممارسة الحب في يومي، ومضى اليوم فعلًا بخير.

٢٣ يونيو.

استيقظت مبكرًا، وتحدثت مع ستيفنز في أمور تافهة. قرأت قليلًا، لكني لم أكتب شيئًا في انتظار مغادرتهم. الساعة الآن الحادية عشرة. حتى الآن كل شيء على ما يرام. عملت بالحصاد.

٢٤ يونيو.

عملتُ، ولم أكتب شيئًا. وصل بيستوجيف ثم جاء زوسيرمان.

---

(٨٠) جيلبرت لويس ويلسون: راعٍ أمريكي وصديق لأدين بالو، وهو معارض تمامًا للعنف.

الزوار هم بلية حياتنا. تدربت على ضبط نفسي مع ستراخوف. غضبي الآن أقل قدرًا.

بالأمس قرأت في رواية (بلا عقيدة) مشاعر الحب صوب امرأة موصوفة بدقة ورقة؛ بل إنها بدقة شديدة تفوق ما تجده عند الفرنسيين حيث يكون الحب حسيًّا، أو ما تجده عند الإنجليز عامة حيث تجد الحب فريسيًّا، أو ما تجده عند الألمان حيث يكون الحب متصنعًا، لذا قلت في نفسي إني لا بد وأن أكتب رواية عفيفة ورقيقة عن الحب، مثل حبي لصونيتشكا كالوشين[٨١]؛ ذلك الحب الذي لا يمكن ترجمته إلى أي صورة حسية، بحيث يكون الدفاع الأمثل ضد الحسية. أليس هذا هو الخلاص الوحيد من الحسية؟ نعم، نعم، لا بد وأنه كذلك. لهذا خُلق البشر رجالًا ونساءً، فمع المرأة وحدها يمكن للرجل أن يخسر عفته، ومعها وحدها يمكنه أن يحفظها. إن التحول إلى الحسية يمثل بداية خسارة العفة. سيكون من الجيد أن أكتب عن ذلك.

استلمت خطابات جيدة من آل تشيرتكوف. يشتكون من خوفهم الضعيف على حياة الطفل. استلمت كذلك خطابًا يبعث على السرور من فيلسون، ومن روسانوف الحبُّوب وتريتياكوف.

٢٥ يونيو.

فكرت كذلك في الآتي: لا بد وأن أكتب كذلك عن الشراهة[٨٢].

---

(٨١) حب طفولي وصفه تولستوي في روايته (الطفولة).

(٨٢) كتب عنها بالفعل في مقالته (الدرجة الأولى) ترجمتها ضمن كتاب (في الدين والعقل والفلسفة) - صادر عن آفاق للنشر.

مأدبة بلشاصر[٨٣] والأساقفة والقياصرة والمطاعم واللقاءات وحفلات التكريم واليوبيلات. الناس يعتقدون أنهم مشغولون بأمور مختلفة مهمة، لكنهم في الحقيقة غير مشغولون إلا بالشراهة. وماذا يجري خلف المشهد؟ كيف يعدون هذه الأمور من الأساس؟

بالأمس رحل هولتسابفيل[٨٤]. قفز الأطفال من على أسرتهم في موعد أبكر من المعتاد، وكان أندريوشا يستعد للذهاب إلى القرية. سألته: لماذا؟ من أجل شراء البيض؟ لماذا؟ فقال لي: ماما طلبت مني فعل ذلك. قلت في نفسي: مَن يعتني بتربيتهم؟ إنها امرأة لا تحوز أي قناعات قوية، امرأة ضعيفة، طيبة لكنها متقلبة المزاج، منهكة من فرط ما تحمله فوق عاتقها من أمور غير مهمة أصلًا. إنها تُعذِّب نفسها، ويحيق الهلاك بأبنائنا أمام عيني، وصنوف المعاناة المختلفة تتراكم وتنذر بأنها ستصبح بمثابة حجر رحى حول أعناقهم. هل أنا محق في تركها تفعل ذلك دون أن أصارعها؟ أصلي وأرى أن ليس بإمكاني فعل شيء آخر. إنها ليست إرادتي، لكنها إرادتك. هلاك أبنائي في كفة، والمعاناة بلا طائل في كفة أخرى... المعاناة والمرارة. فليكن الاختيار الأول إذَنْ. الثاني محقق، ولكن الأول ليس كذلك. لم أولد ولم آتِ إلى هذا العالم من أجل أسرتي، بل من أجل الله. وقد طلب الله ألا أخرق الحب والتفاهم وألا نُزيد قدر الضغينة. فلتكن إرادة الله إذَنْ معي. سأخدمك

---

(٨٣) ولي عرش بابل وابن نابونيدوس آخر ملوك بابل. جاء ذكره عدة مرات في سفر دانيال. تقول قصة: إنه في أحد الأيام وفي حفلة صاخبة ومأدبة أقامها في قصره رأى بلشاطر كتابه على الحائط، ولكنه لم ير إنسانًا يكتبها، فعرف أنها من صنع الله.

(٨٤) معلم سويسري لأبناء تولستوي الصغار.

إذَنْ، لا بالطريقة التي أودها؛ الطريقة التي تبعث في قلبي السرور، بل كما تريد أنت، بطريقة لا أعرفها. سامحني وأعني.

٢٦ يونيو.

فكرت كذلك في الآتي: واحدة من الضلالات الشائعة لدى الناس أنهم يقومون بما يريدون القيام به، وأنهم يسيرون في الطريق الذي اختاروه لأنفسهم. القيصر يحكم الدولة، والوزير يدير الوزارة، وصاحب المنزل يدير منزله... إلخ، لكنهم في الحقيقة لا يقومون إلا بما يُطلب منهم القيام به من قِبل العُرف والمحيطين بهم، ويسيرون مع التيار العام.

بينما كنت واقفًا في الغابة، أنظر إلى الأفق فكرت في الآتي: لستُ في حاجة لجمال الطبيعة، وهو ليس مفيدًا لي، وكذلك هو جمال الفن، بل إنه أدنى في مستواه جدًّا. لكني في حاجة لشيء آخر وهو ما يبعث في قلبي السرور، بينما الأول لا يفعل سوى إثارة الانتباه وإلهاء الأبصار. ولكن لماذا كل ذلك؟ ما الهدف منه؟ النحل في حاجة إلى كل ذلك مثلًا كي ينتج عسلًا جميلًا طيب المذاق. كافة الحيوانات في حاجة إلى ذلك من أجل التكاثر، كما أن طبيعتي الحيوانية الدنيا في حاجة إلى ذلك هي الأخرى. أحتاج الآن إلى شيء آخر، لا يجد تعبيرًا له في العالم المادي، ويبحث عن تعبير عن نفسه خارج هذا الإطار، هناك بعد حدود القبر. يمكنني أن أتصور هذه المخلوقات التي تجد نفسها منجذبة لمظاهر الخير دون احتياج لها، كما هو أمري مع تجليات الجمال.

عملت كثيرًا بالحصاد. في المساء وصل أوبولينسكي ورايفسكي وتسينجير. شعرت بالدوار وانتابني الخوف. أخذت أفكر في الموت،

وأدركت كم لحق بي من فساد وكم تراجعت بعيدًا إلى حيث الدناءات الجسدية بسبب هذه الحالة التي مررت بها أثناء فترة مرضي. نمت نومًا سيئًا جدًّا.

٢٧ يونيو.

وصل ألكسي ميتروفانوفيتش. أعدت نسخ قصة (علامَ يعيش الناس؟). لا بأس بها. تحدثت مع ستراخوف عن الداروينية، ثم عملت بمنجلي في الحصاد. أرسل بوشا خطابًا لماشا، وتبدو نبرته فيه جيدة. كتب في خطابه عن أليخين وعن إدانته لي. هذا حسن لي. كنت أتمنى لو استمعوا لما قاله كاملًا. صحَّحت في مقدمتي لـ(التعليم الشفهي للا مقاومة)[٨٥].

٢٨ يونيو.

جاء إيليا ومعه خطاب من دينيسينكو[٨٦]. كان الخطاب مفيدًا. مضت أموري مع إيليا بخير، وتحدثت ببساطة ولكن بود. ثم تحدثت مع ماشا عن إدانتي بالحق. طوال يوم كامل لم أكن في حالة جيدة. جاءني خطاب من أنينكوفا تدينني فيه هي أيضًا. وصلتني مجموعة من الكتب من تولا. كتاب (العمل) لبونداريف[٨٧] شديد الروعة. صحَّحت

---

(٨٥) كتاب لأدين بالو، يكتب تولستوي مقدمته. المقصود باللا مقاومة: عدم مقاومة الشر بالشر. التعليم الشفهي هو شكل من أشكال الكتب يشتمل على خلاصة للعقيدة الدينية مفرغة في قالب سؤال وجواب.

(٨٦) ممثل ومحرر صحفي، وكان خطابه ينطوي على نقد شديد.

(٨٧) بالفرنسية في الأصل: **Le Travail** وهي ترجمة فرنسية لكتاب تيموفي بونداريف، وهو فيلسوف روسي تأثر تولستوي ببعض أفكاره.

في مقدمتي لكتاب (التعليم الشفهي). وصلني إعلان رائع من جمعية مناهضة السُّكْر بسويسرا.

٢٩ يونيو.

استيقظت مبكرًا. استلمت خطابًا رائعًا من كوليتشكا (جي الابن). لقد اتخذ قراره بنفسه سريعًا. الطائفة التي تأسست في أليخين هي عمل عظيم لأولئك الذين يمكنهم القيام به. أعتقد أني عندما سأهرم سأكون قادرًا على فعله، لكنه ليس عملًا واجبًا على الجميع أبدًا. كذلك هي حياة كوليتشكا وخيلكوف وكل حياة أخرى. هناك حياة دنيوية شريرة، وحياة ربانية مقدسة. لكن التأكيد على أن الحياة الدنيوية الشريرة هي الواجبة أمر غير صحيح ومضر، لكن للأسف هذا ما يفعله الكثيرون، بل ربما الجميع. كذلك التفكير في أن الحياة الربانية المقدسة أمر ممكن تحقيقه على الأرض، مما يستلزم تنظيم أمور الحياة بطريقة أخرى عما كانت تبدو عليه للآخرين هو كذلك أمر غير سليم، وضار. حسنًا أن ينكر المرء الشيطان وكافة أعماله وهذه الحياة الدنيوية الشريرة، وألا يرفع عينه عن مثال الحياة المقدسة، وأن يبتعد عن الحياة الدنيوية ويقترب من المقدسة بقدر ما يستطيع، دون أن يقلق ما إن كان قد حقَّق الحياة المقدسة تمامًا أو لا. هذا أمر ضروري ولازم، وإن حدث ستصبح حياة أليخين وكوليتشكين وخيلكوف وتشيرتكوف جميعها جيدة، وسيقوم الجميع بأعمال إلهية.

كنت أقرأ الآن في *Worlds Advance Thought*. ثمة مواضع كثيرة رائعة فيها. حسنًا ما كتبوه عن المسيح عن أنه في حاجة إلى الصلاة داخل

نفسه. الساعة الآن الثانية عشرة. فيما يتعلق بالحب لم أخطئْ. بدأت كاترينا[٨٨] تحتضر منذ يومين، واليوم قضت نحبها.

نعم، أرغب في الموت. سلكت على نحو جيد مساء اليوم؛ كي أسلك يوم غد على نحو سيئ!

٣٠ يونيو.

في الصباح كتبت خطابات لجي (بوشا) وتريتياكوفا وجيركيفيتش وجيتس وفاسيلي إيفانوفيتش، وعملت قليلًا في الحصاد. أشعر بالحزن في داخلي. في المساء جاء الأخوان يرمولين.

١ يوليو.

كتبت مجددًا خطابات لبالو وأنينكوفا وجوربونوف وتشيرتكوف. أمر سيئ. تجادلت مع يرمولين. لقد فهم أنه من الضروري تكوين مجموعات منتجة؛ أي أن يشكل الناس طوائف، ويقطنون في أراضٍ، وينتجون منها منتجات جافة، ويصنعونها، فيستخرجون الزيت من بذور الكتان، وينتجون القماش من الكتان. بالنسبة له يعتبر هذا مصدرًا لكافة أفكاره عن الحياة والموت والخلق وهدف العالم. تجادلت معه وأحزنته. إنه إنسان بائس مسكين، يكاد يصبح ممسوسًا بفكرته. حكى لي عن حياته: إنه ابن لأب فاسق سكير، فشل في عمله بالتجارة وقضى ٢٥ شهرًا في السجن. كنت أجادله ولديَّ رغبة في أن أبدو أمامه محقًّا ومنتصرًا في الجدال. يا للخزي! تمشيت كثيرًا واغتسلت في المياه وفكرت في

(٨٨) فلاحة من ياسنايا بوليانا.

الآتي: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ»(٨٩). إن لهذا القول معنى عميقًا. إن الاضطراب بأكمله ينشأ عن عدم الاتضاع. إن استعد المرء لكافة صنوف الإذلال فكيف يمكن للاضطراب أن يلم به! كم ستكون الأمور سهلة! «وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ». استخدم هنا كلمة «ταπειός» وهي تعني قلبًا متواضعًا. كونوا فقط متواضعين وحينها ستنالون هدوء الروح.

فكَّرت كذلك في الآتي: تموت كاترينا إبان عملية الحصاد. ليس حدثًا هامًّا من وجهة نظر الفلاحين القائمين على الحصاد. لقد تجمعوا في سلام، ولكن تُرى كم يحمل هذا الحدث من أهمية من وجهة نظر كاترينا نفسها وهي تحتضر، ثم بعد أن ماتت فعلًا؟

فكَّرت كذلك في الآتي: سيكون من الجيد أن أكتب قصة إنسان صالح وشفوق ولطيف ومثقف وذكي، لكنه يعيش حياة الأسياد؛ أي الشراهة، لذلك فهو يطلب من غيره أن يذبحوا له الدجاج، ويجعل الحوذي يعمل دون أن يحظى بأقل قدر من النوم، ويجبر العاملين لديه على تنظيف مراحيضه. يستحيل أن تصبح صالحًا بينما تعيش نمطًا خاطئًا من الحياة.

---

(٨٩) متى ١١: ٢٨ - ٣٠.

٢ يونيو.

وصلت جيلبيت[٩٠] بصحبة ابنتها. لديها ذلك العيب الذي كتبتُ عنه لأنينكوفا؛ ألا وهي الرغبة في أن تبدو بارزة ورائعة. إنها تقول طوال الوقت إنها ليست في حاجة لشيء. لا حاجة للمرء لقول ذلك، بل لفعله.

استيقظت اليوم مبكرًا وتحدثت مع جيلبيج ثم تنزهت. شربت الكوميس ودوَّنت يومياتي، وسأتنزه. عملت بالحصاد.

عملت بمنجلي كثيرًا. تحدثت مع جيلبيج عن أن لا شيء حسن ومفيد في خدمة أجساد الناس. ملل وضيق وتبطل وحرارة! موسيقى وضيق... ضيق... لقد ذهبوا إلى ضيعة يزيكوفا.

٣ يوليو.

هبطت إلى الطابق السفلي لأنام. استيقظت في وقت متأخر، شاعرًا بالكآبة والملل والتبطل والترف والأحاديث المتكبرة. كما لو أن سن العجل قد تم إغراقه بالشحم فانسد ولم يعد متماسكًا. أحيانًا لا يعمل العجل من نقص الشحم، وأحيانًا أخرى بسبب زيادة الشحم. هل يجب على المرء أن يكتب لأناس كهؤلاء؟ لماذا؟ أشعر بنفور غريب من الكتابة. بالأمس فكرت بحيوية في النساء. بينما كنت أعمل بالحصاد جاءتني امرأة قروية تسألني بعض الأسئلة. السمة الرئيسة للنساء هو افتقادهن لاحترام الفكر والثقة فيما يمكن أن يقود إليه، ومن ثم يلعب

---

(٩٠) زوجة عالم الآثار الألماني فولفجانج جيلبيج. كانت تعيش في روما، وفي إحدى زياراتها لروسيا جاءت إلى ياسنايا بوليانا وتعرفت على تولستوي.

كذب وتشوه الحقيقة دورًا هامًا مع الأفكار بشكل عام والعطايا الروحية بوجه خاص. لو لم يكن الرجال قد ارتبطوا بالنساء بشعور جنسي، والميل الذي ينتج عنه، لأدركوا بوضوح أن معظم النساء لا يفهمونهم، ومن ثم لما تحدثوا إليهن، باستثناء العذارى منهن. يمكنك أن تفهم زوجتك، ويمكنك أن تفهم ابنتك تمامًا، فهما وحدهما مَن يمكنك أن تنظر إليهما بحرية.

عملت كثيرًا بالحصاد. لا أزال أشعر بالكآبة.

٤ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. أفرطت في شرب الكومس. لم أكتب شيئًا. ظللت أعمل بالحصاد طوال اليوم. إنه خلاصي الوحيد. كافة المقالات والخطابات التي وصلتني كانت بشأن سوناتا كرويتزر والتعقيب الذي كتبته عليها. من المدهش حجم الازدراء الموجَّه للكلمة، وكم يُساء استعمالها! الأمر ذاته مع أحاديث النساء التي تدور من حولي. كلما تدنى الموضوع الذي تدور عنه مثل هذه الأحاديث كان الأمر أفضل. على الأقل عندما يكون الحديث عن الأيدي والأقدام تجده صادقًا، ولكن كلما يسمو الموضوع، ازداد الأمر زيفًا. السيدة جيلبيج هناك. لا تزال سمتها الرئيسة كما هي، التبجح والكبرياء والكذب. تهتم المرأة جدًّا بمقدار السُّكَّر والمال، لكنها لا تبالي كثيرًا بمقدار الحقيقة. إنها على ثقة تمامًا من أن الأمر سيان.

أنا أعاني حقًّا لأن مثل هؤلاء الناس يحيطون بي، بأفكارهم المشوهة وخيلائهم، وهذه النظريات الجاهزة، حتى أن لا جدوى من

الكتابة لهم، وما من طريقة للتعامل معهم. بالأمس أخذت زوجتي تلوم ماشا على أنها ليست لديها أي اهتمامات روحية، وكانت كافة حججها على الأمر تناقض الواقع، ثم قالت هي نفسها أنها غاضبة بسبب سلوك ماشا المتذبذب. ربما بسبب هذا لا يدخنون، لكنهم لا يدركون متطلبات الضمير.

عملت كثيرًا بالحصاد.

٥ يوليو.

استيقظت في روح معنوية جيدة، مع أني لم أنلْ كفايتي من النوم. وجدت السيدة هيلبيج وستراخوف يتحدثان عما إن كان من الممكن أن يُطهِّر المرء كل شيء بالحب دون أن يغير حياته أم لا. شاركت في الحوار وتحدثت بحرارة، ربما كانت الأكبر منذ أن وصل الشباب. لكني بالطبع لم أُقْنِعْ أحدًا. إني أقصد موضعًا شديد الحساسية، لذا فهم يحمونه بحرص وحزم وفي الوقت المناسب كذلك، كما يحمي الجفن العين.

أحب مسرحية شيلر (اللصوص) بشدة؛ لأنها حقيقية ودقيقة إلى أقصى حد. عندما يستولي شخص كلص أو قاطع على ثمار عمل شخص آخر، فإنه يعرف جيدًا أنه يرتكب فعلًا شريرًا، لكن مَن يستولي على ثمار عمل الآخرين بأساليب قانونية يعترف بها المجتمع، لا يدرك أنه يحيا حياة شريرة، ولذلك فهذا المواطن الأمين في مرحلة أخلاقية أدنى من اللص. الساعة الآن الثانية. لا أستطيع الكتابة. سأخرج للعمل بالحصاد.

عملت بالحصاد. بالمساء جاءت الفتيات. خرجت لأغتسل في المياه. صليت، وعندما التقيت بستراخوف قال لي إن الفكرة لا تعمل دائمًا بذات القوة. نعم، لا يمكن الصلاة إلا عندما يخترق القلبَ شعاعٌ جديدٌ، أو عندما يعيش المرء كذلك في ضوء هذا الشعاع. كم كنت في حالة حسنة عندما لم يكن بإمكاني استدعاء التفكير في الله، بل استدعاء حضوره! لكني فقدت ذلك، ليس تمامًا، لكني فقدته على أي حال. بعدها أصبحت واعيًا بفكرة أن من المستحيل أن أحزن من أني لا أستطيع أن أخدم الله بالوعظ كما أريد، ولا يتوجب عليَّ حتى أن أفعل ذلك، فهو يعرف كيف أكون نافعًا له. ثم شعرت بالسرور والهدوء والتواضع والانسحاق: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ». ثم قلت في نفسي إن البلية هي أني سمحت لروح الضغينة أن تنمو في داخلي، لذا فأنا في حاجة إلى الحب. تذكرت اليوم أيضًا بحيوية كم سيكون من الجيد أن يستسلم لإرادة الله!

فكَّرت كذلك في الآتي: اغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا؛ وحينها يتحرر الجميع من الذنوب، ولا يخشونها، والأهم من ذلك أننا عندما لا نتذكرها سنعاملهم كمخلوقات جديدة نضرة مفتوحة تمامًا على الخير؛ أي أننا نتعامل معهم بالحب.

لا يمكن لكل ذلك أن يتحقق إلا عندما يسير المرء في ضوء وجه الله؛ أي أن يعيش معه ومن أجله. ساعدني يا إلهي! لا تتركني لحالي.

٦ يوليو.

خرجت لأراقب حصاد الجاودار. في المساء سوف أعمل فيه بمنجلي. في الصباح تجادلت ثانية مع هيلبيج عن الفن. أثناء هذه المجادلة اتضحت في ذهني بعض الأمور:

الفن هو إحدى الوسائل التي نميز بها بين الخير والشر.

إنه إحدى الوظائف الروحية للبشرية، مثل الطعام وطرق التواصل وغيرها من الوظائف الجسدية.

كيف أخذوا يبحثون عن هذه الوظيفة منذ ٥٠٠٠ أو ٥٠٠ عامًا مضت ولم يجدوها حتى يومنا هذا؟

من الواضح أن ذلك بسبب غباء النقاد، الذين ليس بإمكانهم رؤية ظاهرة جديدة تحيط بهم الآن، لكن لا يزال بإمكانهم رؤية بقايا الماضي.

استرحت قليلًا، وأخذت أذرع غرفة ماشا. قرأت صوفيا في يومياتها ما يتعلق بخطاب بوشا وانفعلت بشدة. لم أستطع تهدئتها. إنها مريضة طوال الوقت وخائفة من أن تحبل مجددًا. أفكر فيها بخوف وأشعر بالخزي من نفسي. هنا هو الموضع الذي أحتاج إلى مواجهة الله فيه، لا الناس. نعم، فكما أن المرض ضروري من أجل قتل الرغبة الجنسية، كذلك الخزي والإذلال ضروريان من أجل قتل الخيلاء.

جمعنا القش، ثم جاء آل زينوفيف. أشعر بالكآبة في حضور أناس موتى، وهؤلاء موتى عن عمد وقصد. نمت نومًا سيئًا في المساء.

٧ يوليو.

بالأمس وصل سيريوجا. حذفت نصف سطر. لم أقم بذلك لأني قلت شيئًا ما سيئًا في حق سيريوجا، بل لأني قلت شيئًا عن نفسي غير حقيقي تمامًا. اليوم دار حوار هادئ بيني وبين جيلبيج وستراخوف. قلت لهما لا يهم مَن الذي على حق، أهي الأرواحية أم التنويم المغناطيسي أم الداروينية، وأني لم أشغل بالي أبدًا بكل ذلك، فكيف يشغل المرء باله بشاركو، وما إن كان قد نجح في الإيحاء لمريضته أم لا، ولا ينشغل بمسألة كيف يمكننا أن نوحي للناس بالحقيقة التي يعرفونها فعلًا؟ الطقس شديد الحرارة. لم أفعل شيئًا طوال الصباح ولم أعمل. لم أجد العربة الكارة. صوفيا في تولا. بالأمس تمشيت مع ماشا وماشا[٩١] في الأزقة وتحدثت معهما على نحو جيد. الساعة الآن الخامسة. تناولت الغداء. في المساء خرجت لأعمل بحصاد الجاودار، ومضى الأمر على نحو جيد. أُنهكت.

٨ يوليو.

الطقس شديد الحرارة. نمت نومًا سيئًا. كتبت مقدمة لكتاب بالو عن التعليم الشفهي للاعنف. خرجت مع ماشا لنقل القش. في المساء شعرت بالضعف والإنهاك. وصل ماشا خطاب رائع من دونايف، ووصلني خطاب من جالا تشيرتكوفا.

---

(٩١) الأولى ابنته، والأخرى ماريا كوزمينسكايا.

٩ يوليو.

خرجت لأغتسل. أشعر بالتقزز من حياة التبطل. كتبت خطابًا لجالا. وصلني خطاب رائع من بيريوكوف. شعرت بالضعف الشديد طوال اليوم، لكن حالتي المزاجية كانت جيدة.

١٠ يوليو.

استيقظت مبكرًا، وفكرت على نحو جيد لكني نسيت ما فكرت فيه، ولا أتذكر سوى أمر واحد:

عندما كان نيكولينكا صغيرًا، كان يلعب في فراشه، ويطلب من المربية أن تواصل اللعب معه حتى ينام. هكذا هم الأرثوذكس، يطلبون من الكهنة أن يصلوا من أجلهم حتى يمكنهم أن يستغرقوا في النوم. استغرقت طوال الصباح في قراءة مجلة (القرن العشرين) -مجلة إنجليزية- وتحدثت مع جيلبيج وستراخوف. يغضبني ستراخوف بخيلائه. خطاب روزانوف[٩٢] ومقالاته ليسا إلا إهدارًا للورق والوقت، ومراكمة لخطية الكبرياء. كانت عمليات الإعدام تجري في روما بأمر من البابا في احتفالات يرتدون فيها الثياب الرسمية ويتدافعون صوب النوافذ ليراقبوا الإعدام. وفجأةً أدركوا أن هذا أمر شرير. ليس هناك تسلسل في الانتقال من الشر إلى الخير، بل يمكن أن يحدث تغير مفاجئ من الأسود القاتم إلى الأبيض الناصع. الساعة الآن الثالثة. سأخرج لأغتسل. لا أزال

(٩٢) ناقد رجعي من أنصار النزعة السلافية. كتب في خاتمة المقالة التي يشير إليها تولستوي أن الحضارة المسيحية بمثابة تتمة التاريخ ونهايته.

أشعر بالضعف. تشعر صوفيا بالعذاب من احتمالية أن تحبل. هنا هو المكان الذي يجب أن أحاول فيه نقل القضية إلى محكمة الله الواحد.

خرجت لأغتسل. عدتُ، فوجدت الطاولة معدة لثلاثين شخصًا. آل أوفروسيموف وآل فيجنير، ثم تعالى الغناء والموسيقى. أمر مريع، لا فائدة منه، يثير أعصابي بشدة. أصوات آلات موسيقية بائسة، بينما ينغمس الحضور في تناول الطعام وتفوح منهم رائحة نتنة. لم أستطع النوم حتى الخامسة. أنا في حالة سيئة للغاية. صوفيا حزينة وروحها المعنوية سيئة.

١١ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. أهنت ستراخوف. أواصل توجيه هذا السؤال لنفسي عند القيام بأي فعل: هل أقوم به من أجل الناس أم من أجل الله؟ سألت نفسي الآن: هل أكتب الآن من أجل الناس أم من أجل الله؟ نعم، من أجل الله، لكني أنسى ذلك. لا بد أن أكتب بمزيد من الوضوح والصدق. جاءني خطاب جيد من بوشا يديننني فيه. استفدت منه؛ لأني أحيا بشكل دنيء لكني أتعلم من المراسلات. هذا حقيقي تمامًا. فكَّرت في الآتي:

مثلما لا يمكننا القيام بتمثيل كوزموجرافي إلا عندما ننتقل بخيالنا إلى الشمس، كذلك لا يمكننا تصور ماذا علينا أن نفعل كي نسلك حسنًا ونحقق إرادة الله إلا عندما نتصور أنفسنا في محكمة الله. لقد اختبرت ذلك.

الساعة الآن الواحدة. اليوم يصل أيضًا المدعو كونستانتين فيازيمسكي[٩٣]. سألت نفسي للتو كيف ينظر الله إلى وصول فيازيمسكي؟

(٩٣) أمير روسي، رياضي ورحالة، ثم تحول إلى راهب. زار تولستوي وتراسل معه.

لا بد أني وفيازيمسكي لنا نفس القدر من الأهمية ، أو لا أهمية لكلينا في عينيه، ولكن عليَّ أن أتم عمله بشكل عام بأفضل صورة ممكنة.

كنت أشعر بالضعف الشديد فاستلقيت. فيازيمسكي رحالة وعالم في الرياضيات وجاد. بعد الغداء خرجت لأغتسل. في المساء تجادلت مع ستراخوف عن المسألة الروسية. ليس أمامنا إلا اختيار من الاثنين: إما السلافية وإمَّا الاحتكام للأناجيل. إننا نمضي صوب ذلك الزمن المريع الذي تحدث عنه هيرزن[٩٤]. لم يعد لدينا جنكيز خان ببرقيات[٩٥]، بل بهواتف وبارود مدافع لا ينتج دخانًا. الدستور وبعض صيغ حرية الصحافة والتجمعات والمعتقدات الدينية، جميعها تعمل ككابح لزيادة القوة الناتجة عن ظهور الهواتف وغيرها. من دونها ثمة شيء مرعب يحدث، وهذا حقيقي تمامًا في روسيا وحدها.

نمت على نحو أفضل.

١٢ يوليو.

استيقظت مبكرًا، ولم أتوقف عن الجدال مع ستراخوف. لا فائدة أبدًا. لقد كتب مقالات عن ذلك وهو يطبعها[٩٦]. لا جدوى من الجدال معه. لكني لم أفعل ذلك لأجل الناس، بل لأجل الله، وهذا حسن. كتبت بالأمس خطابًا لبوشا وأرسلته. الساعة الآن الواحدة.

---

(٩٤) ألكسندر إيفانوفتش هيرزن: كاتب ومفكر روسي ذو توجه غربي، عُرف بأبي الاشتراكية الروسية.

(٩٥) يشير تولستوي إلى الخطاب الذي أرسله هيرزن إلى ألكسندر الثاني، مقتبسًا تعبير هيرزن: "جنكيز خان لديه برقيات".

(٩٦) غالبًا الخلاف حول اعتناق ستراخوف للأفكار السلافية القومية.

بدأت حياكة الأحذية، واستمريت حتى المساء على نحو جيد.

١٣ يوليو.

حظيت بنوم جيد. بعدما شربت القهوة واصلت العمل في رواية (الأب سيرجيه). لا بأس بها، ولكن هناك ما هو أفضل. لا بد وأن أبدأ برحلة المرأة الفاجرة. عملت بعد ذلك في حياكة الأحذية. تمشيت واغتسلت. في المساء عاودت العمل بالحياكة. أرسل جولتسيف بروفة المقالة[٩٧]. لا بد وأن أضيف شيئًا. لا بد من الكتابة عن ذريعة الحصول على الخبز «بطريقة مباشرة أو غير مباشرة»[٩٨]. إن كل إنتاج الآن يزيد من وضع الناس سوءًا، ويحسن أحوال مَن يقمعونهم.

١٤ يوليو.

نهضت في وقت متأخر. استغرقت طوال الليل في الأحلام. شربت الكومس، وتمشيت. سأعمل على المقالة. أريد أن أبدأ العمل على الأب سيرجيه من البداية. فكرت في الآتي: أحاول تذكر ما فعلته أول أمس، ولكن دون جدوى. لقد نسيت أني لن أتذكر أبدًا. قد يكون الآخرون رأوا ما فعلته ونسوه كما نسيته أنا، وربما لم يروه. ربما هذا يحدث مع الأيام؛ بل الحياة بأكملها. ما الذي يتبقى لنا إذَنْ؟ أمر واحد: نمو الروح. أنهيت كافة التصحيحات على المقالة، لكني لم أنتهِ من الخاتمة. عملت على نحو جيد. خرجت لأتمشى. تغدينا وحدنا. في المساء عملت بالحياكة

---

(٩٧) استعدادًا لطباعة (لماذا يخدر البشر أنفسهم؟)، وجولتسيف هو محرر إحدى الصحف.

(٩٨) يناقش ما طرحه بونداريف في كتابه، وربما يقصد فكرة أن زيادة الإنتاج حتى مع وجود الأثرياء ستؤدي في النهاية لإحداث فائض يستفيد منه الفقراء.

ثم وصل دافيدوف. أشعر بالضيق.

١٥ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. بعدما شربت القهوة عملت مباشرة بالحياكة، ثم انتهيت منها وخرجت لأغتسل. بعد الغداء نعمت بقيلولة. جاءتني صوفيا بخبر أنها ليست حبلى. قلت لها إنه يجب على كل منا أن ينام وحده، وأن الأمر سيئ لي. ماذا سيحدث؟ حزنت على سيريوجا، ولكن الأمور تتحسن. لست غاضبًا البتة من صوفيا، ولا يجب عليَّ ذلك. تمشيت كثيرًا في المساء. جاءني طباخ، أرسله لي أحد الأطباء، ليسألني النصح بشأن خيانة زوجته له. من الواضح تمامًا أنه على حافة السقوط في براثن المرض العقلي. يسمع أصواتًا خلف الحائط ويعتقد أنها علامات اتفقت عليها الزوجة وعشيقها. يقول أيضًا: «بالإضافة إلى ذلك أردت أن أصبح سيدًا طاهرًا». يكتب شِعرًا سيئًا ويبكي مع كل كلمة، ويعاني من الهلاوس. نمط غريب ومهم. الساعة الآن الحادية عشرة.

٢٠ يوليو.

لم أُدوِّن شيئًا منذ أربعة أيام. سأعود إلى الوراء إذَنْ.

في يوم ١٩ استيقظت مبكرًا بعد نوم سيئ، وخرجت للعمل بالحصاد. شربت القهوة مع سيريوجا وصمتُّ. كان عليَّ أن أستهل الحديث. غفوت. ذهب الجميع إلى آل فيجنير. وصلت فيرا وإلينا تولستايا (ابنتا أخيه سيرجي) على الغداء. كنت سعيدًا بحضورهما. كتبت قليلًا إلى جميعة مناهضة السُّكْر، لكن على نحو سيئ.

استيقظت في وقت متأخر في يوم ١٨. باستوخوف هنا. كتبت كثيرًا عن اللا مقاومة. في المساء عملت بالحصاد.

لا أذكر هل كتبت شيئًا أم لا في يوم ١٧. لكني عملت بالحصاد وجاء باستوخوف.

أما في يوم ٢٠ فقد استيقظت في وقت متأخر. معدتي مضطربة. تحدثت مع صوفيا. قالت إنها سعيدة، لكنها لا تريد أن ينام كل منا بمفرده. صحَّحت فيما كتبته عن اللا مقاومة. خرجت الآن إلى الشرفة فوجدتهم يتحدثون عن أموال فيروتشكا (فيرا كوزمينسكي) المرسلة لها من أبيها. بدأت حديثي بالقول إنهم يجب أن يقللوا من حجم الإنفاق، لكنهم لم يفهموا تمامًا ما أقوله.

أناس مثل ألكسندرين (ألكسندرا أندريفنا تولستايا) يبكون من عدم وجود الحب في حياتهم كما لو أنه شيء غير موجود، يمكننا أن نجلبه من مكان ما. الأمر يماثل أن يقف المرء بدلو مثقوب عند بئر، ويبكي من عدم وجود الماء في الدلو، ويبحث عن المياه. لا بد أولًا من سد ذلك الثقب الذي يتسلل منه الحب. يمكن القول إن الإغواءات تلطخ الحب وتشجبه، ولكن من الأفضل أن نقول إنها تحول دون بقائه.

فكَّرت في الآتي: بينما يعيش الوالدان حياة فاسدة، بطَّالة، غير منضبطة في تناول الطعام، ولا يكنان احترامًا للناس ولا للحياة، تجدهما يطالبان الأبناء دائمًا بضبط النفس والنشاط وإبداء الاحترام للناس. ولكن لغة الحياة هي تقديم المثال الحي، وهي تحظى بسماع ورؤية أوضح للكبار والصغار، وللخواص والغرباء على السواء.

ثمة ست صلوات وستة مواضع بالإنجيل تستدعي الصلابة والهدوء والسرور:

يا أبانا، إن جوهرك وجوهري هو الحب.

فلتكن إرادتك، لا إرادتي.

احمل صليبك كل يوم.

إن لم تغفر للغير، لن يُغفر لك. عِش بحيث تبدأ مع كل إنسان دومًا من البداية، ناسيًا كل ما حدث في علاقاتك السابقة.

تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين، وتعلموا شعور التواضع الهادئ، وستجدون الهدوء والخير.

لا تُعْطِ صدقتك أمام الناس، وتعلَّم أن تحيا لله لا للناس.

آل زيسرمان على وشك الوصول الآن. إنها الآن قبالة الثالثة. دار الحديث عن فيروتشكا كوزمينسكايا والتذمر من والدها؛ لأنه لم يمنحها نقود عمتها. بدأت صوفيا تتحدث عن كيف بدأ أبناؤها يطالبون بذات الأمر، وكيف نشبت مشاجرات بسبب المال. قلت إن الأمر كله مرهون بالحاجة إلى المال، فإن ظهرت حاجة، فبشكل أو بآخر سينالون المال، ولكن لا يمكن اكتساب المال إلا بارتكاب خطيئة؛ لأن اكتساب المال هو خطيئة في حد ذاته. لم يستمع أحد لي، وشعروا جميعًا بالضيق من تحدثي بهذا الهراء، أو الحقائق البديهية كما أراها. في تلك اللحظة وصل آل سيسرمان، وشعر الجميع بالضيق.

اليوم يوافق ٢٤ يوليو. وصل لوفينفيلد[٩٩]. إنه يكتب سيرة حياتي. أشعر بوخز مزعج. تمشيت وفكرت وصليت.

بالأمس، يوم ٢٣، جاء ستاخوفيتش. شعرت بالضيق. عملت في الحصاد مع أوسيب (فلاح فقير). كتبت قليلًا عن الكنيسة حتى موعد الغداء. أود أن أكتب المزيد.

في يوم ٢٢ احتفلوا بعيد ميلاد ماشا كوزمينسكايا وأطلقوا الألعاب النارية. لا يروقني هذا. عملت حتى وقت متأخر بحصاد الشوفان. تغديت مع آل كوزمينسكي.

كتبت عن الكنيسة حتى موعد الغداء.

في يوم ٢١ نمت نومًا سيئًا، وكتبت بعض الخطابات وعملت بالحصاد.

الساعة الآن الرابعة. سأذهب إلى ستاخوفيتش ولوفينفيلد. هذه صلاة تسعدني جدًا:

«أبانا الذي في السماء. ليتقدس اسمك». الله محبة.

"ليأتِ ملكوتك".

(اطلبوا أولًا ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم).

أعرف الله ونفسي بالحب، وأبحث عن تجليه وتحقيق ملكوت الله في العالم وفي نفسي.

---

(٩٩) ناقد أدبي ألماني من أصل سلافي. ترجم العديد من أعمال تولستوي وكتب عن حياته، وقد جاء إلى ياسنايا ليجمع بعض المواد من أجل كتابة عمله الرئيس عن حياة تولستوي.

«لتكن مشيئتك، كما في السماء، كذلك على الأرض». لن يكون تجلي الحب وتحقيق الملكوت وفقًا لإرادتي، بل كما تريد أنت.

"خبزنا كفافنا، أعطنا اليوم". إن تحقيق ملكوت الله سيكون من أجل العالم بأكمله، ولهذا لن تكون مشاركتي في تحقيقه بحسب ما أريد، بل بحسب إرادتك أنت. خُذني إليك وعلِّمني أن أكون وديعًا ومتواضع القلب، فخيري في خدمة الجميع.

"خبزنا كفافنا، أعطنا اليوم". الخير في خدمة الجميع، ولكن تذكر أن عليك أن تنكر نفسك وتحمل صليبك كل يوم.

"اغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا". احمل صليبك وتقدم كل يوم للأمام، ولا تنظر خلفك. عليك في البداية أن تنسى خطايا الناس جميعًا، فإن لم تغفر لن يُغفر لك.

"ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير". لا تصنع صدقتك أمام الناس.

لا تختلس النظر أمامك أو خلفك، ولا تستسلم لإغراء أحكام الناس، خاصة حكم الشرير.

بالإضافة إلى اعترافي الأول بالإيمان الذي مفاده أن الله والحياة هما الحب، ألحقت بكل طِلبة في الصلاة استشهادًا من الإنجيل تشير إلى كيفية تحقيقها[١٠٠].

---

(١٠٠) الشطر الأول من كافة الصلوات السابقة عبارة عن جزء من الصلاة الربانية التي أوصى المسيح تلاميذه بها، ويضيف عليها تولستوي تعقيبًا بمثابة تفسير باستشهاد من مواضع آخرى من الإنجيل.

القلق بشأن الحب ونموه بداخلي كما يؤكد دروموند[١٠١] يشبه القلق والتأكيد على أن يحظى شخص بنور، في حين أنه قام بسد الكوة التي يتدفق منها شعاع النور. ليس علينا أن نقلق أو نخشى من وجود النور ذاته، بل علينا أن نُولي عنايتنا بالقضاء على إغواء الذات الذي يحجب الضوء، أو حتى نحاول أن نُقلِّل منه، وأقصد بإغواءات الذات: الشهوات والكبرياء. فلنقضِ عليها، ونسمح للنور بالدخول من نافذتنا، وحينها سيُغرِق المكان.

فكرت كذلك في موضوع مختلف تمامًا. فكَّرت في يومياتي القديمة؛ كيف أبدو دنيئًا فيها، وكيف لا أريد أن يعرف الناس هذا عني، وبحثي عن مديح الناس بعد الموت. يا للصعوبة المريعة التي يواجهها المرء كي ينكر مديح الناس ولا يهتم به أدنى اهتمام! أمر صعب ألا يعاني المرء عندما يتعامل مع أحد الأوغاد، لكن يا لحسنه! كلما شعر المرء بالسرور عندما لا يعود يهتم بمديح الناس، أصبح بين يدي الله، وكم يشعر حينها باليسر والثبات! الأمر يشبه صبيًّا سقط في بئر، لكنه تعلق بيده كي لا يكتمل سقوطه، وهو يعاني، لكنه إن استسلم، سيسقط بين يدي الله في قاع البئر أسفل قدميه مباشرة.

لم أذهب للعمل بالحصاد مساءً، بل ذهبت لستاخوفيتش ولوفينفيلد. شعور سيئ أن تجد الآخرين مشغولون بك. صخب ثقيل الوطأة.

---

(١٠١) هنري دروموند: عالم لاهوت إنجليزي.

٢٥ يوليو.

استيقظت مبكرًا، ومضيت لأغتسل في المياه. يقولون إن العقل والأفكار ليسا إلا إفرازات دماغية. حسنًا، هذا صحيح، ولكن ماذا عن الوعي بالحياة؟ ماذا عن الحياة التي أعيها في داخلي؟ إن ذلك ليس أمرًا منفصلًا عن المخ، لكن الحياة، وذلك الجوهر الغامض، أو الله... ما حقيقة ذلك؟ ما سمته؟ ما حقيقة ذلك السعي إلى الفهم الذي نقوم به بكل قوة ممكنة؟ الحب هو السعي للاتحاد بالمزيد؛ الابتعاد عن الذات وإحراز مزيد من الاتحاد، الرغبة في أن يصبح الجميع واحدًا مع الله. إنه السعي إلى الله. أنا ذاهب إليه، فالحرية في السعي إلى الله الذي في داخلي.

فكرت في أني بيَّنت فكرة الخلود الشخصي في كتابي (عن الحياة). لكن هذا غير صحيح. الشخصية هي مجموعة من السمات المميزة، نمت في القرون السالفة، كامنة داخل إطار اللا نهائية، لكنها تموت مع الجسد، وتظهر من جديد مع الأجيال القادمة، غير مرتبطة بوعيي. إن وعيي هو الله، وما من سمات محددة له. لا يمكنني حتى القول إن حياتي لا بد وأن تنمو في الحب. لا يمكنني معرفة ذلك. إن حياتي هي الله، وبالنسبة لله لا معنى لكلمة مزيد أو قليل. إن وعيي بالحياة هو الله، فالله هو الوعي بالحياة بأكملها. الحب هو التعبير عن الوعي بالحياة بأكملها بالنسبة لي، بوعيي المحدود. نحن نسعى إلى مزيد من الوعي، وإلى الوعي بالحياة بأكملها، وهي الحب. وبينما أنا مكبل بقيود وعيي الشخصي، أسعى إلى الوعي الكلي، والحب

هو التعبير عنِ هذا السعي طالما أنا مقيد بقيود وعيي الشخصي. لكن بالموت أنفصل عن هذا الوعي الشخصي، ويصبح الحب هو الوعي بكل ما أحبه. هذا ما يبدو عليه الأمر. في كل فرصة أنفصل فيها عن وعيي الشخصي، يصبح وعيي إلهيًّا؛ أي وعيًا بالكل. سيكون وعيي وعيًا بالكل، بينما أشعر بالأسف على أن وعيي سيتوقف عن ارتباطه بجذور شخصيتي! لا يمكنني أن أتصور الأمر، فرغم أن الأمر جيد لكني أخشاه. إن استطعت أن أُحرِّر نفسي بطريقة ما من إطار شخصيتي الضيق، لماذا لا تصبح حينها كل حياة بالنسبة لي مثل حياتي؟ أمر غير مفهوم. ولكن كل شيء يؤدي إلى فكرة أن الله بداخلي.

صحَّحت فيما كتبته عن اللا مقاومة. الساعة الآن الثالثة. سأتمشى مع لوفينفيلد.

فكَّرت كذلك في الفارق الرئيس بين الرجال والنساء. الفِكر بالنسبة للرجال هو القوة الدافعة للحركة، بينما هو نتيجة للحركة بالنسبة للنساء. النساء وعقولهن يتأثرن بالفكر، لكن ما يحركهن في الأساس هو نوع من القصور الذاتي ورغبات الجسد، بينما الرجال، وأقصد الرجال الحقيقيين، يسيطرون على قوة القصور الذاتي ورغبات الجسد بالفِكر.

أكتب على نحو سيئ جدًّا. لا يمكنني التفكير بوضوح. لست بخير. الساعة الآن الرابعة. تمشيت مع لوفينفيلد حتى موعد الغداء، وذهبت بعد الغداء لأعمل بمفردي في الحصاد. لقد رحلت تانيا وماشا. عملتُ كثيرًا حتى شعرت بالإنهاك الشديد.

٢٧ يوليو.

بالأمس، يوم ٢٦، استيقظت مبكرًا وتمشيت وفكَّرت كثيرًا. لم أُقبِل على العمل. تمشيت حتى سياج الأشجار المحيط بقرية روفا. فكرت كثيرًا وعلى نحو رائع. عرفت على الغداء بوصول زوجة فاينرمان. صوفيا غاضبة، وأنا أراقب الوقت. لا بد وأن أتعلم التكهن ببوادر نوبات غضبها، بحيث أصدها عن ذلك فورًا. خرجت للعمل بالحصاد. عرجت على زوجة فاينرمان. إنها امرأة رقيقة، ومعها طفلها. إن سبب رحيلها هي تلك الحياة التي لا تتفق مع الوصايا الإلهية، لا من الجوانب الخارجية مثل ضبط النفس والعمل، ولكن من الجوانب الداخلية؛ أي العلاقات والمعاملات وما يجذب الانتباه. قالت لي: «وصلت شخصيات جديدة، وهذا يعني أن تعود الخميرة القديمة لعملها مجددًا». ذهبت بعدها للعوم مع كافة الشباب. أشعر بمزيد من الراحة في حضورهم.

أول أمس حدث أمر غريب. دون أي مقدمات ارتدى الأبناء والمعلم والكاتب ثيابهم وذهبوا إلى كوزلوفكا للتزلج على الجليد. إن عاقبة الحياة الشريرة واضحة للغاية. ليس بإمكاني مساعدتهم. أصلي من أجلهم طوال الوقت.

الناس الذين يُحرزون أكبر قدر من النجاح هم أولئك الذين لا يستحون من فعل أغبى الأفعال الممكنة بأكبر قدر من المهابة. فكرت في ذلك عندما تذكرت كيف كان زاخارين يقول إن في عياداتهم يصبون المياه على البطن حتى يساعدوا على سهولة عملية الهضم.

عن الحب مرة أخرى: الحب هو السعي لمعرفة مخلوقات أخرى تشبهني. تدرك كافة المخلوقات نفسها، أو أنها كامنة داخل وعي كيان آخر. كل ما هو موجود يدرك الله، المخلوق الكلي، كما يدركني جسدي. الحب هو السعي إلى أن يصبح المرء كالله، لا كما قال يوحنا إن الله محبة. إن السعي إلى الوعي الحصري بالذات يعوق تحقق المسعى الأول. والطريق إلى تحقيقه يتلخص في إنكار الذات؛ أي موت الشخصية، والانتقال إلى مرحلة الوعي الكلي. لا يمكنني إدراك الآخرين إدراكي لنفسي إلا بالولوج إلى الوعي الكلي.

الساعة الآن الثالثة. سأتمشى. بالأمس استطعت أن أوقف غضب صوفيا. مساء الأمس وصل دجونس من بابورينو بصحبة ابن عمه. تحدثت معهما عن الحياة، ولكن حديثي افتقد الوضوح. بالأمس قضيت وقتًا مع لوفينفيلد وترك فيَّ انطباعًا جميلًا.

٢٨ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. خرجت لأغتسل مع باستوخوف[١٠٢]. صحَّحت ترجمات جاريسون وبالو، وكتبت مقدمة صغيرة[١٠٣]. ذهبت مرتين إلى زوجة فاينرمان. إنها طيبة، لكن ضيقة الأفق. في المساء ارتجف جسدي. تحدثتُ مع تانيا، وقرأتُ في كتاب تيخون. وصل

(١٠٢) كان تلميذًا في معهد الفنون، وترك دراسته وجاء ليعمل بالريف بالقرب من ياسنايا.

(١٠٣) يقصد ترجمته الشخصية لكتاب ويليام جاريسون **Declaration of Sentiments adopted by the Peace Convention**، وترجمة باستوخوف لكتاب أدين بالو، والمقدمة التي كتبها تولستوي لكتاب بالو تحولت بعد ذلك إلى كتاب كامل من روائعه (ملكوت الله بداخلكم).

إلكساندر ميخايلوفيتش ذو الحضور الثقيل. يغمرني العرق وأشعر بالضعف. أصلي بسرور طوال الوقت. وصلني خطاب من تشيرتكوف. في المساء أجبته، وكتبت كذلك لروجين وجيركيفيتش. عادت ماشا للمنزل مريضة.

٢٩ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. منذ فترة طويلة لم أنعم بحالة جسدية جيدة مثل الآن. تمشيت مع هولزابفيل (معلم سويسري). تحدَّثَ عن الإساءة وعن المستقبل. أحيانًا ما يكون من الجيد أخلاقيًّا أن تُعلِّم غيرك، مع أنه أمر خطير *docendo discimus*[١٠٤]. حدَّثته عن الصليب الذي يحمله المرء كل يوم وعن تلك الطهارة التي خلفناها وراءنا، وعن ضرورة أن نغفر للآخرين كي يُغفر لنا. أهم ما يجب تذكره أنه لا يجب القيام بأي عمل كاملًا، بل مجرد المشاركة بأفضل وأفيد طريقة ممكنة في عمل الله، فالمرء لن يرى تمام العمل، وكل ما يتوجب عليه العناية به هو المشاركة فيه بأفضل شكل ممكن. هذا وحده كافٍ لشحذ المرء روحيًّا ومنحه السعادة.

ما إن عدتُ إلى المنزل، حتى كتبت في مقدمة اللا مقاومة، وانتهيت منها بطريقة أو بأخرى. أردت لو أكتب الخاتمة كذلك. الساعة الآن الثالثة.

خرجت للتنزه. عدت على الغداء. في المساء عرجت على زوجة

---

(١٠٤) تعبير لاتيني للفيلسوف سينيكا، المقصود منه أن أفضل طريقة يعرف بها المرء شيئًا هو أن يشارك الآخرين بمعارفه.

فاينرمان لأودعها، وأثرت الغضب في منزل إلكساندر ميخايلوفيتش (كوزمينسكي) حينما قلت إن سلطة الوالدين في السابق كانت أمرًا مهلكًا. يتمسك الوالدان بشكل سلطتهما القديم، مما يحول دون أن يتوصلا إلى شكل جديد. كان ذلك بالتحديد هو ما يلوم عليه ابنته فيرا. لكن المدهش في الأمر هو: كيف يمكن ألا تكون لديه أدنى فكرة عن الحكم الصحيح فيما يتعلق به، بالرغم من أنه قادر على الحكم على أمور لا تتعلق به شخصيًّا؟ أمر مدهش فعلًا! لا يمكن للتفكير أن يكون صحيحًا تمامًا إلا عندما تعيش باستقامة، فالنمط الخاطئ من الحياة يلوي عنق العقل حتى يخفي أو يقلل من قدر خطايا صاحبه.

٣٠ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر، وخرجت لأغتسل في المياه. فكَّرت على نحو جيد. طوال الوقت أصلي بسرور وتزداد قدماي رسوخًا. فكَّرت في الآتي: بعدما استيقظت، فكرت في تعبيرات خرقاء مخزية استخدمتها في الخطابات التي كتبتها بالأمس، وشعرت بعدم الرضى. أدركت أن سبب ذلك هي حالتي الجسدية، وغلبتها بوعيي بالتواضع وعدم الانتباه لآراء الناس. غفوت وحلمت أني أستعد للذهاب إلى مكان ما، ثم أفقد كل شيء، أو أجد شيئًا وأفقد آخر. يمكن أن أشعر بحالة جسدية من عدم الرضى والخزي في الحلم، ورغم أني في الواقع لم أهزمها من قبل أبدًا، لكني أهزمها الآن حقًّا.

أصبح من المستحيل أن أدين أحدًا ثانية؛ لأني إن نظرت إلى الأمر بأمانة، ولم أضع إساءتي له في الاعتبار بل العيب الذي يعتري شخصيته،

فإني في هذه الحالة سأرى أن من قام بهذه الإساءة شخص آخر، وليست الشخصية ذاتها التي أنظر إليها. كثيرًا ما يبدو أن ذاك مَن يسمع الإدانة، ليس له حق الإدانة، ولا يرى من يدينه، بل يُقبل على فعل الإدانة من فرط كبريائه؛ لأن هذا يزيد من رسوخ موقفه.

جاءني خطاب من جيتس. أود أن أرد عليه. الساعة الآن الثالثة. أردت الذهاب إلى بولجين، لكني لم أستطع. أعدت قراءة وتصحيح مقدمة اللا مقاومة. إنها سيئة.

٣١ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. تراودني أفكار سيئة. جاءني خطاب من تشيتشيرين. قرأت منشوره[١٠٥]. لا بأس به. أجبت عن خطابه، وخرجت لأتمشى عند سياج الأشجار. نعمت بصلاة جيدة. اغتسلت في المياه. لا أحد بالمنزل سوى فيرا وإلين، أما ماشا فمريضة. بعد الغداء خرجت معهما لنتنزه. فكَّرت في الآتي:

لا تكون الصلاة حقيقية إلا عندما تنطبق كلماتها على الماضي والمستقبل على السواء، بحيث تتذكر خطاياك وتعفو عن خطايا الآخرين.

كيف يمكن للشاب أن يسعى بشدة إلى العفة، ولا يبحث عن تلك الفتاة التي ستوافق روحه وتحقق له السعادة؟ يقولون: «إن كان الأمر كذلك إذَنْ، فكُفَّ عن ثرثرتك وتزوج أول مَن تجدها في طريقك». ولكن أليس هذا هو ما حدث حتى مع الذين بحثوا عنها، مثلي أنا وستيبان

---

(١٠٥) بعنوان (نظام العناصر الكيميائية).

(حمو تولستوي) وغيرنا؟

ما الهدف من القوة الجسمانية لدى الإنسان؟ لا يمكن أن يستنير المرء روحيًّا إلا بعد أن تحترق هذه القوة الجسدية.

نمتُ في الواحدة.

١ أغسطس.

نمت نومًا سيئًا. خرجت لأغتسل. كتبت عن الكنيسة كتابة لا بأس بها. وصل بريسيلكوف[١٠٦]. لم أفعل شيئًا طوال اليوم، لكني يبدو أن حالتي أفضل. الساعة الآن الثانية عشرة صباحًا. سأنام.

٢ أغسطس.

وصلني خطاب من مجهول بروسيا، يسب فيه (سوناتا كرويتزر). وصلني كذلك خطاب آخر من هوليستر من طائفة المرتجفين، يعرب فيه عن سعادته بالمقدمة وموافقته عليها، كما يضم الخطاب أفكارًا رائعة.

بعد أن استيقظت وجدت بوليجين. قضيت معه فترة الصباح بأكملها. إنه لطيف وذكي وصلب. حكى لي عن بيبيكوف ومدى سموه الأخلاقي، فهو يعمل ويتحمل كل شيء في صمت، ويتعامل دائمًا برقة. بعد رحيله عكفت على العمل، وتطلب العمل قراءة تاريخ الكنائس. بعد الغداء أنهيت خاتمة كتاب بالو وكتاب جاريسون. في المساء أخذت أفكر كيف يمكنني أن أكتب عن الكنيسة بلطف قدر الإمكان. ثمة إمكانية لذلك.

---

(١٠٦) ضابط رفيع المركز، توطدت علاقته بتولستوي.

٣ أغسطس.

استيقظت مبكرًا، وكان صباحي اعتياديًّا. فكرت وصليت على نحو جيد. لم يأتِ أحد. قبالة الغداء فقط عرج علينا فيكتور نيكولايفيتش، آتيًا من عند بوليجين. كتبت قليلًا في (الأب سيرجيه). راودتني الأفكار على نحو واضح. في الصباح التقيت بألكسندر ميخايلوفيتش، ولم أستطع أن أتعامل معه بلطف. لم أذهب بعدها إليه لشرب الشاي. حذفت كلمتين. وصلتني ثلاثة خطابات رائعة، من أوروسوف ومن ف.إ ألكسيف، وملحق به خطاب من ناتايا كوجان[١٠٧] عن طائفة اليخين، وخطاب ساحر من خيلكوف عن الأب يوحنا.

كم هو مدهش ذلك التعريف الإنجيلي لنشاط الإنسان في الحياة؛ فلم يخلع عليه الإنجيل سمة السرور أو المتعة ولا الوصول إلى هدف ما، بل وصفه بأنه صليب، أو الأفضل من ذلك أنه مشاركة في العمل الإلهي.

يا لخطئي الفج الذي ارتكبته في المشاركة في مجادلات عن المسيحية مع المؤمنين الأرثوذكس، أو في التحدث عن المسيحية فيما يتعلق بنشاط رجال الدين والمجمع... إلخ. ليس هناك أدنى تشابه بين الأرثوذكسية والمسيحية سوى في الاسم. إن كان رجال الكنيسة مسيحيين، فأنا إذَنْ لست مسيحيًّا، والعكس صحيح.

الساعة الآن الثامنة. سأتنزه حتى التاسعة والنصف كما فعلت بالأمس.

(١٠٧) معلمة انضمت إلى الأوساط الثورية.

مكتبة
t.me/t_pdf

٤ أغسطس.

استيقظت مبكرًا واغتسلت. صليت. توصلت إلى بعض الأفكار الجيدة بخصوص (الأب سيرجيه). سجَّلتها في دفتري، لكني أضعت الدفتر. قرأت في مقالة أوروسوف، وترجمت قليلًا مع تانيا، ثم عملت بحياكة الأحذية، ثم ذهبنا إلى قرية كولبنا[١٠٨] لاندلاع حريق هناك. غفوت في المساء، ثم ذهبت إلى كوزلوفكا.

٥ أغسطس.

مرضت في الصباح، وبقيت في الفراش أقرأ في رواية دانماركية. خرجت لأغتسل. على الغداء رأينا حريقًا في ياسنايا. احترقت خمسة منازل ريفية. تمكنت من العمل على نحو لا بأس به، ولكني عملت حتى وقت متأخر من الليل.

٦ أغسطس.

خرجت لأغتسل، وتوجهت من هناك إلى مكان الحريق. وجدت الناس قد أتوا من عند الطاحونة. واسيت أندريان، وذهبت لموروزوف لأواسيه هو الآخر[١٠٩] وشعرت بالكآبة. كانت صوفيا موجودة وقد جلبت معها مالًا. سعدت جدًّا بذلك.

كلما زادت درجة لا أخلاقية الناس، ازدادت متطلباتهم. أذكر محرر مجلة كان يقول إن بالرغم من أنه من الصعب أن يحيا المرء في المدينة

---

(١٠٨) تبعد ٧ كيلو مترات عن ياسنايا.

(١٠٩) فلاحان احترق منزلهما.

حياة فخمة، لكن لا بد من ذلك. يا لسمو هذه الحياة! لا يمكنني حتى أن أتصور تنفيذ ذلك، بينما هو يطالب بذلك!

كي يتغلب المرء على الرغبة في نيل مديح الناس، لا بد وأن يولي عنايته باكتساب سمعة سيئة، فلا مفر من بعض الجنون. أردت أن أفعل ذلك صباح اليوم بالقول أن لا شأن لي بما أكله الحريق، لكني لم أستطع، وقمت بالعكس؛ أي أني تباهيت.

وجدت الدفتر المفقود.

سجَّلت ملاحظة بخصوص (الأب سيرجيه). إنها تشرح سبب مجيئها، وتتحدث بالهراء، أما هو فيصدق هذا الهراء لأنها جميلة. إنها مشتعلة بالرغبة.

إنه لا يفهم دافعها، بل على العكس، يشعر بالخزي من استسلامه. ينتهي الأمر بدخولها الدير. إنه ليس وسيمًا، بل يتمتع بوجه عادي الملامح، وثمة فراغات في لحيته، ولكنَّ عينيه هما ما يؤججان رغبتها.

مساء الأمس وصلت كالميكوفا. الساعة الآن الثانية. أود أن أكتب. وصلتني خمسة خطابات؛ من زونوف وفيازيمسكي وفورونوف وموتوفيلوفا ودولجوف. لا بد أن أرد عليها جميعًا.

صحَّحت في نسخة الطباعة من مقالة (لماذا يُخدِّر الناس أنفسهم؟). غفوت على الأرض. بعد الغداء خرجنا للتنزه عند سياج الأشجار. كالميكوف لا يثير انتباهي.

٧ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. سهرت بالأمس. وصلني خطاب من جي وماريا ألكسندروفنا. إنها تعيش على نحو رائع. أما جي فسعيد؛ لأنه تمكن من بيع لوحته بالفعل. بالأمس تناول ضحايا الحريق الغداء عند آل كوزمينسكي. ذهبت اليوم إليهم. لا بد من إعادة البناء. قطعت بعض الأخشاب من السياج. كنت حزينًا طوال اليوم، شاعرًا بالكآبة من حياتي الشريرة البطَّالة وحياة من حولي. أُصلِّي عدة مرات في اليوم، وهذا حسن.

فكَّرت اليوم في الآتي: إن مقولة: «لتكن إرادتك، كما في السماء كذلك على الأرض» تتعلق بالحياة المستقبلية، أي أن المقصود: ما سيحدث معي بعد الموت سيكون حسب إرادتك. فلتكن إرادتك لا إرادتي، وليكن ما تريده أنت، لا ما أريده أنا. كم يشعر المرء بالراحة حينما يقول ذلك بصدق!

بخصوص الأسئلة المتعلقة بالحياة بعد الموت، لماذا لا نعرف ماذا سوف يحدث معنا؟ إننا الآن نميل إلى إهمال هذه الحياة من أجل المستقبل، فماذا سوف يحدث إن عرفنا فعلًا ماذا سوف يحدث بعد الموت؟ لم يكن بالإمكان أن يُكشف لنا عما سيحدث بعد الموت، فإن عرفنا مثلًا أن شيئًا سيئًا في انتظارنا، سوف تزداد المعاناة، ولن نواصل الحياة هنا على الأرض، بل سنحاول الموت. لكن إن عرفنا أن ما من شيء هناك، فهذه هي الحالة الوحيدة التي يمكنها أن تجعلنا نعيش سعداء هنا على الأرض. هكذا هو الأمر في الغالب. الافتراض المرجح هنا أن ما لدينا من وسائل الفكر والحديث لا يمكنه التعبير عن هذه الحياة.

فكَّرت كذلك فيما يتعلق بذلك الجزء من الصلاة: «واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا»، وكذلك نهاية الإصحاح الثامن عشر من إنجيل متى: «فَهكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرُكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لأَخِيهِ زَلاَتِهِ». ما مضمون هذين الموضعين؟ المعنى هنا هو أن خطايانا لن تعيقنا عن العيش، سيُغفر لنا بقدر ما نغفر للآخرين من قلوبنا، وهذا يعني أن نحب الجميع. إن وصلت إلى الحب، فإنك قد تكون قهرت كل شيء، ولن يكون بإمكان خطاياك السالفة أن تُقيِّدك.

تضمن خطاب فاسيلي إيفانوفيتش قصة رائعة عن فلاح طيب، سأله الكاهن أثناء الاعتراف: «هل تؤمن بالله؟»، فأجابه: «لا، لا أؤمن. أنا أشرب الخمر وأدخن وأُقسِم». رائعة فعلًا. الساعة الآن الحادية عشرة. في انتظار سيريوجا وتانيا.

٨ أغسطس.

وصلوا بالأمس، ودار حوار شرير ثقيل الوطأة بين البنات وأمهن. لم أستمع إليه. كثيرًا ما أشعر بالأسف الشديد عليهم جميعًا، ولا يكون بإمكاني تقديم يد العون. استيقظت منهكًا. ستراخوف هنا. سعدت كثيرًا بحضوره، ولسبب ما أحاول الظهور أمامه. طلبت من نفسي عدم فعل ذلك. صليت على نحو جيد. كتبت خطابًا لفيازيمسكي وآخر لكينين. قطعت بعض الأخشاب. بعد الغداء أقنعوني بالخروج للتنزه معهم. وصل راخمانوف الحبُّوب. نمت على نحو سيئ.

٩ أغسطس.

بالأمس قرأت مقالات رائعة في مجلة (الحقيقة). وصلني خطاب من معلمة إسبانية وآخر من ستوكهلم مُرفق به مقالة تطالب بحظر إرسال (سوناتا كرويتزر) إلى الخارج. ذهبت لأغتسل في المياه بصحبة راخمانوف، وتحدثنا كثيرًا.

أنا في حالة سيئة، وأشعر أني مليء بالأنانية والشهوة والكبرياء الإنساني وكل هذه الدناءات. العون يا إلهي! في المساء قطعت بعض الخشب. كان من المفترض أن يصل ستاخوفيتش. سهرت.

١٠ أغسطس.

قضيت فترة الصباح مع ستراخوف وستاخوفيتش. ودَّعتهما، ثم انشغلت في كتابة المقدمة. خرجت لأتمشى. وصل روجين وروشين. أشعر بالضيق. لم أستطع التمشي. بعد الغداء جاء باستوخوف ثانية. تحدثت معه. أليخين لا يتشكل على نحو جيد، فقلبه مليء بحب مديح الناس. لا أحد من أسرتي هنا بالمنزل، فقد خرجوا جميعًا. لست في حالة جيدة، ولكني -حمدًا لله- أُصلِّي. خرجت لأقطع بعض الأخشاب. ودَّعت راخمانوف. كتبت خطابًا طويلًا لتشيرتكوف وآخر لنوفوسيلوف، وفكرت في الآتي:

الدليل على أن الحب هو الحياة، هو الله، وأن المرء إن تحرر من الإغواءات، سيكون الحب هو المفتاح، هو أن المرء عندما يتحرر عقليًّا من الإغواءات، ويجد نفسه في حالة من الحب، يتخيل معها أنه سيسامح

الآخرين ويحب حتى أعداءه دون أدنى تفريق، لن يواجه الكثير من المصاعب، وسيصبح هو نفسه إنسانًا لطيفًا.

فيما يتعلق (بالأب سيرجيه)، لا بد وأن أصف تلك الحالة الجديدة من السعادة والحرية والأمان لإنسان فقد كل شيء، ولم يعد بإمكانه أن يُعوِّل على شيء سوى الله. إنها المرة الأولى التي يشعر فيها بأنه واثق الخُطى.

الساعة الآن السابعة. سأخرج لأقطع بعض الخشب. اضطربت صوفيا من وصول روجين. أردت أن أقول لها شيئًا كي أهدِّئها، لكني لم أستطع.

في الصباح انهمكت في كتابة المقدمة، وأثقل عليَّ وصول الضيوف بشدة. حكى روشين عن عدم نجاح بيريوكوف في ما يتعلق بطائفته. من الواضح أنهم يعادوا الجميع، كما أنهم تشاحنوا فيما بينهم. سأخرج لقطع بعض الأخشاب.

١١ أغسطس.

استيقظت مبكرًا. يراودني شعور كئيب مؤلم بسبب حضور الضيوف. تحدثت مع روجين. إنهم يريدون الذهاب إلى مزرعة بولجين، ومع ذلك ما زالوا جالسين هنا، رغم أن الساعة قد وصلت الحادية عشرة. بدلًا من أقول لهم ذلك، شعرت بالغضب. أردت أن أغتسل لكني لم أفعل ذلك.

بالنسبة للأب سيرجيه: في الدير استسلم لكبرياء القداسة مع

الجنرال ورئيس الدير وسقط. في قلايته يتوب ويتعافى لحظة وصول المرأة الفاجرة.

أفكر طوال الوقت في الحب، وكيف يستحيل أن نُظهره عمدًا أو نحرره بطريقة ما. سامحني يا ألله أني أظهرته بهذه الطريقة، فهذا نابع من فريسيَّتي (يقصد من ريائه).

وصلت صوفيا. كانت تستعد للرحيل. لقد استجمعتْ شتات نفسها. كنت أشعر بالخزي والضيق والألم الشديد. عزائي الوحيد أني سمحت لهم أن يفكروا فيَّ بالسوء. أنا -والحمد لله- أحب صوفيا وأحبهم جميعًا. ودَّعتهم وكذلك باستوخوف، وعدتُ في وقت متأخر. قرأت في (القفاز)[١١٠]. جيدة. كتبت قليلًا في المقدمة، لكني أفسدت فيها أكثر مما أضفت. لا أذكر ماذا فعلت في المساء.

١٢ أغسطس.

استيقظت مبكرًا. تمشيت. أردت أن أكتب. وصل أباميليك. جلبت الخزي لنفسي على الغداء عندما تحدثت معه عن لوحة جي. قلت له أمورًا غير لطيفة. ذهبت معه إلى قرية كولبنا، حيث اشتعلت الحرائق، وبعدها ذهبنا لمكتب البريد. وجدت هناك خطابًا من ضابط قوقازي، من إنسان ينصحني أن أقرأ الإنجيل بوضوح وأن أقرأ عن المجامع الكنسية. وصلني من تولا خطابان جيدان من أمريكيين بشأن (سوناتا كرويتزر).

---

(١١٠) مسرحية للكاتب النرويجي بيورنستيارنه بيورنسون.

١٤ أغسطس.

استيقظت مبكرًا جدًّا، وتمشيت كثيرًا جدًّا قبالة حاجز الأشجار. اغتسلت، ثم عدت في الثانية عشرة. ما إن قررت أن أغفو قليلًا ثم أعمل بعدها، حتى وصل يكوبوفسكي بصحبة فتاة من بطرسبرج. إنه في طريقه إلى سمرقند. كلانا شعر بالضيق، ولم يكن ينقصني إلا وصوله! في المساء قطعت بعض الأخشاب مع ستاخوفيتش وكوزمينسكي. يُغضبني ستاخوفيتش بضعفه الشديد. لا بد وأن أتحمل هذا الاختبار. فكَّرت في الآتي:

بخصوص (الأب سيرجيه): عندما يسقط يرى وجوهًا حمراء، وجوهًا لحيمة حمراء، ويظنها شياطين.

أن تفهم يعني أن تصفح عن كل شيء. الحب يعني الفهم، والفهم يعني الصفح، والصفح يعني الحب.

يبدو الجنون أمرًا غير طبيعي، فالمثال يتلخص في العلاقة المتوازنة واللامبالاة الكاملة أمام مديح الناس وإدانتهم على السواء. لكن في عالمنا -أو على الأقل في عالمي أنا- قد ألفنا العيش من أجل الكبرياء وحده ونيل مديح الناس إلى الدرجة التي إن أردنا فيها أن نصحح هذا الوضع توجب علينا أن نُعلِّم أنفسنا أولًا تَحمُّل إدانة الناس. إن أردت أن تعدل عصا مقوسة، فما عليك سوى تقويسها من الجهة الأخرى حتى تستوي. الساعة الآن الحادية عشرة. سأشرب الشاي وأنام.

١٥ أغسطس.

ما دوَّنته بالأمس المؤرخ بتاريخ ١٤، يجب أن يُؤرَّخ بتاريخ ١٣، أما ما سأكتبه الآن فهو يوميات يوم ١٤. استيقظت في وقت متأخر جدًّا. خرجت لأغتسل. صليت وفكرت. شربت القهوة تحدثت مع صوفيا، وكانت المرة الأولى تقريبًا التي أتحدث فيها معها حديثًا قلبيًّا منذ أعوام. تحدثتْ عن الصلاة بصدق وذكاء. قالت تحديدًا إن الصلاة يجب أن تكون بخصوص أمور محددة، لا كما يقولون دون معنى: سيدي... سيدي. كنت سعيدًا جدًّا. وأثناء نزهتي الصباحية شعرت بمزيد من السعادة عندما شعرت بإمكانية أن أنسى نفسي كثيرًا بحيث لا أفكر في حياتي المستقبلية، بل أكتفي بعمل الله والمشاركة فيه.

الأرثوذكسية ليست إيمانًا أو دينًا، بل هي بمثابة نفي لكل صيغ الإيمان، حتى إنها تملأ الموضع الذي يجب ملئه بالإيمان بأكوام من القمامة.

كثيرًا ما نقول الآتي عن إنسان لا نحبه، بهدف تلطيف كراهيتنا له: إني أشفق عليه. هذا كذب. إن لم تحبه، لن تشفق عليه. إن لم تحبه حاول أن تقضي ما يحول بينك وبين الحب، لكن طالما لم تقض عليه، تجنب فعل الشر له، ولا تحاول إجبار نفسك على محبته، ولا تؤكد لنفسك أنك تشعر بالشفقة عليه. وهل عدد الضالين في روسيا أو الصين قليل؟ لماذا إذَنْ لا تشفق عليهم؟

مثلما يمكن أن تنسى نفسك في أمر ما أو في العمل؛ في حرث

الأرض مثلًا أو الحياكة أو ما شابه، لا بد كذلك أن تنسى نفسك بينما تؤدي عمل الله. لا تسأل نفسك: ما الذي سينتج عن عملي هذا؟ ما الذي سيتبقى مني بعد الموت؟ لا تفعل ذلك، بل هَبْ نفسك للعمل بحب ورغبة في أن تقوم بالأمر على صورة حسنة مثلما تفعل مع حرث الأرض أو الحياكة. هذا أسهل كثيرًا، فعمل الله هو عمل الحب الذي يتطلب منا أن نقوم به بسرور.

بدأت تصحيح خاتمة مقالة اللا مقاومة، ويبدو لي أني قُمت بعمل جيد. بالرغم من ذلك النتيجة ليست جيدة! بعد الغداء خرجت لقطع بعض الأخشاب بصحبة الأطفال. وصل آل فيلوسوفوف[١١١] ونتاشا. إنهم شديدو اللطف. عاد أفراد أسرتي في المساء، بعد أن ذهبوا لزيارة منزل رجل عجوز من ياسنايا (منزل معروض للبيع)، ثم وصلت فيرا وفاريا وليوفا، ومكثوا حتى الثانية. احتدم الجدال بين آل كوزمينسكي. صوفيا طيبة.

١٥ أغسطس.

وصلتني بالأمس بعض المقالات عن (سوناتا كرويتزر). أثار سباب نيكانور[١١٢] لي فضيحة في أمريكا. لم أكن مسرورًا بذلك. استيقظت في وقت متأخر. جاءني شاب بورجوازي من بيفان ومعه بعض القصائد، يطلب مني العون. جاء بعدها زولوتاريف الحبَّوب الهادئ الغارق دومًا في التفكير. مضيت معه لنغتسل في المياه. صليت بصعوبة.

---

(١١١) رسام ومفتش بإدارة الرسم. تزوجت ابنته صوفيا من إيليا ابن تولستوي.

(١١٢) أسقف اعتاد توجيه السباب لتولستوي وأعماله.

دار الحديث عن لوحة جي. كان يتوجب أن أكون أكثر ليونةً من ذلك، حتى لو اعتقدت أني أكذب. حاولت الكتابة، ولكني لم أستطع. ذهبت لقرية كوبلنا بسبب اندلاع حريق جديد، وهو الخامس. تغديت بالمنزل. غفوت، ثم قطعت بعض الخشب، وها قد دونت اليوميات. الساعة الآن العاشرة. سأشرب الشاي ثم أنام.

١٦ أغسطس.

استلمت خطابًا من آل تشيرتكوف. طفلهما مريض، وهما يعانيان ويتعذبان ويصارعان. استيقظت في وقت متأخر، وخرجت لأغتسل بصحبة زولوتاريف. حاولت الكتابة ولكن دون جدوى. غفوت بعد الغداء. وصل بارينيفو[١١٣]. أمر مريع حقًّا! إنسان ليس في حاجة لي، ومع ذلك في حاجة لأن أوليه كافة عنايتي، وفي الوقت ذاته غبي وسفيه. تمشيت معه وتنزهنا طويلًا. صليت. لقد اعتقد أني أسأت إليه لأني لم أتفق معه. شعرت بالضيق. ولكن ما حدث في المنزل كان أسوأ من ذلك. انفجرت البنات ضحكًا عليه. كان سوخوتين موجودًا. نمتُ مبكرًا.

١٧ أغسطس.

استيقظت مبكرًا. وجدت ذلك الفتى من بوليجين الذي كان يقول إنه سيذهب لأخيه. لم يكن واضحًا، وأخشى أنه كاذب أيضًا، لكني كنت شريرًا تمامًا، ولم أتعامل بلطف ولم أَدْعُهُ حتى يشرب الشاي. كنت وقحًا ودنيئًا. أدركت ذلك بينما أُصلِّي. لا بد من الصلاة دائمًا. لا بد في

(١١٣) مالك اراضٍ ومؤلف من تولا.

الأساس من تذكر أن في تلك الدقائق التي أشعر فيها بالضيق يجب أن أُصلِّي وأبذل الجهود من أجل ألا أقع فريسة للإغواءات، وأتصرف بما يرضي الله. خرجت لأغتسل. الضباب شديد. لم أستطع الكتابة. ذهبت إلى القرية ثم سرت حتى سوداكوفو، واشتريت من هناك ما يلزم لتشييد منزل بيتر بوريسكين. عدت على الغداء ثم خرجت لقطع الأخشاب. جاء رودنيف. الساعة الآن التاسعة. سأتمشى ثم أشرب الشاي وأنام. أشعر أني سأنام نومًا سيئًا.

لماذا نسعد هكذا باتهام شخص ما، ونتهم الآخرين بهذا الشر والإجحاف؟ لأننا بهذا ننزع عن أنفسنا المسؤولية. بهذا يبدو لنا أننا أشرار، لا بسبب أنفسنا، بل بسبب ذنوب الآخرين.

موت طفل، مرض، فقدان شخص عزيز... جميعها مؤشرات لاعوجاجنا وسوئنا. كل هذه الأحداث الخارجية ليست إلا مظاهر، ولا شيء حقيقي فيها. الأمر الوحيد الحقيقي هو أننا نختبر في هذه الظواهر موقفنا الحقيقي منها.

بالأمس وصلني خطاب عن موت العزيز أدين بالو، واليوم وصلني خطاب مريع من تشيتشيرين. أراد أن يخبرني فيه كيف يتعامل السادة المهذبون في تامبوف مع الأقنان، فكتب لي حديثه للفلاحين في العيد بشأن الفودكا التي استمر أحد الفلاحين في الشراب منها حتى مات. أمر مريع! غرور بارد شديد، وفظاظة دنيئة، لم أكن أصدق حتى إمكانية وجودها.

١٨ أغسطس.

صباح اعتيادي. أشعر بنعاس شديد.

بخصوص (الأب سيرجيه): تفصيلة من شأنها إضفاء المزيد من الواقعية. يحاول المحامي أن يمسح ما يرتشح من أنفه أثناء الصقيع، وتفوح منه رائحة العطر مختلطة برائحة التبغ ورائحة فمه السيئة.

هذه الرواية تسحبني رويدًا رويدًا إلى أعماق أعماقها. إغواء مديح الناس والكبرياء، أي ما يخدع الإنسان كي يقمع إيمانه.

في المساء وصل إرديلي، وقضيت وقتًا مع زولوتاريف. أحضرته بنفسي. يراودني شعور رائع صوبه؛ شعور بالهدوء والود. نمت نومًا سيئًا.

١٩ أغسطس. (بيروجوفو)

فكَّرت في الآتي:

عندما نصلي قائلين: «واغفر لنا ذنوبنا.... إلخ» لا بد وأن نتذكر خطايانا وحماقاتنا جيدًا. أغضب على حماقات أبنائي بالرغم من أني تمنيت منذ زمن بعيد جيادًا، وكذلك تمنيت أن يهديني القيصر سياجًا من الأشجار يحيط بياسنايا بوليانا. ما من حدود للحماقات والدناءات من الجميع، والجميع سواء في ذلك، ومن المستحيل أن يغضب المرء من الجميع. أذكر خستي جيدًا: ما فعلته مع زوجة فيدوروف – البركة – المرآة – ما فعلته في جينيف. كان لا بد وأن أكتب ذلك. لكني لا أعرف ما إن كان سيفيد أم يضر. الفائدة معروفة، وهي أننا جميعًا سواء في السوء، ولكن

الضرر أن أشعر أن ما من شيء دنيء حقًّا. لا أعرف، سأفكر في الأمر.

الحكم: مذنب! هذا مفهوم وحشي أو تبرير للشر أو إشارة لطريق الخير. عادة ما يكون الأمر هو الأول. لا نقول: "إنه مذنب" إلا عندما نغضب من إنسان ما. إن قلنا عنه: "مذنب" فهذا لا يعني سوى أني انحرفت عن الطريق وأدركت ذلك وأني لا ينبغي أن أتعثر، وبالحكم عليه أنه مذنب أشعر أني لم أتعثر.

يتجادلون عمَّ إن كانت هناك حرية إرادة أم لا، أي هل بالإمكان أن يفعل المرء الأفضل أو الأسوأ أم لا. هذا يماثل أن نتجادل بشأن ما إن كان بإمكان مسافر قد ضل طريقه بعد عاصفة ثلجية أن يعود إليه أم لا. الأمر كله يتلخص في السير في الطريق، أما التساؤل بشأن ما إن كان من الممكن أن نسير في الطريق بعد أن ضللناه فهو سؤال أحمق. كذلك هو التساؤل بشأن ما إن كان من الممكن لإنسان أن يسير في طريق الخير ويضل أم لا. ما الحياة سوى موكب يسير في الطريق، فما موضع التساؤل هنا عن حرية الإرادة؟ لكنهم يقولون: هل يمكن لإنسان أن يضل الطريق بإرادته؟ يبدو لي أن ذلك غير ممكن. أهذا يعني إذَنْ الحتمية؟ لا على الإطلاق. يسعى الإنسان دائمًا صوب الخير، ويسير في الطريق، أما ما إن كان سيسير على الطريق أو بالقرب منه، فهذه المسألة متعلقة بالحياة نفسها، وبقوة غامضة وواقعية جدًّا في الآن ذاته. إلى أي حد يتمتع كل منا بهذه القوة؟ لا أحد يعلم. إنها قوة حرة، ويمكنها أن تنمو حد الكمال، ويمكنها أن تنخفض إلى أن تصبح عديمة الأهمية.

ستراخوف وتيميريازيف إنسانان طيبان ومحترمان، إلا أنهما يسبان، فلماذا؟ بسبب العلم، كما يفعل الفلاحون بسبب الخمر، ولذلك فعلمهما دنيء.

الكنيسة مؤسسة وظيفتها إخفاء تعاليم المسيح. إنها تولي كافة عنايتها بذلك ولا تهتم إطلاقًا بنشرها. إنهم لا يولون الأمر أي عناية حتى إنه بالرغم من تأكيدهم على أن عقيدة التثليث عقيدة أساسية، لم يبالوا إطلاقًا بمحاولة غرسها في نفوس الناس.

إن سبب ظهور بعض التعاليم الجيدة في الكنيسة، مثل تعاليم تيخون زادونسكي[١١٤]، يعود إلى أن في وسط نشر التعاليم الدنيئة التي تهدف إلى إخفاء تعاليم المسيح عن الناس، يظهر بعض الصالحين الذين يتمتعون بروح مسيحية، ويحاولون إدخال التعاليم الصالحة وسط هذه الشبكة بقدر ما يمكنهم دون أن يمزقوا شبكة التعاليم المزيفة.

خرجت في نزهة رائعة مع بناتي ووصلنا لأخي في العاشرة وكلنا سرور. كان أخي شديد القلق فشعرت بالضيق.

٢٠ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. قرأت في مسرحية إبسن (البطة البرية). ليست جيدة. سيريوجا قلق جدًّا بشأن خسائره. خرجت على متن الجواد في السادسة وحظيت بنزهة رائعة. صليت بسرور. أعتقد أن الصلاة تمنحني القوة.

---

(١١٤) كان أسقفًا وكاتبًا روحيًّا روسيًّا تمجده الكنيسة الروسية.

فعل الخير للناس فيما يتعلق بأمور مادية يشبه العناية بجسد الطفل؛ يستحيل الاستمرار دون فعل ذلك، ولكن هذا ليس أهم شيء، فبيت القصيد هو تأسيس ملكوت الله على الأرض؛ أي إقرار الحب.

صليت بسرور شديد. في المنزل أتصرف بلا مبالاة. لم أنمْ حتى الثالثة.

٢١ أغسطس.

استيقظت مبكرًا ورتَّبت غرفتي. اغتسلت، وراجعت الخاتمة، ثم قرأت في مسرحية (آل روزمير) لإبسن. لا بأس بها حتى الآن. الساعة الآن الثالثة. سأنعم ببعض الراحة.

بعد الغداء قطعت بعض الأخشاب بمفردي. أشعر بضيق شديد من عبثية الحياة.

٢٢ أغسطس.

استيقظت مبكرًا. يوم اعتيادي. الصلاة تريحني. وصلني خطاب جيد من آل تشيرتكوف. وصل روجين. كانت صوفيا مستيقظة، واستقبلته بوقار، ولكن بعد ذلك أزعجها إيليا بقوله إنه لا يمكنه أن يتناول طعامه في حضوره. تصرفت صوفيا بشكل جيد جدًّا. صحيح أنها لم تقم بما كان يتوجب عليها أن تقوم به، لكنها حاولت القيام بأفضل ما يمكنها القيام به بحب. كم قدَّرت لها هذا! كم سعدت بذلك! قالت له إنها كانت تشعر بالضيق، ولقد قبل كلامها كفلاح يسلك بطريقة مسيحية وغادر. إن الأنانية والفسق في حياتنا، بل وفي حياة الجميع، بما فيهم

الضيوف، يخيفاني فعلًا. يبدو لي أن الوضع يزداد سوءًا. لا بد وأن ينتهي الأمر قريبًا. في المساء جاء ستاخوفيتش وآل زينوفيف

فكرت بأبسط شكل ممكن في الآتي: عشية الأمس تحدثت على نحو جيد مع ألكسي ميتروفانوفيتش. حكى لي عن جدول مندليف[١١٥]، وقلت له إنه يدينه بشدة. جعلني هذا أفكر في أبسط فكرة: لسنا في حاجة لإدانة الآخرين تمامًا إن لم يكن ذلك ضروريًا من أجل عمل إلهي.

٢٣ أغسطس.

لا يزال الطقس حارًا طوال الوقت، ولا أزال أُصلِّي طوال الوقت، الأمر الذي يسعدني جدًا. كتبت بالأمس ثلاثة خطابات تافهة؛ إلى آل تشيرتكوف -جي- شخص آخر. لا تزال الجلبة قائمة، وكذلك الضيق ووحشية الحياة، والغباء ذاته، وثمة إغواءات مريعة هائلة تحيط بكل ذلك. أعتقد أن ثمة حلًا لذلك، فالوضع لا يمكن أن يستمر هكذا. نهم مريع وحياة جسدية شديدة.

إن العمل الرئيس في الحياة هو تأسيس ملكوت الله على الأرض؛ أي مملكة الحب. الوسيلة لتحقيق ذلك هي الحب أيضًا. هذه هي الحياة. الحياة هي تنفيذ ما أمرنا به الله. العناية بالنفس والحياة المنغمسة في الذاتية هي بمثابة سرقة القوى والوقت من السيد. بالإضافة إلى ذلك فهي تماثل أن يشتري موظف منزلًا صغيرًا، ويقوم بالاستيلاء على كل ما يحتاج إليه من بذور وماشية من مكان عمله لينقله إلى منزله الجديد.

---

(١١٥) ترتيب مجدول للعناصر الكيميائية، مرتبة حسب عددها الذري، والتوزيع الإلكتروني، والخواص الكيميائية المتكررة، والذي يُظهر هيكله اتجاهات دورية.

أحاول أن أتعامل بصلاح مع ستاخوفيتش وأن أربحه. بيت القصيد أن تظهر بوضوح إمكانية الاسترشاد في الحياة بالوعي القائم على ضرورة تنفيذ عمل الله.

أرسل لي تشيرتكوف مقتطفًا من خطاب قديم لي لستراخوف. لا أحد بإمكانه تفهم يومياتي أفضل منه إن وصلت إلى يده.

الساعة الآن الثالثة. سيذهب ستاخوفيتش وآل كوزمينسكي إلى الدير بأوبتينا. خرجت لأتنزه. كنت كئيبًا بلا داع على الغداء، ثم ذهبت إلى سوداكوفو بصحبة أندريوشا (الابن الثالث عشر لتولستوي) لشراء أغراض البناء. عرفت أن الأمور تعقدت بين ماشا كوزمينسكايا وإرديل، وانقلبت إلى شكل شهواني.

فكَّرت في أمر مهم جدًّا: لا بد وأن أكتب فحوى إيماني؛ ذلك الذي يؤمن به أغلب المسيحيين. سيكون عن: الآب، والمسيح المعلم والوسيط وتعاليم الحياة. لا بد أن أكتب ما أؤمن به مع كافة المسيحيين جميعًا، وما لا أؤمن به مثل التثليث ويوم الأحد والكفارة وخلافة الأساقفة للمسيح والأسرار والبابوية وآنا لي[١١٦] وما إلى ذلك. جيد جدًّا.

حتى يحيا المرء لأجل ملكوت الله؛ أي الحب، لا بد وأن يتمكن من خدمته، والأهم من ذلك أن يتمكن من ألا يتدخل في شيء ما دام أحد لم يطلب منه ذلك، وأن ينتظر بهدوء.

الساعة الآن الحادية عشرة. إرديلي يتمشى. سأذهب لشرب لشاي.

---

(١١٦) مؤسسة طائفة المرتجفين بإنجلترا.

أشعر بالضيق من الكومس والحر والأرق.

٢٦ أغسطس.

مر يومان. لا أتذكر تمامًا ماذا حدث في يوم ٢٤.

إن كافة أمراضي وزواجي وشخصية زوجتي، وكل ما يبدو لي أحيانًا شرًّا هو في حقيقة الأمر خير. الخير في كل شيء، وما من شر، فهو لا يبدو لنا سوى داخل إطار الزمن. لو لم يكن هناك زمن لما كان هناك شر. تمامًا مثلما ما من لون أسود أو قاتم في بناء أبيض، لكن الأسود يبدو فقط بسبب النظر من مسافة بعيدة. لا يبدو لنا الشر إلا من النظرة الذهنية التي يمزقها الزمن.

تذكرت أحداث يوم ٢٤. خرجت لأتمشى في الثالثة والتقيت بأورلوف. قضى معنا اليوم كله. بعد الغداء عملت بقطع الأشجار. في المسا وصل آل زينوفيف وتعالت أصوات الموسيقى. لم أسقط فريسة لإغواء الموسيقى، ولم أدعها تدغدغ مشاعري. لم يغضبني كذلك آل زينوفيف بشيء. الصلاة تساعدني. جاءني خطاب من تشيرتكوف، وكل هذا لا يحول بيني وبين الصلاة، وهو أمر جيد.

٢٥ أغسطس.

يوم تافه. وصلت أنينكوفا، وشعرت معها بالراحة. لا أهتم بنفسي كثيرًا، لكني لا أزال بعيدًا عن الاهتمام بالآخرين. جاءني خطاب من بيبيكوف، يشكو فيه من بوليجين. كتبت ردًّا سيئًا لمهندس أمريكي (بشأن سوناتا كرويتزر). في المساء عملت بقطع الخشب مع ماشا

وأنينكوفا، ونمت في وقت متأخر.

٢٦ أغسطس.

نمت نومًا سيئًا. استيقظت في وقت متأخر. خرجت لأغتسل، وفكرت في الآتي:

الإدانة الذكية تشبه مرقًا وتوابل فوق الجسد الذبيح. من دون المرق والتوابل لشعرنا بالتقزز من لحم الجسد الذبيح، لكن في وجودهما ستأكل دون أن تلتفت لشيء.

أن تحب يعني أن تنتقل إلى داخل روح شخص آخر، وتعيش رغباته. لست قادرًا على فعل ذلك. سأتعلم. لم يكن بالإمكان في البداية عزف مقطوعة موسيقية، بينما الآن يمكن قراءة النوتة الموسيقية. كيف يود المرء فعل شيء دون تدريب؟ يبدو الأمر مفهومًا كما هو مع الموسيقى. في الحب يتصرف المرء برقة، ويقترب من الآخر بطبيعته، أما في الموسيقى بإمكان البعض أن يسمع ويتذكر النغمات، والآخرون لا يمكنهم التفاعل والسماع. لهذا لا بد من التعليم لهذا وذاك. لا بد من تعلم الحب والتدريب عليه أي أن يتعلم المرء ويتدرب أن يشعر بالآخر، بينما الأمر لا يقتصر على أننا لا نتعلم ذلك، بل إننا كثيرًا ما نتعلم العكس؛ أي أننا نتعلم ألا نشعر بالآخر، وأن نقتل في نفوسنا الاهتمام بالآخرين، وذلك في العمل واللعب والصيد والحرب.

الساعة الآن الثانية. أود أن أذهب إلى بوليجين.

ذهبت إلى بوليجين، ومررت بمنزل آل بيرس (أهل صوفيا زوجته).

سيزوجون الفتاة، وهم في انتظار العريس. بوليجين شديد الحزن من رحيل بيبيكوف. عدت إلى المنزل.

٢٧ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. كان انطباعي الأول صادرًا عن فلاحين من كوتما. اتخذ القضاة في جلسة محاكمة قرارًا بسجن امرأتين بسبب تمزيق العشب. لقد أثر ذلك عليَّ بشدة. إنها عصبة من لصوص وقضاة ووزراء وقياصرة، تحطم الناس من أجل المال، وتقوم بذلك دون أدنى قدر من تأنيب الضمير. وصلتني المجلة الأناركية "القرن العشرون". ممتازة! لا بد من فعل شيء ما. ساعدني يا سيدي. لا أفارق الصلاة. خرجت لقطع الخشب مع فلاح عجوز. وصل آل ستاخوفيتش وهم يحكون القصص عن الأب أمفروسي ودير أوبتينا. الساعة الآن الخامسة. سأتغدى. لا بد من ضبط النفس. هذا اختبار. أن تحبهم وتتحملهم يعني أن تحب الحقيقة التي بداخلهم وتصونها. وصل ليوفا. وصلني خطاب من صوفيا (لا يقصد زوجته) وآخر من أمريكا، بالإضافة إلى تقريع أوبولينسكي بشأن (سوناتا كرويتزر).

قضيت المساء بأكمله مع آل ستاخوفيتش. لم أشعر فقط بالملل، بل كذلك بالخزي. من ناحية هم بعيدون عني تمامًا، ومن ناحية أخرى، حمدًا لله أني لم أفقد سيطرتي على نفسي، بالرغم من كل الهراء الذي تحدث به السيد ستاخوفيتش والآخرون. جاء ليوفا وأخبرني عن الصراع الذي يختمر الآن بين سيريوجا وإيليا. إنها المادية، وها هم رجال الثمانينيات من قرننا.

٢٨ أغسطس.

اليوم بلغت ٦٣ عامًا. شعرت بالخزي لأن ١٨٩٠ ÷ ٦٣ = ٣٠، ولأن ٢٨ عامًا قد مرت على زواجي، ولأن هذه الأرقام تبدو لي بشكل أو بآخر مهمة، وقد كنت أتطلع لحلول هذا العام وأوليه اهتمامًا خاصًّا. استيقظت في وقت متأخر. الانطباع الأول هو انطباع كئيب؛ فلاحة أتت لتجلب جوادها الذي أخذوه منها ثانية من أجل الحصول على الكومس. ومع ذلك لم أكن عادلًا، وغضبت. أخبروني بالأمس أن منزل بوليجين قد احترق. ذهبت لرؤيته. في الطريق، صليت وجلبت التواضع لنفسي جزئيًّا. الصلاة تزيدني قوة، وتكتسب طوال الوقت دلالة لا تضعف قوتها أبدًا. لم يحترق منزل بوليجين، ولكن ١٤ منزلًا احترقوا بالفعل في خاتونكا. عدتُ إلى المنزل، ولم أستطع التخلص من شعوري بالغضب من الأطفال. كنت أشعر به طوال الوقت في قلبي، كما لو أن شيئًا قد حدث بيني وبينهم. قرأت مسرحية بوجورنسون (القفاز). جيدة ومأسوية للغاية. غفوت. الساعة الآن الخامسة، وسوف أتناول غدائي.

أخبرتني ماشا كيف قال ليوفا وستاخوفيتش أن على المرء ألا يخلط بين عمل الإحسان وبين إدارة الضيعة: "في إدارة شؤون الضيعة على المرء الالتزام بقواعد العدل، أما عمل الإحسان فهو أمر مختلف". يتحدث الناس بهذه الطريقة وهم على قناعة أن حديثهم ذكي ولطيف، لكن في الحقيقة لا يعني ذلك إلا قيام المرء باختيار عشوائي لحقل يسمح فيه لنفسه بالتخلص تمامًا من كافة المشاعر الإنسانية وأن يكون متوحشًا. هكذا يتحدث الناس عن الخدمة العسكرية والانضباط والدولة.

كم يمكن أن يكتب المرء عملًا فنيًّا رائعًا عن ذلك الموضوع! وكم من الضروري فعل ذلك! كم أحب أن أقوم بذلك!

معظم المشاعر والأفكار الجيدة ليست في الحقيقة مجموعة من المشاعر والأفكار، فما يحفز فيك شيئًا طيبًا هي الشفقة أو وعيك بأنك في الجانب الخاطئ والرغبة في المساعدة، وهذه التطلعات الطيبة إما أن تتحول إلى استياء وسخط وإدانة، أو إلى مجادلات تافهة بهدف الاختيال أمام الناس بالثرثرة، وتزول قوتها دون أن تحقق شيئًا. لا يتوجب على المرء أن يدع ذلك الشعور يفر منه، بل عليه أن يحبسه كالبخار أو الماء، ولا يطلقه إلا صوب مكبس أو عجلة.

أحدهم قادم. ساعدني يا إلهي!

لقد كانت عربة البريد القادمة من تولا. وصلني خطاب مليء بالسباب من أمريكا. لماذا كتبت هذا الكلام الجارح بشأن الأطباء؟ أشعر بالحزن على أبنائي الكبار. يملؤهم القلق بخصوص المال وتنظيم شؤون حياتهم، وهم ممتلئون بالغرور والرضى الكامل عن النفس. لا أُكِنُّ لهم حبًّا كبيرًا، وليس بإمكاني أن أستدعي مزيدًا من الحب في نفسي لهم. خرجت لأتمشى حتى كوزلوفكا. اشتكت صوفيا من الأبناء.

٢٩ أغسطس.

نمت نومًا سيئًا. ذهبت إلى القرية. بالأمس بدت لي قصة ألكسي ميتروفانوفيتش عن شجارهم في العربة كما لو أنها عني. وصلت الفتاة

كوزنيتسوفا، وأرادت أن تنفق ٢٠٠ ألف روبل على الأمر[١١٧]. أعرف دون شك أن لا حاجة للمال إطلاقًا، ومع ذلك كتبت من أجلها خطابات لماريا ألكسندروفنا وجوبكينا وكالميكوفا. تحدثت مع أبنائي عن الأطباء والطب حديثًا غير لطيف. قلت: «لا، أنا أحبهم، لكنهم شديدو الوحشية».

تنزهت طويلًا واستغرقت في الصلاة. لم أفعل شيئًا طوال اليوم، فقد كانت حالتي الصحية سيئة.

وصلني خطاب من ستراخوف وكذلك مجلة *Revue de morale progressive*.

٣٠ أغسطس.

حالتي الصحية سيئة. آلام أسفل البطن. سأعيش بالكاد هذا العام أيضًا. أفكر في ذلك بهدوء تام. استغرقت الوقت في قراءة مجلة (العلم المسيحي). تضمنت الكثير من المواضع الجيدة، لكنها غامضة بشدة، مكتوبة بطيش وضعف. وصلني خطاب من ستيفنس وتقرير من مجلة (العلم المسيحي). فكَّرت بجدية شديدة في الشخصية وما تشكله من حواجز، وفي المعاناة كإشارة على توجه نشاط الروح الخاطئ. إن عشت، سأكتب عن ذلك غدًا.

٣١ أغسطس.

الساعة الآن الواحدة. في المساء ودَّعت أنينكوفا. صحَّحت الخاتمة،

---

(١١٧) ابنة تاجر غني، أرادت استخدام إرثها في الإنفاق على مساعدة الأطفال الأيتام.

وقرأت في كتاب فاسيلي سليبتسوف (كاتب روسي).

٣ سبتمبر (١ - ٣).

سأبدأ بيوم ٣ سبتمبر. استيقظت في وقت متأخر. تمشيت. لم أشرب كومس. شعرت بشعور غير طيب صوب سيريوجا، ولا يمكنني التخلص منه. كان لا بد أن أتحدث معه. ولكن ماذا أقول؟ لست قادرًا سوى على الإدانة، وهو يشعر بالرضى عن نفسه إلى أقصى حد ممكن. صليت بصعوبة، ولكن على أي حال تراودني أفكار طيبة أثناء الصلاة. فكَّرت اليوم في الآتي:

أشعر بالغضب من البلادة الأخلاقية لأبنائي باستثناء ماشا، ولكن مَن هم حقًّا؟ إن أبنائي هم نتاج لي من كل جانب؛ الجسدي والروحي على السواء. أنا مَن جعلتهم على هذه الصورة. إنهم خطاياي التي لا تفارقني. لا مفر منهم. لا بد وأن أُنِيرهم، لكني غير قادر على فعل ذلك، فأنا نفسي سيئ.

كثيرًا ما أُحدِّث نفسي قائلًا: لو لم يكن لديَّ زوجة وأطفال، لعشت حياة مقدسة. فأنا ألقي اللوم عليهم لأنهم يحولون بيني وبين تلك الحياة، فقد أصبحوا هم شخصيًّا هدفي، كما يقول الرجال. كثيرًا ما نتصرف على هذه الصورة، أي أننا نفعل الشر، ونجده ماثلًا أمامنا، يعوق طريقنا، فنقول لأنفسنا: أنا صالح، وكنت لأفعل أفعالًا صالحة لولا هذا العائق الماثل أمامي. لكن العائق في الحقيقة هو المرء نفسه.

عكفت على العمل على الخاتمة، ولكن بلا جدوى. إنها تنمو طوال

الوقت في ذهني. خرجت لأتمشى. كتبت خطابًا لفاسيلي إيفانوفيتش، وآخر لستراخوف وزولوتاريف، ووصلني خطاب من الأخير. الساعة الآن الخامسة. سأتغدى.

بالأمس، يوم ٢، استيقظت في وقت متأخر، ونمت نومًا سيئًا. قرأت وحاولت الكتابة ولكن دون جدوى. وصلت ماشا وفيرا، ووصل سيريوجا في المساء. في المساء رحلت صوفيا.

أما يوم ١ سبتمبر، فقد استيقظت مبكرًا ولم أفعل شيئًا. رحل الجميع.

بقدر ما أذكر بالنسبة ليوم ٣١ أغسطس فإني كتبت التماسًا. توقفت عن شرب الكومس. ذهبت للتنزه بعيدًا، ولم أعد إلا في المساء.

٤ سبتمبر.

استيقظت في وقت متأخر. تشيرنيجوفسكي من طبقة النبلاء، متدين، لكنه لم يخرج من إثر شباك الكنيسة، ولم يُدنها فيما يتعلق بعدم اتساقها وما إلى ذلك. تحدثت معه، ثم ذهبت إلى ضحايا الحريق بالقرية. بذلت محاولات مضنية مجددًا للكتابة في الخاتمة. لا بد من كتابتها، لكني لا أستطيع. لا بد من التحدث عن أن رجال الكنيسة ليسوا مسيحيين. ذهبت بعد ذلك لقطع الخشب وتجهيز الحطب. كنت مسرورًا. شربت بعد ذلك الكومس على الغداء وذهبت إلى كوزلوفكا. عدتُ مع الظلام.

٥ سبتمبر.

الأمر ذاته... حاولت الكتابة دون جدوى. وصلني خطاب من

أنينكوفا. الساعة الآن الثالثة. سأخرج لقطع الخشب. لم أكتب شيئًا طوال هذا الوقت. لا أعرف ما سبب ذلك.

قطعت بعض الخشب، وغفوت بعد الغداء. تنزهت مجددًا حتى وقت متأخر.

٦ سبتمبر.

يوم اعتيادي. آلام أسفل البطن وشعور باللا مبالاة. سأنام. راودتني كذلك أفكار سيئة، لكني صامد وأُصلِّي. قطعت بعض الخشب، وتنزهت حتى وقت متأخر، وأخذت خطابًا لصوفيا لأرسله من كوزلوفكا (كانت صوفيا في موسكو). الساعة الآن الحادية عشرة. سأشرب الشاي في المساء. قرأت بالأمس في رواية روسو (إميل). نعم، لقد عشت حياتي الأسرية على نحو شرير، وهذه خطية فوق كاهلي وتحيط بي. في الصباح استدعوني إلى اجتماع. ذهبت وحاولت أن أصلح بينهم. يبدو أن هذا لم يضع عبئًا.

آلمتني معدتي قليلًا، لكن الأمر ينذر بالمزيد.

١١ سبتمبر.

الساعة الآن الحادية عشرة. سأبدأ من اليوم وأعود للخلف. استيقظت اليوم في وقت متأخر وذهبت لضحايا الحريق بالقرية. كتبت خطابًا لبوبوف ثانية عن المسألة الجنسية ولم أنهه. قطعت بعض الخشب، ثم ذهبت للقاء أفراد أسرتي. عدتُ في التاسعة. وصلتني بعض الكتب من ستراخوف، وكذلك خطاب منه يخبرني بالموافقة على (سوناتا كرويتزر). بالنسبة ليوم ١٠ فالأمور ذاتها تقريبًا. أرسلت خطابًا لبوبوف،

وذهبت إلى بوليجين. تنزهت مع ماشا وتحدثت معها كثيرًا على نحو جيد. في يوم ٩ جاء دافيدوف وإيليا، وشعرت بالضيق في حضورهما. وصلني خطاب من بوبوف، وبدأت أكتب له للمرة الثامنة. جاء روجين. قطعت الكثير من الخشب. شعرت بالضيق في المنزل. لا أذكر ماذا حدث في يوم ٧.

في يوم ٩ فكَّرت في الآتي: يشعر الناس بحاجتهم إلى الصلاة إبان الاضطراب. أُصلِّي باتضاع؛ أي أحب التواضع وأرغب فيه، وأُصلِّي بإذعان لإرادة الله، لكني لا أعرف كيف يجب أن أخدم الله، وعبثًا أحاول تخيل ذلك. أصلي كذلك بحب، أي يجب أن يعامل المرء الآخرين كما يحب أن يعاملوه، بحيث لا يخرق قانون الحب على أقل تقدير.

كثيرًا ما نتصور أن أعلى درجة من درجات الفضيلة والسرور هي أعلى درجات القوة والبهجة. الأمر على النقيض من ذلك، فأعلى درجات الفضيلة تتحقق عندما يختبر المرء قدرًا شديدًا من الضعف، وأعلى درجة من السرور تتحقق عندما يختبر المرء قدرًا كبيرًا من الهدوء لا البهجة.

في يوم ١٠ فكَّرت في الآتي: يتطلب العمل من أجل تأسيس ملكوت الله على الأرض؛ أي ملكوت الحب، في هذه الحياة، أن نكون مثل الماء - كما يقول لاو تسو - أي أن نتدفق حسبما يسير التيار.

الحياة تمر وستمر، سواء أردنا أم لم نُرِد، فمن الأفضل إذَنْ أن تمر في خدمة الله.

وصلني خطاب من تشيرتكوف وآخر من بوبوف، ولا بد أن أجيب عن الخطابين.

١٢ سبتمبر.

حالتي الصحية سيئة، وليست لديَّ أي طاقة عقلية. بالأمس خرجت لأغتسل في الحمام العام.

١٢ سبتمبر.

في الصباح ذهبت إلى القرية. فِيكلا تُغرقني بالمديح[١١٨]. قطعت الأخشاب مع ماشا وأنهكت جدًّا. حاولت كتابة بعض الخطابات، لكني لم أنتهِ منها. قرأت في كتاب كولريدج[١١٩]. وصل زينوفيف. بعد الغداء خرجت معه حتى الجسر. أشعر بحرقة في المعدة وبكآبة لا تُقاوم.

١٣ سبتمبر.

استيقظت مبكرًا، وخرجت لقطع الخشب مع ماشا. أُنهكت جدًّا. مكثت بالمنزل، وسرعان ما شعرت بالوهن. كنت حزينًا، وشعرت بالحزن لكوني حزينًا. لو كنت قد تذكرت التواضع والطاعة والحب لما شعرت بهذا الحزن. شعرت طوال الصباح بالألم أسفل معدتي. قرأت في كتاب كولريدج. بالنسبة لي أجد أنه كاتب مرهف ودقيق وواضح، لكنه للأسف يكتب بخنوع حينما يتطرق الحديث إلى الكنيسة الإنجليزية والكفارة وما إلى ذلك. اليوم وصلني خطاب من أمريكا يضم مقتطفات من الجريدة تتضمن سُباب الأسقف تيكيريسكي لي. أنا في حالة سيئة للغاية حتى إني شعرت بالألم.

---

(١١٨) فلاحة من ياسنايا، وربما تمدح تولستوي بسبب مساعدته للفلاحين ضحايا الحريق.

(١١٩) صامويل تايلر كولريدج: شاعر إنكليزي وناقد ومشتغل بالفلسفة.

الجميع يتحدثون عن إرسال قوات عسكرية إلى الحدود البروسية وعن الحرب، لذا فقد فكَّرت بالأمس في أن الحرب ليست مريعة حينما يفكر المرء في وحشين متعطشين للدماء يوشكان على محاربة بعضهما، وأنهما إن قتل كل منهما الآخر فكل ما سيحدث هو أن أعداد هذه الوحوش ستقل، وهذا ما قلته. كم هاجموني على ذلك! لكن الأمر كذلك. كي يُعبِّر المرء عن ذلك بدقة عليه أن يقول: لسوء الحظ لا يتعلم البشر إلا من التجربة، وهم في حاجة لاختبار كارثية الحرب. هذا من ناحية، ولكن من ناحية أخرى، هؤلاء البشر القادرون على قتل الآخرين بمجرد صدور أمر لهم بفعل ذلك، لا يستحقون الشفقة بقدر ما يستحقها العقلاء من الناس، وفي هذا بعض العزاء.

بالأمس جاءني الشاب روتشينكو، وهو صديق دولنير. إنه ذاهب إلى أليخين. تحدثت معه لبعض الوقت. إنه صارم تجاه دولنير.

بالأمس فكَّرت في الآتي: أتمشى عبر القرية وأرى فلاحين كثيرين يحرثون الأرض. كل منهم يحرث من أجل زرع البطاطس، وكل منهم يُعرِّش سطح منزله. يا لكم هذا العمل غير الضروري! ماذا لو تشارك الجميع في العمل والناتج؟ لن يكون الأمر صعبًا، فالنمل والنحل يعملان بهذه الطريقة. ولكن في الحقيقة الأمر صعب جدًّا، فالإنسان بعيد جدًّا عن فعل ذلك تحديدًا لأنه مخلوق واعٍ وعاقل. على الإنسان أن يعمل بوعي ما تقوم به الحيوانات دون وعي. فقبل أن يصل إلى مستوى الحياة المشتركة للنمل والنحل لا بد أن يحاول أولًا أن يصل بوعي إلى مرحلة الماشية التي لا يزال بعيدًا عنها تمامًا؛ وأقصد ألا يقاتل بني جنسه بسبب

حماقات، وألا يُفرِط في تناول الطعام وألا يزني، ومن ثم يمكنه حينها أن يهدف عن وعي إلى حياة مشتركة مثل حياة النمل والنحل. في البداية يبدأ بالأسرة ثم الطائفة ثم الدولة ثم الإنسانية جمعاء ثم كل ما هو حي ثم العالم كله كما هو الأمر مع الله.

بالأمس تحدثت مع روتشينكو الذي حكي لي عن جداله مع دولنير بشأن مكافأة فعل الخير. يبدو أن دولنير قد أكد على أن مَن يعاني لا بد وأن ينال مكافأة، وذكر روتشينكو مَثَل العاملين في الكرم(١٢٠). خطر على ذهني أن المرء لا يمكن أن يُكافأ على فعل الخير؛ لأن ليس ثمة انقطاعات في الحياة، (موت البشر لا يعتبر انقطاع إلا لأولئك من لا زالوا على الأرض، ولكنه لا يعتبر كذلك بالنسبة لمن ماتوا فعلًا) فلن يكون هناك زمن من الأساس حتى نحسب متى يمكن أن ننال مكافأة أو جزاءً.

استمريت طوال اليوم في لعب الورق بمفردي وفي الصلاة. حالتي الصحية سيئة. أشعر بالضعف. الساعة الآن الحادية عشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي.

١٤ سبتمبر.

ما زلت في حالة كئيبة. لم أستطع العمل. عمل بافل بوريسكين وألكسي على وضع الفخاخ للطيور التي تتغذى على أشجار الكرز الصغيرة. عاونتهم قليلًا. واصلت القراءة في كتاب كوليريدج. ثمة مواضع كثيرة فيه ممتازة، لكنه يعاني من ذلك المرض الإنجليزي. من

(١٢٠) راجع إنجيل متى ٢٠: ١ - ١٦.

الواضح أن بإمكانه أن يفكر بوضوح وحرية وقوة، لكن فور أن يتطرق الحديث إلى أي شيء يتمتع باحترام واسع في إنجلترا حتى يتحول إلى سوفسطائي دون أن يلاحظ ذلك. قرأت من الكتاب للبنات. تمشيت بعد الغداء. وصل سيريوجا. في المساء كنت حزينًا جدًّا لسبب غير واضح.

١٥ سبتمبر.

كل شيء كالمعتاد. لم أحاول الكتابة. أخبروني في الصباح أن بافل قد مات. استلقى في حظيرة ألكسي فوق القس المتعفن ومات. لعبت الورق بمفردي. أود أن أكتب شيئًا أستشهد فيه بقول المسيح: «جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟» لوقا ١٢ : [١٢١]٤٩. الساعة الآن الثامنة. سأصعد إلى الطابق العلوي.

١٦ سبتمبر.

بالأمس دارت الأحاديث مع سيريوجا عن تانيا والبنات. إنه صارم للغاية. في الصباح قرأت في كتاب هاوزارث (لاهوتي ألماني). يا لمقدار العمل المطلوب، ويا لقلة ما نعرفه! إن الطريقة العلمية هي طريقة لقتل كل حي. ذهبت إلى المرحوم وودَّعت سيريوجا، ثم ذهبت إلى كوزلوفكا. وصلني خطاب لطيف من أمريكا. في المساء خرجت لأتنزه. سقط جواد من أحد الفلاحين وأخذ يتخبط، فأسرعت صوبه وساعدت الفلاح. نسيت أن أذكر أني استطعت أخيرًا في الصباح أن أكتب خطابًا لبوبوف. في المساء وصل إيليا بصحبة ج. سالوميرسكي.

---

(١٢١) تصدرت هذه الآية الفصل التاسع من رائعته (ملكوت الله بداخلكم).

١٧ سبتمبر.

ذهبت إلى القرية، وعملت بقطع الأخشاب مع أندريان. كتبت خطابين؛ لتشيرتكوف وبيريوكوف. قرأت في كتاب هاوزراث عن الفريسيين والصدوقيين[١٢٢]. من الضروري للخاتمة أن أوضح أن المسيحيين دائمًا ما توجب أن يُضطهدوا طبقًا لكلمات المسيح، فكافة المسيحيين لا بد وأنهم قد تعرضوا للاضطهاد، ولكن لم يكن كافة المضطَّهدين مسيحيين. جاءني خطاب محزن من ليوفا. لا يستطيع العيش من دون خادم. يا لها من بلادة أخلاقية عجيبة! في المساء اشتركنا جميعًا في القراءة.

١٨ سبتمبر.

يوم اعتيادي. قرأت، ووصلتني خطابات غير مهمة.

١٩ سبتمبر.

صحتي ليست بخير. قرأت وقطعت الخشب. جاء روجين وخرجت للقائه. كم يبدو الفلاحون بعيدين تمامًا عن تعاليم الحقيقة! إنهم غارقون في اهتماماتهم وعاداتهم، ولكن مَن هو القريب من تعاليم الحقيقة؟ إنه ذلك مَن يقوده أبونا السماوي إليها. هذا سر غامض! قرأت كتاب دي برينسي (كاتب فرنسي بروتستنتي). يا للتفاهة! بلا قيمة. وصلني خطاب من زولوتاريف. قرأت في كتاب دي برينسي مديحًا للإنجيل لأنه ملائم

(١٢٢) طائفتان من رجال الدين اليهودي جرى ذكرهما في الإنجيل، وهاجم المسيح الفريسيين ووصفهم بالرياء، بينما عمل الصدوقيون على صلبه طبقًا للرواية الإنجيلية.

للجماهير. هذه حقيقة لأنه يتحدث عن الحب. لقد نسيت التفكير في الحب...

إن كافة أفعالي تنحصر في ثلاثة مجالات؛ الأول هو ذلك الذي لا أريد أن أقوم فيه ببعض الأفعال، ولا يمكنني فعل ما لا أريده، ولا ما أريده. مثال على ذلك: لا أريد أن أتشاجر مع الناس ولا أن أقتل الحيوانات، ولا يمكنني فعل ذلك. أريد أن أجيب بشأن كل إعلان أو مطالبة ولا يمكنني فعل ذلك. المجال الثاني هو الذي يقول عنه بولس: أريد أن أفعل الخير، لكني أفعل الشر[١٢٣]، أي أني لا أريد فعل شيء وبإمكاني فعله، وأريد فعل شيء ولست أستطيع فعله. مثال على ذلك: عدم الانغماس في الشهوات والقيام بالأفعال من أجل الله لا الناس. المجال الثالث هو ذلك الذي لا أمنع فيه نفسي عن شيء ولا آمرها بشيء، وأقوم فيه بكل ما يخطر على بالي. المجال الثاني هو مجال الحياة. أندفع داخله وأُنحّي بعض الأفعال التي كانت بمثابة موضوعات للصراع إلى فئة الأفعال التي لا يمكنني فعلها من الأساس، وأدرج فيها أفعالًا جيدة من المجال الثالث؛ أفعالًا لم أكن أبالي بها قبلًا، لكني أريد فعلها الآن، وأقوم ببعضها فعلًا والبعض الآخر لا أقوم بها. المجال الأوسط إذَنْ هو مجال الحياة الذي يتحرك المرء دومًا داخل إطاره، ويزداد فيه حكمة بالعقل والخبرة، ويضعف الجسد ويود لو لا يرغب في شيء على الإطلاق وأن يُنحّي ما كان يتعارك بسببه ليتراجع إلى فئة

(١٢٣) «لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ». رومية ٧: ١٩.

الأمور غير الممكنة. إن أراد المرء ذلك، وابتُلعت حياته كاملةً داخل هذه الرغبة، ستتحول الحياة إلى فرح لا نهاية له.

الساعة الآن الثانية عشرة. أود لو أكتب في كل مساء في رواية عن الغنيمة الكبرى.

٢١ سبتمبر.

صباح اعتيادي. جاء روجين. قررت أن أذهب معه إلى ألكسي ميتروفانوفيتش بتولا سيرًا على الأقدام لأرى التمثال الذي نحته. وصلت هناك بخير، لكني أُنهكت. لم أجد دافيدوف. تركتْ فيَّ والدة ألكسي ميتروفانوفيتش انطباعًا جيدًا. عدتُ بالقطار. كلما قل الاحتياج إلى الدنيويات التي تشتت المرء، والعناية بالشهوات، امتلأت الروح بالحياة الروحية. هذا ما أراه في ماشا. وصلني خطاب من ليوفا يخبرني أنه سوف يعيش عند آل ناجورنوفي. أنا سعيد للغاية وإلا فما استطعت إخفاء سخطي.

٢١ سبتمبر.

يوم اعتيادي. في الصباح كتبت في الخاتمة. لا بأس بها، لكنها مترهلة. بعدها قرأت قليلًا. في المساء وصل سيريوجا ولفوف. كتبت وتنزهت. سأنام.

ما يمنحنا إياه العلم الآن ليس إلا إشارة إلى كم يمكن أن يقوم الإنسان بالكثير، وكم من الأمور لا تزال أمامه في المجال المادي، لكن المزيد في انتظاره في المجال الروحي؛ أي الحب.

أشعر بالحزن. أصلي، وهذا يزيدني قوة. الساعة الآن الثانية عشرة.

٢٢ سبتمبر.

نمت قليلًا، لكني استيقظت بذهن صافٍ. وصل جي. بعد أن قمت بنزهة وتحدثت معه ومع تانيا، عكفت على العمل. في البداية صحَّحت البيان ومقدمتي لكتاب بالو. أود أن أترك الخاتمة القديمة، وأن أكتب بشكل منفرد عن فكرة أن رجال الكنيسة ليسوا مسيحيين.

بينما كنت أتحدث مع تانيا خطرت على ذهني فكرة أن العالم صامد وقد وصل إلى ما وصل إليه، على الأقل بسبب شخصيات معروفة وأخرى غير معروفة من حكماء وقديسين. ربما هناك الكثير من المسيحيين الحقيقيين، بل أفضل حتى مما نعتقد. من الممكن أن تكون لدينا قصة جيدة عن مسيح غير معروف. فكَّرت كذلك في مخزن المؤن هذا وتلك الورشة. هذا مخزن حيث تُخزَّن المواد، أما الآخر فورشة فنية حيث يأخذون بعض المواد إليها من المخزن الأول، ويعملون عليها. ثمة مخزن ثالث يضعون فيه الأعمال النهائية. لا يربح المرء الكثير فورًا، ولكن بحسب قوة المادة، فمنها ما يفسد وما يذوي وما لا يعمل جيدًا. من المهم كذلك العمل على هذه المواد التي تم نقلها لورشة العمل، وأخيرًا من المهم عدم تضييع الوقت في الإعجاب بالعمل الذي تم إنجازه واعتقاد أنه عمل لا يُضاهى. إن الفارق بين الناس يتلخص في علاقاتهم بهذه الأمور، والفارق الأهم الذي يدين الجميع بعضهم أغلب الوقت بسببه هو أن لدى كل إنسان بعض ما يأخذه إلى الورشة الفنية للعمل عليه. عندما تدينه على عدم فعله لما هو في حاجة إلى فعله، فأنت لا تلاحظ ما نقله إلى ورشة العمل، ولا يمكن أن يخرج هذا الشيء إلا

بعد أن ينتهي العمل عليه تمامًا.

حِكت قليلًا ودون تركيز. أشعر بحرقة في المعدة. الساعة الآن العاشرة. سأكتب لليوفا خطابًا ثم أصعد إلى الطابق العلوي.

٤ أكتوبر.

قد يحدث أن أخمن صوابًا ما سيحدث. لا أذكر أحداث يوم ٢٣ سبتمبر، لكن أذكر أني مرضت بشدة في مساء يوم ٢٤ وطرأتْ عليَّ من يومها وحتى اليوم تغييرات كثيرة. الأمور ذاتها اليوم. نشاط الفكر أمر مستحيل مع المعاناة والألم الشديد. بالكاد استطعت أن أُصلِّي، ولكن الأفكار تسير في طريق مسدود.

لا أعرف هل كان هذا بسبب عدم حذري أم كان من المحتم أن يحدث ذلك، لكني تناولت بعض البسكويت، ومن ثم فبعد أن كان الألم قد توقف، عاد بضراوة تلك المرة.

اليوم ٤ أكتوبر. حالتي أفضل، لكني صممت ألا أكل شيئًا، وأشعر بالضعف. آل مامونوف هنا، وكذلك ل.إ منجدين وميشا أولسوفيف. اليوم عيد ميلاد تانيا. قرأت اليوم في كتاب الأب مامونوف عن أنصار النزعة السلافية. مقالة رائعة! ثم قرأت في كتاب دي بروي عن قسطنطين، وهو الكتاب الذي أحضره ليوفا. كتاب مفيد جدًّا. سوف أستنسخ منه بعض المقتطفات. ثم قرأت في كتاب إيفانتسوف (هرطقات وانشقاقات القرون الثلاثة الأولى). ثرثرة علمية! ثم قرأت في رواية بيورسون (في طريق الرب) التي أُرسِلت لي. رواية جادة

وهادفة، وتفصح بعض مواضعها عن موهبة حقيقية، لكنها في الآن ذاته خرقاء وبها مواضع كثيرة لا فائدة منها ومتفككة. لا أعرف كيف أصفها تحديدًا.

من دي بروي وإيفانتسوف إلى تاريخ الكنيسة... كل هذه القراءات تستدعي في ذهني أفكارًا أثناء مرضي:

كل ما هو حي ينمو، وهذا تحديدًا ما يميز بين الحي والميت. كذلك هو الأمر مع المعتقدات الإيمانية المتعلقة بالمسيح، فبعضها ميت لا يتحرك، وهي بالتأكيد معتقدات الكنيسة.

بيت القصيد هو أن المسيحية قد ولدت وسط العالم الوثني، وبدأ كل من العالمين في التأثير على الآخر. طبع العالم الوثني القديم أثره على المسيحية، وكذلك تركت المسيحية أثرها عليه. وبالطبع هزم ما هو شاب ما هو كهل. وقد حدث التمازج بينهما بدرجات مختلفة. أخذ العالم الوثني ينال التنوير رويدًا رويدًا من أثر المسيحية، أو يمكننا التعبير عن ذلك بالقول أن النور قد أخذ يسطع في الظلام، وهذه الحركة مستمرة حتى يومنا هذا. وفي خضم هذه الحركة المستمرة التي تُشكِّل حياة البشرية تم التوصل فجأةً إلى الأسس التي يمكن من خلالها الوصول إلى حالة تنوير حقيقية وأبدية ونهائية. تعزَّزت هذه الحالة التي حدثت إبان القرن الثالث الميلادي، حتى أنهم اعترفوا أنها مناسبة حتى بعد مرور ١٥ قرنًا. لكن جوهر المسيحية كامن تحديدًا في استمرارية حركتها صوب المثال، وبالتالي كلما ازدادت رسوخًا فقدت قدرتها على الحركة، وتوقفت عن كونها مسيحية.

كل تعليم يُشكِّل خطوة تقود إلى المرحلة التالية يمكن أن يكون مسيحيًا، ولكن ذلك لا يمكن أن ينطبق على تلك المسيحية التي توطدت أركانها كتعبير نهائي عن الحياة الأبدية. هكذا يمكن أيضًا أن تصبح الحياة المسيحية متاحة للجميع، لكن لا يمكن أن يتحقق ذلك مع حياة قد اتحدت بالسلطة وأقرت العنف.

إن البلية الرئيسة في تعاليم الكنيسة الآن هي أنهم على ثقة ساذجة بأنهم مسيحيون، في حين أن تعاليمهم المؤيدة بالعقائد الدوجمائية، وحياتهم المتأسسة على العنف تناقض المسيحية تمامًا، وهم لا يدرسون تاريخ المسيحية بأكمله إلا من ذلك المنظور الذي يعرض تطور خرافاتهم، وكل ما يعارض أقوالهم يسمونه "هرطقة".

ما هي الهرطقة؟ ببساطة شديدة ودون مزاح؛ إنها كل ما يعارض هرطقتنا.

يقول دي بروي: "كان قسطنطين مستعدًّا لاستخدام العنف من أجل الدين، لكنه لم يتوقف عن العنف أبدًا".

وفَّر قسطنطين قدرًا هائلًا من الأموال، حتى إن الأساقفة كانوا يطيرون إلى كاتدرائياتهم من فرط البهجة.

ولكن بالرغم من أن الخدمة العسكرية لم تكن ممنوعة أبدًا على المسيحيين، لكن كان هناك تحيز تلقائي ضد مهنة مؤسسة على القتل. لقد مجدوها لأن بإمكانها أن تضر المسيحية!

تم توقيع مرسوم نيقية تحت تأثير التهديد.

توصل قسطنطين إلى طريقة آلية يمكنه بها حل مسائل الإيمان.

لا يتحدث قسطنطين إلا عن الله، والمفاهيم التي يطرحها، هو وبقية الأساقفة، شديدة الجلافة، وقد أنكرها كل مَن هم في مكانة سامية مثل ترتليان وأوريجانوس وأريوس[١٢٤].

يتم الاحتفال بعيد تكريس القسطنطينية بألعاب في السيرك وطقوس مختلفة.

ذهب المسيحيون الحقيقيون إلى الأديرة، ولم يبقَ لنا إلا غير المسيحيين.

يرى دي بروي أن القضاء على المسيحية قد تم بنجاح، لكنه يقول كذلك إنها تجربة استطاعت المسيحية الكنسية احتمالها طوال ١٥ قرنًا. هذا تحديدًا أمر خاطئ.

هيبوليتوس يعتبر كاليستوس[١٢٥] مهرطقًا، وكذلك يعتبر كاليستوس هيبوليتوس، وكلاهما قديسان بحسب الكنيسة.

فُقِدت كافة كتابات الهراطقة الذين نعرفهم، وكل هذا بفعل من اتهمومهم بالهرطقة.

---

(١٢٤) ترتليان: مؤلف أمازيغي مسيحي مبكر، وأول مَن كتب كتابات مسيحية باللغة اللاتينية. أوريجانوس: كان من أبرز أوائل آباء الكنيسة المسيحية. كتاباته هامة بوصفها واحدة من أولى المحاولات الفكرية لوصف المسيحية. أريوس: مؤسس مذهب الآريوسية في الديانة المسيحية الذي يقول بأن الكلمة ليس بإله، بل بما أنه "مولود" من الله الأب فهو لا يشاركه طبيعته، بل تقوم بينهما علاقة «تبني»، تعتبره الكنيسة الرسمية مهرطقًا.

(١٢٥) هيبوليتوس: من أهم العلماء اللاهوتيين في الكنيسة المسيحية في القرن الثالث. كاليستوس الأول: هو بابا الكنيسة الكاثوليكية السادس عشر بين عامي ٢١٧ و٢٢٢.

الألوجيون[١٢٦] هم العقلانيون.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

٥ أكتوبر.

صحَّحت قليلًا وفكرت كثيرًا. أريد أن أكتب بشدة، لكن ليست لديَّ القوة. جاء سيريوجا ورحل، وتعاملت معه على نحو جيد. وصلني خطاب من أليخين. سيغادر، وقد ذهب فاينرمان بالفعل لتدبير مكان الإقامة. قرأت في جريدة *Revue*.

٦ أكتوبر.

استيقظت مبكرًا، وفكَّرت بسرور في حاجتي إلى كتابة الحقيقة بشأن ما يعتبرونه الإيمان الحقيقي؛ أي هذا الجنون الذي تم قبوله وأخذوا يكررونه: الفداء وقصة الخليقة والأسرار المقدسة والكنيسة... إلخ. لقد تخيلت الأمر بوضوح شديد لكني لم أتخيل بعد شكل صياغته. بالطبع ستكون كتابة عمل أدبي عن ذلك أقوى من أي شكل آخر. قرأت في الـ *Revue*، وأردت الكتابة ولكن بلا جدوى. أنا أفْضَل قليلًا. فكَّرت في الآتي:

في معارضته لديانات القدماء المؤسسة على القوانين الخارجية،

---

(١٢٦) اشتقيت هذه الكلمة بنفسي، وهي تعود إلى **Alogi** وهو اللفظ الذي أُطلق على مجموعة من المسيحيين انتشروا في آسيا الصغرى الذين اعتبرتهم الكنيسة الرسمية هراطقة لبعض آرائهم الدينية، خاصة عدم اعترافهم بإنجيل يوحنا. ونعتهم إبيفانيوس أسقف سلاميس بهذه اللفظة التي تشير إلى معنى النفي؛ لأنه اعتبرهم ضد المنطق والعقيدة المسيحية على السواء.

والتي لم يمكن أبدًا تنفيذها، حتى قانون يوم السبت[١٢٧]، أعطانا المسيح مثال الكمال، ويمكن دائمًا الاقتراب منه طالما وضعه الإنسان هدفًا له، أيًّا كان حاله.

إيمان المسيحي الحقيقي يتلخص في العمل لا في العقائد، فعقيدته هي العمل.

إن ضرر التعليم المجنون الذي تقدمه الكنيسة هو أنها تقوض الإيمان بالعقل، فإن صدَّق الإنسان فكرة التثليث، فبإمكانه تصديق أي شيء.

الساعة الآن العاشرة. سأتعشى وأنام.

٨ أكتوبر (٧ - ٨).

منذ صباح الأمس تراودني أفكار حيوية، وقد دوَّنت شيئًا ما، لكني لم أستطع العمل. خرجت لأتنزه. شعرت بالضعف الشديد. وصلني خطاب من زولوتاريف بشأن الأيقونات، وآخر من تشيرتكوف شديد الرقة بشأن الشخصية. مقالات هنري ديدون[١٢٨] في الـ *Revue* سفيهة وعقيمة، لا تنبض بالحياة. ولقد أصبحت هذه الأمور الغريبة سمة العصر. ليست حاجتي إلى الكتابة من أجل الكشف فقط، ولكنها كذلك إدانة تزداد قوتها أكثر فأكثر. حاولت أن أنتهي من الخاتمة أو أكتب فيها ولكن بلا جدوى.

---

(١٢٧) يوم السبت يخصصه اليهود للراحة بأمر من الرب حسب أسفارهم المقدسة، فلا يقومون بفعل أي شيء، وتوجد تعليمات محددة بخصوصه. كثيرًا ما تعمد المسيح - بحسب الروايات الإنجيلية- أن يخرق هذا القانون.

(١٢٨) واعظ شهير للدومينيكان الفرنسيين.

خرجت لأتنزه. صلَّيت. فكَّرت في الآتي:

تلك الفكرة الشائعة التي مفادها أن الطبقات العاملة لها حرية العمل أو رفضه، وحرية تعليم نفسها كي ترتقي إلى طبقة أعلى بالمجتمع، تُذكِّرني بسؤال السيدة الشابة التي قالت: إن لم يكن لدى الفلاحين خبز، فلماذا لا يأكلون الكعك؟ ليس ذلك مجرد فشل في فهم الواقع، ولكن حتى في فهم موضوع المناقشة.

عندما يكدح المرء أو يعاني، يصبح من المستحيل عليه أن يصلي، فالصلاة لا بد وأن تسبق ذلك.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي وأنتظر البريد وأنام.

٩ أكتوبر.

لا أتناول شيئًا تقريبًا، وأشعر بالضعف.

١٤ أكتوبر.

لم أُدوِّن اليوميات لستة أيام، ولا يمكنني تذكرها كاملةً. الأمر حتى لا يستحق. كنت ضعيفًا طوال الوقت ولم أدون شيئًا، رغم أني حاولت، باستثناء اليومين، بل الثلاثة الأخيرة. بالأمس كتبت في خاتمة كتاب بالو، واليوم كذلك كتبت فيها، وللمرة الأولى بشغف. يبدو أني سأكتب الآن. أول أمس جاء الطبيب بوجومولیتس، وترجمت معه مقالة ديانا[١٢٩]

(١٢٩) استلم تولستوي خطابًا من نيويورك بلا توقيع مرفق به مقالة بعنوان (ديانا: مقال نفسي وفسيولوجي عن العلاقات الجنسية بين المتزوجين).

بخصوص المسألة الجنسية. إنها مقالة رائعة. عملت عليها بالأمس، واليوم صححتها أثناء لقائي بجي. بالأمس وصلت فتاة طيبة[١٣٠]. إنها تدرك تفاهة الحياة، لكنها لا تعرف أن الحياة مستحيلة في غياب الإيمان. ماشا تلازمها أثناء فترة إقامتها بالقرية. وصلني خطاب طيب من نوفوسيلوف. لديَّ كثير من الخطابات التي عليَّ أن أرد عليها.

١٥ أكتوبر.

جاء دافيدوف بالأمس، وكان كعادته قلقًا غامضًا.

٢٣ أكتوبر.

من المرعب القول أن ثمانية أيام قد مرَّت. كان انشغالي الوحيد طوال هذه الأيام هو إعادة نَسْخ خطاب ديانا ومراجعة مقالة عن الصيد وقصة لموباسان[١٣١]. إنها قصة رائعة ترجمها ألكسي متروفانوفيتش. عدت بالأمس إلى العمل على (الأب سيرجيه). أحرزت بعض التقدم فيها. أفكر بتكاسل. لم أكتب اليوم سوى بضعة ملاحظات من أجل التذكِرة. لا يزال جي يعمل بالنحت. رحلت صوفيا اليوم لأبنائنا. من الناحية الأخلاقية أنا في مرحلة متدنية. كتبت خطابًا لتشيرتكوف وآخر لدونايف وثالث لأنينكوفا ورابع لفاسيلي إيفانوفيتش بشأن زواجه. أود أن أذهب لأحضر جلسة محاكمة[١٣٢]. صحتي في حالة مستقرة لكنها

---

(١٣٠) آنا إيليديروفنا فلاديكينكا: طبيبة من الأوساط الثورية.

(١٣١) الأولى مقالة لتشيرتكوف كتب تولستوي مقدمة لها، والثانية هي قصة **Le port** لموباسان التي اقترح تولستوي على نوفيكوف أن يترجمها للروسية، وراجعها تولستوي.

(١٣٢) يود حضور محاكمة لتفيده في كتابة رواية البعث.

تتطلب اهتمامًا كبيرًا. سأموت سريعًا.

أضفت الآتي إلى صلاتي: بخصوص البحث عن ملكوت الله وحقه: «ملكوت الله بداخلكم»، وبالنسبة لما يتعلق بالتجربة، أعتقد أن التجربة الرئيسة هي الاعتقاد أننا أصحاب الحياة التي وُهِبت لنا، وأننا أصحاب الحقل، بينما قد مُنِحنا الحياة حتى نعمل فيها، ولم يُسمح لنا بالدخول إلى الحديقة إلا لدفع الإيجار للمالك. دائمًا ما تُذهلني بساطة وحقيقة ذلك.

جاء بعض الضيوف: راتشينسكايا ودافيدوف ولفوفا. وصلني خطاب قاسٍ من كوزمينسكي. بالأمس شعرت أني فهمته، وفهمت كيف هو محاصر ووحيد وبائس. إنه محاصر لأن وظيفته تتطلب منه أن يتزوج. عندما مضى بعيدًا في أمور العمل، أصبح أكثر برودة وابتذالًا وقسوة، وكلما حاول المضي أكثر في طريق حب الناس، شعر بمزيد من الخوف والضغينة، وما من عزاء سوى وعيه بالسلطة.

غدًا سوف أكتب عن:

إننا لا نعرف ما هو موجود، بل ما لا بد أن يكون موجودًا.

تضع الرغبات أُطرًا للعقل يعمل من خلالها.

قد وُهِبنا العقل كي يعيننا في حربنا ضد الإغواء، بينما نستخدمه من أجل الوصول إلى منابع الإغواء. (لا بد من تطوير تلك الفكرة).

٢٤ أكتوبر.

كلما طالت حياة الإنسان، ازدادت قناعته وضوحًا بأن براهين العقل

لا يمكنها أن تُغيِّر الحياة. الناس لا يُغيِّرون حياتهم إلا عندما يُحركها شيء. الشعور والرغبات والثمار والتفكير فيما هو خيِّر يحفز نشاط الفكر، وحينها يمكن للفكر أو النشاط العقلي أن يُرشد سير الحياة. لكن بيت القصيد هو أن نشاط الفكر، إن لم يكن مرتبطًا بالتوجه صوب الخير، فإنه لا ينتج سوى ما هو خارجي، ولا يربطه شيء بالأفعال أو الحياة. لا يزال تعبيري عن الفكرة غير واضح. سأحاول أن أوضح أكثر في مرة أخرى.

لم نُوهب العقل إلا ليعيننا في النضال ضد الإغواءات، ولدينا ثلاثة أنواع منها: الأول: إغواء الشهوات مثل الكبرياء والكراهية. الثاني: إغواءات ناتجة عن فقدان الطُّهر والتواضع والحب. وحده العقل ما يمنحنا سلاحًا للنضال ضد إغواء الشهوات، بالتحكم في تلك الظروف التي تعاون الإغواء: «إن أعثرتك عينك.. يدك...»[١٣٣]. كذلك يمنحنا العقل سلاحًا ضد إغواءات الكبرياء بأن يجعلنا نقوم بأفعالنا بعيدًا عن أعين الناس، وأن نختبر أنفسنا عندما نقوم بأفعال قد تتسبب في إحداث سوء فهم وتجلب لنا إدانة الناس. أما فيما يقدمه العقل للنضال ضد إغواء الكراهية، فهو يُمكِّننا من قمع الأفكار الشريرة بداخلنا. لا يمكن لشيء أن يمنحنا ذلك سوى العقل. ولكن ما نفعله بالعقل أمر مقزز حقًّا، فنحن نستخدمه من أجل أن نشعر بالرضى عن شهواتنا وكبريائنا وضغينتنا.

---

(١٣٣) فَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ أَوْ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ الا بديَّةٍ وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلاَنِ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي جَهَنَّمِ النَّارِ وَلَكَ عَيْنَانِ. (متى ١٨: ٨ - ٩)

إن جوهر المسيحية يتلخص في أن حياتنا ليست ملكًا لنا، كما أن الحديقة ليست ملكًا لأولئك المسموح لهم بالدخول فيها لكنها ملكًا للسيد؛ لله، وقد سلَّمنها إياها كي ندفع من أجلها بما نبذله من عمل من أجله، وكذلك منحنا الله القوة في الحياة كي نخدمه وننفذ إرادته، فهو من أرسلنا إليها، وكي نتم عمله. إن عمله وإرادته يتلخصان في أن يتحد الجميع بالحب. كي يحدث ذلك لا بد أولًا أن نتجنب الإغواءات.

في الصباح راجعت وكتبت قصص موباسان وأنا في انتظار جي. لم أستطع الكتابة بعد ذلك. في المساء قرأت مع البنات في كتاب تاريخ الكنائس. لا أذكر ما إن كنت قد سجَّلت ذلك سابقًا أم لا: «لا يمكننا أن نعرف أي شيء عما هو كائن، لكن يمكننا يقينًا أن نعرف ما يجب أن يكون». لدينا أنوع كثيرة مختلفة من المعرفة، لكن النوع الأهم والأكثر موثوقية هي المعرفة المتعلقة بسؤال: كيف يجب أن نعيش؟ لكن هذا النوع من المعرفة تحديدًا مُحتقر، ويعتبرونه غير مهم ولا يتمتع بأدنى موثوقية.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام. أنا حزين. أمر واحد يبعث في قلبي السرور؛ ألا وهو أني أشعر في قلبي بأفضل مشاعر حب ممكنة صوب صوفيا. لقد بدأت لتوي الآن في تبين ملامح شخصيتها.

٢٥ أكتوبر.

كتبت في الصباح عن «اللا مقاومة» على نحو جيد. في البداية لم أكتب بل انخرطت في التصحيح، ثم صحَّحت في ترجمة قصص موباسان. تنزهت كثيرًا في الغابات. في المساء قرأت مع البنات. وصل ليوفا.

٢٦ أكتوبر.

استيقظت مبكرًا. راجعت ترجمة موباسان مجددًا، ولم أنجح في كتابة شيء. كنت مخطئًا في إغداق الثناء عليه أول أمس. كل هذا القلق والاضطراب والجلبة والضيق يبعث في قلبي الكآبة. بشكل عام روحي المعنوية منخفضة. أنا سعيد لوجودي مع ليوفا. إنه يناضل ضد شهوات الجسد، ويبدو أنه على عتبات الاستسلام. في المساء قرأت في مسرحية بيسميسكي[١٣٤] (نصيب مر). ليست جيدة.

نعم، سيكون من الجيد أن أوضح تعاليم المسيح كما أفهمها الآن.

٣١ أكتوبر.

لم أُدوِّن شيئًا منذ ثلاثة أيام. اليوم ٣١ أكتوبر. استيقظت اليوم مبكرًا قبل السابعة، وهذا ما فعلته كذلك في الأيام السابقة، وخرجت لأتنزه. الصلاة تواصل تدعيمي وتُمكِّنني من الاستمرار. تراودني أفكار جديدة، تارة تتعقد وتارة أخرى تزداد وضوحًا. بعد ذلك كتبت قليلًا. الدفاتر الآن في عُهدة ماشا، مُغلق عليها، لذا لم أجد أمامي سوى العمل على (الأب سيرجيه) من البداية. صحَّحت قليلًا، ولكن أهم ما حدث هو أن تبلورت بعض الأفكار داخل ذهني. يجب أن أحكي كل ما يعتمر في قلبه: لماذا وكيف أصبح راهبًا؟ كبرياء عظيم (كوزمينسكي وأوروسوف) وطموح واحتياج إلى أن يكون بلا لوم. غفوت ثم خرجت لأتنزه ثم صليت

---

(١٣٤) روائي ومسرحي روسي كان شهيرًا في أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر، ولكن عانت سمعته من انخفاض مذهل بعد سقوطه مع مجلة سوفريمينيك في أوائل ستينيات القرن التاسع عشر.

مجددًا. أمليت خطابًا على تانيا وقرأت في كتاب (عادات الشرب)[١٣٥]، والساعة الآن الثامنة.

بالأمس استيقظت مبكرًا، ونجحت في العمل. كتبت كثيرًا وعلى نحو جيد في الخاتمة، ثم ذهبت إلى تولا. لم أجد دافيدوف، وفوَّت جلسة المحاكمة. عرجت على مكتب البريد ثم عدت على الغداء. وصلتني خطابات من أمريكا، من ناثان دويل (ناقد ومترجم لأعمال تولستوي) وخطاب آخر رائع من امرأة ترأس مجلة ألفا. كتبت لي أن عليَّ أن أكتب عن الأطفال وفكرة إرثهم من الوالدين، وكيف يتعاملون مع هذا الإرث. وصلني كذلك خطاب من تشيرتكوف وجايديبيروف. طُبِعت مقالة ديانا. يراودني حيالها شعور غريب بعض الشيء، وهذا أمر دنيء. إن هذا يُدلِّل على أني لا أعمل ما أعمله من أجل الآخرين بصورة كاملة.

٢٩ أكتوبر.

بقدر ما أذكر، فإني عملت على قصة موباسان المترجمة. كتبت كثيرًا. في يوم ٢٨ كتبت قليلًا. وصل سيريوجا ورحل بصحبة جي.

عجيبة هي عبارة: «ملكوت الله بداخلكم». إنها تشير إلى أن الملكوت داخل نطاق سلطاننا، وأن الظرف الخارجي لا يعني شيئًا. إنها ليست إلا مسألة وقت. فكَّرت كذلك في أن ما يبدو بسيطًا ومعروفًا للجميع حتى إننا نخجل من كتابته أو التحدث عنه، يبدو لي جديدًا بشكل مدهش وباعثًا على السرور؛ أقصد تحديدًا أن الحيوان يسعى دائمًا إلى

---

(١٣٥) Trinksitten كتاب ألماني للعالم سويسري فوريل، أوصى تولستوي بترجمته.

المتعة. عندما يرغب المرء في الدخول فإنه يدفع الباب مباشرة. لذا وُهِب الإنسان العقل كي يدفع الباب مباشرة إن أراد الدخول. أما البحث عن المتعة فيتطلب العمل. يعلم الإنسان جيدًا أنه ليس في حاجة سوى إلى تذكر لحظات الفرح، وأن أفضل وسيلة لنيل الإشباع هي الوعي بعمل الخير الكامل. إن أفضل المتع هي الوعي بعمل الخير الكامل، والأمر لا يتعلق بالفعل نفسه بقدر ما يتعلق بالوعي بكيفية قضاء الوقت على نحو جيد؛ كل ساعة ويوم وعام.

ما الذي يمنحنا هذه الفرحة؟ إنه العمل من أجل الآخرين. السعي إلى المتعة يمنحنا دومًا وعيًا بما هو خاطئ، أما العمل من أجل الآخرين يمنحنا السرور دومًا. لدى الأغنياء متع مختلفة، وكذلك بإمكانهم بعد أن يختبروها بوعي أن يتحرروا منها، أما الفقراء فقد اعتادوا العمل من أجل الآخرين. يعتاد الصبي الفلاح على العمل من أجل الناس طوال حياته، بينما الأمر على النقيض من ذلك مع الغني.

صلاة: «أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك». الله محبة. «وقد عرفنا حبه لنا وتيقنا منه. الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله، والله فيه».

«الله لم ينظره أحد قط. إن أحب بعضنا بعضا فالله يثبت فينا و محبته قد تكملت فينا». «فلتأت ملكوتك». ملكوت الله بداخلنا. «لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض». «فلتكن لا إرادتي بل إرادتك. خبزنا كفافنا، أعطنا اليوم». أعطني خبز الحياة. «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأن أتمم عمله». إن عمله ليس سطحيًا، وكي

نعمل مثله لا بد أن نتعلم منه أن نكون ودعاء ومتواضعي القلب، كي نجد الهدوء لأرواحنا، فـ «نيري هين، وحملي خفيف». على المرء أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعه كل يوم. على المرء ألا يضع شيئًا في اعتباره، بل ينكر نفسه في كل يوم وكل ساعة ويتبعه بوداعة واتضاع قلب حيثما يذهب. «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا». «إِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ». في الحقيقة كيف أريد أن أتحرر من خطاياي بينما لا أريد تحرير الآخرين من قيود خطاياهم في حقي؟ لن أنال حريتي إلا عندما أغفر للجميع وأحبهم. وحده مثل هذا الحب هو ما يمكنه تحريري من عواقب خطاياي. «لا تُدخلنا في تجربة»(١٣٦).

ثمة ثلاث أنواع من الإغواءات: ضد الطهر والتواضع والحب. (لا بد من قطع يدي إن أعثرتني) (متى ١٨ : ٨) وهذه الآية تعني أن على المرء أن يفارق حالا تلك الظروف التي تؤجج الشهوة بداخله. هذا الفعل تحديدًا هو سمة الإنسان، وما يُميِّزه عن الحيوان، ولم يُوهب العقل إلا لذلك. بالنسبة للإغواءات المضادة للتواضع فعلينا ألا نفعل الخير أمام الناس حتى لا نُلوِّث أنفسنا فلا نعود نعرف ما إن كنا نفعل ما نفعله من أجل الله أم الناس. لا بد ألا نفكر في أعمالنا الخيِّرة، بل الشريرة حتى لا يُعرِّف المرء شماله ما تفعله يمينه(١٣٧). بالنسبة للإغواءات المضادة

---

(١٣٦) كل هذا المقطع الأخير يضم آيات بعينها من الأناجيل متداخلة بالإضافة إلى كلمات تولستوي ذاته، وقد أوردت الآيات بحسب ترجمتها الإنجيلية المعروفة وسط كلمات تولستوي.

(١٣٧) «وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ». متى ٦ : ٣

للحب، على المرء أن يقمع بداخله براعم الأفكار الشريرة، فمن القلب يخرج كل شر مثل: القتل والسرقة وشهادة الزور والتجديف. لا بد من الصلاة باستمرار من أجل التغلب على كافة الإغواءات. لأن لك الملك والقوة والمجد. إن كافة الخيرات في الحياة ليست لي، بل هي لك، وقد وهبتني إياها كما يعهد صاحب الحقل بحقله للفلاح. لا يجب أن أعتقد أن الحقل لي، أو أن لديَّ الحق في السيطرة عليه والاستفادة منه؛ لأني مستأجر ولا بد وأن أدفع الإيجار. علاوة على ذلك، فالإيجار هو حياتي كلها، ووعيي بأني لست لي بل لذاك مَن أرسلني، وقد وهبني الحياة كي أعمل على نموها وازدهارها. لا يمكنني تخليص حياتي إلا بخدمة من أرسلني؛ أي بأن أُهلكها.

بينما أصلي بهذه الطريقة أجدني أنسى الموت. كثيرًا ما أفكر على نحو جيد، ولكن تغيب عني فكرة الموت. هذا تفكير فارغ ضعيف. كثيرًا ما أعيش على نحو جيد، لكني أعيش دون أن أنتظر الموت، وحياة كهذه هي حياة فارغة ضعيفة. إن الحياة منحة وُهِبت كي أعمل على نموها. لا يمكن للمرء أن يفكر في الموت ويتعايش معه إلا عندما يتذكر دائمًا أن عليه القيام بأمر واحد. لا يتوجب عليه أن يكتب شيئًا أو يساعد شخصًا أو يفعل شيئًا داخل نفسه؛ بل عليه فقط أن يُنمِّي حياته، وعندما يحين موعد استردادها، يردها إلى مالكها على حال أفضل منها عندما استلمها منه. يصبح الأمر مرعبًا عندما يتصور المرء نمو حياته في علاقته بحب الناس وخدمتهم، فنمو الحياة وخدمة الناس هما أمر واحد، ولكن من زوايا نظر مختلفة.

أرسل لافلي[١٣٨] لي كتابًا جيدًا بعنوان (الترف). قرأت بعضًا منه بصحبة البنات. ماشا مريضة. سأصعد للطابق العلوي.

١ نوفمبر.

كم هي جميلة تلك الآية في رسالة يوحنا الأولى ٣: [١٣٩]١٥! «كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ". ليس الإنسان من يَلحق بالحياة الأبدية، بل العكس. وهي تظهر في الإنسان وتسكن فيه عندما يمتلئ كيانه بالحب (الله) للجميع، ويملأ الحب قلبه بالسرور.

٥ نوفمبر.

انقضت عدة أيام. كانت أيامًا جميلة مليئة بالصلاة والعمل. استيقظت اليوم في السابعة. تنزهت وصليت. صلاتي تزداد عمقًا وحيوية. بعدها كتبت في (اللا مقاومة) حتى الثانية، ثم عن الكنائس. أُنهكت بشدة، وآلمتني رأسي. ولكن يبدو أني أحيد عن الطريق. تصورت عمل الغد بوضوح في ذهني. لا بد تحديدًا من التعامل مع تعاليم المسيح كما نتعامل مع المثال المنشود. غفوت بعدها وتمشيت. اليوم تساقطت الثلوج. تغديت واسترحت. أشعر بالضعف يكتنفني. قرأت قليلًا. سأدوِّن يومياتي وأشرب الشاي. بالأمس قضيت اليوم بالطريقة ذاتها. جاء إيليا وتغدى معنا. أشعر بالبرودة صوبه. بدأت أتحدث معه عن أن ما يهم هو أمر واحد؛ ألا وهو أن يعيش المرء بصورة أفضل. إنه غير

---

(١٣٨) إميل لو فيكتور دي لافلي: اقتصادي بلجيكي، وقد أرسل لتولستوي كتابه: (الترف).

(١٣٩) كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ.

مهتم بحديثي. قرأت في المساء في منشورات مجلة ألفا. اخترت بعض المقاطع وأرسلتها في خطاب لكالميكوفا، وكتبت خطابين آخرين؛ لليوفا ولشخص آخر.

أول أمس جاء بيرجير ورايفسكي. وجادل ماشا مدافعًا عن الكنيسة الأرثوذكسية. كتبت في الصباح. في يوم ٢ جاء سيريوجا بصحبة فيرا. حذفت سطرًا. دارت الأحاديث حتى وصلت إلى أمر لا يُمس، لكنه يصلح كمادة للعمل ألا وهو المتعلق بأننا يجب أن نغفر حتى يُغفر لنا، أي أن ماضينا لن يعود حينها يثقل كاهلنا. «تعرفون الحق، والحق يحرركم». أكتب طوال الوقت في هذه اليوميات؛ لأن أحدًا لن يفهمني. كنت أقرأ في حياة برونو[١٤٠]. لقد عرض نظرته إلى العالم بشكل جيد: الوجود- النظام- التناغم، أو الروح والعقل والحب. كتاب (الابن الضال) لأخشاروموف لا بأس به.

بالنسبة لي، هذه هي الصلاة التي يجب أن تُصلى دائمًا كي لا أسقط في التجربة: تذكر أنك مُبعوث من الله، من الحب، فمنه أتيت وإليه تعود.

تذكرت كيف كنت ألعب الورق وأكسب المال، وكيف كنت أنظر إلى هذا المال وكأنه أمر طبيعي ووسيلة مشروعة لنيل المتعة. لم تراودني حتى الشكوك. لم يكن المال حينها يشكل لي أمرًا أساسيًّا، ولم يكن ثمة معنى من ورائه كما ينظر إليه الكثيرون الآن. بسبب جدال الصبي رايفسكي مع ماشا حول الكنيسة الأرثوذكسية، فكَّرت كذلك في الآتي:

---

(١٤٠) جوردانو برونو دي نولا: فيلسوف إيطالي حُكم عليه بالهرطقة من الكنيسة الكاثوليكية. كان راهبًا أيضًا في البداية، ولكنه انتقل من الدراسات اللاهوتية إلى الفلسفة فيما بعد.

كم يتوجب علينا أن نشك في الإيمان الذي تشربناه من طفولتنا بهذه الدرجة المريعة! إننا نعرف بغريزتنا أن علينا أن نعمل ونكد، أي أن ننطلق بعيدًا عن الشاطئ وندخل إلى عمق البحر.

بسبب التعليم الكاذب للكنيسة انتقل مركز ثقل الدين من مجال التعليم الأخلاقي إلى الطقوس الخارجية، وأصبح الاهتمام كله بما هو موجود فعلًا، لا بما يجب أن يكون موجودًا، في حين أن ليس بإمكاننا أن نعرف ما هو موجود، بل ما يجب أن يكون موجودًا.

طوال هذه الأيام كنت أشعر أني أسوأ حالًا، لكني على أي حال راضٍ تمامًا عن حالتي، والشكر لله على ذلك. وصلتني الأخبار حول مقتل ثلاثة من المتطوعين للخدمة العسكرية.

٧ نوفمبر.

استيقظت مبكرًا وتمشيت. الصقيع شديد. كتبت، ولكن على نحو سيئ. أحيانًا أشعر أني فقدت القوة والقدرة على التعبير عن أفكاري بقدر ما كنت أفعل في الماضي، لذا لا أشعر بالرضى عن ضعف تعبيراتي الآن، لكن لا بد أن أنتهي من ذلك. لست أشعر بالأسف. الأمور جيدة جدًّا على هذا الحال. تزيدني الصلاة قوة وطهرًا، وهذا يبعث فيَّ السرور، لكن الشكوك تقلقني. ربما لا بد وأن أكتب. ها أنا أحاول، وسوف أستمر في المحاولة كي أخدم الناس بهذه الطريقة، فأنا لا أعرف طريقة أخرى مفيدة لخدمتهم.

مساء الأمس وصلني خطاب طويل جدًّا من أليخين. إنه يدين

نفسه لوضعه شرطين للحياة وسط طائفته؛ ألا وهما: العمل والعزوبية، ويقول إنه بذلك خنق الحياة داخل الطائفة. خطاب جيد. في المساء جاء رايفسكي. لقد أسعدني بنموه الروحي. يكتب أليخين أنه لم يفعل أمرين شعر بالانجذاب صوبهما، ويود أن يعرف رأيي فيهما:

لم يكتب بيانًا بمبادئ حياته الدينية.

لم يكتب عن الفظائع التي ارتُكِبت في حق الثوار بسيبيريا.

كنت أحلم به طوال الليل وأتحدث معه. حلمت أني أجبته قائلًا إني لم أتوقف عن التفكير في الأمر، وإنه سيكون من الجيد إتمام البيان الخاص بمبادئ الحياة الدينية، بل إنه ضروري حتى يعرف إخوته في الإيمان، وكذلك أعداؤه ما الذي في انتظارهم، وكذلك هو ضروري من أجل حرق السفن التي كثيرًا ما تعيق الحركة. أما بخصوص البيان الآخر الخاص بالتنديد بالفظائع المرتكبة في سيبيريا فلا ضرورة له، فحياتنا بأكملها لا بد وأن تصير بمثابة اعتراض ضد كل شر.

٨ نوفمبر.

استيقظت مجددًا مبكرًا. لم أنمْ أكثر من خمس ساعات، لذلك أشعر بضعف ذهني. حاولت الكتابة، ولكن بلا جدوى. أشعر ببرودة شديدة. تمشيت. معدتي تؤلمني طوال الوقت. أثناء الصلاة فكرت في آية: "احمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ". أعتقد أنها تعني أننا لا يمكننا فهم عمل الله المدعوين إلى خدمته كاملًا، بالضبط كما لا يمكننا أن نجعل الجواد يفهم تمامًا إلى أين يذهب ولماذا، لكنه إن

تحلى بالوداعة والتواضع، سيشارك في إتمام عمل صاحبه، وسيكون هذا حسنًا له. نحن نعرف بصورة ضبابية أننا نعمل عمل الله، ونعرف أننا ننقل الحب، ولذلك نعرف متى ننقل شيئًا فعلًا ومتى لا ننقله. عملية النقل في حد ذاتها تبعث فينا السعادة والسرور. هكذا يبتهج الجواد عندما يسرجونه ويسمحون له بالحركة. لم أتمكن لمدة طويلة من فهم الآيات ١٦، ١٩ من الإصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى حيث يقول إننا نعرف أن الله أحبنا...[١٤١]، لكني بدأت الآن أفهم وأشعر في قلبي بالخير الذي يمنحنا الله إياه، والذي يمنحنا حياة فَرِحة خيِّرة خالدة وتنمو للأبد.

الساعة الآن الثامنة. سأصعد إلى الطابق العلوي.

١٢ نوفمبر.

مرَّت ثلاثة أيام مجددًا. استيقظت اليوم مبكرًا كالعادة، وفي حالة صحية أفضل من الأيام السابقة. تمشيت وسط الثلوج الكثيفة وصلَّيت بسرور. في المنزل انشغلت بالكتابة في كتاب (ملكوت الله بداخلكم). في البداية صحَّحت وراجعت، ووجدت أني أحرز تقدمًا ببطء شديد - إن كنت أتقدم من الأساس - لكن الأفكار صافية في ذهني. غفوت حتى موعد الغداء. قرأت مقالات حول قضايا نفسية، لكنها مليئة بالكبرياء. جاءتنا صوفيا ألكسيفنا وناتاشا وكودريافتسيفا غريبة الأطوار، لكن الأخيرة ودَّعتنا اليوم.

أمس كاليوم. تنزهت وصليت وكتبت. قرَّرت أن أكتب عملًا

---

(١٤١) وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي للهِ فِينَا. اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ - نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلًا.

منفصلًا بخصوص الكنيسة. عرجت صباحًا على آنا إلبيديروفنا. إنها تعيش في توتر. وصلني خطاب سيئ متزلف من ليسكوف، وآخر من جي. في المساء جاء رايفسكي.

كذلك كان الأمر في يوم ١٠. خرجت للقاء فيلوسوفوف. كتبت قليلًا، وشعرت أني لست بخير.

كذلك كان الأمر في يوم ٩، جلبت لي تانيا خطابات من جايديبيروف، مرفق بها مقالات تسبني، الأمر الذي أثَّر فيَّ. كم لا أزال بعيدًا عن الفرح بالإساءة في حقي كما قيل في الإنجيل! إني أفهم ذلك تمامًا بالعقل، لكني لا يزال تعلقي بالعالم أكبر من تعلقي بالله. ساعدني يا أبي. حرِّرني من هذا العالم واجعلني لا أتعلق إلا بك. قرأت مقالة في مجلة (أرينا) عن قواعد جديدة من أجل حياة الكنيسة. مقالة مثيرة للاهتمام من ناحية أنها نموذج لسوء فهمهم للمسيح.

في تلك الفترة فكَّرت في الآتي:

لم يكن من الممكن أن تتحول بعض مظاهر سوء الفهم الجسيمة إلى عقائد جامدة يأمرون الناس في قرننا هذا باتباعها إلا بسبب ادعاء الكنيسة أن ثمة فهم محدد للحقيقة هو التعبير النهائي عنها. أقصد بمظاهر سوء الفهم الجسيمة: أن ابن الله هو الله، أو أن غذاء الحياة هو القربان الذي يقدمونه في سر التناول. يرعبني مجرد التفكير في حجم الشر والفريسية وإفساد العقل الذي ينتج عن ذلك.

إن نمو الحياة؛ أي زيادة الحب، تُنتج أفعال الحب، وأفعال الحب وحدها هي ما يمكنها أن تُنمِّي الحياة.

بشأن فوج (كاتب فرنسي) وعباراته عن الحرب: إنه فقير الفكر، ويظن أنه عميق، ولا يمكنه حتى أن يخمن أن قانون التطور والارتقاء الذي يستشهد به، لن يتحقق إلا عندما يعيش، هو نفسه وكل واحد منا، بحسب طبيعته. إن لم يقم كل مخلوق بما هو محدد له من قِبل قانون الطبيعة، فكيف لهذا القانون أن يتحقق؟ يتسم الإنسان بالبحث عن الخير الذي يتفق مع متطلبات عقله.

أثناء صلاتي فكرت اليوم في الآتي: "إِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ". هذا يعني أني كما أريد أن يُغفر لي، وألا تكون لخطاياي عواقب تعذبني، لا بد ألا أعذب أحد من المخطئين إليَّ. إن لم أُزل من قلبي كافة الآثار التي تركتها فيه خطايا الآخرين في حقي، فكيف يمكن أن تزول آثار خطاياي من العالم كله؟ هذه فكرة، ولكن ثمة فكرة أخرى مفادها أني إن استطعت الغفران للآخرين وسلَّمت نفسي لحالة الغفران الكامل والتصالح مع العالم، لأمكن أن تزول كافة آثار خطاياي في العالم كله. أذكر خطاياي، تلك التي لم تُغفر لي: الثراء الذي أعيش فيه الآن، وعلاقتي بالزوجة والأطفال. عليَّ أن أغفر لهم كل شيء؛ أحكامهم الخاطئة عني والتي تسبب فيها موقفي، وعليَّ أن أغفر لزوجتي وأطفالي وأمحو كل شيء، وأتعامل معهم من البداية بحب، وتتبدل علاقتي معهم.

«تعرفون الحق والحق يحرركم». الحقيقة هي الحب.

سأتنزه وبعدها سأصعد للطابق العلوي. الساعة الآن الثامنة. عاصفة ثلجية شديدة.

١٦ نوفمبر.

مرَّت ثلاثة أيام. استيقظت اليوم مبكرًا وخرجت لأتمشى. صقيع قوي. أُصلِّي كعادتي. كتبت قليلًا. بدأت بكتابة انطباعاتي بعد نشر كتابي: (حقيقة إيماني). حتى الآن يمضي الأمر بسهولة. ذهبت ماشا وفيرا إلى تولا. خرجت لأتمشى على الطريق من الساعة الثانية وحتى الثالثة والربع. أردت أن أنعم ببعض الراحة، ولكن تاجرًا من تولا أزعجني. تعاملت معه بطريقة سيئة ساخرة، خاصة عندما شككت أنه ثمل. الساعة الآن الثامنة. أريد أن أواصل الكتابة. كتبت بعض المقتطفات من كتاب دانيل موسير.

رحل ألكسندر بتروفيتش. فكَّرت بالأمس في شيء ما، لكني نسيته.

بالنسبة ليوم أمس لا جديد. الفارق الوحيد أن أمور الكتابة مضت فيه على نحو أسوأ. كتبت عن الظلم، وفكَّرت في الآتي:

بالنسبة لمقالتي عن (اللا مقاومة)[١٤٢]: الطبقات العاملة دومًا مليئة بالكراهية، وكل ما في الأمر أنها تنتظر سنوح الفرصة لتفرج عن غضبها المكتوم، لكن الطبقات الغنية الآن على رأس الهرم. إنهم يكتمون أنفاس الطبقات العاملة ولا يمنحونهم الفرصة لفعل ذلك. إن تركوا لهم متنفسًا، سوف تحين نهايتهم. لا يتبقى شيء آخر سوى مسرحية هزلية ولعبة، فجوهر الأمر هو صراع مميت. إنهم يحرسون غنيمتهم كاللصوص، ويدافعون عنها ضد الآخرين.

لم أكن في حالة جيدة بالأمس. شعرت بالضيق من رحلة إيفان

---

(١٤٢) يقصد رائعته (ملكوت الله بداخلكم).

ألكسندروفيتش بصحبة البنات إلى كوزلوفكا.

في المساء كتبت بعض الخطابات لأورلوف وجايديبوروف وجيمتشوجنيكوف وباستوخوف ونيكيفيروف وشخص آخر.

١٨ نوفمبر.

كان هذا بالأمس. بدأت بالكتابة عن عدم مقاومة الشر. أظن أني وجدت الآن الشكل المناسب. بالرغم من أنه ليس رائعًا، لكنه الشكل الذي بإمكاني أن أضع فيه الكثير من الأمور الجيدة. سأحاول ألا أبدِّله أو أتركه. كتبت على نحو جيد، لكني شعرت بصداع. نمت نومًا سيئًا جدًّا وشعرت بكآبة مفزعة. تمشيت حتى كوزلوفكا. وصلني خطاب من يميليان. في المساء استغرقت في قراءة هوميروس للفتيات. لا تزال صلاتي تبعث السرور في قلبي بالرغم من أنها أصبحت أمرًا معتادًا. وصلني خطاب من كارزينكينا بشأن مقتل الرسامين وكتبت لها ولبوشا ولبوكروفسكي.

تبيَّن لي أن أفضل صلاة كي لا أفارق الصلاة أبدًا هي: «لا تدخلنا في تجربة». إنها صلوة قصيرة وفعَّالة في الروح. كذلك أيضًا القول: «أنا العامل الذي أرسلته إلى هنا (عبدك). أنا عامل لديك، وأود أن أقوم بعملك؛ أي أن أحب، حتى إن جئت في أي وقت تجدني أعمل». فكَّرت كذلك في صلاة أخرى: «لقد وُهبت لي الحياة بشرط أن أقوم بأفعال الحب. وُهِبت لي الحياة من أجل أن أزيدها نموًا، ولا شيء يمكنه أن يزيدها نموًّا سوى أفعال الحب. إن حياتي الحقيقية لا تتحقق إلا عندما أتعهدها بالرعاية. لذا فإني لا أحافظ على حياتي هذه وأبددها كي أنال الحياة الا بدية». فكرت كذلك أثناء الصلاة في الغفران للآخرين كما

قال المسيح: «مغفورة لك خطاياك». ذلك ليس إلا وعي المرء بخطيته وشره، ومثل هذا الوعي يكون قويًّا حتى إن تكرار الخطية يصبح أمرًا متعذرًا. هل يجدر عند الاعتراف بالخطية أن تتوقف عواقبها؟ الأمر على النقيض، عندما يدرك المرء خطيته ويتحرر منها «تعرفون الحق، والحق يحرركم» فصحيح أن عواقب الخطية لا تبعث على السرور، لكنها ضرورية، ومن دونها لساء الأمر. مثال: أسأت لإنسان، وهو يعاني بسبب إساءتي. أنا في حاجة لمثل ذلك الآن كي يدفعني للتكفير عن خطيئتي في حقه. إن أغويت امرأة مثلًا، فأنا في حاجة تحديدًا إلى ذلك كي أكفر عن خطيئتي في حقها. إن الوعي بالخطية يُحرِّرني منها. «تعرفون الحق، والحق يحرركم».

فكرت في فساد الصحف. أقرأ تقريرًا صحفيًّا عن قصتي في جريدة: «*The Fortnightly Review*»[١٤٣] حيث كتبوا أن الشاب قد مضى معها، وأن الأمر انتهى على هذه الصورة، وأن القصة بأكملها تدور حول موضوع الحياة الزوجية. بالطبع أعرف أن هذا كله هراء، ولكن ٩٩,٠ من الأخبار والمعلومات تشبه هذا الهراء، ولا يقوم أحد بتصحيحها، فلا وقت لذلك؛ لأن غدًا ستظهر أخبار جديدة ولا بد من الالتزام بالمواعيد المحددة، سواء كانت شهرية أو أسبوعية أو يومية. لا بد وأن يكون هذا دائم الحضور في تفكير المرء. من المدهش فعلًا مدى قوة الشيطان؛ وأقصد به تلك القوة الرجعية. لا يكون الفكر حقيقيًّا ومثمرًا إلا عندما لا يكون مقيدًا بشيء، وفي هذا منبع قوته مقارنة ببقية الجسد. ولكن لا،

(١٤٣) جريدة إنجليزية، والمقالة عن الترجمة الإنجليزية لقصة (سيروا في النور ما دام لكم النور).

لقد شكَّلوا الفكر داخل قالب قيود الزمن، كي يقضوا تمامًا على فاعليته ويحرموه من فردانيته، وهذه الصورة غير الفعالة من الفكر تسعى للسيطرة على كل ما حولها. يُعبر الفلاسفة والحكماء عن آرائهم في بداية الشهر، وكذلك هو الأمر مع الأنبياء اليوم!

بالأمس قرأت كثيرًا في كتاب أرنولد عن اليهود. يمكن للمرء أن يعرف الكثير من هذا الكتاب.

لدى طائفة الكويكرز (طائفة مسيحية) فكرة رائعة: إن لم يكن هناك تقدم للأمام في المسيحية سيحدث تراجع للخلف. ما يؤكد على هذه الفكرة هي أن تعاليم المسيح بأكملها هي تعاليم مثالية تمامًا.

فيما يتعلق بمقالتي عن اللا مقاومة فكَّرت في الآتي: هاجم النقاد الجانب الميتافيزيقي في كتابي (حقيقة إيماني) ولم يذكروا شيئًا عن التعليم الأخلاقي فيه. هكذا هو الأمر مع الهرطقات، فالناس يخبرونك بالتفصيل ما قالته المونتانية[١٤٤]، وغيرها من الطوائف، من أمور لاهوتية خاطئة، وقد يكون حتى وصفهم لتعاليم المونتانيين مماثلًا لوصف أصحاب البعثات التبشيرية لتعاليم البوذية[١٤٥]، ولا يذكرون شيئًا عن مستوى حياتهم الأخلاقي السامي، وبعدهم عن العنف.

١٨ نوفمبر.

استيقظت في الثامنة. تنزهت وصليت. كتبت على نحو لا بأس به،

---

(١٤٤) حركة مسيحية مبكرة (منتصف القرن الثاني)، سُميت نسبه لمؤسسها مونتانوس.

(١٤٥) يقصد أنه وصف كاذب، أو على أقل تقدير سطحي تمامًا.

وقد واصلت عمل الأمس. ذهبت بعدها إلى يسينكا. غفوت في المساء. ماشا مريضة. تحدثت في الصباح مع بوريل. إنه متشائم، يقول: «الطبيعة الإنسانية مُشينة» وما إلى ذلك، لذا يمكن للإنسان أن يعيش كيفما يشاء، ويعتبر نفسه أخلاقيًّا إن خشى الإصابة بمرض الزهري. تحدثت معه على نحو سيئ. الساعة الآن الحادية عشرة. سأصعد للطابق العلوي.

١٩ نوفمبر.

أفكر بمزيد من الحيوية في مقالتي عن (اللا مقاومة). كل شيء يتبلور الآن أكثر فأكثر. أريد أيضًا أن أكتب بحرية قليلًا، أي أن أكتب عملًا أدبيًّا، لكني لن أسمح لنفسي بذلك إلا بعد الانتهاء من هذا العمل.

٢١ نوفمبر.

الساعة الآن الثانية عشرة صباحًا. رحلت صوفيا إلى موسكو. قرأت في الأوديسا مع البنات. قبل ذلك كتبت خطابات لجيتس وسولودوفنيكوفا ويميليان وجريبوفسكي وتشيرتكوف وديلون.

غفوت قبل الغداء، ثم خرجت لأتمشى على الطريق، وبعدها كتبت كثيرًا إلى حد ما بشأن الانتقادات التي وُجِّهت لأعمالي الدينية. مساءِ الأمس قرأت، وأخذت أعمل على صنع حذاء ملبد حتى أُنهكت بشدة. في الصباح تنزهت وكتبت كثيرًا إلى حد ما. أول أمس كان يوم أحد. كتبت كثيرًا عن النقاد العلمانيين وآلمني رأسي. طوال هذه المدة كنت أفكر في الآتي:

إضافة إلى ما فكَّرت فيه بخصوص غفران الخطايا، ليست الخطية

إلا انفصال إرادتك عن إرادة الله. إن توقف المعاناة التي تثيرها الخطايا مرهون بالعودة إلى إرادة الله واتحادك بها. هذا الاتحاد يحدث على المستوى الروحي، وما إن يحدث حتى تتوقف المعاناة سريعًا.

إن تنفيذ إرادة الله هو أهم ما في الحياة، ولكن ما هي إرادة الله؟ هل من الضروري أن نقوم بهذا الفعل أو ذاك؟ أو أن نضع أنفسنا في هذا الظرف أو ذاك؟ هل يجب أن نهجر أُسرنا؟ أن نفضح الناس؟ أنذهب إلى نينوى[١٤٦] أم أورشليم أم إلى مكان آخر؟ ما من إجابة. لا يلزم لا هذا ولا ذاك، ولا يتطلب تنفيذ إرادة الله فعلًا معينًا. الأمر لا يقتصر على ذلك، بل إن تحديد فعل ما يحول دون تنفيذ إرادة الله؛ لأن كل فعل وفقًا لإرادة صاحبه، وكل تغيير في الأوضاع من هذا المنطلق هو بمثابة عصيان لإرادة الله. إن تنفيذ إرادة الله، مثل تحقيق ملكوته، هو أمر داخلي. التغيير ليس في الأفعال. تنفيذ إرادة الله لا في القيام بفعل معين، بل في الإذعان لله، في السلوك بوداعة وتواضع في مسائل الحياة المختلفة. تقول: تبدو بعض القضايا، إما مناقضة للضمير أو متناقضة. على المرء أن يتعامل مع أي قضية -إن كانت مناقضة لضميره- بوداعة واتضاع؛ أي أن عليه أن يرفض القيام بها دون تبجح أو سخط، بل بوداعة واتضاع. وفيما يتعلق بتلك القضايا التي تبدو متناقضة عليه أن يُعرِض عنها بوداعة واتضاع، وأن يحيد عن تحقيق إرادته الخاصة من أجل الله وحده، وحينها سيجد كافة التناقضات تنحل من تلقاء نفسها. إن إرادة الله ليست في أن تفعل

---

(١٤٦) حسب الكتب اليهودية؛ أمر الله نبيه يونان بالذهاب إلى نينوى؛ كي ينذرهم بتدمير مدينتهم بسبب خطيئتهم. يونان في التوراة هو يونس في القرآن.

كذا، ولكنها متعلقة بكيف تفعله. هذا هو ما يخلق حياة روحية حقيقية.

أصلي طوال الوقت بسرور. صلاتي الدائمة الآن هي: إن عملي ليس للناس، بل لك، وأمامك أنت لا الناس، ولا أريد أن أحيا هذه الحياة، بل أود أن أحيا حياتك أنت الحقيقية الخالدة.

بالنسبة للمقالة: النقاد العلمانيون خصيان أخلاقيون، فقدوا عضوهم الأخلاقي تمامًا، والوعي الذي زرعته الحياة فيهم. ولا تزال الكنيسة تعمل كحجاب يخفي باب الخلاص الذي فتحه المسيح. والناس لا يرونه فيتخبطون بيأس.

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٣ نوفمبر.

اليوم وأمس مرا بشكل روتيني. كتبت وصليت. كتبت كثيرًا، وانتقلت إلى الكتابة عن الكنيسة[١٤٧]، ويبدو أني أحرز تقدمًا جيدًا. لكن في المساء أُنهكت فكريًا. رايفسكي هنا. وصلتني بالأمس كومة من الخطابات، وشعرت بالضيق. ضعفت قواي وحالتي المزاجية، ولا أستطيع الكتابة.

صلاتي الدائمة: لا أريد أن أحيا لنفسي، ولا للناس، ولكن لك وحدك. أردت اليوم أن أغفو قليلًا، ففكرت أثناء استلقائي قائلًا: لا لنفسي ولا للناس، وهذا يعني أن ما هو غير واضح وغير ملموس موجود قطعًا. وعلى المرء أن يضحي بكل هذا من أجل ما لا يراه؛ أي الله. فكيف يكون غير موجود؟ لا أشعر بالرعب بقدر ما أتذكر إحساسي به.

---

(١٤٧) الفصل الثالث من (ملكوت الله بداخلكم).

إن الحب يقضي على الشكوك المتعلقة بالله، فمع الحب يختفي التساؤل الذي يستدعي الشك. إن الخوف على النفس والشخصية هو ما يستدعي الشك، لكن في حضور الحب يغيب كل ذلك.

الساعة الآن العاشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي.

٢٨ نوفمبر.

استيقظت في وقت متأخر. بالأمس وصل جي. التقيت به صباحًا. كل ما يقصه جيد، لكن بعضه ينطق بالإدانة. شعرت بالضيق. قرأت مقالتي لليفين (ابنه). ليست جيدة. الساعة الآن الثالثة.

«اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ». (متى ٢٦: ٤١): لا أريد، أو بالأحرى أريد ألا أعيش من أجل شهوات جسدي. لا أعيش من أجل نيل مديح الناس، بل أريد أن أعيش من أجل الحب الإلهي دائمًا وفي كل مكان. أريد أن أصلي هكذا.

أثناء صلاتي اليوم فكرت في الآتي: الحرب مع إغواء الفجور والشهوة تتمثل في قطع ما يغويك، سواء كانت يدك أو عينك... هذا ما يقوله الإنجيل، لكني قلت في نفسي إن هذا غير صحيح، أو على الأقل ليس صحيحًا بشكل كامل. يبدو ذلك كتأكيد على فكرة أن المرء عليه أن يبحث عن أفضل مجتمع مناسب له أخلاقيًا، بل ويحاول خلق هذا المجتمع. هذا ما يقوله الليبراليون والاشتراكيون، بل والثوريون بشكل رئيس. هذه الفكرة تتضمن في داخلها تناقضًا؛ فكيف يمكنني معرفة الظروف المناسبة للأخلاق، بينما أنا لا أخلاقي؟ الأمر ليس كذلك. اليوم

فهمت الأمر. تتألف الحرب مع إغواء الفجور في الأساس من المحاولة المستمرة في جعل النفس أقل عرضة للإغواء، وهذا لا يحدث بمحاولة تحقيق الظروف الملائمة لذلك في المجتمع، بل بزيادة متطلباتي الأخلاقية باستمرار. في البداية مثلًا يرى المرء الفجور في الزنا، ثم يراه في المغازلة، ثم في الإفراط في تناول الطعام، وبعدها في التبطل، ثم في قراءة الروايات والاستماع إلى الموسيقى... إلخ. وبتجنب المغازلة والإفراط في تناول الطعام وما إلى ذلك يصبح المرء في ظروف أكثر ملائمة للحرب ضد الإغواء. لذا ليس على المرء أن يستنبط أو يحاول تحقيق ظروف معينة أنسب لطهارته، بل عليه أن يتحرك دائمًا صوب المثال، وكل خطوة يخطوها صوب هذا الاتجاه ستضع نفسه في ظروف أفضل ملائمة لصراعه.

الساعة الآن الرابعة.

بالأمس، يوم ٢٧، كنت في كرابيفنا. استيقظت مبكرًا جدًّا، وذهبت إلى مقر الشرطة ثم إلى السجن[١٤٨]. ساعدت المتهمين مرة أخرى على التحلي بالصلابة. شربنا القهوة وذهبنا إلى المحاكمة. يا لها من كوميديا قوية تدعو إلى الخزي! على أي حال دوَّنت ما هو مناسب لطبيعة الموقف، ثم سافرنا (هو وابنته) ليلًا. هبَّت عاصفة ثلجية مخيفة. وصلنا سالمين.

في يوم ٢٦ استيقظت مبكرًا. وصلت صوفيا. لم أستطع كتابة شيء. رحلنا في الواحدة. هبَّت عاصفة ثلجية، لكننا وصلنا لكرابيفنا بسلام.

(١٤٨) بهدف حضور جلسة المحاكمة التي ستُعقد للنظر في جريمة قتل قام بها أربعة فلاحين.

بينما كنت أبحث عن سكنى ذهبت إلى يودين، وأخذ يحكي لي عن محادثاته مع كاهن ذكي، وسيد أعزب يبلغ من العمر ثلاثين عامًا من موسكو، ثم أخذ يصلي لنصف ساعة قائلًا: المجد لله، ولسيدة السماء، ورمز الإيمان، والقديس المختار... إلخ. كل ذلك يكشف بوضوح كيف تم استبدال الإيمان المسيحي بصلاة وثنية لها عمل التعويذة.

لا أذكر ماذا حدث في يوم ٢٥.

في يوم ٢٤ ذهبت إلى ضيعة دافيدوف بتولا. في الصباح كتبت.

الآن نحن في مساء ٢ ديسمبر. سافرت إلى كرابيفنا. جاء أليخين ويليتس. الأمور كما هي. أكتب ببطء.

٣ ديسمبر.

أكتب في المساء. الساعة الآن العاشرة. صحتي ليست بخير. أعاني وأشعر بالضعف. في الصباح كتبت بضعف، ولكن لم يَخْلُ الأمر من فائدة. ذهبت إلى يسينكا. كتبت بعض الخطابات. أشعر بالمعاناة والكآبة. أصبح الموت أقرب فأقرب، والأمر لا يتوقف على أنه لم يعد مخيفًا، بل إني أحاول ألا أطرح عني الأمل في أن يأتيني قريبًا، وأعيش الآن حياة أبدية كتلك التي سوف أعيشها بعد الموت. لن يختلف الأمر. كتبت خطابات لتشيرتكوف وستراخوف وراجوزين وليسكوف وأليخين.

١٥ ديسمبر.

لم أُدوِّن شيئًا منذ ١١ يومًا. قضيت هذه المدة على هذا النحو تقريبًا: كنت أتنزه وأُصلِّي في الصباح، وتتقدم أموري ببطء في كتابة المقالة. جاء

روسانوف وبولانجي. لقد تركا فيَّ انطباعًا جيدًا جدًّا. بعدها جاء أناتولي بوتكيفيتش وأندريه. وصلتني أخبار عن نية أحد رجال الشرطة أن يزورني بعد إرسال بوتكيفيتش بروفة مقالاتي المطبوعة. بعد ذلك جاء أناتولي بوتكيفيتش مع زوجته. إنهما طيبان جدًّا ويبعثان السرور. قبل حضورهما جاء مُصلح عربات عجوز من سامارا، يُدعى بانوف، وهو ينكر الكنيسة الأرثوذكسية، وهو مسيحي، حر الفكر، مميز. إنه مشغول جدًّا بفكرة إنكار الكنيسة. بعد ذلك جاء ديلون (صحفي إنجليزي) ورحل لتوه. شعرت بالضيق بعض الشيء لشعوري أني بمثابة مادة للكتابة بالنسبة له. لكنه ذكي. ودَّعت لتوي بوليجين. لا بد من مساعدته روحيًّا، وأنا أحاول قدر المستطاع. خرجت صباح اليوم والتقيت بإيليا بولخين[١٤٩] وطلبت منه أن يسمح لي بالزيارة. لقد حكموا عليه بالسجن لستة أسابيع. شعرت بضيق شديد عذَّب قلبي طوال اليوم. صليت وأُصلِّي وسأصلِّي كي يعينني الله على ألا أخرق قانون الحب. لا بد من الرحيل. نسيت أن أكتب عن وصول ضيفي اللطيف الرائع: بوشا. إنه طيب جدًّا وواضح وصريح وصادق وشريف، وماشا مثله، وهذا يسعدني. فكرت في هذه الفترة في الآتي:

في البداية يكون هناك مثال عام، ثم الوعي بإمكانية تحقيق المثال، ثم تحقيقه. هذا ما كتبته، لكني لا أتذكر ماذا كان السياق ومعنى هذا بالتفصيل.

---

(١٤٩) فلاح من ياسنايا، حُكِم عليه هو وبعض الفلاحين الآخرين بالسجن والغرامة لقطعهم أشجارًا من غابة ملك لآل تولستوي. أثر الأمر بشدة في تولستوي.

بفضل الرقابة أصبح نشاطنا الأدبي كله محض نشاط فارغ المضمون. لسنا في حاجة لشيء سوى تبرير هذا النشاط الأدبي الذي تُشوِّهه الرقابة وتتحكم فيه. الأمر يشبه أن يسمحوا للنجار بالعمل، ولكن دون نشر الخشب. على النقيض من ذلك، يظن الكُتَّاب أنهم يخدعون الرقابة الحكومية. من المستحيل خداعها، كما يستحيل خداع شخص يود لو تضع عليه لصقة الخردل دون أن يدري؛ لأنه فور أن يتحرك، ستتمزق اللصقة.

أراني بوشا خطابًا أرسله له أوبولينسكي يدينني فيه على قسوتي. شعرت بالألم والخمول. إنه ألم لا معنى له كما كان يبدو في البداية، لذا لم أستطع اقتلاعه من نفسي، فروحي خاضعة له. لم أكن أرى سوى أنه يبعث الشر في داخلي، وآلمني هذا أكثر كما هو الأمر مع دينيسينكو (ممثل ورئيس تحرير جريدة) وآخرين، ولكن ثمة فائدة كبيرة في هذا الوضع القاسي. مهما حاولت إرضاء الناس لن تستطيع إرضاءهم أبدًا، وإن أدركت ذلك بوضوح، ستجد نفسك تتوقف تلقائيًّا عن إرضائهم، وتهتم بإرضاء الله وحده.

أجد هذه الفكرة تراودني أكثر فأكثر من جوانب مختلفة في الحياة، ومن خلال كتابتي كذلك. الفكرة مفادها أن معظم تفكير الناس في هذا العالم في مدى قداستهم لا يتعلق بوصولهم إلى الحقيقة، لكنه يتعلق بتبجيل وتبرير الناس لهم. يمكن للقديس أن يُفكِّر بشكل صحيح تمامًا، والفكر المقدس هو وحده المثمر. الخطاة مليئون بالأماني والشعور بالاشمئزاز والتوقعات الميول المختلفة والتفكير الذي يُبرِّرهم. كي

تفهم شيئًا ما، ليس عليك أن تخوض فيه كاملًا وتقوم بتفكيكه، بل عليك أن تطهر قلبك من رغباته وميوله وآماله الدنيوية؛ أن تُخلِّصه من الخطية وتُزيد الحب، كما هو الأمر بالضبط عندما تود أن ترى شيئًا عبر كأس متجمد، عليك حينها ألا تُجهد بصرك ولا تقترب من الكأس، بل أن تنظفه وتذيب ما فيه.

بينما كنت أُصلِّي اليوم بشأن تجربة السقوط في فخ محبة مديح الناس، وفي ضرورة أن يبعث فينا احتقار الناس سرورًا، فكَّرت في الحماقة ومدى ارتباطها بي، وشعرت بخطورتها على كل إنسان ضعيف مثلي. إن تجاهلت تمامًا آراء الناس عني، وسعيت لأن يدينوني لأتخلص تمامًا من تلك القوى التي كانت تُكبِّلني، فإن هذه حماقة تُمثِّل عقب أخيل[١٥٠]. سيبدأ المرء بالعمل من أجل أن يدينه الناس، ثم يُسلِّم نفسه رويدًا رويدًا إلى إغراء الارتباط بآراء الناس.

كتبت اليوم قليلًا، ولكن يبدو بوضوح أني أحرز تقدمًا. بالأمس أقبلت على رواية كوني (البعث) من البداية. استمتعت كثيرًا بالكتابة فيها.

---

(١٥٠) يعود أصل مصطلح كعب أخيل إلى الميثولوجيا الإغريقية، حيث إنه عندما كان أخيل طفلًا، تُنبئ له بأنه سوف يموت في معركة، ومن أجل منع موته قامت أمه ثيتس بتغطيسه في نهر ستيكس الذي يعرف عنه بأنه يمنح قوة عدم القهر. لكن بما أن ثيتس كانت تحمل أخيل من كعب قدمه أثناء غسله في النهر، فلم يصل الماء السحري إلى كعبه. وهكذا كبر أخيل ليصبح أحد الرجال الأقوياء الذين صمدوا في الكثير من المعارك، إلا أنه في أحد الأيام أصاب سهم مسموم كعبه متسببًا في مقتله بعد فترة قصيرة.

١٦ ديسمبر.

بالأمس ذهبت لفراشي، لكني لم أستطع النوم. آلمني قلبي، وشعرت في الأساس بشفقة ذميمة على النفس، وغضبت من ذلك. يا لها من حالة مدهشة! بالإضافة إلى كل ذلك شعرت بحمية فكرية وجلاء ذهني. كان بإمكاني في هذه الحالة أن أكتب شيئًا رائعًا. نهضت من على الفراش في الثانية، وذهبت إلى ردهة الاستقبال لأتمشى فيها قليلًا. جاءتني (يقصد صوفيا) وتحدثنا معًا حتى الخامسة، وربما كنت أكثر لطفًا معها. قلت لها: عليَّ أن أعلن للحكومة أني لا أعترف بحق الملكية الفكرية لمؤلفاتي، ودعهم يفعلون ما يشاؤون[١٥١]. نهضت في العاشرة. تنزهت. صليت. أصبحت صلاتي عملًا آليًا. أحاول قراءة كل شيء، ولكن في الوقت ذاته من المؤسف أن أفارق صلاتي. اليوم أثناء الصلاة فكرت في شيء ما بقوة، لكني نسيته الآن. في المنزل كتبت بكدٍّ، والعمل يتقدم. (يقصد في: ملكوت الله بداخلكم).

لم أستطع أن أجد بعد نبرة بسيطة طيبة لأتحدث بها معها، ومع الجميع كذلك. هذا دليل على أني الملوم. آخر كلماتي لها بالأمس كانت: لا تدينيني، فأنا أدين نفسي فعلًا بما يكفي على عدم سلوكي بلطف كافٍ. إن نظرتِ إلى نفسك فستجدين الأمر ذاته معكِ». ربما أثارها شيء في حديثي. لا أعرف ما هو، لكني متيقن من ذلك. ذهبت على متن الجواد من أوفسيانيكوفو إلى كوزلوفكا. بالأمس وصلني خطاب من مجهول،

---

(١٥١) أعلن تولستوي فعلًا في عام ١٨٩١ تخليه عن حقوقه الخاصة بأعماله الأخيرة، وفي العام ذاته تخلى عن كافة ملكياته العقارية.

مكتوب فيه: «إن أنقذ أحدهم شابًّا، يمنحونه ميدالية شرف، فكم تستحق أنت؟»، ويحكي لي في الخطاب كيف سقط. اليوم وصلني خطابان من نيكيفيروف وتشيرتكوف. أقرأ بعض الهراء لدوما. يبدو أني قد هدأت عصبيًّا. الساعة الآن العاشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي.

٢٠ ديسمبر.

عملت على نحو سيئ طوال ثلاثة أيام. يبدو أن بوبوف وخوخلوف قد وصلا. أشعر بالتوتر الشديد من تناقض حياتهما مع أفكارهما، ولكن على كل حال هما شخصيتان تتمتعان بالصلابة، خاصة خوخلوف. كتبت خطابين لجورافوف وسيميونوف، وهما فلاحان. كتبت كذلك لسيميونوف ودولنير ويريجكين وجي. وصلني خطابان من طائفة المرتجفين. بالأمس وصل جيركيفيتش. إنه شاب طيب. كنت متوترًا جدًّا طوال اليوم. شعرت بالمعاناة والسوء وغياب الحب. اتخذت صلاتي صورة ثابتة. رحلت ماشا. عشتُ على نحو سيئ، بل شديد السوء. أخذت نسخة من قرار الحكم على الفلاحين[١٥٢]. وصلني مجددًا خطاب من هوليستر من طائفة المرتجفين يتحدث عن سفر الرؤيا. خطرت على ذهني أفكار، لكني نسيتها. أذكر أمرًا واحدًا: لا يمكن للمرء أن يزيد حبه للناس دون حبه لنفسه، فالأمران لا ينفصلان. دلالة الحياة الحقيقة هي أن يتحقق الأمر الأول أو الثاني؛ أي أن حب الناس يزداد عندما يزداد بداخلك. إن لم يَنْمُ الحب بداخلك، فعليك أن تُوجِّه كل

(١٥٢) قرار الحكم على الفلاحين المتهمين بالتعدي على ممتلكات تولستوي، وقد ظل تولستوي يحاول تحريرهم.

عنايتك لهذا الأمر، ولن يزيد الحب في الناس إلا عندما يزداد بداخلك. إن لم يعمل نشاطك الروحي على زيادة الحب في الناس، فهو غير مُجْدٍ إذَنْ لروحك.

كتاب رينان ذكي جدًّا[١٥٣]. لقد تغير مفهوم «الخارق للطبيعة» بين الناس الذين لم يكن لديهم نظرة علمية للعالم. المعجزة بالنسبة لهم لم تكن أمرًا خارقًا للطبيعة، بل كانت أمرًا طبيعيًّا. كل شيء بالنسبة لهم كان يحدث بقوة المعجزات.

٢١ ديسمبر.

استيقظت مبكرًا جدًّا على وصول برقية. لقد أنجبت صوفيا[١٥٤] ابنًا. كتبت في مقالتي عن الكنيسة. العمل يتقدم فيها ولكن ببطء. وصل إيليا وصوفيا وتانيا. لم أفعل شيئًا بعد الغداء. أشعر بخمول فكري.

٢٥ ديسمبر.

الساعة الآن الثامنة مساءً. يزينون الآن شجرة عيد الميلاد. مكثت بالطابق السفلي وقرأت في كتاب رينان. عقل ذكي حقًّا. تنزهت قبل الغداء، ثم نمت، وبعدها طلبت من ليوفا أن يسامحني لأني أغضبته. أثناء شرب الشاي، دارت المناقشة في حضور دونايف عن نمط الحياة وتناول الطعام. كان يلوم أمه، لكني قلت له إن كليهما يستحق اللوم. قال إن الجميع يقولون أن لا فارق بينه وبين تشيرتكوف وماشا، وهو الأمر

(١٥٣) كتاب (العلم المستقبلي) للكاتب الفرنسي إرنست رينان.

(١٥٤) زوجة ابن تولستوي (إيليا).

المدهش بالنسبة لي، فقلت له إنه لا يفهم حتى الأمر، وإنه لا يعرف التواضع ولا الحب، ويخلط بين الاهتمامات الصحية والأخلاقية. نهض بعينين دامعتين وانصرف. تألمت وشعرت بالأسف عليه، وكذلك بالخزي. لقد أحببته. حدثته، ولكني أسفت على ذلك، وبالتالي لم أستطع أن أكتب شيئًا، وقضيت ليلة سيئة.

مساء الأمس وصل دونايف. كتبت قليلًا في الصباح. تعاملت مع سيريوجا على نحو أخرق غريب. أول أمس وصلت ماشا كوزمينسكايا بصحبة إرديل. أشعر بالأسف عليهما. طوال هذه الأيام كانت تصلني خطابات مليئة بالسباب. إنه رياء ياسنايا بوليانا. في البداية تألمت، وبعدها تحسنت حالتي. وصلتني خطابات جيدة من طائفة المرتجفين.

يمثل مفهوم الحياة في الحاضر أحد الأوجه والجوانب التي تكشف عن مثال المسيح. إن تحقيقه كاملًا هو بمثابة توقف للحياة واتحاد بالله، فعلى المرء أن يتسق مع وضعه في كل دقيقة. الابتعاد عن هذا المفهوم هو بمثابة خسارة مجنونة للحياة.

الساعة الآن الثامنة. سأصعد للطابق العلوي. كنت أشعر بالحزن طوال هذه الأيام، ولم تعد صلاتي آلية. أمر واحد يعزيني ويؤلمني في الآن ذاته: عِش لله وحده حتى تزيد الحب في الناس وفي نفسك.

٢٦ ديسمبر.

استيقظت مبكرًا. طلبت من فاسيا أن يُرتِّب غرفتي. وعندما عدت إلى الغرفة بعدما شربت القهوة ولم أجدها مرتبة شعرت بغضب مخز.

كبرياء! دناءة. لا أزال أكتب عن الكنيسة. يبدو أني أحرزت قدرًا ضئيلًا من التقدم.

كتبت في الصباح: الكنيسة هي المسؤولة عن ضمور العصب الأخلاقي في الناس؛ لأنها تعلمهم الحقيقة، لكنها لا تعلمهم القيام بها. قرأت مقالة رينيه برودوم عن رهان باسكال[١٥٥]. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام. أريد أن أكتب عملًا أدبيًا. يبدو ليوفا مملًّا وجادًّا، أو ربما يبدو هذا لي وحدي.

٢٧ ديسمبر.

كتبت قليلًا وعلى نحو سيئ. في المساء أخذوا يرقصون بالمنزل. رحل دونايف. أنا على وفاق معه. روحي المعنوية تنخفض باستمرار.

٢٨ ديسمبر.

نمت نومًا سيئًا، وشعرت بالألم أسفل معدتي. جاء رايفسكي. في المساء قرأت لهم مقالتي (الكنيسة والدولة). قلت فيها كل شيء. كتبت قليلًا. الساعة الآن الحادية عشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي وأنام.

٣١ ديسمبر.

الساعة الآن الحادية عشرة. استيقظت مبكرًا وكتبت كثيرًا. راجعت ما كتبته بالفعل؛ أي أني قرأت تقريبًا ثلاثة فصول، والأمور تزداد جلاءً أكثر فأكثر (في كتاب ملكوت الله بداخلكم). تمشيت طويلًا. في المساء

---

(١٥٥) حجة كتبها باسكال مبنية على نظرية الاحتمالات النسبية، وتستخدم للاحتجاج بضرورة الإيمان بوجود الله على الرغم من عدم إمكانية إثبات وجوده أو عدم وجوده عقليًا.

قرأنا قصة ليسكوف الرائعة[١٥٦]. وصلني خطاب من تشيرتكوف، وكذلك وصلتني بروفة الطباعة من مقالتي (ما الفن؟). كتبت خطابًا لتشيرتكوف ولليسكوف.

حسنًا، لقد قارب ١ يناير ١٨٩١ على الحلول، وكلي أمل أن يحدث شيء ما وأنا في عامي الثالث والستين، وهو الأمر الذي تكرر ثلاثين مرة في عام ١٨٩٠. لم يحدث شيء، فأنا لا أعرف أي شيء يمكن أن يحدث خارجيًا يُقارن بما يحدث داخل المرء.

* * *

(١٥٦) إدانات قبل عيد الميلاد.

١٨٩١

١ يناير.

وصل كوليتشكا. الأمور كما هي، وربما أفضل قليلًا. لم أكتب شيئًا طوال هذا اليوم.

٢ يناير.

وصلت صوفيا بعد أن كانت قد ذهبت لحضور العماد (عماد حفيدها ابن إيليا). وصل كذلك باستوخوف. استلمت الكثير من الخطابات التي يتوجب أن أجيب عنها؛ من بانكوف وبوبوف وبوشا وتشيرتكوف وقد أرفق برسالته بروفة مقالتي عن الفن، وجيركيفيتش وكالوجينسكي ومن طائفة المرتجفين.

٣ يناير.

نمت نومًا سيئًا، ولم أخرج تقريبًا. أكتب منذ يومين. الأمور تتقدم لكني لم أُنْهِ بعد مقالتي عن الكنيسة. إما أني لا أفكر جيدًا، وإمَّا أني أنسى ما أفكر فيه. جاء دافيدوف.

٥ يناير.

كتبت كثيرًا بالأمس. أتقدم ولكن ببطء. في المساء كنت سأبدأ العمل على مقالتي عن الفن. صحيح أني لم أتعثر، لكني تعمقت بشكل مفرط. سأحاول ثانية. تحدثت بمرح مع كوليتشكا. استمرت العاصفة الثلجية طوال اليوم.

استيقظت اليوم في وقت متأخر. تمشيت وصليت، ولكن صلاتي تزداد فتورًا. كتبت كثيرًا. يبدو أني سأنهي مقالتي عن الكنائس. ذهبت مع كوليتشكا إلى بوليجين على متون الخيل، ووجدنا رايفسكي هناك. الساعة الآن الحادية عشرة. لقد ذهبوا إلى كوزلوفكا. سأصعد إلى الطابق العلوي وأنام.

٦ يناير.

لم يحدث شيء مهم. كتبت في مقالتي عن الفن ثم توقفت، فقد خارت قواي. وصل بوليجين. إنه بخير.

٧ يناير.

لم أكتب شيئًا تقريبًا.

٨ يناير.

كتبت وصححت. بالأمس كتبت خطابات لبوبوف وبانكوف وبيريوكوف وستراخوف وتشيرتكوف وجولتسيف. اليوم كتبت لخريبكوفا. اليوم دوَّنت الآتي:

لقد انكشفت لي الحقيقة المسيحية بالوعي بأخوة البشر وبُعدي عنها. كم شعرت بالفرحة والبهجة والاحتياج لتحقيقها!

الحقيقة المسيحية الأساسية هي الوعي بأن الحياة الجسدية قد وُهِبت لي كي أحوز الحياة الحقيقية.

فلتُحِب وتبتهج. ما إن تفكر فيما يظنه الناس عنك حتى يتحول حبك إلى كراهية، وسرورك إلى حزن.

اليوم أفكر للمرة الثانية أثناء الصلاة في فعل الخير للناس؛ أي أن أزيد الحب فيهم، وهذا أمر مستحيل دون أن أزيد الحب في داخلي وأستدعي الشعور بالشفقة في قلبي. العكس كذلك صحيح، فيستحيل أن أزيد الحب في داخلي دون القيام بأفعال حب ودون أن أزيده في الناس. بينما كنت أفكر في ذلك، لم أفكر إطلاقًا في جوهر الحياة ووحدتها داخل البشر جميعًا، وهذا يؤكد -أكثر من أي شيء آخر- أن الحب هو جوهر حياتنا جميعًا، وهو واحد داخلنا جميعًا. قد يزيد مقداره أو يقل في الفرد، لكنه يزيد في الجميع.

فكَّرت كذلك في أمر مهم وجيد، لكني نسيته. أفكر كثيرًا في الأطفال والتعليم.

١٥ يناير.

كتبت طوال هذه الأيام، عدا يوم واحد. تقدمت الأمور قليلًا. كان عليَّ أن أسلك على نحو أفضل. فكَّرت كثيرًا في الفن. الأمور تتقدم على مستوى الأفكار، لكنها ليست كذلك على الورق. أن يظن المرء

أن الظروف الخارجية بإمكانها تغيير حياته، يماثل ما كنت أفكر فيه وأنا صبيٌّ حينما اعتقدت أني إن جلست على طرف عصا وأمسكت بالطرف الآخر، سأتمكن من رفع نفسي.

كتيبات جماعات النباتيين جيدة. كتبت اليوم خطابًا لتشيرتكوف وآخر لليسكوف. انزعجت بشدة من رفض صوفيا التنازل عن حقوق نشر كتبي، لكني هدأت عندما تذكرت أني يجب أن أبتهج بإذلال الناس لي. أُصلِّي طوال الوقت. صحيح أن صلاتي لم تعد فعَّالة كما من قبل، لكني لست قادرًا على مفارقتها، فأنا في حاجة إليها.

٢٥ يناير.

لم أُدوِّن يومياتي منذ تسعة أيام. طوال هذه المدة كنت أكتب تدريجيًّا في مقالتي (ملكوت الله بداخلكم). أحرزت تقدمًا. يمكنني أن أقول إني انتهيت من ستة فصول. بدأت العمل مرتين على مقالة (العلم والفن) ثم شطبت كل شيء، وها أنا أكتب ثانية، ثم أعود لأشطب مجددًا، ولا يمكنني القول إني أحرزت تقدمًا فيها. لم أكتب شيئًا بالأمس واليوم. انخرطت طوال هذه المدة في قراءة الصحف وكتاب رينان. مدهشة حقًّا ثقة العالِم في عصمته من الخطأ. كتب: «إن موت فرنسي يشكل حقيقة أخلاقية، بينما موت قوزاقي هو مجرد حقيقة فيسيولوجية».

كتبت خطابًا لشخص ما بالإضافة إلى خطاب لخيلكوف وآخر لكوليتشكا. ذهبت إلى تولا. لم يأتني زوار مختلفون. جاء فقط سيريوجا وإيليوشا. شعرت بالضيق في حضور سيريوجا. إنه يبتعد أكثر فأكثر عن الوظيفة التي يجب أن يقوم بها. أما إيليا قال لي: «لماذا تُعامِل سيريوجا

بهذه الطريقة؟»، وقد تركت هذه الكلمات في نفسي تقريعًا لا يتوقف، وشعرت أني مذنب. أُصلِّي طوال الوقت، لكن صلاتي تفتر أكثر فأكثر. في الفترة الأخيرة بدأ ذلك يخدرني أخلاقيًا.

كوزكا ابن الطاهي، هو رفيق لفانيتشكا (ابن تولستوي)، وقد جاء إليه. ابتهج فانيتشكا جدًّا بوصوله حتى إنه أخذ يُقبِّل يديه. هكذا يمكن لأي إنسان أن يبتهج برؤية إنسان آخر، لذا يمكن بطبيعة الحال بعدما ترى البواب يفتح الباب أن تبتهج برؤياه فتقبل يديه.

اليوم بينما كنت أتمشى وأفكر في اللصوص، تخيلت بوضوح لصًّا رابضًا في انتظار الشخص الذي يود أن يسرقه، ثم يكتشف أنه لن يسافر ذلك اليوم، أو أنك قد سلك طريقًا آخر، فيغضب منه، بل ويعتبر أن هذا الشخص قد أساء إليه، ويشعر أنه محق في الاستعداد للانتقام منه. بينما كنت أتخيل ذلك بحيوية شديدة، بدأت أفكر كيف يمكنني كتابة ذلك، ثم فكرت كم سيكون من الجيد أن أكتب رواية *haleine de longue* وأضيئها بنظرتي الحالية للأمور. فكرت أن بمقدروي أن أضم إلى هذا العمل كافة خططي التي لم أقم بها وآسف على ذلك، باستثناء ألكسندر الأول والجندي[١٥٧]، والسارق[١٥٨] وحكاية كوني (البعث) و(الأب سيرجيه)، وكذلك المهاجرين وسوناتا كرويتزر والتعليم، وكذلك قصة ميتاشا ومذكرات مجنون والعدميون. ولقد جعلني ذلك أشعر بالسعادة بقوة، لكني عدت إلى المنزل وواصلت العمل على مقالة «العلم والفن»

---

(١٥٧) قصة (كتابات الشيخ فيودور كوزميتش) التي نُشِرت بعد وفاته.

(١٥٨) سيظهر بعد ذلك في نوفيلا (السند المزيف).

وشطبت بعض المواضع، وتعثرت في مواضع أخرى. لم أفعل شيئًا طوال اليوم. الساعة الآن الثامنة، سأصعد إلى الطابق العلوي، وهو أمر يمكن غفرانه؛ لأني عانيتُ بالأمس من ألم شديد بالمعدة.

٢٦ يناير.

كم سأشعر بالسعادة لو كنت قد كتبت في يومياتي بالأمس أني بدأت في كتابة عمل أدبي! نعم، البدء في كتابة رواية الآن يمثل لي الكثير. إن أعمالي الأدبية الأولى كانت بمثابة مخلوقات غير واعية. منذ آنا كارنينا، ولأكثر من عشرة أعوام على ما أظن وأنا أجزئ وأقتطع وأحلل، والآن أعرف ماذا سأفعل، ويمكنني أن أخلط كل ذلك الآن وأصنع شيئًا من هذا المزيج. ساعدني يا أبي!

٦ فبراير.

لم أُدوِّن يومياتي لأسبوعين تقريبًا، وبشكل عام لم أكتب شيئًا. استغرقت في مقالة اللا مقاومة، لكني أفسد وأتعثر فيها أكثر مما أتقدم. في هذه الفترة جاء ستاخوفيتش، وتعاملتُ معه على نحو جيد جدًّا، وكذلك جاء دونايف وألمازوف، لكني لسبب ما تعاملت معهما على نحو أخرق. أُصلِّي على نحو آلي. أفكر قليلًا. لا أشعر أني أحيا فعلًا. أرغب في الموت، ولكن بهدوء، لا بحماسة. أعرف أن هذا صعب. كتبت بضعة خطابات، إلى كامبيل بلندن لأجيبه عن أسئلته، وإلى اثنين من طائفة المرتجفين وإلى ستراخوف وليوفا. أتعامل مع صوفيا بود. أمر رائع.

١١ فبراير.

مرَّت خمسة أيام أخرى. بالأمس كتبت عن العلم والفن، وأحرزت بعض التقدم، ولكن كل شيء أصبح واضحًا. ليست لديَّ الطاقة الكافية. في الأيام القليلة الأخيرة استمر إصدار المقالات المسيئة لي في الصحف. مثلًا ما كتبه سوفورين عن خاتمة (سوناتا كرويتزر)، وما كتبوه في برلين عن مسرحيتي (ثمار التنوير) قائلين إني عدو للعلم، وكذلك ما كتبه بيكيتوف. أما الضربة الأخيرة فكانت بالأمس، خاصة أني كنت في حالة معنوية سيئة بعض الشيء – وذلك طبعًا لحسن حظي! – حيث وجدت مقالات في مجلة *Open Court* تشن هجومًا على ويليام بوث (رجل دين إنجليزي) وعليَّ باعتبارنا نماذج للفريسي المرائي، الذي يقول شيئًا ويفعل آخر؛ يقول إن على المرء أن يعطي كل شيء للفقير، بينما أنا أُزيد من ثرواتي ببيع مواعظي، والإشارة هنا إلى زوجتي، فأنا كآدم، أعطتني زوجتي الثمرة وأكلتها. آلمني ذلك بشدة، ولا يزال يؤلمني بينما أكتب الآن. لم يكن عليَّ أن أشعر بذلك، فبإمكاني ألا أشعر بالألم من ذلك، لكن الأمر شديد الصعوبة.

أنا فريسي فعلًا، ولكن ليس فيما يلوموني عليه. أنا بريء من هذه التهم، وهذا درس لي. ولكن في الحقيقة، بينما أعتقد وأؤكد على أني أعيش في نور الله، ومن أجل الخير لذاته، أعيش فعلًا من أجل نيل مديح الناس، إلى تلك الدرجة التي أُثقِل فيها روحي بمديح الناس، فلا يعود بإمكاني أن أشق طريقي إلى الله. إني أقرأ الصحف والمجلات لأبحث فيها عن اسمي، وأستمع إلى المحادثات في انتظار أن يصبح الحديث

عني. لقد أثقلت روحي إلى تلك الدرجة التي لم يعد بإمكاني فيها أن أشق طريقي إلى الله، وأحيا حياة صالحة من أجل الصلاح ذاته. لكن عليَّ أن أصل إلى ذلك. أقول لنفسي كل يوم: لا أريد أن أحيا من أجل رغباتي الأرضية ونيل مديح الناس. إني أريد أن أحيا من أجل الحب دائمًا وفي كل مكان، لكني للأسف أعيش الآن من أجل رغباتي الخاصة ونيل مديح الناس.

سوف أُطهِّر روحي. لقد استغرقت في التطهير حتى وصلت إلى أعمق نقطة فشعرت بإمكانية سنوح فرصة أن أعيش من أجل الصلاح دون رغبة في نيل مديح الناس. ساعدني يا أبي... ساعدني! أنا أعلم أن ليس ثمة أب كشخص، لكنها طريقة للتعبير عن اشتياقي شديد.

في هذه الفترة كتبت خطابات لخيلكوف وكودريافيتس وستراخوف وشخص آخر. الساعة الآن الثانية. في الصباح وصلت أنينكوفا.

أعدت الآن قراءة يوميات شهر يوليو[١٥٩]. كم كنت أقرب إلى الله! كذلك كان شعوري بالحاجة للعيش أمام وجه الله، ومع ذلك كم كنت سيئًا! كم أنا ممتن للإهانات التي أجبرتني على أن أفيق من غفلتي!

١٤ فبراير.

مر أسبوع آخر. يبدو أني كتبت آخر يومياتي منذ أسبوع بالضبط. بدأت أقرأ مجددًا يومياتي التي تستنسخها صوفيا[١٦٠]، وهو أمر يؤلمني

(١٥٩) غير واضح عن أي يوليو يتحدث.

(١٦٠) يوميات شبابه أثناء حرب القرم.

بشدة. تحدثت معها بغضب شديد، فأصابتها عدوى ضغينتي، فغضبتْ، وبالتالي قالت لي بعض الكلمات الوقحة، لكن هذه النوبة لم تستمر أكثر من ساعة. توقفتُ عن تصفية أي حسابات، وأخذت أفكر فيها وأصالحها بلطف قائلًا: «إننا نخطئ كثيرًا». تانيا وماشا مريضتان. تانيا في حالة هيستيرية، لكنها رقيقة وبائسة.

لم تتغير الأمور طوال هذه الأيام. لا أفعل شيئًا سوى القراءة. لا مبالاة. وصلني بالأمس خطاب جيد من ألكسندرا أندريفنا. يتضمن الخطاب بعض الأمور عن المسيح، والحديث عن شخصيته والفارق بين أن تكون معه وأن تسعى إليه وما إلى ذلك، لكن كل هذا لا يحول دون وجود شعور ديني حقيقي. تقول في خطابها إن التواضع هو أهم شيء. لا تطلب من نفسك فعل أمور عظيمة، ولكن ببساطة عِش بحب، وستجد نفسك تقوم بعمل كبير حينما تنشر النور من حولك. هذا ما كتَبَته تقريبًا. إنها تتحدث وتشعر على نحو جيد، ولكن ما الذي يبدو لي غريبًا في حديثها؟ لماذا أشعر بذلك؟ السبب هو أنها تحاول تبرير موقفها. من الممكن، بل ومن الضروري، أن ينظر المرء إلى وضعه كنتاج لما فعله الوالدان، ومكان ولادته وطريقة تعليمه، ولكن لا يجب، بل من المستحيل، أن ينظر المرء إلى وضعه من منظور أن الأمور جيدة، وإنها لا بد وأن تكون ذلك، وبالتالي لا يفعل شيئًا. هذا ما يفعلونه، وإنها لخطية. لا تُخفض من المِثال، بل دعِّم من قواك بالنظرة الأخلاقية. لا تحاول تحريك آلة مسدودة بالقوة، وتقول إن الآلة يجب أن تُسد بهذه الطريقة، وتتوقف عن تنظيفها وتزييتها فلا تعود إلى حركتها.

كنت أفكر الآن في الآتي بخصوص النقاد:

إن عمل النقاد هو تفسير أعمال الكُتَّاب العظماء، وقبل كل شيء آخر تمييز أفضل الأعمال من قلب ركام من الترهات. ولكن تُرى ماذا يفعلون بدلًا من ذلك؟ إنهم يعذبون أنفسهم، وفي غالب الأمر، مع كاتب سيئ، لكن ذو شعبية واسعة، ويستخرجون فكرة مبتذلة من أعماله، ويُعملون فيها الفكر، مشوهين الكاتب وأفكاره خلال هذه العملية. النتيجة أن ينال كُتَّاب عظماء مكانة وضيعة، ويُوسمون بالضحالة، ويصبح الحكماء أغبياء. هذا ما يطلقون عليه النقد، وهو الأمر الذي يناسب احتياجات الجماهير جزئيًا، أو على الأقل بعضًا منهم؛ لأنهم يسعدون بتثبيت أحد الكُتَّاب الكبار في مكانة مرتفعة، إن لم يكن لأمر غبي، فعلى الأقل لأمر ملحوظ ومعروف. لا يمكن لهذا أن يكون نقدًا؛ أي تحليلًا للكتابة، بل إن ذلك يحيط الكتابة بالضباب.

حاولت اليوم، مثل كل يوم، أن أعمل على مقالة العلم والفن ومقالتي عن لا مقاومة الشر، لكني لم أستطع، وتيقنت أن خطيئتي هي السبب. السبب هو أني أريد أن أقوم بما أريده أنا وأرغب فيه، لا بما يريده هو ويرغب فيه. إن سبب خمولي البدني هو أني لست بكامل قواي فعلًا، وسبب خمولي العقلي هو أني أريد أن أقوم بما أريده أنا. كل ما لديَّ عبارة عن شظايا غير واضحة أو مترابطة، ولكن فلتكن إرادته وما يلهمني به.

أقرأ في «مصيرنا»[١٦١] لجرونلوند. فيها الكثير من المواضع

---

(١٦١) Our Destiny, the Influence of Socialism on Morals and Religion; an Essay in Ethics,. مقالة للورانس جرونلوند راقت لتولستوي كثيرًا.

الجيدة. يقول مثلًا إن الناس لو تمتعوا بحرية مطلقة لتحول الأمر إلى أفدح كارثة ممكنة. قد لا يرتكب أحدهم السرقة، مثلما لا يمكنه الطيران. من الجيد أيضًا ما قاله عن أن المساواة لا بد وأن تكون اقتصادية من حيث الاستهلاك، لا من حيث الإنتاج. لكن الأمر على النقيض من ذلك في نظامنا الحالي، فقد تأسست المساواة فيما يتعلق بالإنتاج لا فيما يتعلق بالاستهلاك. مثلًا بوسع موسيقي عبقري وشاعر أن يعملا في أحد مصانع النسيج، لكن من الناحية الاقتصادية ثمة هوة سحيقة تفصل بينهما، فأحدهما في قمة الترف، والآخر في قاع الفقر.

جيد أيضًا تأكيده -مثلما كتبت بنفسي من زمن بعيد على ما أذكر- أن من الحماقة أن نتحدث عن تساوي الالتزامات عندما يدفع أحدهم ٠,٠٠٠١ من قيمة ما يتحصل عليه يوميًّا، بينما يدفع الطرف الآخر المبلغ ذاته، لكنه يساوي ما يتحصل عليه طوال اليوم. كتبت وقلت[١٦٢] إن الحكومة التي تطلب مساواة كاملة في الالتزامات من الجانبين، وتعاقب بالقدر ذاته على عدم التزام أي من الطرفين بهذه الالتزامات، تخرق بشكل مباشر حقيقة العدالة، وتكتفي بالحفاظ على إطارها الخارجي.

إن جرونلوند في صف سبينسر[١٦٣] وجميع أولئك الذين يرفضون الحكومات أو الذين لا يرون لها دورًا سوى حماية الفرد. يرى جرونلوند أن أساس الأخلاق هو أن يكون الفرد في قلب مجتمع. يتحدث

(١٦٢) في كتاب (ماذا علينا أن نفعل؟).

(١٦٣) فيلسوف بريطاني. مؤلف كتاب (الرجل ضد الدولة).

جرونلوند عن النقابات العمالية كمثال على حكومة اشتراكية حقيقية، أو بالأحرى بذرة صغيرة لها، فهي تدفع الفرد دفعًا إلى التضحية بمصالحه الخاصة وتُطوِّعه لخدمة الأهداف العامة المشتركة. أعتقد أنه مخطئ في ذلك. يقول إن الحكومة تنظم العمل. سيكون هذا جيدًا، لكنه ينسى أن الحكومة دائمًا ما تمارس العنف وتستغل عمل الناس بحجة الدفاع عنهم. إن قامت الحكومة بتنظيم العمل لكان الأمر رائعًا، لكنها كي تقوم بذلك يتوجب عليها أن تكون نزيهة تمامًا، مكونة من أعضاء قديسين. من أين نأتي بهؤلاء القديسين؟ صحيح أن الفردانية -كما يسمونها- والتي تشير بهذه التسمية إلى الخير الخاص بكل فرد، هي واحدة من أخطر المبادئ، ولكن المبدأ المعني بخير المجموعة لا يقل عنها فتكًا. ربما كل ما في الأمر أن خطورته لا تظهر في لحظتها. إن السعي إلى تحقيق هذا التعاون بدلًا من الفردانية، سواء كان تحقيقًا للشيوعية أو أي جماعات أخرى لن يتأتى أبدًا عبر منظمة ما، فلا يمكننا أن نخمن أبدًا كيف ستسلك هذه المنظمة في المستقبل، لكنه لن يتحقق إلا عندما يتبع كل إنسان ذلك الحافز القوي في قلبه؛ أي صوت الضمير أو العقل أو الإيمان، سمِّه كما شئت، فهو قانون الحياة. لا يعيش النحل والنمل حياة مشتركة بسبب إدراكهما أن ذلك هو النظام الأمثل لهما، فليس لديهما مفهوم عن الانسجام والتناغم أو منطقية خلية النحل أو ربوة النمل كما يمكن أن يبدو الأمر لنا، لكنهم يقومان بذلك انسياقًا لغريزتهما الفطرية، وخضوعًا منهما لقانون حياتهما، وليس نتاجًا لتفلسف مراوغ، بل لحكمة مباشرة. لو استطاع النحل تجاوز غريزته الفطرية ووعيه بقانون

حياته، وحاول المضي إلى أبعد من ذلك، بالتوصل إلى أفضل تنظيم ممكن لحياته المشتركة، لاخترع نمطًا من الحياة يفضي به في نهاية الأمر إلى الهلاك، فهذا الوعي بقانون الحياة الداخلي، وحده ما يتضمن بداخله شيئًا أصغر وأكبر من الفكر في الآن ذاته. إننا لم نُمنح سواه كي يقودنا إلى الطريق الوحيد الضيق إلى الحقيقة، الذي لا بد وأن يسلك فيه كل إنسان. هذا أمر شديد الأهمية، وهذا ما أود قوله في مقالتي (يقصد: ملكوت الله بداخلكم). الساعة الآن الثانية عشرة.

١٦ فبراير

لا أزال أشعر بالإنهاك واللا مبالاة. بدأت العمل بحياكة الأحذية. ذكَّرني حديثي مع بافل[١٦٤] بالحياة الحقيقية. ابنه ومعلمه يصنعان ستة أزواج من الأحذية أسبوعيًّا، وكل منهما يعمل ثمانية عشر ساعة باليوم، لستة أيام أسبوعيًّا: من السادسة صباحًا إلى الثانية عشرة صباحًا. هذا حقيقي. نحن نرتدي هذه الأحذية!

اليوم، ١٦ فبراير، عرجت على فاسيلي (فلاح من ياسنايا)، وشعرت بالذهول من أسنانه المهشمة وثيابه القذرة والهواء البارد والفاسد، وعلاوة على كل ذلك، من تلك الرائحة النتنة، مع أني أعرف كل ذلك منذ فترة طويلة. نعم، ليس بوسع المرء أن يرد على ذلك الليبرالي الذي سيقول إن العلم والحرية والثقافة سوف يعالجون كل ذلك، إلا بالقول: «حسنًا، رتِّب الأمر على نحو صحيح، ولكن حتى تفعل ذلك، سيكون أصعب على المرء أن يحيا مع مَن يعيشون حياة الوفرة عن الحياة مع أولئك الذين

(١٦٤) الإسكافي الذي علم تولستوي حياكة الأحذية.

يعانون من العوز. رتِّب الأمر على نحو صحيح، ولكن أسرع وسوف أنتظرك هنا بالأسفل». آآه من كل هذه الأكاذيب! ولكن ما الذي ينقصنا لنُرتِّب الأمور على نحو صحيح؟ يظنون أن ما يلزمهم من أجل تحقيق ذلك هو أن تكون لدينا وفرة كبيرة من الخبز والتبغ والمدارس. ولكن كل هذا سيبدو قليلًا. سيريوجا (فلاح من ياسنايا) المتعلم قد سرق المال من أجل أن يسافر إلى موسكو. إنه... ولقد ضربه أبوه، أما كونستنتين (فلاح من ياسنايا) فكسول. كي نُرتِّب الأمور على نحو صحيح لسنا في حاجة للقيام بتغييرات مادية ضخمة وزيادة كل شيء، بل نحن في حاجة لإصلاح أرواح الناس، وأن نجعلهم صالحين وأخلاقيين. لكنك لا يمكنك فعل ذلك سريعًا بزيادة المنتجات المادية. الطريقة الوحيدة لحل المشكلة هي أن تجعل البشر جميعًا صالحين. ولكن كي تساعد على الوصول لذلك، ولن أقول كي تُحقِّق ذلك فعلًا، أليس من الأفضل أن تنفصل تمامًا عن أولئك الكسالى الذين يعيشون على عرق ودماء إخوتك، وتنضم إلى إخوتك المنهكين؟ هذا صحيح قطعًا.

بالأمس فكَّرت في الآتي:

قوتي الذهنية تضعف، ولا أستطيع الكتابة. ربما يكون السبب أني لا أتناول الزبد، وبالتالي أُحرم من الفوسفور الذي يتكون منه؟ الفوسفور يُقوي عملية التفكير. حسنًا. وما جوهر الحب؟ ليست لديَّ أفكار، ولكن الحب يزداد بداخلي. إنهم على حق في قولهم إن الفكر يمكن اعتباره نوعًا من الحركة، أما مع الحب، الحياة، يستحيل ذلك. إن ما يفعلونه يشبه ما يفعله أي شخص يفحص قاطرة ما: العجل يعمل بفعل العتلات،

والعتلات بفعل المكابس، والمكابس بفعل البخار، والبخار بفعل الماء، والماء بفعل الحرارة، وإن لم يستطع المراقب رؤية الأفران والحطب، وأراد أن يوضح سير العملية، لقال: «الحرارة تتولد بفعل الاحتكاك». الحركة تنتج احتكاكًا، والاحتكاك ينتج حرارة، والحرارة تُحوِّل الماء إلى بخار.

بالأمس قرأت في مجلة *Review of Reviews*. مقززة، لكنها تضمنت مقالة عن الإضرابات. تحاول المقالة إثبات أن الرأسماليين في أستراليا قد ربحوا معركتهم بتوحيد قواهم. من الواضح فعلًا كم يمكن لتوحيد قوى الرأسماليين أن يهزم الإضرابات، وأن الرأسماليين المُدعمين بالسلطة والقوة سيظلون أقوى دائمًا.

الساعة الآن الحادية عشرة. نسيت أن أدون أهم نقطة:

أشعر بالثقل لأني لم أُنفِّذ ما فكرت فيه، ولم أكتب في مقالتي عن العلم والفن وفي مقالتي عن لا مقاومة الشر، ولكن من قال لي إن هذا العمل من الله؟ ألم أكن أرى سابقًا أن كتاب (الرسائل الإقليمية) لباسكال المكتوب بحب شديد، ليس له قيمة، ولكن كتابه (الأفكار) هو حقًا ما يوافق عمل الله؟ أخطر شيء هو حسم الأمر تمامًا بالنسبة لما تجب كتابته، والأفكار السيئة التي لا تستحق التفكير فيها. هذا ضروري لي، لكني أنا مَن قررت ذلك، لا الله. هذا يماثل مُنضِّد حروف في المطبعة، يخمن المعنى حسب ما يتراءى له، بدلًا من أن يعمل على كل حرف. مشيت في الطريق ووجدت العمال يضعون حجرًا على الطريق. قلت لهم: هل سترصفون الطريق؟ قالوا: «لا، إن عملنا يقتصر على وضع

الحجر هنا». هكذا لكل منا عمل محدد، وكلما قلَّ الناتج منه وركزت على عمل واحد محدد - على الرغم من أني لن أفكر أبدًا في الأمر، لأنه مرتب من تلقاء نفسه - بعث فينا العمل مزيدًا من الفرحة وازدادت ثماره. إنها أسطورة رائعة، تلك التي تُحكى عن إبراهيم، وكيف أمسك بابنه ليذبحه، ومن هذا الابن أتى نسل كرمل البحر. هكذا يجب أن أكون مستعدًّا دائمًا لحرق وتدمير كل ما أنتجه وأحبه.

يُقال إن حرية الإرادة هي تعزيز نظام وقانون قد سبق تحديده، بوعي وحرية. أما أنا فأقول: إن حرية الإرادة تتمثل في أن تقوم أو لا تقوم بما يجب القيام به؛ أي أن تكون زهرة مثمرة أو زهرة عقيمة. ليست الحرية سوى الاختيار بين الإثمار أو العقم. لا بد من وجود زهرة عقيمة، ولا بد من زهرة مثمرة. إن نظرنا إلى الحياة الإنسانية، وكذلك إلى أي حياة أخرى، فسنجد أن كل شيء يجري وفقًا لقانون، أما الإنسان فيرى الأمر وكأن...

كل هذا هراء. لا يمكن أن تتحقق الحرية في ظل حياة محدودة، بل في حياة غير محدودة وإلا فلا. إن كانت ثمة لا نهائية داخل الإنسان، فحينها هو حر، وإن كان العكس، فهو شيء. يحدث الكمال في سير حركة الروح عبر حركة بطيئة لا نهائية، وهي حركة حرة وعظيمة ولا نهائية من حيث عواقبها لأنها لا تموت.

١٧ فبراير.

كنت قد انتويت أن أذهب إلى بيروجوفو بالأمس، لكنني غيَّرت

رأيي. قرأت في كتاب مونتين وكتاب إرتيل[١٦٥]. الأول قديم، والثاني سيئ. روحي المعنوية منخفضة بشدة، لكني حظيت بحديث جيد مع أبنائي ومع صوفيا، بالرغم من أنها قلقة بشدة. أتى جي بصحبة زوجته وجلب معه لوحة. إنها جيدة. يا لنزقي العجيب وشعوري بالحاجة لمعارضة زوجتي! الساعة الآن الثانية عشرة. لم أبدأ الكتابة بعد. أود لو أكتب دون عمليات التصحيح اللا نهائية التي أقوم بها، والتي تجبرني على البدء من جديد. بهذه الطريقة يمكنني بالكاد إنتاج شيء. ثمة مقالة لميخايلوفسكي عن الكحول والتبغ. مدهش حقًّا ما هم في حاجة لكتابته! ولكن الأكثر إدهاشًا هو ما يثير اهتمامي بأمر كهذا! ساعدني يا أبي كي أخدمك وحدك وألا أُقيِّم سوى أحكامك.

٢٤ فبراير.

مرَّ أسبوع آخر. في يوم ١٨ وصل جي بصحبة زوجته وجلب معه لوحته. إنها لوحة تتطلب انتباهًا شديدًا. إنه على خلاف دائم مع زوجته، وهو أمر يبعث على الضيق والحذر. بالأمس وصلت أنينكوفا من موسكو، وأخذت تتحدث عن دونايف وزوجته. في يوم ٤ وصل جوربونوف. يبدو لي شديد اللطف. كتبتُ خطابات لبوشا ولويفر[١٦٦] بأمريكا ولكوزمين وآخرين.

---

(١٦٥) ميشيل دي مونتين: كاتب فرنسي شهير ورائد المقالة الحديثة في أوروبا. ألكسندر إرتيل: كاتب روسي.

(١٦٦) جيمس ويفر: مؤسس جماعة فرسان العمل بأمريكا.

كنت قد توقفت عن الكتابة في مقالتي عن العلم والفن، وعدت للكتابة في مقالتي عن لا مقاومة الشر. اختمر كل شيء في ذهني، لكن القوة تعوزني. لم أفعل شيئًا، ومع ذلك أتعمد ألا أكتب عندما لا أكون في كامل قواي. أُصلِّي بتكاسل.

٢٥ فبراير.

جاء جوربونوف وأنينكوفا. أتحدث وأفكر لكني لا أعمل. كتبت بعض الخطابات، وذهبت إلى يسينكا. حاولت ولكن بلا جدوى، ولكن في تلك الأثناء اختمرت في ذهني أفكار هامة جدًّا من أجل مقالة (اللا مقاومة). إنها تحديدًا حول تفسير جوهر التعليم المسيحي.

إن كافة التعاليم التي جاءت قبل المسيح، وهدفت إلى إقامة نمط من الحياة المشتركة، مثل تعاليم موسى وسولون (مُشرِّع يوناني) وليكرجوس (مُشرِّع إسبرطة) وكونفوشيوس، طالبت بإحداث تغييرات في شكل المجتمع، وأقرت استخدام العنف وسعت إلى تحقيق حياة خالية من الشر تمامًا، لذا سعت إلى نفي الأشرار وتدميرهم. بعض التعاليم الأخرى لم تهدف إلا إلى تغيير الحياة الداخلية، مثل تعاليم البراهمة والبوذيين، وكافة تعاليم النُّسَّاك، وأنكرت الحياة المشتركة الخارجية، ولم ترِد أن تعترف بها. ينتمي التعليم الكنسي المسيحي إلى النمط الأول، خاصة في علاقته بالدولة، فهم يتعاملون مع الحياة كما لو أن الشر غائب تمامًا، أو على الأقل كما لو أن الشر غير مرئي، فيُرسل الأشرار إلى السجون أو يُنفون، أو يخشون التعبير عن الشر بداخلهم، ويتصرفون كما لو أنهم مسيحيون. تنتمي المسيحية النُّسكية إلى النوع

الثاني، وأولئك الذين يتبعون تعاليمها لا يولون عنايتهم إلا لأرواحهم، ويهجرون العالم الفاسد تمامًا.

أما تعاليم المسيحية الحقيقية فهي تجمع بين الجانبين؛ تنادي بتنفيذ أرفع قدر من العدالة الخارجية، لا بصورة مظهرية، ولكن بوسيلة حقيقية تتأسس على كمال كل فرد من المجتمع، وهذا من أجل المجتمع وحده.

٢٦ فبراير.

فكرت ليلًا، وتحدثت لتوي مع جوربونوف عن مقالتي عن العلم والفن. كان سير الأفكار كالآتي: العلم، أو ما يسمونه الآن علمًا، هو عمل تافه؛ لأنه ينبع في الأساس من مقدمة كاذبة. إنه لا يعترف بحقيقة أي عالم سوى المادي. كتبت لستراخوف، الذي أتفق معه، ضد تأكيد بيكيتوف[١٦٧] على أن الأخلاق لا يمكن إلا أن تضر بالفرد، بل والعائلة، تمامًا كما تفعل النار بالشمعة. ربما من الأفضل للنمل الذي يعيش وسط مجتمع من النمل، أن يتحلى بالتواضع والخضوع، وأن يكون أخلاقيًا، لكن ذلك قد يكون غير مفيد بالنسبة لنملة أخرى، تعتقد أنها لا بد وأن تحيا حياة غير أخلاقية. لكن حتى إن اجتمع النمل كله في كثيب نمل واحد، سيكون من الأصلح له ألا يكون أخلاقيًا في تعامله مع بقية الحيوانات. علاوةً على ذلك، حتى إن اعتبر النمل صراعه مع بقية الحيوانات أمرًا غير أخلاقي، يستحيل القول أين تقع تحديدًا النقطة التي تفصل بين نهاية النمل وبداية الحيوانات الأخرى. هكذا هو الأمر مع الإنسان: أين ينتهي الإنسان وأين يبدأ الحيوان؟ يقول رينان: «إن موت فرنسي يشكل حقيقة

(١٦٧) أندريه بيكيتوف: عالم روسي بارز.

أخلاقية، بينما موت قوزاقي هو مجرد حقيقة فيسيولوجية». هكذا يفكر الإنجليزي أيضًا في الزنجي والهندي. في حقيقة الأمر يختلف فرد من قبيلة الزولو تمامًا عن أدين بالو. الحمقى والأطفال والشيوخ ومن فارقهم العقل، هل نعتبرهم بشرًا؟ أين هي الحدود؟ في ذلك أنا مدين بالكثير للداروينية. لا يمكن أن تكون الأخلاقية صوب إنسان بعينه، بل لا بد لها أن تكون مع البشر جميعًا، وهذا يعني أن نتحلى بالحب؛ مزيد من الحب، وتوزيع أفضل لأهداف الحب، يعني بالضرورة أن نكون أكثر أخلاقية، والعكس صحيح. من المستحيل إذَنْ أن نجمع بين الأخلاق والصراع. الأخلاق مضرة، وفي الوقت ذاته هي حياة الروح الحقيقية التي تسكن الجسد.

وها هو العلم في زماننا، لا يعترف بواقعية شيء إلا ما لا يملكه، ويعتقد أنه يمثل الحقيقة الوحيدة، ويدرس الظلال ويطارد الأشباح، ويندفع إلى بقعة واحدة، لكنه يشعر من تلقاء نفسه أن شيئًا ليس على ما يرام، وأن عليه بطريقة ما أن يكتشف حقيقة الحياة الإنسانية التي تدمر كل شيء بتأثير من تسلسل فكري محدد وصارم، ويحاول بأكثر الطرق لا منطقية أن يقوم بشيء غير ممكن؛ ألا وهو أن يفسر الحياة الروحية بقوانين مادية. هذا ما يحاول كل من ألفريد فويلي (عالم فرنسي) فيلهيلم فونت (عالم ألماني) وتشارلز ليتورنيو (عالم أنثروبولوجي) القيام به.

بالأمس قرأت لديدرو (الكاتب الفرنسي)، وكان يقول إن الناس لن يصلوا أبدًا إلى السعادة إلا عندما لا يعود لديهم قياصرة ورؤساء وقوانين، ولا يعود سوى أنا وأنت. الساعة الآن الحادية عشرة.

١ مارس (٢٧ فبراير - ١ مارس).

أول أمس ذهبت إلى تولا على متن الجواد من أجل أن أجلب الدواء، وفي المساء ذهبت من أجل ليوفا وتانيا وماماتوفا. كتبت قليلًا في الصباح، وشعرت كما لو أن كل شيء قد انجلى. بالأمس ذهبت أيضًا إلى تولا، وعدتُ بصحبة جوربونوف. تعاملت معه على نحو جيد جدًّا. ذهبت إلى آل رايفسكي. ماشا تعيش على نحو جيد. بالأمس وصلتني خطابات جيدة، خاصة خطاب راخمانوف، فأجبت عليه وأعطيت الخطاب لجوربونوف.

اليوم، وبعد ليلة سيئة، استغرقت منذ الصباح في الكتابة في مقالة (لا مقاومة الشر). إني أتقدم. في المساء نمت. وقرأت لإبسن وهاينرش هينه. فكرت في الآتي:

كل شيء حولنا يُثبت بوضوح أن معنى حياتنا الحقيقية يتأسس على إنكار الذات والتضحية والمعاناة، وهي حاجة يشعر بها الكثيرون بما فيهم أنا. أحيانًا تراودنا هذه الرغبة، وفي أحيان أخرى تراودنا الرغبة الجنسية، لكنها ليست أقل صدقًا وقوة. حقيقة أنها رغبة بلا معنى، كثيرًا ما تكون أكبر تأكيد على طبيعيتها.

كان هناك أمر آخر، لكني نسيته.

٢ مارس.

كتبت على نحو سيئ، بل إني لم أكتب شيئًا تقريبًا. أدنت ما فعلته بالأمس. وصل سيريوجا وإيليا وتسيريكوف. إنه إنسان ذكي وحساس.

بالأمس، أثناء حديثي مع مامانوفا، تجلى لي عقم كل تلك المؤسسات الخيرية، وليس ذلك فقط، بل كذلك كافة المنظمات الاشتراكية كالنقابات العمالية وما إلى ذلك. إن أهم ما في الأمر هو ما يختص بهؤلاء الفقراء الذين ليس لديهم عمل، أو أن عملهم لا يكفي لسد رمقهم. هؤلاء الذين يقولوا عنهم إنهم لم يجدوا المكان الصحيح، ففقدوا وظائفهم، أشرار كسالى ضعفاء تتملكهم الشهوات يجلبون الخزي لأنفسهم. إن جميع هؤلاء العمال ليس لديهم عمل بسبب ظروف العمل الحالية، أو ليس لديهم المال الكافي للعمل. مهما دعَّمتهم، لن يرضوا أبدًا؛ لأن دعمك لهم سيُزيد من متطلباتهم ومن عددهم. مهما تحسنت ظروف السوق، ومهما زادت رواتبهم، لن يرضوا أبدًا ولن تقل أعدادهم. هؤلاء هم الذين تواروا بالخلف أثناء المنافسة. وطالما استمرت المنافسة، فسنجد أناسًا قد تواروا بالخلف، لذا فإنشاء المؤسسات الخيرية وتحسين أوضاع العمال لن يطال أولئك المتوارين بالخلف. كي لا تظهر مثل هذه الفئة لا بد وألا تكون هناك منافسة من الأساس، وهذا ما كتبته سابقًا، أي أن نستبدل مبدأ المنافسة بمبدأ التضحية والحب. الساعة الآن الثانية عشرة. سيقضي ليوفا ليلته عندي. سأنام.

٣ مارس.

أنام كثيرًا. أنا على وشك المرض، وفي حالة بلادة فكرية. لم أستطع كتابة شيء. تنزهت. أبنائي هنا وكذلك تسيريكوف. أشعر بالملل. الساعة الآن الحادية عشرة.

٤ مارس.

لا أزال في الحالة ذاتها؛ ضعف جسدي وفكري، حتى إني ليست لديَّ رغبة في العمل. أعمل بحياكة الأحذية. قرأت مقالة تشيج عن أخلاق المجانين. مكتوبة بشكل سيئ للغاية، وبمزاج رائق. الأخلاق موهبة سامية. إن تحرينا الدقة، فالسمو هنا يتعلق بالقدرة على رؤية المثل الأعلى وتوجيه الحياة صوبه، وكذلك القدرة على الإيثار -طبقًا لما كتبه- والتضحية بالمصلحة الآنية من أجل المستقبل. إنه مخطئ في اعتقاده أن الأخلاق هي قوة فائضة، وجودها غير مرتبط بقوة الحالة العصبية. هذا غير حقيقي. يمكننا القول إن القوة الأخلاقية «الروحية» تزيد من قوة الحالة العصبية. ولكن ما مصدر هذه القوة؟

٥ مارس.

استيقظت مبكرًا. تمشيت وصليت. كان اليوم ثقيل الوطأة عليَّ. صوفيا تتحدث عن أمور طباعة كتبي ولا تدري كم يُثقل ذلك عليَّ. نعم، إن ذلك يُشعرني بألم خاص لأنه ثقيل الوطأة على روحي. لهذه الحياة الباذخة الشريرة التي أحياها أثر شديد الوطأة على نفسي. لم أكتب شيئًا. أقرأ في كتاب جرونلاند. لا بأس به، لكنه قديم. قلت في نفسي: قرأت مقالة لكوزلوف ضدي، ولم أشعر بألم شديد. أظن أن ذلك بسبب أني استفدت من دروس كثيرة في الفترة الأخيرة، ومن مواقف صعبة مررت بها. أصابتني البلادة في هذه الأمور، أو ربما أني قد تعافيت قليلًا وأصبحت أقل كبرياءً. يا لفائدة الألم! ولا أقصد الجسماني فقط، بل كذلك الأخلاقي. إننا لا نتعلم إلا به. كل ألم شديد الضرورة، مثل آلام

التوبة عن عمل شرير، إن لم يكن لنفسي، فللآخرين الذين سأخبرهم عن الأمر. هكذا هو الأمر معي. أود أنا أقول -بل ويمكنني ذلك- إن كافة معاناتي الأخلاقية هي من أجل الآخرين. أفضل ما يمكنني فعله، وأكثر الأمور طبيعية كي أتمكن من الخروج من هذا الوضع الصعب؛ وأقصد الحياة الدنيئة التي أحيا فيها، هو أن أكتب ما أكتبه الآن، وأنشره. أريد أن أعاني. ساعدني يا أبي. الساعة الآن الحادية عشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي وأنام.

٩ مارس.

طوال هذه الأيام الثلاثة الأخيرة وأنا منهمك في الكتابة. صحيح أني لم أكتب الكثير لكنه مهم، وأنا أتقدم. أعتقد أني في نهاية الفصل الرابع (يقصد في: ملكوت الله بداخلكم). جاء ليوفا وانصرف بالأمس. قبل انصرافه بقليل تحدثنا عن الوراثة. أصر أنها فكرة صحيحة. بالنسبة لي، فكرة أن البشر غير متساوين في قيمتهم الجوهرية، تشبه أن يعترف رياضي بأن أرقام ١ متعددة لا تساوي بعضها. حينها من شأن علم الحياة بأكمله أن يتهاوى. أشعر بالحزن والكآبة والخزي طوال الوقت. حمدًا لله بدأت أتذكر: أشعر أني غارق في وحل الكبرياء. لم تكن لديَّ رسائل عليَّ أن أجيب عنها. بالأمس ذهبت إلى يسينكا، وعرفت أنهم لم يطلقوا سراح الفلاحين بسبب سرقتهم للشجر. كان لابوخين هو القاضي. يقول: «فلتتحقق العدالة بأي ثمن، حتى إن هلك العالم كله» (بالفرنسية في الأصل). إن أهمية الأمر له كأهمية الجوارب لي! قرأت في كتاب جيد. إنه كتاب (مصيرنا) لجروند. إننا جميعًا نتناول الموضوع

ذاته، ونقترب منه من زوايا مختلفة، وهو أمر يبعث على السرور. فكَّرت ليومين، وكنت أستيقظ ثم أتنزه مباشرة.

لقد اتضحت لي طبيعة الإيمان الأعمى، المرتبط بالترهات، الإيمان بالماضي، إيمان سولوفيوف وتروبتسكوي وستاخوفيتش، والذي لم أكن أفهمه من قبل. فهمت ذلك فيما يتعلق براتشينسكي، متذكرًا كيف كتب لي أنه لم يعد يتناقش مع أصحاب العقائد. لقد ربَّى إيمانًا بداخله، وعوَّد نفسه عليه، أما الآخرون، ولنقل معظم الناس، قد أَلِفوا إيمانًا ما من الطفولة. لدينا نوعان من الإيمان: إيمان بالتعود، وهو إيمان بالماضي، والذي يستخدم فيه المرء العقل من أجل تفسير ما يؤمن به فعلًا منذ الطفولة، ولدينا الإيمان العقلي الذي يقول عنه بولس: «وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا ترى». الإيمان العقلي هو إيمان بما لا نستطيع بعد أن نعبر عنه بوضوح، أو نحيط به من كافة جوانبه، ولكن ما يعرفه العقل فعلًا هو الإيمان بالمستقبل. الخلط بين هذين الإيمانين يُحدِث سوء فهم. الإيمان الأول هو إيمان ميت، لا يتحرك، أما الثاني فحيوي ويتحرك.

ألقيت قطعة صغيرة في دوامة، وأخذت أراقبها وهي تدور. قد لا تكون الباخرة سوى قطعة أكبر قليلًا، والأرض ليست إلا جزءًا ضئيلًا من الكون... كذلك هي مدة ألف عام، ودقيقة، كل هذا يعتبر لا شيء، وكل المادة لا تمثل شيئًا، لكن لدينا قانون واحد لا ترقى الشكوك إليه، وكل شيء يكتمل به، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا؛ إنه إرادة الله. لذا فإن أردت أن تحيا بالحقيقة، لا مجرد حياة متوهمة، فعليك أن تعيش طبقًا لإرادة الله.

قرأت تعريفًا رائعًا لهنري جيمس عن ماهية التقدم الحقيقي. يقول: إن التقدم يشبه أن يتعلم المرء كيف يُخرج من قطعة الرخام تمثالًا بالنحت، وكيف يزيل كل ما لا ضرورة له. إن الرخام مادة، وهي في حد ذاتها لا تمثل شيئًا، ولكن ما يهم هنا هو عملية النحت، وإزالة كل ما لا ضرورة منه.

حلمت بأن ما هو حقيقي (حقيقي وليس واقعي) هو ما تعرفه أنت بنفسك وتختبره وتتحدث عنه باعتباره نتاج لتجربتك. كل شيء آخر قد يكون خاطئًا. أشعر بالألم في المكان والزمان الآنيين. هذا أمر لا شك فيه ما دام بإمكاني تمييز أحاسيسي. ولكن القول مثلًا بأن الأرض كروية تدور، ناهيكم عن القول بأن جميع الكائنات الحية نشأت بطريقة معينة، لا يمكن أبدًا أن يكون أمرًا لا يرقى إليه الشك. يستحيل أن نصف مقولات من قبيل ٢ × ٢ = ٤، أو أن كمية معينة تبلغ كذا، أو أن الضلع القائم= كذا، أو ما يتعلق بأوتار المثلث، بأنها صحيحة أو خاطئة؛ لأن هذا ليس إلا تأكيدًا على ما أعرفه بالفعل. كذلك تحديد نسبة الهيدروجين والأكسجين في الماء، لا يمكن أن تكون صحيحة إلا عندما تكون من واقع خبرتي الخاصة.

في البداية كنت أُصلِّي من أجل أن يُخلصني الله من تجارب الشهوة الجنسية، ثم الكبرياء، ثم الكراهية. كما لو أن الحب يجب أن يمر عبر الطهر والتواضع. لكن هذا غير صحيح. بالرغم من أني قد كتبت وفكرت، ولا أزال أفكر في أن الحب هو جوهر الحياة، وإنه إن لم يعقه شيء لا يمكن أن تتدفق الإغواءات من الروح... بالرغم من أني قلت

ذلك، وأن هذا صحيح، لكن بعث الحب في الإنسان لا يمكن أن يتم بمجرد تجديد الحياة والتخلص من إغواءات الشهوة والكبرياء. الأمر على النقيض من ذلك، في البداية يجب أن نطرد الشر من داخل القلب، وحينها سينهزم الكبرياء، وبالتالي تنهزم الشهوة. الضعف يبدأ من قمة الهرم، ففي البداية تعترض الكراهية طريق الحب، وما إن تظهر الكراهية حتى يلحق بها الكبرياء ومن خلفها الشهوة. لا يمكننا إذَنْ أن نصلح الأمر من أسفل، بل من أعلى. ما أقوله غير واضح، لكني اختبرت ذلك، ولا أزال.

فكَّرت اليوم في أن كافة أعمالنا الفنية وثنية، وأنا هنا أتحدث عن الشِّعر تحديدًا، كل الأبطال والبطلات يتمتعون بالجمال والجاذبية الجسدية. الجمال قبل أي شيء آخر. يمكن لهذه الفكرة أن تكون بذرة عمل فني كبير.

صباح اليوم قلت لصوفيا بصعوبة واضطراب أني سأعلن أن للجميع الحق في طباعة ما يشاؤون من كتاباتي. ارتسمت خيبة الأمل على وجهها، وعندما عدتُ قالت بوجه قد احمر من فرط الغضب أنها سوف تطبع أي شيء لي نكاية بي وحسب. حاولت تهدئتها، وبالرغم من أني قمت بذلك على نحو سيئ، لكني انزعجت أنا الآخر وتركتها. جاءتني بعد الغداء، وبدأت تُقبِّلني وهي تقول إنها لن تفعل شيئًا أبدًا ضدي، وانخرطت في البكاء. كنت سعيدًا جدًّا. ساعدني يا أبي! نسيت شيئًا هامًّا. الساعة الآن التاسعة. سأصعد للطابق العلوي.

١٣ مارس.

نحن الآن في مساء يوم ١٣. لقد رحلت صوفيا لتوها إلى موسكو بصحبة دافيدوف[١٦٨]. رحل كريلمان اليوم هو الآخر (صحفي أمريكي). لقد أرهقني للغاية. إنه إنسان ذكي وماهر لكنه متصنع، وهو أرستقراطي أمريكي جمهوري. أتي أول أمس وابتلع اليومين بحالهما. في خلال هذين اليومين أتي نيكوفوروف أيضًا، وتعاملت معه على نحو جيد جدًّا. جاء فياتشيسلاف أيضًا (شقيق صوفيا) أيضًا في يوم ١٠. في ذلك اليوم عملت قليلًا، ثم ذهبت إلى دافيدوف بتولا لأتابع شؤون الفلاحين. يمكن تسوية الأمر. الأمور تمضي على نحو جيد جدًّا مع صوفيا. رأيتها اليوم تُخرج صور أبنائنا جميعًا عدا فانيتشكا، وهي تشعر بالفخر والإعجاب بهم. أمر مؤثر! فحصت ما كتبته سابقًا وعملت بالتصحيح. الأمور تنجلي لي أكثر فأكثر. فكرت في أمور كثيرة ونسيت، لكني دوَّنت فكرة واحدة:

الناس يعرفون القليل، إما لأنهم مشغولون بالتفكير فيما لم يُعط لهم أن يفهموه مثل: الله - الأبدية - الروح... إلخ، وإمَّا فيما لا يستحق التفكير مثل: كيف يتجمد الماء، أو نظرية الأعداد، أو نوعية البكتيريا الخاصة بكل مرض وما إلى ذلك. كلما حاولوا الإمساك بمثل هذه الأشياء، أفلتت من بين أيديهم. ثمة طريق واحد للمعرفة، مثلما يوجد طريق واحد للخير. لا يلزمنا أن نعرف شيئًا سوى الطريقة التي يجب أن نعيش بها.

---

(١٦٨) لتحاول أن تجعل السلطات تسمح بنشر الجزء الثالث عشر من أعمال تولستوي الكاملة، من الطبعة التي أصدرتها هي.

١٧ مارس.

ما نشروه كان من قصيدة لنيكولاي بالكين. طوال هذه الأيام وأنا في حالة معنوية سيئة. لم أكتب شيئًا. كل ما فعلته أن راجعت بعضًا مما كتبته. ذهبت صوفيا إلى موسكو، وهي في طريق العودة الآن. وصلني خطاب من جريدة أرينا، مرفقًا به رسالة من بالو. كانت جيدة جدًّا.

قلت أثناء حديثي مع الأمريكي: إن الحياة المادية هي مجرد ظل للحياة الحقيقية، وكان ذلك ردًّا عليه حينما قال إننا إن باغتنا مركزًا معينًا في المخ، ثمة تغييرات ستحدث في الروح. كيف نُجري مقارنة إذَنْ بالظل؟ تغيير وضع الإطار الذي ينعكس عليه الظل لا يغير من جوهر الشيء نفسه. التغييرات المادية هي تغييرات تحدث على السطح. إن قارنا بينهما وقلنا إن هلاك الحياة الحيوانية؛ أي الموت، هو دمار للروح، فهذا يماثل القول أن الظل إن اختفى عن أبصارنا، يختفي الجسم ذاته. لذا هلاك الجسم قد يكون دلالة على تعزيز الحياة، كما أن زوال الظل قد يكون دلالة على زيادة الضوء، لكنه من زاوية أخرى.

الساعة الآن العاشرة. فاريا هنا. آلام شديدة أسفل المعدة.

١٨ مارس.

استيقظت مبكرًا جدًّا، لذا غفوت ثانية. لا يسعني القول إني كتبت شيئًا، فلم أنجز سوى قدر من المراجعة والتصحيح. تكتنفني حالة مدهشة من ضعف الفكر واللا مبالاة. إنها تجربة كما يقول الرهبان. لا بد وأن أقنع أن مهنتي ككاتب قد انتهت، وعليَّ أن أسعد من دونها. المشكلة

الوحيدة أني في غياب الكتابة تزداد كراهيتي لحياة الترف التي تحيط بي إلى درجة لا يتوقف معها عذابي. قرأت سيرة ذاتية لأحد أفراد طائفة المترجفين[١٦٩] ثمة مواضع كثيرة فيها ممتازة. ثم قرأت في مجلة (أرينا) مقالة: ما المسيحية؟ لأبوت[١٧٠]. ممتازة! إنها تتضمن جزئيًّا ما أردت أن أقوله بنفسي. كنت أفكر في البدء في الكتابة، لكني شعرت مجددًا بالنفور واللا مبالاة. رغم ذلك لديَّ عدد كبير من المقالات الجيدة التي يمكن أن أعمل عليها.

بالأمس استلمت مقالة تشيرتكوف. جيدة جدًّا. لا بد وأن أكتب له. أُصلِّي، لكن لا أشعر بحِراك عقلي أو فني أو روحي بداخلي. «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ». «لتكن لا إرادتي بل إرادتك». ساعدني يا أبي. في البداية كان كل شيء يبدو لي مهمًّا، يستحق الانتباه، سواء كانت اليوميات أو المراسلات أو العمل. أما الآن لا يجتذبني شيء. ماشا في بيروجوفو.

٢٤ مارس.

انشغلت في هذه الفترة بالعمل، واخترت في ذهني الفصول ٣، ٤، ٥، كما عملت بالمراجعة. بدأت كذلك العمل على الفصل السادس الذي اختمر في ذهني هو الآخر، لكني لم أكتب بعد فيه. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

---

(١٦٩) فريدريك إيفانز.

(١٧٠) ليمان أبوت: فيلسوف ولاهوتي أمريكي.

مكتبة
t.me/t_pdf

١- أجرى جون هيرشل[١٧١] حسابًا يفيد الآتي: إذا تضاعف عدد البشر مرة كل خمسين عامًا، كما هو الحال الآن، بعد مرور ٧٠٠٠ عام، يمكننا أن نشكل من جنس واحد فقط (الذكور أو الإناث) هرمًا قاعدته الأرض بأكملها، يصل إلى السماء، بل إن الأمر سيتجاوز ذلك الحجم بـ ٢٧ مرة. ماذا نستنتج من ذلك؟ لدينا استنتاجان: إما أن نتمنى ونسمح بانتشار الطاعون والحروب، وإما أن نسعى إلى العفة. لن نصل إلى التوازن سوى بالعفة. إن إحصائيات الحروب والأوبئة والتبتل يمكن أن تثير الاهتمام بالمعنى المعاكس، أي أنه كلما كانت الظروف أقل ضررًا، ازداد عدد المتبتلين، فكل ظرف منهما يعادل الآخر. ثمة استنتاج آخر يظهر بشكل تلقائي، لا أزال غير قادر على التعبير عنه بوضوح؛ ألا وهو خطأ العناية العقلية بالحسابات المتعلقة بالحفاظ على حياة الناس. الحب هو القاعدة الوحيدة، وهو لا يأتي بمفرده، لكنه يقترن دومًا بالطهر. تخيل شخصًا يُنجب المزيد والمزيد من النسل، وفي الآن ذاته يود أن يوجِّه كافة عنايته للحفاظ على حياة الناس. قد يبدو اقتران العملين معًا نوعًا من الجنون. كان من الأصح والأدق لو أنجب فردًا وقتل آخر!

أمر واحد معقول: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ»[١٧٢]. الكمال في الطهر أولا، ثم الحب. استنتاج: الطهر في البداية، ثم الحفاظ على حياة الناس، أما ما لدينا فهي تلك العناية العلمية الباردة بحياة الناس، ولن أقول إنها تفتقر إلى الحب، ولكن حتى

---

(١٧١) عالم رياضيات وفلكي إنجليزي.

(١٧٢) متى ٥: ٤٨.

إلى أبسط المتطلبات الأخلاقية كالطهر واللطف.

ما الهدف من الحفاظ على حياة الرُضَّع والمرضى والمجانين؟ ليس هناك سبب منطقي. لا تهتم بالحفاظ على حياة الناس، ولكن املأ قلبك بالحب لهم وعاملهم بالصلاح.

٢- حلمت بإنسان غامض ضعيف، يسير بيدين متدليتين، يؤرجحهما فتبدوان كشرابتي ذرة.

٣- كتبت خطابًا لبوبوف ولم أكمله. كنت أريد أن أكتب له إننا نعاني من شعورنا بعدم الرضى عن أنفسنا. حمدًا لله على ذلك. يستحيل ألا نعاني. لا بد لنا من المعاناة. عزاؤنا هو أننا عانينا كذلك في مثل هذه الظروف من قبل، لكن معاناتنا كانت تبعث فينا العذاب، وكشفت عن عدم رضانا عن الآخرين وكراهيتنا لهم، لكنها الآن توضح عدم رضانا عن أنفسنا واشمئزازنا منها. إنها معاناة تتضمن بين ثناياها عزاءً، فنعيش بلطف.

٤- «احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. أَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ»(١٧٣). هذا ما يقوله أيضًا السيد الصالح لجواده، وهو يسرجه، ويهدئ من روعه، فالزمام رقيق، والحمولة خفيفة. آآه، إننا ننسى كل شيء ونصارع طوال الوقت!

٥- كتبت لفاينرمان، ولم أكمل كذلك ما وددت كتابته عن المبادئ،

---

(١٧٣) متى ١١: ٢٩- ٣٠.

والفارق بينها وبين المعتقدات. لقد كتب عن ذلك مبادئ مرفوضة تمامًا؛ أي تعريفات عقلانية للحياة. إنه غير محق في ذلك. لا بد أن أكتب له. النشاط العقلي يُرشدنا إلى أفعالنا المستقبلية وقواعد الحياة. من المستحيل أن ننكره، كما أن من المستحيل أن ننكر أن المرء كي يسير لا يمكنه أن يدفع بقدم واحدة ويُحمِّل الوزن للأمام، بل لا بد له كذلك من تحريك قدمه للأمام بصورة مستمرة. الفعلان لازمان للحركة. هكذا هو الأمر فيما يتعلق بفاينرمان وبيريوكوف.

٦- بالأمس بعد أن ذهبت لتولا، فكَّرت في أمر لا أعرف هل التفكير فيه خطيئة أم لا. فكَّرت في أني أعيش حياة صعبة؛ أعيش في ظروف وأجواء تحيط بي تنضح بالحسية والشهوة الجنسية والكبرياء، وكل ذلك يثقل كاهلي بشدة. صحيح أني لا آكل وأشرب مثلهم، ولا أعيش حياة مترفة، ولا أختال أمام أحد، وصحيح أني أكره كل ذلك، ولا أحتاج إليه، لكن هذا الظرف الغريب يحرمني من تكوين فكرة حقيقية عن جمال الحياة. إني محروم من التعامل مع الفقراء والتواصل الروحي معهم. لا أعرف... لا أعرف ما إن كان خضوعي لما يفسد أبنائي أمرًا حسنًا أم لا. لا أستطيع الاستمرار في ذلك، لكني أخشى أن أقوم بفعل شرير. ساعدني يا أبي!

٧- يا للبساطة التي تقول بها إننا ارتكبنا فعلًا شريرًا! أول أمس ضرب فانيتشكا (ابن تولستوي) كوزكا (خادم). قلتُ له إنه صبي شرير. غضب ولم يكن في حالة جيدة وأخذ يتهرب مني قائلًا إنه لن يتمشى معي، ولن يتركني أدخل غرفته. حسنًا... شعرت بالاستياء، وتشكلت

مشاعر غير طيبة في داخلي صوبه، بل ورغبة في الهجوم عليه. تجاهلته عمدًا ودخلت غرفته.

لا، من الصعب علينا نحن الفاسدون المختالون، أن نصفح عن إهانة وننساها، وأن نحب أعداءنا، حتى ولو كانت من ابني العزيز فانيتشكا البالغ من العمر ثلاثة أعوام!

٨- أقرأ الآن خطاب أرسله لي يهودي يحكي لي عن الاضطهادات التي يتعرض لها. كتب: «حان وقت الاستسلام» وما إلى ذلك. يا له من تعاقب رائع وصادق! الأمر يستحق التعبير عنه، وسيضعون أيديهم عليه الآن ويبدأون في استغلال الأمر بشكل غير نزيه، وستختفي قوة التعبير. لقد عبَّر شوبنهاور عن الأمر بشكل رائع حينما قال: «نادرًا ما يكون الجديد جيدًا؛ لأن ما هو جيد لا يظل جديدًا لمدة طويلة».

٩- شكل الدولة الموجود الآن هو بقايا لنظام كنا في حاجة إليه منذ زمن، لكنه الآن غير ضروري، تمامًا كما تتسلق الماعز الجدران والأعمدة، فقد كان التسلق ضروريًّا لهم من قبل، لكنه لم يَعُدْ كذلك الآن.

١٠- الرحلات والقراءة والتعارف على شخصيات جديدة والانطباعات الطازجة، جميعها أمور ضرورية تستوعبها الحياة دائمًا وتترك أثرًا على السطح، بغض النظر عن درجة صفاء هذا السطح. لكن سرعان ما تزيد هذه الأمور، فلا تتم معالجة بعضها بالطريقة التي تعالج بها بقيتها، ومن ثم تصبح مضرة. النتيجة: حالة ميؤوس منها من الإسهال الروحي إن جاز التعبير. تنزلق كافة هذه الانطباعات بعيدًا دون أن تترك

أثرًا. شاهدت هذا يحدث مع بعض السياح الإنجليز، ومع كافة أنواع الناس؛ مختلف أنواع النبلاء والملوك والأثرياء.

١١- شئنا أم أبينا، كل فرد منا لا يعيش إلا من أجل الله وأمام وجهه، فهو ينبوع وجودنا، وإليه مآلنا. إن اهتمامنا كله منصب على حياتنا الذاتية ومديح الناس، وكل هذا ليس إلا انحرافًا عن الطريق الذي أُرسلنا لنسلك فيه، وإلهاء لنا عن السير فيه، كمن ينشغل بجمع الزهور أو الثمار بدلًا من السير. شئت أم أبيت، ستعود إلى سيدك ولن تسلك إلا حسب إرادته.

١٢- بالأمس كنت أقرأ فيما كتبه ديدرو عن الرياضيات والعلوم الطبيعية والفيزياء، وعن حدود منفعتها. رائع!

الساعة الآن الثانية عشرة ظهرًا. أردت أن أكتب في الفصل السادس، ولكن بلا جدوى تقريبًا. في هذه الأيام كتبت خطابًا لبوبوف وفاينرمان وتشيرتكوف. اليوم وصلني خطاب من بوشا.

عملت قليلًا. تمشيت، والتقيت بدافيدوف. قضيت فترة المساء بأكملها معه. لعبنا بعض الألعاب معًا.

٢٥ مارس.

استمنيت. لا بد أن أتوقف عن ذلك. استيقظت مبكرًا جدًّا. خرجت لأتمشى وتخيلت بحيوية شديدة - نادرًا ما أصل إليها - عملًا أدبيًّا عن التربية. زوجة لوبوخين... الأم... أود أن أناقش مشكلة الأمومة.

مذكرات أم[١٧٤]. خطرت على ذهني أفكار فنية جيدة. بعدها كتبت في الفصل السادس وأنهيته بطريقة أو بأخرى. حذفت تعريفي للحياة من الفصل السابع. كل شيء أصبح واضحًا في ذهني. الساعة الآن الثانية عشرة. سأتناول الإفطار. لقد ذهبوا جميعًا إلى تولا.

كتبت وتنزهت ونمت. في المساء كتبت عدة خطابات؛ لستراخوف وتسيرتيليف وجولتسيف وجروت.

٢٦ مارس.

نمت متأخرًا واستيقظت مبكرًا، ولم تكن لديَّ رغبة في الكتابة. اكتفيت بكتابة ثلاثة خطابات: لبوبوف وبوشا وفاينرمان. اختمرت في ذهني خاتمة المقالة. ستكون عن الآتي: لا يمكن لأحد أن يرفض الحرب ويعترف بقانون الله: «لا تقتل» إلا ذاك الذي يصل إلى قانون العفة الجنسية.

وصل الصبيان (يقصد ابنيه). الساعة الآن الواحدة. سأتناول إفطاري. وصلت صوفيا وإيليا. كانا يتشاجران طوال الوقت بسبب المال. كنت حزينًا جدًّا. دارت الأحاديث عن الجياد والعربات والمال وبيع أعمالي والمجلد الثالث عشر[١٧٥] وأمور أخرى بغيضة. كنت مكتئبًا، أرثي ذاتي. يا للدناءة! لكني على الأقل لم أُدِن الآخرين وأدركت ذنبي بوضوح.

---

(١٧٤) قصة لم ينهها تولستوي، وهي قائمة إلى حد كبير على حياة زوجة لوبوخين، وهو صديق لتوستوي من تولا، كانت له اهتماماته بأمور التربية.

(١٧٥) المجلد الذي منعته الرقابة في البداية.

٢٧ مارس.

كتبت قليلًا. العمل يتقدم ويختمر في ذهني أكثر فأكثر، ولكن ببطء شديد. بالأمس تصالحت صوفيا مع إيليا. ماشا مريضة. الساعة الآن قاربت الثالثة. في الصباح، وبينما أتنزه، فكَّرت في «مذكرات أم». إنها تختمر أكثر فأكثر في ذهني. لا أعرف ماذا سوف يحدث. أشعر بالغضب من الصحف والمجلات. لا أريد قراءتها على الإطلاق. دوَّنت بعض الأفكار الخاصة بمقالتي عن لا مقاومة الشر بالعنف.

١ إبريل.

لم أُدوِّن يومياتي لعدة أيام، لا بسبب التكاسل؛ بل على النقيض من ذلك، أفكر وأعمل على نحو جيد، وإن كانت الكمية قليلة. رحلت صوفيا إلى سان بطرسبرج في ٢٨ مارس[١٧٦]. أصيب فانيا بالجدري، واستدعينا رودنيف (طبيب) بالأمس. اليوم وصلتني خطابات جيدة من تشيرتكوف وبوبوف وجوربونوف. بالأمس أجبت عن خطابات نيكيفوروف وسيميونوف وجايديبروف. ذهبت اليوم إلى يسينكا. لا بد من توصيل المريض بسرعة إلى تولا[١٧٧]. أول أمس ذهبت إلى روزدنيف بتولا لمتابعة شأن المريض. وصل سيريوجا اليوم. يود أن يذهب إلى أولسوفيف ليتحدث مع ليزا عن تانيا. وافقت. إنه طيب، لكني غير ودود معه، ربما بسبب سوء فهمه لي، وإدانته الواثقة لأفكاري.

---

(١٧٦) لتتابع مشكلة حظر الجزء الثالث عشر من أعمال زوجها الكاملة، فقد كانت هي المسؤولة عن هذه الطبعة.

(١٧٧) فلاح مريض تولى تولستوي نقله إلى المستشفى.

هذا حب دنيء للذات. فليعتقد فيَّ ما يشاء، لكن لا بد وأن أحبه. الأمر صعب. شعرت بالضيق طوال هذه الفترة بسبب ألفة البنات مع إيفان ألكسندروفيتش. أنا أيضًا مذنب. فكَّرت في الآتي:

١ - يشبه النوم العميق الخالي من الأحلام الحياة في عالم آخر. إنها حياة أخرى مختلفة. تتلاشى ذكرى تلك الحياة، لكن العواقب الأخلاقية لها تبقى. هذا هو موقفنا من هذه الحياة السابقة. ستكون الحياة القادمة على هذا النحو: لن تكون بمثابة ذكرى لحياتنا الحالية، لكنها ستكون بمثابة النتائج الأخلاقية لها؛ أي أنها ستكون أفضل بعض الشيء. خطرت هذه الفكرة في ذهني، لكني لا أصدق ذلك. هذا أمر مؤكد.

٢ - الحقيقة العظيمة التي تحدث عنها لاو تسو هي: «اللا فعل»[١٧٨]؛ لا تتدبر شيئًا، بل سلِّم نفسك لما تعتقد أن من الجيد أن تسلم نفسك له؛ سلِّم نفسك للتدفق مع هذا التيار القوي؛ لإرادة الله. إن سعت كل قطرة مياه إلى اتجاه وحدها، لما اكتسب التيار قوته ولا أنتج شيئًا. يا لها من قوة مرعبة، تلك التي تنتج عن سعينا جميعًا للاتجاه ذاته الذي ننجذب صوبه! جلس إيليا موروميتس[١٧٩] في مكانه لثلاثين عامًا. هكذا يتوجب علينا أن نمكث في انتظار دعوة الله. إن الشر الذي تبثه للناس ولنفسك جراء تجنبك فعل شيء ما ربما يحدث مرة واحدة، أمام عشرة آلاف مرة قمت فيها بشيء ما تسبب في جلب الشر لنفسك وللناس.

---

(١٧٨) يمكن قراءة مقالة (فلسفة اللا فعل) لتولستوي من ترجمتي في كتاب (في العلم والأخلاق والسياسة). صادر عن آفاق للنشر والتوزيع.

(١٧٩) من شخصيات الفولكلور الروسي.

٣- فيما يتعلق بالمقالة: يقوم منضدو الحروف المطبعية الذين لا يعرفون اللغة جيدًا بجمع الحروف في المطبعة على نحو جيد دون أن يدركوا معنى الكلمات التي يجمعونها. هكذا يجب أن نعيش. ليس علينا أن نخمن معنى ما نفعله أو نخمن الأفعال التي نعتقد أنها لازمة لله، بل نقوم بما يقوله الله، فعلًا تلو الآخر، ونجمع الحروف حرفًا حرفًا، فلست أنا مَن سيعطي الحروف معناها، بل الله.

٤- إن فقر الناس ومعاناتهم لا يتطلبان منا - كما نفكر عادة - أن نحاول تحسين حياة أولئك الناس، فهذا لا يدخل ضمن صلاحياتنا، لكنه يتطلب منا أن نعيش نحن شخصيًا بطريقة أفضل. تحسين المرء لحياته هو العمل الوحيد الذي يُحسِّن من أوضاع أولئك الذين يعانون. إن تحسين حياتك يقودك إلى التضحية من أجل أولئك الذين يعانون.

٥- كي يعرف المرء إرادة الله، عليه أن يكتشف إرادته الخاصة الحقيقية.

الساعة الآن العاشرة. أريد أن أنام. سأكتب ثم أنام.

٩ إبريل.

لم يحدث شيء ذو أهمية خاصة. لا تزال صوفيا في بطرسبرج. أشعر بالحزن أحيانًا من ذهابها إلى هناك. استيقظت في الليلة الماضية، وأخذت أفكر، وشعرت بالضيق، لكني قلت لنفسي: «هذا حسن، هذا حسن لي. إنها تجربة»، وفي الحال شعرت بالراحة. لقد اختفى الشخص وبقيت التجربة. شعرت بالراحة التامة حتى إني استغرقت في النوم.

بالأمس جاء ميتاشا وإيساكوف. إنه من النوع الواثق في نفسه، شديد الأنانية مثل بقية أفراد الطبقة العليا، فاجر، ضعيف وطيب القلب. تعاملت معه على نحو سيئ، ولم أستطع أن أتذكر أي ميزة فيه. اليوم وصل بوبوف. استلمت كذلك خطابًا جيدًا من إسحاق وآخر من أنينكوفا. كان ليوفا موجودًا في تلك الفترة. إنه شديد اللطف، وآخذ في النمو. تعاقب أمران عليَّ، أحدهما أغضبني، والآخر خفَّف من غضبي؛ إنهما مقالتا رود وستراخوف[١٨٠]. كانت الإساءة أكبر من التي وجهها الألمان إليَّ. كان ذلك أمرًا جيدًا. إنه جيد دائمًا. انتهيت من قراءة كتاب ديدرو، وبدأت في كتاب جان ماري جويو (فيلسوف وشاعر فرنسي). كتاب سيئ. إنه غموض الشباب. لم أسجل أي ملاحظات إلا بخصوص مقالتي.

بالأمس بدأت في الكتابة في قصة (مذكرات أم). كتبت كثيرًا، لكن ما كتبته لا يمكنه أن يُقنع أحدًا سواي. لا يجب أن أستمر على هذه الصورة[١٨١]. ما كتبته ضعيف للغاية. يجب أن أكتب بضمير المتكلم. شعرت طوال اليوم بألم أسفل معدتي. الساعة الآن العاشرة.

١٨ إبريل.

عادت صوفيا منذ ثلاثة أيام. لم أُسرَّ بما فَعَلَته من تودد للقيصر وإخباره أن المخطوطات قد سُرِقت مني[١٨٢]، ولكن الأمور انقلبت بعد ذلك، حتى إني سُررت بعودتها، وذلك بسبب مشاعري الشريرة.

---

(١٨٠) المقالتان عن تولستوي وفلسفته. الأول كاتب فرنسي، والآخر روسي.

(١٨١) في البداية كانت القصة في صورة (مذكرات للأم).

(١٨٢) تمكنت صوفيا من لقاء القيصر ألكسندر الثالث، وأقنعته أن تولستوي لم يكن هو المسؤول عن نشر الكتابات المحظورة له، بل إن المعجبين به قد سرقوا مخطوطاتها منه.

إنها مندفعة، لكنها طيبة معي. كنت أتمنى لو تذكرت أن ذلك هو العائق الذي يعترض طريقي، لا هي شخصيًّا، وتمنيت لو أدرك أني لا يجب أن أغضب من ذلك أو حتى أتمنى العكس. في اليوم التالي عاودت العمل على «مذكرات أم»، لكني تركتها منذ ذلك الحين. لا أزال مشغولًا بمقالتي، إلا إني أراجع كل شئ لسوء الحظ؛ أراجع الفصلين الثالث والرابع مرة أخرى. وصل إيليا وتسوريكوف وناريشكين وسيريوجا وليوفا، وقد وزعوا الأنصبة بينهم(١٨٣). عليَّ أن أتخلى عن نواياي السابقة؛ أقصد إنكار حيازتي لأي مِلكية، وأن أمنحها لهم جميعًا. ترفض ماشا نصيبها بالطبع، وتشعر بالضيق من عدم التعامل مع رفضها بجدية. قلت لها: «عليهم أن يتخذوا قرارًا ما إن كان من الصالح أم العكس أن تكون لديهم أملاك وأراضٍ موروثة عني. هل من الصالح أن يرفضوها أم العكس؟ إنهم يدركون أن رفضها هو الصلاح عينه، ما دام الأمر كذلك عليهم أن يتصرفوا من تلقاء أنفسهم طبقًا لهذه القناعة. لكنهم لا يفكرون على نفس المنوال. إنهم لا يجيبون عن السؤال المتعلق بصلاح الأمر أو طلاحه ليتخذوا قرارًا بالرفض، لكنهم يقولون: «إنها ترفض لأنها شابة ولا تفهم الأمور جيدًا». كيف يمكن أن أشعر بالضيق في الحياة وماشا معي! ليوفا وتانيا يتحليان باللطف أيضًا، لكنهما يفتقران إلى تلك العتلة الأخلاقية الدينية التي تُديرنا. لم تصلني خطابات هامة. إنهم يسألونني جميعًا أن أرسل لهم أعمالي المحظورة. دوَّنت الآتي:

١ - العمل من أجل الآخرين ليس هو العمل الذي يمكن أن يستغله

(١٨٣) أراد تولستوي تخليص نفسه من الملكية الخاصة، فوزَّع أملاكه على أفراد أسرته إلا هو.

الآخرون، لكنه العمل الذي لا يهدف إلا لخدمة الناس. العمل الوحيد المثمر، والذي يخدم حياة الناس الحقيقية هو العمل الذي يدرك الناس أننا نقوم به بحب من أجلهم.

٢- وصلني خطاب رائع من تشيرتكوف. كتب لي عن ماتفي نيكولايفيتش، وكم هو إنسان صالح، وكيف انجذب إلى المسيحية في البداية وشعر أنها قريبة إلى قلبه، لكن عندما أدرك أنها تتطلب منه أن يتخلى عن كل شيء، حتى عن نفسه، وألا يتميز بأي قدر من الكرامة الدنيوية، شعر بالهلع وانحرف عنها.

٣- يقول ليشتنبرج[١٨٤]: «الطبيعة هي المعلم، والبشر تلاميذها. على التلاميذ أن يسعوا إلى فهم معلمهم، لكنهم بدلًا من الاستماع له يمزقون بعضهم، بإبراز أخطائهم». قول رائع.

تحدثت مع تسيريكوف عن الإيمان. لقد كرَّر عبارة مريعة: «من المستحيل أن نثق بالعقل». عدم الثقة بالعقل يماثل عدم الثقة بالشم والتذوق عند تناول الطعام. مَن يجاهر ويعظ بتعليم ما قائلًا: «اقبلوا هذا التعليم ولا تركنوا إلى العقل» يقوم بالضبط بما تقوم به فلاحة تقدم كفاسًا[١٨٥] فاسدًا قائلة: «لا تثق بالرائحة أو المذاق». يعترفون بأهمية العقل للجميع في فحص كل الشؤون الدنيوية، ويثقون فيه عند التحقق من الجودة وكميات البيع والشراء، وما إلى ذلك من أمور غير مهمة، أما عندما يتعلق الأمر بالحياة بأكملها، ومفاهيمنا عنها، بل والحياة الأبدية،

---

(١٨٤) عالم وشاعر وكاتب ألماني.

(١٨٥) الكفاس: هو مشروب سلافي تقليدي مخمر يتم تصنيعه عادة من خبز الجاودار.

يقولون إننا لا يمكننا أن نثق فيه! لا يمكن لأحد أن ينصحنا بعدم الثقة في العقل إلا أولئك الذين يعرضون لنا شيئًا سيئًا لا بد للعقل أن يرفضه، مثلما تنصحك الفلاحة بشرب الكفاس الفاسد فورًا دون تذوقه أو شمه.

٥- لا يستخدم رجال الكنيسة العقل من أجل اكتشاف الحقيقة؛ بل لجعل الناس تعتقد أن ما يقولونه هو الحقيقة.

الساعة الآن الحادية عشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي. ذهبت إلى كوزلوفكا لألتقي بدونايف. كنت لتوي في قرية بابوريني[١٨٦]، عند فلاح سكير وزوجة مريضة.

قصة ليوفا (ابنه) المنشورة في مجلة رودين لا بأس بها. العمل يمضي على نحوة بطيء للغاية، الأمر الذي يحزنني. أنا في حالة صحية ممتازة.

٢١ إبريل.

لم يحدث شيء في تلك الفترة. عانيت فقط من بعض الاضطراب في المعدة. وصل دونايف. كتبت اليوم وأمس في حضوره. سيريوجا هنا. دار حوار شيق عن سبب نمو البنفسج الداكن أمام المنزل. قلت: بسبب نقل العشب. لقد أصروا -وخاصة سيريوجا- على أن هذا البنفسج هو نوع خاص ممزوج بشيء ما. هذا مثال نموذجي لمَن يود أن يتعلم ألا يجادل. قمت مرتين في تلك الفترة بتغييرات كبيرة في الفصل السابع؛ تغييرات متعلقة بالتعبير عن جوهر الإيمان، وقرَّرت الآن أن أتخلص

(١٨٦) قرية تبعد أربعة كيلومترات عن ياسنايا بوليانا.

من الفصل الأول تمامًا. عملت كثيرًا بالأمس واليوم، ورغم ذلك كتبت على نحو سيئ. يبدو أني لم أدون شيئًا. الطقس اليوم دافئ ورائع. الساعة الآن الحادية عشرة. سأنام. لقد أدُّوا بالأمس صلاة الغروب في المنزل. لا أبالي تمامًا بذلك.

٢ مايو.

لم أُدوِّن يومياتي منذ عشرة أيام. انهمكت طوال تلك المدة في الكتابة، عدا اليوم. أنهيت لتوي الفصلين الثالث والرابع، ودمجتهما في الفصلين الخامس والسادس. تختمر الأفكار في ذهني أكثر فأكثر. يود ليوفا أن يترك الجامعة. أشعر بالأسف عليه. ذهبت تانيا إلى موسكو. إيليا هنا. أشعر بالحزن من برودة تعاملي معه. بالأمس جاء دافيدوف، وبصحبته القائم على أعمال ملجأ الأيتام، وكذلك لفوف. وصل السيد كوستيريف من أورلوف، وانعقد هنا اجتماع. كلانا لا يحتاج الآخر. أمر يبعث على الضيق أني لا أستطيع أن أتعامل معه بلطف. صوفيا مريضة، وأنا أُصلِّي. أقرأ الآن في كتاب مبادئ النظام الغذائي[١٨٧]. ممتاز. قرأت كذلك في كتاب القوانين لأفلاطون. وصلتني خطابات جيدة من ميترونوف ونيكيفوروف وديلون لا بد أن أرد عليها. لا بد كذلك أن أرد على خطاب راخمانوف. دوَّنت الأفكار الآتية:

١- النوع الذي يشعر بالرضى عن نفسه؛ أي ذلك الإنسان الذي يعتقد أنه أخلاقي، هو إنسان لا أخلاقي.

---

(١٨٧) من تأليف هوارد ويليامز، وقد تحدث عنه تولستوي في مقالته (الدرجة الأولى)، والتي ترجمتها في كتاب (في الدين والعقل والفلسفة) الصادر عن آفاق للنشر.

٢- الإيمان بالله لا يكون حقيقيًّا إلا عندما يُمزِّق الإيمان بالنفس والناس والسعادة الآنية. لا بد من كسر طبقة الثلج العلوية حتى تضمن أنك تطأ ثلجًا صلبًا.

٣- لماذا تضمن الحكومة صحة التعاقدات بين الناس؟ لأنها تأمل أن تضمن تعاقداتها الخاصة، فهي الزبون الرئيس. إن لم تضمن صحة التعاقدات بين الأفراد، لما استطاعت أن تطالبهم بتنفيذ ما تعهدوا بالقيام به، ولقالت إن المتعاقدين معي لا ينفذون التزاماتهم. ينال المقاولون من الباطن حصتهم من أولئك من فوقهم، ويستمر الهرم في الهبوط... إلخ، حتى نصل إلى المتعهد الأخير الذي هو الموظف البسيط. هنا نجد أن الأمن والمطالبة بتنفيذ شروط التعاقدات بالقوة وتنفيذ الشروط يعتبر ظلم صارخ. يراكم المقاول مبلغًا محددًا من الروبلات، لا يتجاوز ١٠٠٠٠٠ , ٠ من قيمة ما لديه، بينما لا يستطيع العامل تدبر حياته لعام أو أشهر أو حتى أيام قليلة.

٤- تحدثت بالأمس عن التربية. لماذا يُرسل الوالدان أبناءهما بعيدًا إلى المدرسة؟ لقد انجلى لي الأمر فجأةً. إن أبقاهم الوالدان في المنزل، سيران عواقب حياتهما الأخلاقية في أبنائهما. سيران أنفسهما في أبنائهما كما ينظر المرء نفسه في المرآة. يشرب الأب خمرًا على العشاء بصحبة أصدقائه، والابن في الحانة. يذهب الأب إلى حفلة راقصة، والابن إلى سهرة. لا يفعل الأب شيئًا، وكذلك الابن. لكن الأب يرسل ابنه إلى المدرسة، وبذلك يحجب المرآة التي يرى الوالدان فيها أنفسهما.

٥- كنت أسير في طريق غير معبدة، وبالقرب مني فلاحات عائدات

من عملهن، يغنين بمرح. أثناء فاصل بسيط بين الأغاني تمكنت من سماع أصوات أقدامي المنتظمة، ثم عاد الغناء ثانية، ثم صمت ثم تعالت ثانية أصوات أقدامي... جميل. عندما كنت شابًّا اعتاد شيء ما على الغناء داخلي دون حاجة لغناء الفلاحات، وكان كل صوت يصدر يبدو وكأنه أغنية جميلة، سواء كانت أصوات الأقدام أو شروق الشمس أو تأرجح أغصان شجر البتولا.

الساعة الآن العاشرة. سأصعد إلى إيليوشا بالطابق العلوي. رحل ألكسندر بتروفيتش. إنه لطيف للغاية.

١٠ مايو.

العمل يتقدم لكن ببطء. ضاع مني الأمس واليوم تمامًا بسبب انفلونزا قوية. بالأمس جاء معلم ريفي من مقاطعة كالوجا. إنه ساذج بعض الشيء لكن يمكنه التفكير جيدًا. لم يقرأ شيئًا لكنه يفهم أن النقاد مخادعون. وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف يدين فيه فظاظة المقالة. أجبت عن خطابه، وكتبت خطابًا لميتروفان وراخمانوف.

فكَّرت في الآتي:

١ - عندما يموت المرء ينفصل وعيه عنه، ويبدو كبذرة قد نضجت وسقطت على الأرض، فيبحث عن شيء آخر ليمسك به؛ مكان يزرع فيه جذوره كي يمكنه أن يحيا من جديد. لو كان بإمكان البذرة أن تشعر بشيء أثناء عملية الموت والسقوط، ستشعر بتوقف الحياة. أليس هذا ما يحدث أيضًا مع إنسان يشعر أنه يحتضر؟

٢- الشاغل الأكبر للبشر ليس الطعام، فهو لا يتطلب الكثير، بل الشره. يتحدث الرجال عن اهتماماتهم وأهدافهم السامية، وتتحدث النساء عن المشاعر الرقيقة، ولا يتحدثون عن الطعام، ومع ذلك فنشاطهم الرئيس موجَّه صوب الطعام تحديدًا. نحن الأغنياء نسلك كما لو أننا غير مشغولين بهذا الأمر، وأنه يتم على هذا الوجه من تلقاء نفسه. الناس جميعًا يأكلون في المتوسط ٣ أضعاف ما يحتاجونه فعلًا على ما أعتقد، وعشرة أضعاف الإنتاج الذي ينتجونه. هذه واحدة من التغييرات الرئيسة التي سيتوجب على الناس مواجهتها.

٣- في أحيان كثيرة يبدو الجزء الغالب من الانحدار الأخلاقي، والاستعداد للسقوط في شباك الإغواء، كالسير أثناء النوم؛ أي إنها تلك الحالة التي تسقط فيها مراكز القوى الروحية العليا في سبات عميق. حتى لا تسقط، ليس عليك أن تقاتل وتنهمك في استنباط وسائل للمقاومة، فكل ذلك بلا جدوى، بل عليك أن تفهم أنك نائم، وتحاول أن تستيقظ. أتذكر جيدًا كيف كنت أرج جسدي في لحظات الإغواء، وكأني أريد أن أستيقظ. لا بد أن يقوم المرء بما يقوم به أثناء الكابوس؛ أن يسأل نفسه: هل أنا أحلم؟ وحينها سيستفيق من نومته.

٤- إن فلسفة اللا فعل ليست ضعفًا ولا خنوعًا؛ إنها بمثابة تجل للإرادة العليا وقبول لها داخل النفس، وإلغاء لإرادة المرء من أجل الإرادة الإلهية. إن اضطراب الحياة، والنشاط الدنيوي المحموم غالبًا يكون دلالة على الضعف. أكثر الناس إثارة للجلبة والنشاط هم أولئك المتزلفون، وهي أكثر الحالات اقترانًا بالعبودية.

الساعة الآن التاسعة. سأصعد إلى الطابق العلوي.

٢٢ مايو.

لم أُدوِّن يومياتي منذ أحد عشر يومًا. في ذلك الوقت عادت صوفيا من موسكو هي والأطفال، تقريبًا في ١٣ مايو. التهب جفناي. لم أخرج من المنزل لثلاثة أيام. أمليت على تانيا بداية «مذكرات أم». أمليتها الكثير ولكن على نحو سيئ. لا بد وأن أكتب بنفسي، وهو أمر مزعج. في يوم ١٦ مايو وصل آل كوزمينسكي وإرديل. لم أكترث بذلك.

وصلني خطابان من أركادي وأليخين، وأجبت عنهما، وكذلك وصلتني خطابات من ماريا ألكسندروفنا ومن فاسيلي إيفانوفيتش وديلون. أجبت عن كافة هذه الخطابات. العمل يتقدم ببطء. اليوم اختمر في ذهني كل شيء وكتبت مُلخَّصًا للفصل التاسع.

فكَّرت في الآتي:

١ - خاتمة للخاتمة[١٨٨]: لا أعرف ما إن كنت قد شرحت على نحو سليم ضرورة العفة الجنسية أم لا، لكني متيقن أن الاتصال الجنسي هو فحش لا يمكن التعرض له أو التفكير فيه تحت تأثير الرغبة الجنسية دون شعور بالاشمئزاز. حتى إن أردت أن تنجب أطفالًا فلن تفعل ذلك بالمرأة التي تحب. أكتب ذلك في الوقت الذي تتملكني فيه الرغبة الجنسية، وأشعر أني غير قادر على النضال ضدها.

٢- تقول: «أريد أن أنكر نفسي وأحمل صليبي كل يوم وأتبع

(١٨٨) فكر تولستوي في كتابة تعليق على تعليقه الذي كتبه لـ (سوناتا كروتزر).

المسيح»، وفي الآن ذاته تقول في نفسك: «أود أن أنتهي سريعًا من الصلاة حتى أنفذ إرادتي وأقوم بما يحلو لي».

٣: تقول: «هذا غير طبيعي وغير منطقي، لذا لا يجب القيام به». لكنك تعرف كم نحيا حياة شريرة، لذا فإن كل ما تعودنا عليه وأصبح طبيعيًا بالنسبة لنا هو عمل شرير، وكل خطوة نخطوها تكون صوب الشر. سرعان ما سيصبح ما هو غير طبيعي دلالة على الخير.

٤- بخصوص المقالة: غالبية مَن يعتنقون الإيمان المسيحي ليس لديهم فهم مسيحي للحياة؛ بل كيَّفوا نظرتهم للحياة مع النظرة التي تقدس الفرد أو الجماعة.

٥- لو لم يكن رجال الكنيسة والعلم قد أخفوا الفكرة الحقيقية لتعاليم المسيح عن أعين الناس، لما أصبح الناس بهذه الغباوة، حتى إنهم في حاجة إليها ويرونها أمام أعينهم، ومع ذلك لا يفهمونها.

٦- يُقال: «المرح والسرور أمر حسن، أما الحزن والكآبة فأمر سيئ. هذا غير حقيقي. ثمة سرور كامن في قلب المزاج الحزين، وحزن كامن في قلب المزاج المرح. الفارق بينهما أنك إن أبديت سرورًا في قلب الحزن، سيستمر الأمر دائمًا إلا لو ظهر طفله الرائع؛ ألا وهو التقزز!

٧- إني أقترب من الشيخوخة والموت. تخور قواي، وتقل الحياة. هذا حسن، فالاقتراب من الشيخوخة والموت هو اقتراب من باب غرفة خانقة، يؤدي إلى حديقة من الزهور. نحن نقترب من الحشود، وكلما اقتربنا من الباب؛ من المخرج، قلَّت حرية الحركة وازداد اقترابنا من الفضاء الواسع والضوء.

٨- عاش أحد الشباب الطائشين بصحبة صديقه، دون وظيفة أو مال، شاعرًا بالخزي من مضايقة صديقه. قال لنفسه: «أنا تعيس! لماذا أستمر في العيش؟». باع معطفه وذهب إلى الحمامات العامة، واستأجر غرفة بحمام، ومزق شرايينه بموسي. وجدوه فاقد الوعي. ضمدوا جروحه وعالجوه. نجا من الموت، لكنه أُصيب بالعمى وشُلَّت يداه وقدماه. إنه الآن يرتعش طوال الوقت، وكافة قواه موجَّهة للحفاظ على صحته. إن كان لإنسان ألا يقتل نفسه على الفور، بل عبر خطوات، ولنقل مثلًا: عشر خطوات، بحيث يكون في إمكانه مع كل خطوة أن يُقلل من قدر الحياة بداخله، لسأل نفسه: هل ما زلت أريد أن أقتل نفسي؟ أعتقد أنه كلما قلَّل من قدر الحياة بداخله، زاد تقديره لكل ما تخلى عنه إلى درجة عظيمة، ولم يكن بإمكان أحد حينها أن يقتل نفسه. لم أعبر عن مقصدي بشكل واضح.

٩- من أجل عمل أدبي: الأمر لا يقتصر على أني آكل وأشرب جيدًا، لكني أُمارس الفن وأعزف على البيانو وأرسم وأكتب وأقرأ وأدرس، ثم تظهر أمامي فجأة مجموعة من الفقراء، يرتدون أسمالًا، ضحايا لحرائق، آرامل وأيتام، ولا يمكنني أن أظل وسطهم، وأشعر بالخزي. أقول لنفسي: لو لم يأتوا وظلوا في أماكنهم، لما أزعجوني.

يمكن لمشهد كهذا، وسط الطعام وملعب التنس والاهتمامات الفنية والعلمية، أن يثبت الحقيقة أكثر من أي حجج عقلية أخرى.

نسيت أن أُدوِّن أني عدت للعمل على (الأب سيرجيه) ثانية ليوم واحد فقط. قرَّرت أن أنتهي من كل ما بدأت العمل عليه. كتبت على نحو سيئ،

لكنه سوف يفي بالأمر. عرفت من دافيدوف خبرًا سيفيدني جدًّا في رواية كوني (البعث)[١٨٩]. الساعة الآن الحادية عشرة. سأشرب بعض القهوة.

٢٧ مايو.

لم أكتب شيئًا. أشعر بالبرودة واضطراب المعدة. تكتنفني لا مبالاة. استمنيت وأشعر بالنفور من نفسي. ذهبت ماشا لزيارة آل فيلوسوفوف. بالأمس رحل ليوفا وإيليا، وكان الأخير قد جاء منذ يومين فقط. أنينكوفا والمعلمة هنا. أول أمس استلمت خطابًا جيدًا من خوخلوف. لا بد وأن أجيب عنه، وخطابًا آخر من دودتشينكو[١٩٠]، كتب فيه عن اضطهاده وفصله عن زوجته، وعن الرغبة في إرسالها بعيدًا. يبدو أنهم أبعدوها فعلًا. وصلني خطاب بالأمس من تشيرتكوف، ملحق به مقتطف من يوميات الجنرال ن. مورافيوف عن ستة جنود رفضوا تأدية الخدمة العسكرية، وجُلِدوا بسبب ذلك لكنهم ثبتوا على عصيانهم. لا أشعر بالصلاح في روحي طوال هذا الوقت، مع إني لم أخطئ ظاهريًّا.

وصلني خطاب جيد من بوشا، وآخر من إنجليزي يعيش بمصر. يقول أن كتابي (عن الحياة) ساعده في حياته كثيرًا. فكَّرت في الآتي:

١- لن أعيش من أجل الله إلا عندما أتوقف عن الحياة من أجل نفسي والناس.

---

(١٨٩) أرسل له دافيدوف خبرًا عن حادثة سرقة، سيستفيد منها تولستوي في وصف الجلسة الثانية من المحاكمة في (البعث).

(١٩٠) بسبب أفكارهما المسيحية حول نبذ العنف. الزوجان من أتباع تولستوي، وموطن دودتشينكو: خاركوف.

٢- جاءني أحد الصُّنَّاع يطلب نصيحتي عن أفضل طريقة يعيش بها، سواء في المصانع أو في المدرسة؛ أي: كيف يكون مفيدًا للناس بطريقة عملية وعلمية؟ يا للضلال! أولًا: لا معنى للحديث عن نفعنا للناس بينما نحن مَن نجلب لهم الضرر. علينا في البداية ألا نجلب لهم الضرر. ثانيًا: لماذا تود أن تكون نافعًا للناس بطريقة تقنية كمعلم أو طبيب أو رئيس للجنة الزيمستفو [١٩١] أو كمالك أراضٍ؟ في كثير من الأحيان يكشف ذلك عن تناقض: أن تكون نافعًا كرئيس للجنة الزيمستفو ومالك أراضٍ في الآن ذاته... هذا مستحيل! بالإضافة إلى ذلك عليك في الأساس أن تكون صالحًا؛ أي ألا تكون أنانيًّا. وجود صانع أو معلم أو طبيب أناني أسوأ من عدم وجوده على الإطلاق. عليك أن تكون مُحبًّا، وحينها كل شيء سيكون على ما يرام. يضعنا القدر في وضع معين، وكل ما علينا هو ألا نسلك بشر في هذا الوضع

٣- الوراثة؟ تنتقل سمات الوراثة على الأقل عبر عشرة أجيال. تتكون هذه الأجيال العشرة من ألف من أسلافك (أبوان - ٤ أجداد وجدات - ٨ من أجداد أجدادك... حتى يصل العدد إلى ألف)، وبالتالي فإن فرصة انتقال سمة موجودة بأحد الوالدين إلى الابن أو الابنة لا تمثل أكثر من ٠,٠٠٠١ ، وربما حتى هذا غير صحيح. الحسبة هنا إذَنْ معقدة. إن افترضنا أن التأثير يحدث في الجيل العاشر، فهذا يعني أن الجيل العاشر يتضمن بداخله ١٠٠٠ سمة محتملة للتوريث، وهكذا

(١٩١) تعني الحكم الذاتي. كان ألكسندر الثاني قبل اغتياله قد استحسن مشروع الدستور الذي وضعه الكونت لوريس ميليكوف والذي قضى بتحديد قيود على الحكم القيصري المطلق ومشاركة ممثلي الحكم الذاتي المحلي زيمستفو في إدارة الدولة.

هو الأمر مع الجد والجدة من الجيل التاسع... إلخ. بالإضافة إلى ذلك تموت كثير من فرص توريث هذه السمات مع موت أعضاء من السلسلة لم ينجبوا أطفالًا. وفقًا لداروين، أكثر السمات غير المواتية للحياة قد تم تدميرها. إذَنْ فكل سمة للوالدين لا تملك فرصة أكبر من ٠,٠٠٠١ كي تنتقل إلى ذريتهما. يمكننا إذَنْ التحدث عن الآثار الناجمة عن ذلك، لكن لا يمكننا تعقبها، كما لا نسترشد في حياتنا باحتماليات تصل إلى ٠,٠٠٠١. إن مصدر الكذب الكامن في المقولات الحالية عن الوراثة يتلخص تحديدًا في إنهم يريدون تحويله إلى قانون، يستخلصون منه قاعدة توجيهية، قائمة على اعتبار تافه وفضول كسول لا يمكن استنباط شيء منه. يقولون: اسلكْ على نحو جيد، فإن لم تفعل ذلك ستُورِّث أطفالك عيوبك. هذا يماثل أن نقول لإنسان يتشاجر مع الآخرين: ليس عليك فعل ذلك حتى لا تلطخ ثيابك بالأتربة. أي أننا حتى نقنع شخصًا بالتخلص من عيوب معينة، لا بد وأن تكون الأسباب المطروحة هائلة، فلا جدوى من الاعتبارات التافهة في أمور كهذه.

٤- يكتب بوشا على نحو رائع بشأن ما نحتاج إليه في كل الظروف؛ إنه العمل البدني، خاصة النوع الذي يبتلعنا تمامًا. لكن لأنه يدرك كيف يمكن أن يبتلعنا العمل يكتب أننا لا يجب أن نلقي بعبئه على الآخرين. لقد عبَّر عن الفكرة باختصار وقوة.

٥- إني أشيخ وأضعف وأمرض. لا أشعر بوهن جسدي فقط؛ بل يضعف عقلي كذلك. أخشى أن تهجر جسدي القوة التي ملأته، فتخرج من إطار حياتي كلية؛ إنها الروح التي ملأت تلك الدمية

المدعوة: «الجسد». إني أخشى أن يفارقني كل شيء - كما يبدو لي - ولا يتبقى سوى حجاب أو قشرة خارجية تتلوى وتتغضن ثم تفسد. أين أنا؟ لكن يبدو أن الخطأ هنا هو أني طابقت بين نفسي وبين تلك القشرة الخارجية، لا بما يملؤها. يجب أن أطابقها بالروح، بقوة الحياة التي حرَّكتني؛ بتلك القوة التي دفعتني للحلم والحب والعشق والبحث عن المجد، وبعد ذلك دفعتني للبحث عن فعل الخير أمام وجه الله وحده حتى يزول الخوف. إن روح الحياة ستخرج من إطار جسدي، وسأخرج معها. سأذوي معها وأتبدد ثم أنتقل إلى كيان لا شكل له، لكني لن أفارقها، سأبقى معها، ولن أتوقف عن معرفة نفسي من خلالها. يستحيل أن تتحول روح الحياة - التي كانت أنا - إلى شكل آخر من الحياة حتى يستمر إدراكي لنفسي في هذه الهيئة؛ بل تخرج وتذوي، لكن وعيي بأناي ينفصل عنها ويلازمها. إني أختبر ذلك عندما أتوقف عن التفكير والرغبة، فيبدأ إدراكي لنفسي في هذا الكيان الآخذ في الذبول؛ أي روحي. إحدى سمات هذا الوعي هي السلام والهدوء. من جانب آخر، كل ما عاش في داخلي وعبري هو الله «العقل والحب الأبدي»، فهو مصدر الحياة. ثمة هو وأنا، لكني أغير هذا الإطار الآن، فلا أعود أنا وهو، بل هو وحده؛ هو وحده ما كان وما سيكون.

الساعة الآن الثانية مساءً. سأتناول إفطاري.

٢ يونيو.

عملت قليلًا في تلك الفترة، لكن العمل يتقدم على أي حال. بدأت

أشك في قيمة ما أكتبه. جاء عدد ضخم من الزوَّار: رايفسكي وفيسينكو وأنينكوفا وزوجها ونيلوبوف وساماريين وبيستوجوف. طوال هذا الوقت لم أكتب شيئًا. خطرت على بالي اليوم فكرة واضحة ومهمة، ليس بخصوص المقالة، لكنها فكرة قريبة منها، ونسيتها للأسف. ذهبت إلى المسلخ بتولا لكني لم أرَ عمليات الذبح[١٩٢]. رأيت امرأة في تولا تقترب عيناها من بعضهما قليلًا ولديها حاجبان مستقيمان كما لو أنها توشك على البكاء، لكنها ممتلئة، وحسنة المنظر، حزينة، تنضح بالحسية. لا بد أن تكون زوجة التاجر التي تحاول إغواء (الأب سيرجيه) بهذه الصورة.

وصلتْ ماشا اليوم بصحبة ليوفا. أنا سعيد جدًّا بكليهما. تحدث ليوفا عن إخوته على نحو حسن. أصبح حكمه صلبًا.

أشعر بالضيق الشديد من صوفيا. إنها لا تفكر سوى في المال والأملاك، وهذا يكشف عن سوء فهم كامل. يدور الحوار الآن عن الآتي: هل يجب على الإنسان أن يُضحِّي بحياته بدلًا من أن يفعل شيئًا لا يضر أحدًا لكنه لا يُرضي الله؟ اعترَضَتْ على ذلك وقالت كلمة مهينة. تراودني أفكار شريرة بشأن الرحيل عن هنا. لا يجب أن أفعل ذلك. لا بد أن أتحمل. سأصلي وسيعود لي هدوئي وصبري.

وصلتني خطابات من دودتشينكو وخوخلوف، وقمت بالرد عليها. ساعدني يا سيدي. سامحني واعف عني. إني أشعر بخطيتي ودناءتي، ولا أشعر بالخير الذي لديَّ. أريد الحقيقة والصبر.

---

(١٩٢) سيصف مشاهد الذبح تفصيلًا في مقالته (الدرجة الأولى).

٦ يونيو.

روحي المعنوية منخفضة ولم أكتب سوى القليل. لم أفعل شيئًا تقريبًا. إنه الضعف. أود أن أذهب غدًا إلى المسلخ بتولا، وإلى سيمونسون في الحبس، فلديَّ خطاب لها من زوجها دودتشينكو. وصلني خطاب جيد من بوشا. قمت بالرد على خطاب بوتكيفيتش الطويل عن المال. وصلني خطاب من تشيرتكوف وآخر من دجونكوفسكي، واستلمت رد خيلكوف، الذي لم أقرأه بعد. كتابتي غير واضحة. فكَّرت في الآتي:

١- المرأة لا تثق بالعقل ولا تفهم ضرورة أن ينكر المرء نفسه في هذه الحياة. إن توجب على أحد أن ينكر نفسه، ويلقي بنفسه مثلًا في المياه من أجل إنقاذ غريق، غالبًا سيكون الرجل هو مَن يفعل ذلك.

٢- أشعر بالوحدة والحزن لأني لا أكتب ولا أنتج شيئًا. هذا تأكيد جديد على أن كل ما يحزنني هو لفائدتي. إن عدم القدرة على الكتابة يُصحِّح ضلالة أن حياتي هي الكتابة. الحياة هي خدمة الله وتنفيذ إرادته، وهذا يمكن أن يحدث بآلاف الأفعال، بالإضافة إلى الكتابة.

نسيت الآتي: جاءني رجل أعمال ألماني رحالة. لا حاجة لي به. يحلم ليوفا بالزواج، ويعتقد أنه أمر ضروري لحفظ طهارة المرء. أقول له: «يمكنك أن تتوقف عن القتال إن قيَّدت يديك».

٧ يونيو.

مساء الأمس عاد كل من ليوفا وأندريوشا. إن جميع أبنائي عائدون من أجل تقسيم حصص الملكيات بينهم. أمر يبعث على الكآبة بشدة،

ولن يتم بسهولة. ساعدني يا إلهي على الصمود؛ أي ساعدني على أن أذكر دائمًا أني أعيش في ضوء وجهك.

قرأت بالأمس في مجلة *Open Court* (مجلة أمريكية) مقالة رائعة لماكس مولر[١٩٣] عن التعليم الخاص ببنوة المسيح لله. استيقظت مبكرًا وذهبت إلى تولا بصحبة بيتيا رايفسكي بالقطار. ذهبت إلى المسلخ. يجرون الحيوان من قرنيه ويلوون ذيله حتى يسحقون غضروفه، وكثيرًا ما لا يضربونه ضربة صحيحة من أول مرة، لكن عندما يبدأون الضرب يحاول الخلاص من بين أيديهم فيشقون عنقه وتسيل الدماء في أحواض مجهزة لذلك، ثم يبدأون في سلخ الجلد بدءًا من الرأس. الرأس موجَّهٌ إلى الأعلى، مسلوخٌ، وآثار العض واضحة على اللسان، وآثار الضرب على البطن والقدمين. الجزارون غاضبون لأن الحيوانات تستغرق وقتًا طويلًا كي تموت، وتجار الماشية يهرعون هنا وهناك بأوجه قلقة، ويجرون حساباتهم.

ذهبت إلى السجن[١٩٤]. لدى السجَّان منزل رائع ذو زخارف جميل، وهناك مكتب رائع، وثمة مناضد رائعة وكثير من الموظفين، والشخص المسؤول هناك تفوح من فمه رائحة الكحول. ذهبت إلى آل رايفسكي، ثم إلى محطة البريد ثم إلى آل شوكين. لا أفهم ما هي اهتماماتهم تحديدًا. يبدو أن ليست لديهم اهتمامات سوى المادية المعتادة. عدت إلى المنزل

---

(١٩٣) مستشرق بريطاني وعالم لغوي. ألماني المولد. صنّف الأساطير وفقاً للغرض الذي هدفت إليه، ودرس الأديان دراسة مقارنة. اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة.

(١٩٤) للقاء سيمونسون التي كانت عضوة في إحدى الجمعيات التولستوية الزراعية، وتم إبعادها عن زوجها ونفيها كما ذكرنا سابقًا.

وجدت ماشينكا. قرأت بروفة الطباعة التي أرسلها ليفينفيلد[١٩٥]. إنهم يخشون إصابة ميشا كوزمينسكي بالديفتريا. أردت أن أغتسل في المياه. أشعر بالضيق من طريقة تدبير صوفيا لأمور المنزل.

٨ يونيو.

ملاحظات بشأن المقدمة عن نظرية النباتية: ἐγκρατεία (ضبط النفس) وملاحظة ليشتنبرج عن تطور الاعتدال عند الأطفال.

وصل أبنائي، ودار الحديث بالمساء عن تقسيم الملكيات. بدا الأمر كمسرحية (إفطار مع القائد)[١٩٦]. لم يتصرفوا على نحو جيد، ولم يتعاركوا، لكنهم يهتمون بشدة بترهات. قرأت في كتاب لسكوبولي[١٩٧]. لا بأس به. يقول: «عندما تسود العاطفة، لا تستسلم».

١٠ يونيو.

حلَّ الصيف بعنفوانه. نمت نباتات إيفان دا ماريا[١٩٨]، وتفوح رائحة كرائحة العسل المتعفن من الأقحوان، ويتحرك الذباب الضخم على خشب الأشجار في صمت، ولا يتعالى سوى صوت طنين النحل والحشرات في قمم الأشجار. عملت اليوم قليلًا بالحصاد. العمل بالكتابة يسوء، وكأني لا أفارق نقطة البداية، لكن لديَّ وفرة من الانطباعات الفنية. وصلني اليوم

---

(١٩٥) بروفة كتاب عن تولستوي وحياته وأفكاره.

(١٩٦) مسرحية كوميدية لتورجينيف عن تقسيم ضيعة بين أخ وأخت.

(١٩٧) مؤلف بعض أهم الأعمال الروحانية الكاثوليكية.

(١٩٨) الاسم الشعبي للعديد من النباتات العشبية، والتي تتميز أزهارها (أو الأجزاء العلوية من النبات بأكمله) بوجود لونين يمكن تمييزهما بشكل حاد، وغالبًا ما يكون اللون الأصفر والأزرق أو الأرجواني.

خطاب من تشيرتكوف يتضمن بعض الأفكار، وبعضها جيد جدًّا:

١- ثمة طريقتان كي لا نشعر بالحاجة المادية: إما أن يقمع المرء احتياجاته، وإمَّا أن يُزيد دخله. الطريقة الأولى في حد ذاتها دائمًا ما تكون أخلاقية. الثانية في حد ذاتها دائمًا ما تكون غير أخلاقية. المرء لا يغتني أبدًا من العمل الصالح.

٢- بخصوص رواية كوني (البعث): يلهو مع كاتيوشا على ضوء الشعلة، ويتبادلان القبلات خلف الأجمة. ملاحظة أخرى عن الرواية ذاتها: الجزء الأول: شاعرية الحب المادي. الجزء الثاني: جمال الحب الحقيقي.

٣- كل فعل صالح يبدو صغيرًا. يمكنك القيام بفعل شرير ضخم، لكن الخير دائمًا ما يبدو ضئيلًا. الخير لا يحدث بطريقة عنيفة متفجرة، بل بطريقة بالغة الصغر.

٤- «إني لا أفعل ذلك لأنه أمر غير طبيعي». أتقول «طبيعي»؟ إن كنا نعيش في وسط فاجر، سيبدو الفُجر طبيعيًّا، ولن يُصاب أحد بالهلع، أو يستاء منه. عندما تعيش في وسط كهذا، فأي فعل خيِّر سيبدو غير طبيعي. يمكن أن يكون فعلك غير طبيعي وغير خيِّر، ولكن عندما تعيش في أوساط منحلة لا يمكنك أن تقوم بفعل خيِّر ويبدو طبيعيًّا أبدًا.

٥- بخصوص (الأب سيرجيه): لقد اكتشف معنى ألا يثق سوى بالله عندما أصبح محطمًا تمامًا في أعين الناس، على نحو يتعذر علاجه. حينها فقط اكتشف قوة الحياة الممتلئة. كانت النتيجة عبارة عن لا مبالاة

تامة بالناس وأفعالهم. يمكنهم أن يسجنوه، أن يحاكموه، أن يستجوبوه، يُرجئون موته... كل ما سبق لا يمثل له شيئًا. هناك حالتان: المجد الأرضي وهو يجلب القلق، والأخرى هي التسليم لإرادة لله، وتجلب الهدوء الكامل.

الساعة الآن الثانية عشرة صباحًا. سأنام.

١٨ يونيو.

عدت بالأمس، يوم ١٧، من رحلتي لبوتكيفيتش. بالأمس خرجت من عنده في الصباح الباكر مع خوخلوف وروشين الذين رافقاني. روشين شاب لطيف للغاية، يبلغ من العمر ٢٦ عامًا، وقد بدأ في إجراء بعض التغييرات على حياته أودت به للوعي بالحقيقة المسيحية. غضبتْ زوجة بوليجين بشدة من زوجها، أما هو فمن الفلاحة التي أبعدت بقرته. استرحت عندهما، وفي المساء شعرت بالمرح، وعدت إلى المنزل بعد أن توقف هطول المطر. التقيت بليوفا وماشا في قرية كريلتسوفو. وهناك في القرية أمسكوا بامرأة مجنونة. رافقتُ مجموعة من الصبية وأخذنا ننشد على متون الجياد.

كان هناك مَنْحَلٌ رائع عند الأشجار. وجدت هناك امرأة مريضة، تمضغ عشبًا علاجيًّا لأن معدتها تؤلمها. إنها تعتقد أن معدتها قد مرضت، وأنها ستعالجها بلحم الخنزير والفودكا المقطرة.

عرجت على نُزُل بالقرية. كان صاحب النُّزُل منهمكًا في شرب النبيذ، وتناول المربى مع الشاي بصحبة زوجته وأخيها والشماس

(مساعد للكاهن). لقد بدأوا لتوهم ما قد فرغنا منه. رأيت فلاحة من تيليتانيكي تسير حافية القدمين، تستجدي بعض الخبز. لم تنل خبزًا منذ يومين، وأولادها يتسولون هم أيضًا.

الوضع بشع في المنزل. يُجرون قسمة الأملاك. تشاجرت فيرا مع أمها، وتانيا مع ماشا. الوضع بائس.

قضيت يوم ١٧ بأكمله عند بوتكيفيتش. لديه حزام رائع من الأشجار. رأيت فتاة حافية القدمين تخدم هناك، لكنها تقول إن هذه الحياة بأكملها لا تعني شيئًا، وإن المعنى في الحياة الأخرى. إن ذلك محض تَصَنُّع. الأب العجوز يقف عند المنحل، وهو مولع به. ذهبنا لنغتسل في المياه. أتى شقيقان آخران، ومضى كل شيء على نحو جيد. أناتولي دمث وكثير التفكير، أما زوجته جادة للغاية.

قضيت صباح يوم ١٦ بمفردي وحاولت الكتابة ولكن بلا جدوى. تمشينا حتى أُنهكنا. المرج طريق جيد.

في يوم ١٥ انهمكت في العمل على الفصل الأخير، وقررت أن أتمشى مع أليوخين وخوخلوف. سرنا فعلًا معًا حتى وصلنا إلى بوليجين. وجدناه هناك يقرأ قصة دوستويفسكي (حلم رجل مضحك). الفكرة جيدة، والتنفيذ سيئ.

في يوم ١٤ تحدثت مع ألكسي أليخين وخوخلوف، وقرأت لهما الفصل الرابع.

في يوم ١٣ عدتُ من السباحة فوجدت ألكسي أليخين وخوخلوف.

الأول صالح جدًّا. ماشينكا هنا. لا أذكر شيئًا مهمًّا قد حدث في يومي ١١، ١٢. فكَّرت في الآتي:

١- أحيانًا يمنح الأطفال الخبز والسكر والمال للفقراء، ويشعرون بالسرور من أنفسهم، معتقدين أنهم يفعلون أمرًا صالحًا. لا يعرف الأطفال -ولا يمكنهم أن يعرفوا- من أين أتى هذا الخبز والسكر. ولكن بعد أن ينضجوا لا بد أن يعرفوا ذلك، ويدركوا أن لا صلاح بتاتًا في أن تستولي على شيء من شخص وتعطيه لشخص آخر. ولكن للأسف لا يفهم الكثير ذلك، حتى بعدما نضجوا، وخاصة النساء.

٢- بخصوص (الأب سيرجيه): بعد ارتكابه القتل، يمكث في الظلام، ويرى فجأة ضوء الفجر. يزداد النور، ويقترب النهار. يشعر بالهلع.

٣- آه من ضرر وفساد تلك البدعة السائدة الآن في مديح النساء، فهم لا يكتفون بالتأكيد على مساواتهم بالرجال من حيث الإمكانات الروحية، بل يقولون إنهنَّ يفوقونهم فيها سموًّا!

ليس هناك أدنى شك في ضرورة عدم تقييد حقوق النساء، والتعامل معهن بذات الاحترام والمحبة التي نعامل بها الرجال، وإنهنّ مساويات للرجل، ولكننا إن أكدنا أن المرأة العادية قد وُهِبت ذات القوة الروحية التي للرجل، وإن توقعنا أن نجد في كل امرأة ما نتوقع أن نجده في كل رجل، فهذا محض خداع متعمد للنفس، وهو خداع يضر بالمرأة. إن انتظرنا من المرأة ما ننتظره من الرجل، سنجد أنفسنا نطالبها بذلك، وعندما لا نجد ما طلبناه، سنشتغل غضبًا ونعزو هذا المستحيل إلى إرادتها الشريرة!

معاملة النساء إذَنْ بما يتناسب مع حقيقتهن؛ أي كمخلوقات ضعيفة روحيًا، لا يعد ضربًا من القسوة؛ بل القسوة هي أن نعاملهن على أنهن متساويات من حيث المقدرة الروحية مع الرجل. أعني بالضعف الروحي ضعف قدرتهن على إجبار الجسد على طاعة الروح، وخاصة ضعف ثقتهن فيما يمليه العقل، وهي السمة الأساسية في المرأة.

٤- فور أن عدت للمنزل، التقوني بخبر ولادة زوجة البستاني مجددًا، وأخبروني أن المرأة العجوز جاءت مجددًا واستولت على الطفل والله أعلم أين ذهبت به[١٩٩]. شعر الجميع بصدمة مروعة. إنهم لا يجدون مشكلة بتاتًا في استخدام وسائل منع الحمل، لكن فعل كهذا يعد بالنسبة لهم شرًا لا يمكن وصفه[٢٠٠]! عرفنا اليوم أن الجدة عادت وقد جلبت معها الطفل. التقت الجدة في الطريق بامرأة أخرى تحمل طفلًا غير شرعي هو الآخر. وضعا في فم أحد الطفلين حلمة زجاجة إرضاع، لكنها نزلت بشدة في فمه، فأخذ يمص منها حتى اختنق. في أحد الأيام أحضروا ٢٥ طفلًا إلى موسكو. لم يُقبل منهم تسعة أطفال إما لكونهم مرضى أو غير شرعيين. ذهبت تانيا أندريفنا (كوزمينسكايا) في الصباح لتحاول إعادة زوجة البستاني إلى صوت ضميرها. التصقت

---

(١٩٩) هذه المعلومات الخاصة بالتخلص من الأطفال غير الشرعيين وإرسالهم إلى مكان تعليمي كان بمثابة مادة الفصل الثاني من الجزء الأول من رواية (البعث).

(٢٠٠) من الواضح أن تولستوي كان ضد استخدام وسائل منع الحمل بهدف أنها تتيح للزوجين ممارسة الجنس دون قيود، وهو يود لو لا يمارس الجنس مطلقًا. نفهم من هذا الأزمة الشديدة التي نشأت بينه وبين صوفيا؛ لأن عدم استخدام هذه الوسائل تسبب في حملها مرارًا وتكرارًا، الأمر الذي كان يرهقها جسديًا إلى أبعد حد.

زوجة البستاني بزوجها وقالت إنها لا يمكنها أن تحظى بأطفال بسبب الفقر الذي يكتنفهم والمستقبل المظلم، وقالت إن ثدييها لن يخرجا حليبًا. بالاختصار لا يمكن للأمر أن يتم. قبل ذلك مباشرة كنت أؤرجح ثلاثة أطفال هجرهم والداهم، ثم التقيت بطفل آخر؛ إنه قريب فاسيا. بشكل عام، المكان يعج بالأطفال. إنهم يولدون ويكبرون حتى يصيروا همجًا سكارى مرضى بالسفلس. في الآن ذاته يتحدث الناس عن إنقاذ وهلاك حياة الناس والأطفال. لماذا ننجب هؤلاء الهمج؟ ما الخير من ذلك؟ لسنا في حاجة لقتلهم، ولا للتوقف عن إنجابهم، بل نحن في حاجة لبذل كافة قوانا كي نُخرج الناس من هذه الحالة الهمجية. هذا هو الأمر الجيد الوحيد الذي يمكننا فعله؛ وهو أمر لا يمكننا أن نفعله بالكلمات وحدها، بل بتقديم النموذج العملي. الساعة الآن الثانية. لقد رحلوا جميعًا إلى آل زينوفيف، بعد أن عذَّبهم الملل.

٢٥ يونيو.

لم أُدوِّن يومياتي منذ ستة أيام. ذهبت في الصباح الباكر إلى جوربونوف. قضيت معه وقتًا جميلًا. بالأمس تحدثنا كثيرًا، وقرأت له بداية الفصل السادس، وكان قد قرأ بنفسه الفصل السابق. جاء إيليا بالأمس. لا يزال يصارع أمه. لم تُغضبني بلادتهما. كيف لا يمكنهما أن يتأثرا - ولو قليلًا - بينما يعيشان في هذا الوسط؟ لم أكتب شيئًا.

في يوم ٢٣ تعالى الضجيج منذ الصباح الباكر. في البداية مر أولئك الجوَّالون وشربوا الشاي لدينا، ثم جاء طالب بصحبة أحد صانعي الحلوى، ثم جاء رومانوف. في المساء جاءنا آل يزيكوف. إنهم غرباء

للغاية. جاء كذلك ساعي البريد. دارت أحاديث ممتعة مع رومانوف. يبدو له أننا لا بد أن نعطي المال للفقراء، والأرض للفلاحين، وأن يتخلص كل إنسان من ممتلكاته. لقد كان حديثًا عن الإله المشخصن[٢٠١]. إننا في حاجة للإيمان بإله مشخصن. وما يريده المرء سيكون. كل هذا دلالة على المفهوم الوثني للحياة الذي لدى الناس، ذاك الذي يحركه البحث عن الكرامة والمجد، لذا يكون التفكير في ضرورة فعل خير مادي ومرئي ومحسوس، وبالتالي ينال صاحبه جزاءً مرئيًا محسوسًا.

في يوم ٢٢ كتبت، ورتَّبت بداية الفصل السادس. في الصباح وصلت راتشينسكايا، وفي المساء أتاني طالب يبلغ من العمر ١٨ عامًا يُدعى جرومان، يرتدي حذاءً من اللحاء[٢٠٢]، يدْرس الشعب حتى يستطيع خدمته. إنه شاب مباشر وصريح، قد اكشف لتوه جمال الخير. تحدثنا - أنا وجوربونوف - طويلًا معه.

انشغلت بالكتابة في صباح يوم ٢١ ، وفي المساء أتاني جوربونوف.

في يوم ٢٠ انهمكت في الكتابة كذلك، وعلى ما أذكر ذهبت إلى تولا. لم أجد روستوفتسيف، لكني التقيت بلوبوخين وسألته عن سير الأمور[٢٠٣]. أريد أن أكتب في رواية كوني (البعث). لقد اختمرت في ذهني تمامًا.

---

(٢٠١) يقصد التفكير في الإله كشخص مثلما يحدث غالبًا في المسيحية نتيجة للإيمان بتجسد الله، ويُخاطب الله كما يُخاطب شخص له مشاعر إنسانية، الأمر الذي نجده في اليهودية بقوة وفي الإسلام بدرجات متفاوتة.

(٢٠٢) مصنوع من لحاء الشجر، مثلما كان يرتدي الفلاحون والفقراء.

(٢٠٣) ربما سأله عن الفلاحين المدانين بقطع الأشجار من غابته.

اليوم هو ٢٥. استيقظت في الثامنة. مطر وكسل. شربت القهوة بمفردي. لا أزال أشعر بالضعف رغم إني أفضل حالا اليوم. فكَّرت مجددًا في المساء في تصدير الكتاب الخاص بالحركة النباتية (يقصد كتاب مبادئ النظام الغذائي لهوارد ويليامز)، وأقصد بذلك فكرة ضبط النفس، وانشغلت طوال الصباح بالكتابة على نحو لا بأس به. ثم تمشيت واغتسلت. الساعة الآن الخامسة. لا أزال أشعر بالضعف. أستمني وأسيء لنفسي بشكل لا يصدق. هذا هو الشيطان الذي أرسله الله لي، على حد قول بولس[٢٠٤]. في الأيام الأخيرة كنت أقرأ في رواية بيورنسون[٢٠٥]. الكتاب متنافر، لكن ثمة الكثير من المواضع الجيدة فيه. جميلة هي الطريقة التي وصف بها مطاردة الفتاة التي نوَّمها، وكيف شعرتْ بالرعب من رؤية وجهه الفظيع. قرأت كذلك لمونتين. فكرت في الآتي:

١- بيت القصيد هو أن إنقاذ حياة الناس المادية؛ إنقاذ الأطفال والهالكين، وعلاج المرضى، ومساعدة الشيوخ والضعفاء، ليس هو الخير، بل إحدى سماته، تمامًا كما أن تلطيخ القماش بالألوان ليس هو الرسم، مع أن كل لوحة لا بد أن تتطلب تلطيخ القماش بالألوان. إنقاذ حياة الناس ماديًّا هو بمثابة نتيجة طبيعية للخير، لكنه ليس الخير ذاته. الحفاظ على حياة عبد مُعذَّب بالعمل من أجل أن نمنحه مبلغًا تافهًا، ليس خيرًا مع إنه حفاظ على الحياة. الخير هو خدمة الله، وهو يقترن دائمًا بالتضحية وإهدار المرء لحياته الحيوانية، كما يقترن الضوء دائمًا

---

(٢٠٤) هذه الآية: «ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات أُعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع». رسالة كورنثوس الثانية ١٢: ٧.

(٢٠٥) بيورنستيارنه بيورنسون: كاتب وروائي وشاعر نرويجي.

بإهدار مادة مشتعلة. من المهم جدًّا أن نوضح ذلك، فاعتبار العواقب بمثابة الجوهر الرئيس أصبح ضلالة مترسخة بشدة.

٢- يكتب أوجاريوف[٢٠٦]: تغمرني المعاناة من الإدانة المصطنعة؛ أي الإدانة على ما لا أستحقه، أما الإدانة المباشرة فتسمو بي. كم هذا صحيح!

٣- الجميع يتحدثون عن المجاعة[٢٠٧] والجوعى، ويودون مساعدتهم وإنقاذهم. كم هذا مقزز! أناس لم يفكروا أبدًا في الآخرين؛ في الفئة البسيطة من البشر، ولسبب ما تجدهم فجأة يشتعلون رغبة في مساعدة الناس! إما إنه الخيلاء والرغبة في التباهي، وإمَّا إنه الخوف. لكن في كلا الحالتين فهو أمر ليس فيه خير. المجاعة أمر مستمر، فالفقراء دائمًا في عوز؛ أي أن هناك دائمًا مَن يمكن أن تُضحي من أجله، وليست هناك لحظة بعينها تحتاج إلى التضحية أو الخدمة أكثر من غيرها، لذا فأكبر خدمة مادية يمكن للمرء تقديمها ستُقدَّر دائمًا بصفر أمام قيمة لا نهائية (∞). أما الخدمة الروحية ستكون عظيمة دائمًا. الفكرة غير واضحة. لا بد من توضيحها. هذه الفكرة وكذلك رقم ١ شديدتا الأهمية.

٤- من المستحيل أن نفعل الخير اليوم بمناسبة حدث معين، إن لم نفعله بالأمس. الناس يفعلون الخير، لكن ليس بسبب حدوث مجاعة، ولكن لأنه خير.

---

(٢٠٦) نيكولاي أوجاريوف: شاعر وثوري. تعرف على تولستوي في ١٨٥٥ عند تورجينيف.

(٢٠٧) في أعوام ١٨٩١ - ١٨٩٢ حدثت مجاعة شديدة في ٢٩ مقاطعة بروسيا، من ضمنها جزء كبير من مقاطعة تولا التي تضم ياسنايا بوليانا. كان تكرار المجاعات كل عدة أعوام أمرًا معتادًا في روسيا القيصرية.

٢٦ يونيو.

في الصباح شعرت بضعف شديد، ولم أكتب شيئًا. في المساء ذهبت إلى تولا، واصطحبت معي ماشا وتانيا وفيرا وليوفا. وصلنا بنشاط. ذهبنا بالقطار، وكنا في عربة فيازيمسكي، وعدنا سيرًا على الأقدام. رأينا في الطريق ما يقرب من ٥٠٠٠ مهاجر قد أتوا من نواحي سامارا. وجدت آل رومانوف في المنزل. تحدثنا حتى الساعة الثانية.

٢٧ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر. تحدثت حديثًا طويلًا جيدًا مع فيازيمسكي. رحلتْ تانيا. من الواحدة وحتى الثالثة كتبت على نحو جيد عن الشره. اختمرت الفكرة أكثر. بعد الغداء شعرت بالحزن والنفور والخزي من حياتي. كل من حولنا جوعى بائسون، لكننا... أشعر بالخزي! أشعر بذنب عظيم. ساعدني يا أبي كي أنفذ إرادتك. بعد الغداء قرأت كتابًا في التاريخ القديم. فكَّرت في الآتي:

خطأ الاعتقاد في إمكانية تحقيق الفضيلة المسيحية دون ضبط نفس ينبع في الأساس من الاعتقاد في إمكانية الحب دون تضحية بالنفس. الساعة الآن الحادية عشرة. سأخرج إلى الشرفة الخارجية. ساعدني كي أحب!

١٣ يوليو.

لم أُدوِّن يومياتي منذ ١٦ يومًا. وصل ريبين وجينزبورج. في تلك الفترة انشغلا بتصميم تمثال لي والكتابة عني، بينما كتبتُ مقالتي

عن الشره، وتقدمت كثيرًا في مقالتي الضخمة (يقصد ملكوت الله بداخلكم). رحل ليوفا، وجاءت ألكسندرا أندريفنا. ذهبت صوفيا إلى موسكو، ووصلت اليوم. الساعة الآن الثانية عشرة. سأخرج إلى الشرفة الخارجية. غدًا سأكتب ما دوَّنته. حاولت العمل بالحصاد، لكني أشعر بضعف شديد. معدتي مضطربة وأشعر بالضعف.

١٤ يوليو.

لا أزال الآن في يوم ١٣، والحديث يدور مع زوجتي عن الموضوع ذاته؛ أقصد التخلي عن حقوقي في نشر أعمالي[٢٠٨]. لا تزال غير قادرة على فهمي. تقول: «أنا مضطرة لفعل ذلك لأجل أبنائنا». إنها لا تفهم، وكذلك أبناؤنا بالطبع، فهم مشغولون بإنفاق المال. إنهم جميعًا لا يفهمون أن كل روبل ينفقونه وأربحه مما أكتبه هو بمثابة خزي لي ومصدر للمعاناة. فلننحِّ أمر الخزي جانبًا، ولكن لماذا نُضعِف أثر الدعايا الذي يمكن للحقيقة أن تقوم به؟ من الواضح أن الأمر لا بد أن يكون كذلك، وستقوم الحقيقة بما تريده دون عون مني.

١ - لوحة لنهاية شهر مايو: بعد استراحة العصر، تُحلق الطيور في أشكال دائرية ويفوح عبير أشجار الزيزفون، ويتعالى طنين النحل.

٢ - الكل خاضع للقانون؛ النباتات والحيوانات. لكن بالإضافة إلى القانون الذي يخضع له الإنسان هو الآخر ثمة شيء مميز فيه. هذا ما يبدو

---

(٢٠٨) يدور الحديث عن نية تولستوي في إبلاغ الصحف بتخليه عن حقوقه في النشر للمجلدين ١٢، ١٣ من الأعمال الكاملة، من الطبعة التي تولت صوفيا إصدارها، وبالرغم من اعتراضات زوجته سيقوم بتنفيذ الأمر فعلًا.

للإنسان لأنه يستطيع النظر من داخله. لذلك يبدو لكل مخلوق أن ثمة شيئًا خاصًا بوضعه وقانونه، لأنه ينظر من داخل نفسه. ما يبدو خاصًا هو ذلك المكان الذي يقف فيه الإنسان لأنه يمسك بمصباح ينير المكان.

٣- كل إنسان يعيش من أجل أن تتجلى فردانيته، أما التربية فتعمل على محوها.

٤- من أجل مسرحية قادمة[٢٠٩]: في جدال مع أحد أتباع الأرثوذكسية: «لا يمكنني أن أؤمن»، وفي جدال مع أحد الليبراليين: «لا يمكنني ألا أؤمن».

٥- اللص ليس ذاك الذي يستولي على شيء ضروري له، لكنه ذاك الذي يُبقي في حوزته شيئًا غير ضروري له، ولكنه ضروري للآخرين.

٢٢ يوليو.

كنت مشغولًا طوال هذه الفترة بحضور ريبين وجينزبورج. رحلا بالأمس. دار حديث مع زوجتي بالأمس عن نشر الخطابات في الصحف وعن التخلي عن حقوق الملكية الفكرية لمؤلفاتي. أتذكر الأمر بصعوبة، لكني سأصف ما حدث بقدر ما أتذكر.

حذفتُ ١٩ سطرًا[٢١٠].

كنت أنا مَن بدأ الحديث، لأنها قالت بالأمس قبل النوم أنها موافقة. أشعر بالأسف عليها. لا أُكِنُّ لها أي ضغينة. أقول لنفسي: إنها صليبي

(٢٠٩) الضوء يسطع في الظلام.

(٢١٠) ملاحظة: الحذف من قِبَل تولستوي.

الذي يجب أن أحمله. عندما أفكر أن بإمكاني تحويل ذلك إلى خير وموعظة لي: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ...»[٢١١] يصبح جيدًا. في هذا الوقت جاءتني الفتاة بول[٢١٢] من عند دونايف. وصل كذلك فاينرمان ورفيق آخر عجوز، وكذلك الفتاة اللطيفة جاكوفسكايا التي تريد أن تُغيِّر نمط حياتها مثل بول من أجل أن تنصاع لصوت ضميرها. تريد أن تكدح في أعمال متدنية وتعيش في فقر. الأولى رحلت أول أمس إلى ماريا ألكسندروفنا، والأخرى إلى بولتافا. كنت في المنزل، أشعر بالحزن والكآبة. اعتقدت أن هذا يعود إلى حالتي البدنية والروحية على السواء، لكني ذهبت إلى جاكوفسكي عند إجنات (فلاحان من ياسنايا) وتحدثت معه، ورأيت بعيني مدى العوز والعمل والإنهاك، ورأيت حجم الدوافع الأخلاقية الموجودة في النساء هناك، ولم أستطع التراجع، فقد شعرت بالحيوية الشديدة والمرح. أود لو أشكو من ثِقل الصليب على كتفيَّ. يبدو أن ذلك هراء. بمقدوري تحمل الثقل. لقد ازداد ثِقل الصليب عندما بدأت تانيا تُكِنُّ كراهية لماشا. يبدو لي الآن أن الأمر سيمر. تحدثت معهما عن ذلك. في الفترة الأخيرة أعمل على مقالتي بنجاح إلى حد كبير. إني أقترب من نهايتها. بالأمس كتبت كذلك ٦ أو ٧ خطابات، وجميعها سيئ، فلم أكن في حالة جيدة. كان الضعف يكتنفني مثل حالي الآن.

---

(٢١١) طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. متى ٥: ١١.

(٢١٢) كانت تعمل مربية عد دونايف، وبتأثير من أزمتها الروحية وكتب تولستوي قرَّرت أن تغير نمط حياتها كلية. ذهبت إلى ياسنايا سيرًا على الأقدام وعاشت هناك لبعض الوقت بالقرية، ثم ذهبت إلى القوقاز.

دوَّنت في هذه الفترة الكثير من الأفكار بخصوص المقالة، واستخدمتها فعلًا، ولديَّ ثلاث أفكار أخرى:

١- بخصوص (الأب سيرجيه): عندما سقط مع ابنة التاجر وبدأ ذلك يعذبه فكَّر هكذا: إن أخطأ مع إحداهن، الأفضل أن تكون جميلة، لا مع تلك المخلوقة البشعة. أودت به هذه الفكرة إلى النفور من نفسه ثانية.

٢- يقول جيلمجولتس[٢١٣] عن الحياة: الإنسان بجسده هذا يشبه النار المتأججة. ما يحترق فيها يتم استبداله بقطع أخرى جديدة، لكن النار تبقى كما هي. إن انطفأت فهذا دليل على أنها لن تعود للاشتعال. عندما أتحدث في الهاتف تنتقل ذبذبات الهواء إلى رقاقة، وتنتقل من الرقاقة إلى مغناطيس، والأخير يولِّد تيارًا كهربائيًّا. أين ذهبت كلماتي التي قلتها وأنا ممسك بالهاتف؟ لقد تحولت إلى تيار كهربائي، لكنه وصل إلى مغناطيس، والأخير أحدث ذبذبات في الرقاقة، والرقاقة في الهواء، لتظهر الكلمات مجددًا. إنه تكهن مادي بارع عن فكرة الخلود. عبَّر أخي سيرجي منذ زمن عن هذه الفكرة بصورة أفضل. يحدث في العالم عدد لا نهائي من مختلف أنواع الظواهر والتركيبات. أنا أشكل واحدة من هذه الظواهر. سأتلاشى، لكن الزمن لا نهائي، لذا فهذه التركيبة - التي هي أنا - لا بد أنها ستظهر مجددًا عبر هذا الزمن اللا نهائي. الوقت اللا نهائي الذي سأغيب فيه سيكون بمثابة لحظة بالنسبة لي. هذا يعني أني سأظل موجودًا دائمًا، وما إن أغفو حتى أستيقظ سريعًا.

٣- لا يمكن للإنسان أن يعرف سوى الاتجاه المؤدي إلى الهدف،

---

(٢١٣) جيرمان فون جيلمجولتش: فيزيائي ألماني.

أما الهدف ذاته لا يمكننا معرفته.

الساعة الآن العاشرة. أريد أن أترجم مقالة جيفرسون[٢١٤].

٢٣ يوليو.

الساعة الآن الثانية. عملت على نحو سيئ جدًّا. مشكلة أخرى مع تانيا. لقد ذهبت إلى بيروجوفو. لا أريد أن أكتب خطابات. سأذهب إلى تولا. أنا حزين جدًّا.

مكتبة
t.me/t_pdf

٣١ يوليو.

لم يمر أكثر من أسبوع منذ آخر مرة دوَّنت فيها يومياتي، لكنها تبدو لي مدة طويلة جدًّا. في تلك الفترة جاءت مامونوفا، والتقيت بها وأنا في طريقي إلى تولا. ثم جاء ستراخوف، وهو موجود الآن. انتظرت حكمه. انتظرت أن يدين كتابتي بأنانية، لكنه لم يفعل ذلك. جاءت لارينوفا، وهي طالبة جامعية من كازان، ومن حسن حظي أني كنت مفيدًا لها. ثم جاءت إلبيديفوروفنا من عند جي. نسيت، لقد جاء خوخلوف أيضًا. كان ذلك أول أمس. يزداد حبي له أكثر فأكثر. لقد رحل إلى موسكو. صباح اليوم جاءت إلبيديفوروفنا وصديقتها، والمعلم فيليكانوف ثم زوجة كاهن من تسارسكي. كان حوذي مركبتها ثملًا، أخذ يجمع التفاح. خرجت للقائها. رأيت حوذي عربتها يتشاجر مع راكب آخر ويحاول انتزاع محفظته. كنت منهكًا وشعرت بالدوار بشدة حتى إني لم أستطع التدخل

(٢١٤) توماس جيفرسون: أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، والكاتب الرئيس لإعلان الاستقلال وثالث رئيس للولايات المتحدة.

بينهما، ورحل الحوذي الفقير مستاءً من أجل روبل واحد. شعرت بحزن وخزي رهيبين، وكذلك شعور برغبة في التوبة. لم أدون يومياتي ليومين، انشغلت فيهما بالعمل. لم أكن بصحة جيدة، فقد أصبت بحمى وإسهال. تعافيت اليوم إلى حد ما. كتبت خطابًا إلى جي الأب، وآخر إلى جي الابن. كانت زوجة الكاهن مؤثرة حقًّا. في هذه الفترة دوَّنت الأفكار الآتية:

١ - موضوع: انطباعات وتاريخ إنسان كان في قاع السلم الاجتماعي، ثم أصبح بستانيًّا قرابة منزل أحد السادة، حيث أصبح بإمكانه مراقبة حياة السادة، بل والمشاركة فيها[٢١٥].

٢- تحدثت مع خوخلوف: الأناركية والاشتراكية؛ أي الأفكار الداعية لرفض الملكية، تتشابه مع المسيحية في رفض النظام القائم. المسيحية تشبه الاشتراكية والأناركية جزئيًّا، ولكن من دون العنف، وباستعداد للتضحية.

٣- مهم جدًّا: حرية الإرادة هي وعي المرء بحياته. الإنسان الحر هو الواعي بحياته. أن يعي المرء حياته يعني الوعي بقانون حياته. ذلك يعني أن يسعى المرء إلى تحقيق قانون حياته.

الساعة الآن العاشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي. أخشى من نفسي هذه الليلة. ساعدني يا أبي!

---

(٢١٥) ستتطور الفكرة بعد ذلك لتصبح نوفيلا (السند المزيف). ترجمت هذه النوفيلا وصدرت عن سلسلة الجوائز بالهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤ أغسطس.

روحي ليست بخير. الأمر يتعلق بعلاقتي بزوجتي. إنها مشغولة تمامًا بتقسيم الأملاك. جاء سيريوجا وإيليا، وغضبت منهما بشدة. جاء فيليكانوف وجرومان. فليكانوف معلم ذكي واجتماعي. لقد رحلا اليوم. أعمل طوال الوقت، والعمل يتقدم.

فيما يتعلق بمسألة حرية الإرادة: ما إن أحوز وعيًا بالحياة، حتى أشارك فيها. أريد أن أنفذ قانون الله؛ أي أني أود لو أريد ما يريده.

الساعة الآن الثانية عشرة. كتبت خطابًا لتشيرتكوف وآخر لكودريافتسيف. وصلني من كليهما خطاب بشأن المجموعة[٢١٦]. تشيرتكوف لا يزال يجمع، أما كورد‌ياتسيف فقد انتهى من الجمع فعلًا.

١٢ أغسطس.

لم يحدث شيء ذو أهمية خاصة. لم يأتني زوار مثيرون للاهتمام. أتاني شاتنجي ومينين وبورتون الأمريكي (أستاذ جامعي).

طوال هذه الفترة كنت أستغرق طوال الصباح في الكتابة عدا يومين لم أفعل فيهما ذلك؛ اليوم ويوم آخر. توقفت الآن عند الفصل الثامن، ويبدو أني فكَّرت فيه اليوم مليًّا. ذهبت صوفيا بالأمس إلى حفل موسيقي، وتحدثنا على نحو رائع مع الخالة تانيا (كوزمينسكايا) والبنات. في خلال

---

(٢١٦) يدور الحديث عن نية تشيرتكوف جمع مدونة لأفكار تولستوي الدينية والفلسفية، وكذلك فعل كودرياتسيف بعنوان: آذان ناضجة.

هذا الوقت كتبت مجددًا خطابًا إلى المحرر[٢١٧]، ووجدتني ثانيًا أمام هذا العداء الذي كنت قد تركته منذ فترة. أُصلِّي لله وأطلب معونته أن يخلصني من وضعي كصاحب أملاك، وهو أمر ضروري، فهذا الوضع يجعلني أبدو وكأني أعترف بالحكومة. لا بد من القيام بأفعال واضحة. السماح ببيع أعمالي يُدمرني تمامًا. إني أعيش حياة حسية نجسة. ساعدني يا إلهي! لقد تهت. إني أعاني ولا أستطيع الاستمرار. ساعدني. يبدو أن المساعدة كامنة بداخلي، وعليَّ أن أستحث الطبيعة الإلهية بداخلي.

في هذا الوقت جاء العزيز فاسيلي إيفانوفيتش. لقد عانى مثلي من المرأة. يحدث ذلك معه بدرجة مخففة. جاء سيريوجا. تحدثت معه عن الحياة في حضور فاسيلي إيفانوفيتش. لم يُغضِبني، لكني أشعر بالأسف عليه. إنه يوجِّه كافة قواه لتبرير نفسه، أي أنه يجعل الخطأ صوابًا، وهذا يعني أنه يخدع نفسه. كيف إذَنْ لا ينحدر، عقلا وقلبًا! في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ - ما المقصود بالله؟ ولماذا يوجد؟ الله هو المطلق لكل محدود أعرفه في ذاتي. لديَّ جسد محدود، أما جسده فمطلق. أنا كيان، عاش ٦٣ عامًا، أما هو فكيان يعيش أبد الدهر. أنا كيان يفكر داخل حدود إدراكي، أما فهو فلا حدود لتفكيره. أحب أحيانًا بدرجة بسيطة، أما هو يحب دائمًا بلا حدود. أنا جزء، وهو الكل. لا يمكنني أن أفهم نفسي إلا كجزء من كيانه.

٢ - عندما تعذبك مسألة لم تستطع حسمها، تشعر أنك عضو عليل

(٢١٧) خطاب يرفض فيه حقوق الملكية الفكرية لأعماله.

في جسد معافى، كسن مريض في جسد معافى، وتطلب من الجسد بأكمله أن يساعد هذا العضو. الجسد هو الله، وأنا العضو.

٣- فكَّرت في ذلك ودوَّنته عدة مرات، لكنه يبعث فيَّ قوة جديدة مرارًا وتكرارًا: لا ضرورة للسعي صوب الأفعال الخيِّرة والمآثر الضخمة. إن اكتفيت فقط بفعل ما هو مطلوب منك الآن في هذا الموقف تحديدًا الذي أنت فيه، بأفضل صورة ممكنة، أي بطريقة مسيحية، فإن حياتك ستكون ممتلئة تمامًا ولن تبحث عن أفعال خيِّرة أو مآثر ضخمة لتقوم بها.

٤- إن عبثية حياتنا تعود في الأساس إلى سلطان المرأة، وسلطان المرأة يعود إلى فجور الرجال. هذا يعني أن فجور الرجال هو سبب عبثية الحياة.

٥- ما الغرض من التفاحة؟ هل الغرض منها أن تملأ قشرتها ثم تتحول إلى مصدر للبذور، أم أن تكون غذاءً ومصدرًا للمتعة للبشر والحيوانات؟ سيقول أحدهم إن الهدف منها إمداد التربة بالبذور، وهو محق في قوله هذا، لكنه مخطئ إن أدان مَن يلتهم التفاحة. سيقول آخر: الهدف منها أن تكون مصدر للمتعة، وهو محق، لكنه لن يكون كذلك إن نسي أن التفاحة لا بد أن تنتج البذور كذلك.

لم أُعبِّر عن الفكرة بصورة حسنة. وصلت تانيا، وأنا متعجل.

٦- يقول الأطفال: يتحدث الوالدان عن كم يُعذِّبهما الأطفال. آه لو يعرفا كم يُعذِّبان أطفالهما! يُعذِّبان أطفالهما بالغزل والشجار والسخافة والعصبية الشديدة والجور، وكافة العيوب التي يرى الأطفال أن الوالدين

يجب أن يكونا مبرئين منها تمامًا.

٧- الشعور الديني هو القدرة على التنبؤ؛ أي أن نعرف بمشاعرنا.

٨- كثيرًا ما يُقال الآتي: لا يمكننا أن نطلب من الله بخصوص أحداث معينة، كي يحدث كذا ولا يحدث كذا. بل ممكن. يمكننا أن نطلب بشأن أحداث تعتمد على تصرفات الناس إن كان السائل يؤمن بحرية الإرادة. إن حرية الإرادة هي عمل القوة الإلهية في الإنسان. يمكن لهذه القوة أن تتدعم في كل إنسان. إن استمع الله للصلوات ونفَّذها، يمكنه أن يتجلى في الناس، وبالتالي تتغير الأحداث. أقول هذا لأولئك الذين يريدون أن يسألوا الله طلبات معينة، ويأملون فيها بقوة. أما بالنسبة للمسيحي فهذا أمر غير لازم. التسليم لإرادة الله هو الشرط الضروري للحياة المسيحية، وهي تستبعد احتمال وجود رغبة معينة، وبالتالي تستبعد أن نطلب من الله رغبات معينة. الساعة الآن الثانية عشرة.

٢٧ أغسطس.

لم أدوِّن شيئًا منذ أسبوعين. ثمة حدثان مهمان في هذه الفترة: الأول: رحلتي إلى أخي سيريوجا. قضيت هناك أسبوعًا. الثاني: زواج ماشا كوزمينسكايا أول أمس. كلا الحدثين كان رائعًا. مرضت ولم أتعافَ تمامًا بعد. الجوع يعذبني وبالكاد يمكنني أن أضبط نفسي. وصل بوشا منذ ثلاثة أيام. أتعامل معه على نحو رائع. عملت ليومين بانتظام على تصحيح مقالتي عن الشره، لكن يجب الاستمرار في المراجعة. جاء أيضًا الفرنسيون: تريفيريه (أستاذ الأدب)، وريشي (أستاذ فيسيولوجي ونفسي)، وهودايل (مؤلف روايات نفسية)، وكذلك جاء جروت. لم

يثيروا اهتمامي كثيرًا. أما مَن أثار اهتمامي فعلًا فكان اليهودي: برايس، الذي جاء من قِبل فاينرمان، وقد عاش وسط طائفة المرتجفين وتصادق مع الأناركيين الأمريكيين. علينا أن نفعل ما يفعله الدوخوبوريون[٢١٨]؛ أن نركع عند أقدام كل إنسان، ونتذكر أن الله يسكن في قلبه. إن استحال فعل ذلك ماديًّا، فلنفعله بالروح. وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف.

١٣ سبتمبر.

كتبت كثيرًا خلال هذه المدة. لقد أحرزت تقدمًا، حتى إني قد قاربت على الانتهاء من العمل. أكتب الآن في الفصل الثامن (يقصد في: ملكوت الله بداخلكم) والذي سوف يكون بمثابة الخاتمة. كان الزوَّار طوال تلك الفترة شديدي اللطف. في البداية جاءت فانيا جوربونوف بصحبة باترسبي[٢١٩]، وقد ترك الأخير فيَّ انطباعًا رائعًا. إنه حر تمامًا، كما إنه متدين، يعيش وفقًا لمقتضيات دينه فعلًا. بعدها جاء نوفيسيلوف[٢٢٠] وجاستيف[٢٢١]، وكلاهما ترك فيَّ انطباعًا رائعًا. في هذه الفترة أيضًا رحلت صوفيا والصِّبية إلى موسكو، ثم لحق بهم ليوفا. لقد رحلتْ في الثالث من سبتمبر على ما أذكر. بالأمس كتبت خطابًا لها أسألها أن ترسل لي خطابي الذي أرسلته إلى المحرر بشأن التخلي

---

(٢١٨) مجموعة دينية مسيحية روحية من أصل روسي، عاشوا حياة مشتركة ونبذوا العنف.

(٢١٩) صحفي إنجليزي وصديق لتشيرتكوف، وهو مَن ترجم كتاب تولستوي (ماذا علينا أن نفعل؟) إلى الإنجليزية.

(٢٢٠) معلم من موسكو، أسس طائفة زراعية على أفكار تولستوي.

(٢٢١) عضو في جماعة نوفيسيلوف، وساعد تولستوي في نجدة الجوعى بالمجاعة التي استمرت بين عامي ١٨٩١ - ١٨٩٢.

عن حقوق ملكيتي الفكرية. لا أعرف ماذا سوف يحدث. حالتي الصحية بالكاد متماسكة. لا أزال أرغب في العمل البدني لكني لم أبدأ بعد. بالأمس قرأنا عملًا جيدًا مترجمًا عن الإيطالية بعنوان (الجمال)[٢٢٢]. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- شخص جديد، وآخر جديد، وآخر، وآخر... كل شخصية جديدة وخاصة، بينما تظل تعتقد أن هذه الشخصية تحديدًا ستكون جديدة وخاصة، تعرف شيئًا لا يعرفه الآخرون، وتحيا أفضل من الآخرين. لكن الأمر يظل على حاله؛ الضعف والمستوى المتدني من التفكير ذاتهما.

٢- كيف لم يفهم أولئك الذين يعيشون عالة على الآخرين حتى الآن خطأ ما يفعلونه، ولم يصححوا بأنفسهم هذا الوضع قبل أن يُلقى بهم بعيدًا ويُسحقون؟

٣- تصورت الآتي بحيوية: ماذا لو فعل الناس الخير، فأطعموا الآخرين وعالجوهم وعلَّموهم بذات الشغف الذي يمارسون به الصيد، وخرقوا كافة القواعد، وقاموا بنفس الاستعدادات، وبذلوا نفس الجهود، فلم يناموا الليل في مكانهم، وقاموا بذلك بنفس التبجح والزهو؟ ماذا كان سيحدث إن وجدنا نفس التعاطف والوعي بضرورة ذلك كما نجد عند الصيادين!

٤- أتحدث عن الشعور الديني. تُرى ما هو؟ لا بد من تحديده. الشعور الديني هو ذلك الشعور الذي يظهر بدرجات مختلفة لدى الناس،

---

(٢٢٢) للكاتبة الإيطالية ماريا توريلي فيولير.

ويبدو وكأنه غائب تمامًا عند البعض. إنه العناية الإلهية، التي يطلق عليها المتدينون «النبي»، وهو بمثابة إعلان واضح لما يجب أن يحدث، ويكون هذا الإعلان بمثابة المرشد للحياة. أولئك الذين يغيب عنهم هذا الشعور تمامًا، أو الذين يتمتعون بقدر ضئيل منه، هم على النقيض من ذلك، يسترشدون بالماضي والتقاليد، ويؤمنون بما آمن به أسلافهم، وهؤلاء هم الذين يُطلَق عليهم «متدينون»! الإنسان الذي يدرك قوانين المستقبل يتجاهل الماضي، لذلك يبدو ملحدًا للناس.

٥- ثمة مميزات هائلة لتعبير المرء عن أفكاره خارج نطاق عمل أدبي. في العمل الأدبي غالبًا ما يجب أن تُضغط الفكرة من جانب، ويُترك لها العنان من جانب آخر، كالعنب عندما ينضج على عنقود كثيف. لكن التعبير عن الفكرة بصورة فردية، يجعلها تتمتع بمركزها الخاص، وتنمو من كافة الاتجاهات.

٦- كتبت لأوزميدوف: القول بأننا لا يجب أن نناضل ضد الأُطر الخارجية لعيوبنا، يماثل القول بأننا لا يجب أن ننتزع جذوع النباتات، ولا يجب أن ننتزعها بأيدينا من أعلى، بل نكتفي بتسويتها على الأرض بالمعول.

٧- ما الخطيئة في امتلاك المال وفي استخدامه بشكل تعسفي والاستفادة من السلطة التي يمنحنا إياها؟ ليست الخطيئة في اضطراري لاستخدامه، ولا أرتكب خطيئة عندما يطلبونه مني، وليست الخطيئة فيما يمكن أن أحصل عليه بالمال وأطلبه من الآخرين بدافع من الحاجة. الخطيئة تكمن في الاستخدام التعسفي له، وفي أن يكون بإمكاني أن أقوم

بشيء ما وأجعل شخصًا آخر يقوم به من أجلي، وعندما يتوجب عليَّ أن أقرر ما إن كنت سأذهب إلى المسرح أم سأتعشى، ما إن كنت سأذهب إلى هناك أم سأقوم برحلة أم سأشتري دراجة... إلخ. سأذهب إلى تولا لأتنزه سيرًا على الأقدام، ومن هناك سأستقل القطار للعودة. يلزمني لذلك ١٥ كوبيكًا. هذه خطيئة. سأذهب إلى مريض في باريس، ويلزمني لذلك ٢٠٠ روبل. هذه ليست خطيئةً. لا تزال الفكرة غير واضحة. ستنجلي لذهني في وقت ما.

٨- لسنا في حاجة للقيام بإضراب ضد العمل، بل ضد التجنيد، وحينها سنصل إلى كافة الأهداف التي يجب أن يحققها الإضراب.

٩- يؤكد مولتكه[٢٢٣] لنا أن الشعوب هي التي تود القتال الآن، لا الحكومات. لقد هيَّجوا الديكة للقتال ودرَّبوها على ذلك، وبعدها يقولون إنها هي التي تود القتال!

١٠- تحدثت مع نوفوسيلوف عن أسباب تفسخ الكوميونات والطوائف. إن أعضاءها لم يخدعوا أنفسهم بادعاء أنهم لا يحوزون أي ملكيات، إن كانت لديهم بشكل عام، لكنهم ارتأوا أن يحتفظوا بهذه الملكيات بشكل مشترك، كما كان كل فرد منها يحوزها بمفرده من قبل. يجذبك المحيط من حولك... كان عليهم أن يحتفظوا بهذه الملكيات، وفي الآن ذاته كان الأمر مستحيلًا؛ لأن الناس الذين يعيشون معًا قد وصلوا إلى تلك الدرجة التي لا يمكن للإنسان أن يتراجع عنها، حتى

(٢٢٣) هيلموت فون مولتكه: قائد بروسي. تولى رئاسة أركان الجيش البروسي من ١٨٥٧ إلى ١٨٨٨.

ولو لخطوة واحدة. ومن هنا اندلعت الخلافات. تبين إذَنْ أن العيش لا بد أن يكون وسط خليط من الأبيض والأسود وما بينهما من ظلال، لا أن نفصل لونًا أكثر سطوعًا، بدرجة أكثر أو أقل، ونصبغ اللوحة كلها بلون واحد. لا يمكن العيش إلا وسط كل أنواع الناس. من المستحيل أن نجعل القديسين يعيشون معًا. سيموتون جميعًا، وحياتهم معًا ليست مفيدة حتى لإتمام عمل الله. لا بد وأن يعيش الفرد وسط الجماعة.

١١- كنت أتحدث مع الخالة تانيا. أخذت تمدح يوحنا كرونستادت[٢٢٤]. في البداية عارضتها، ثم تذكرت: «باركوا لاعنيكم»[٢٢٥] وأخذت أبحث عن الخير فيه وأمدحه. حينها شعرت بالسرور. نعم، فلنبارك أعداءنا ونقدم لهم الخير. إن أحببناهم سنحظى بفرحة عظيمة إنها فرحة تشبه تلك التي نشعر بها عندما نقع في الحب. «أحبوا أعداءكم» فمع الأعداء وحدهم يمكننا أن نعرف الحب الحقيقي. إنها متعة الحب.

١٢- يمكنك أن تصلي بشأن ما تريد: يمكنك أن تصلي مثلًا من أجل أن تربح ٢٠٠ ألف روبل، أو من أجل أن تشفي مريضًا يوشك على الموت. من الضروري أن نضيف أننا يمكننا أن نصل إلى هدف الصلاة والرضى الروحي بطريقتين، وبالتالي يمكن أن نصلي صلاتين. يمكنك

---

(٢٢٤) أسقف أرثوذكسي روسي، كان معروفًا باعترافاته الجماهيرية الجماعية، والعديد من المعجزات والأعمال الخيرية، وكذلك لآرائه الملكية الشوفينية اللا سامية ومعادية للشيوعية. يوحنا هو قديس للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية.

(٢٢٥) «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» متى ٥: ٤٤.

أن تصلي من أجل أن تنال ٢٠٠ ألف روبل، وتصلي من أجل ألا تشعر بالرغبة في ذلك وتتعافى من ذلك.

١٣- تثير هجمات الشهوة الجنسية البلبلة في الفكر، وسرعان ما تغيب الأفكار. يكتسي العالم كله بالظلام، ويفقد المرء علاقته به، ولا يجد سوى الصدفة والكآبة والعجز.

١٤- «كيف يمكن أن نعيش دون أن نعرف ماذا سوف يحدث، ولا الهيئة التي سنكون عليها في حياتنا الأخرى؟» لن تبدأ حياتنا الحقيقية إلا عندما لا نعود نعرف ماذا سوف يحدث، وحينها فقط تصنع حياتك وتحقق إرادة الله. إنه يعرف. هذا النشاط وحده هو ما يمكنه أن يخدم الإيمان بالله وقانونه. حينها فقط تكون الحرية والحياة.

١٥- «لا يبدو الإنسان قويًّا إلا عندما يكون وحيدًا». إبسن.

١٦- إن كل عمل - مثل صنع الأحذية مثلًا - يمنح الإنسان فرصة أن يخرج من ذاته إلى العمل، خاصة العمل الإلهي. إن كل عمل - مثل صنع الأحذية كذلك - هو عمل إلهي، وإن لم تستغله، لن تدخل الأرض الموعودة. في العمل ننسى ذواتنا.

١٧- يكتبون: ستُدمر الحرب نفسها بنفسها، فالأسلحة التي تستخدمها فظيعة. هذا غير صحيح، فالناس أكثر فظاعة، ويمكن أن يستمر الأمر بذات الطريقة حتى يموت ٩٩٪ منهم. سيظل أناس يسيرون بذات الطريقة ما دام إنسان واحد متدين لم يستيقظ بعد.

١٨ سبتمبر (١٥ – ١٨) (بيروجوفو).

عشية الأمس جاءنا آل بوبرينسكي. لم يثيروا اهتمامي. عادت صوفيا بخير. عذَّبتني بصمتها حيال الخطاب، لكن تبين أنها توافق. أرسلت الخطاب في يوم ١٦. جاء لفوف وتحدث عن المجاعة. كان نومي سيئًا جدًّا طوال الليل، فلم أستطع النوم قبل الرابعة. كنت أفكر طوال الوقت في المجاعة. أعتقد أن من الضروري أن نُعد الطعام للجوعى. ذهبت إلى بيروجوفو. في ذات اليوم دار حديث سيئ بيني وبين صوفيا. لم تُرِد أن أذهب، لذا قالت شيئًا مختلفًا تمامًا. غضبت منها، وغضبتُ كذلك من سيريوجا. كان شديد النزق بالأمس.

حتى الآن لم نجهز طاولات الطعام من أجل الجوعى. أخشى أني أخطأت. ليس من المهم أن أبحث عن الخطأ، ولكن المهم أن أتم المهمة. فكَّرت في المال. يمكن للمرء أن يقول: «إن استخدام المال خطيئة عندما لا تكون هناك حاجة حقيقية لذلك». لكن كيف نحدد ما إن كانت هذه الحاجة حقيقية أم لا؟ أولًا: لا يكون ثمة أي تعسف في استخدام المال، ولا مجال للاختيارات، بحيث لا يكون استخدام المال ممكنًا إلا في أمر بعينه. ثانيًا: (نسيت). أقصد أن أقول أن عدم استخدام المال في هذا الأمر من شأنه أن يعذب الضمير. الساعة الآن الثانية عشرة. أنا في بيروجوفو. لست بخير، بدنيًّا وروحيًّا على السواء.

٢٥ سبتمبر (١٩ – ٢٥) (كليكوتكي)[٢٢٦].

مر أسبوع بأكمله. في يوم ١٩ ذهبتُ بصحبة تانيا وفيرا إلى أوسبينسكوي على متون الجياد. ببيكوف طيب جدًّا. لقد هيَّأ لنا مكانًا للنوم، واصطحبنا في اليوم التالي إلى أعماق المقاطعة. ألقينا نظرة على قرية أوجاريوفكا. شيخ القرية ذكي. أعد قائمة بكافة منازل القرية. الفقر هنا ليس رهيبًا لأن البطاطس متوفرة. بدأت أواسي نفسي، لكن الأمر ساء بعد ذلك. سأُرفق هنا بعضًا مما دونته عن رحلتي إلى مقاطعتي بوجورودیتسك ويفيريموف[٢٢٧]. قضيت يوم ٢٠ عند سفيتشين. في يوم ٢١ عدتُ إلى سيريوجا. كنت متوترًا في يوم ٢٢ عند سيريوجا، وساءت حالتي المزاجية. تحدثت مع فاريا (ابنة شقيقه سيريوجا) بشأن دراستها. عدت إلى المنزل في يوم ٢٢. صوفيا ليست بخير بدنيًّا ونفسيًّا، وكذلك كانت حالتي. لم أستطع النوم تقريبًا طوال الليل. في الصباح تحدثت عن العمل الذي يجب أن نقوم به من إطعام للجوعى. لقد فهمتْ أني لا أريد الذهاب إلى موسكو، وبدأ الشجار. قلت أمورًا كريهة وسلكت على نحو سيئ. في ذات المساء ذهبت إلى آل زينوفيف بتولا. لم أعرف منه الكثير، لكننا حظينا بحديث ودي. عندما عدتُ للمنزل وجدت استعدادًا للتصالح، فتصالحنا. في يوم ٢٣ ذهبت إلى مدينة إبيفان (بتولا)، واصطحبت تانيا معي. لحقت بنا ماشا في أوبولينسكي. بيساريف نموذج رائع لعضو الزيمستفو، يعيش من أجل خدمة الناس. زوجته كذلك لطيفة

---

(٢٢٦) محطة سكك حديدية على بعد ١٠٠ كيلو من تولا.

(٢٢٧) يشير إلى صفحات دوَّنها في دفتر آخر وأغلبها قد فُقِد.

ومهذبة. في يوم ٢٤ سرنا حتى قرية ميشيركي. حالة الناس هناك مريعة؛ منازل مهدمة، فقد اندلع حريق بالعام الماضي. ليس لديهم شيء تقريبًا، ومع ذلك ما زالوا يشربون الخمر. إنهم كالأطفال الذين يضحكون عندما يواجهون مشكلة. قرابة المساء أتى كل من بوجويافلينسكي ورايفسكي. قررت أن أمكث عند الأخير. أتمنى ألا تعترض صوفيا. لقد تركتُ ٩٠ روبلًا من أجل شراء البطاطس والبنجر.

اليوم ٢٥ سبتمبر. وصلنا إلى كليكوتكي، وننوي أن نمضي إلى أبعد من ذلك. أنا بخير. كتبت قليلًا في مقالتي عن اللا مقاومة عند بيساريف. من المخزي أني أحيانًا أشعر ببعض من عدم الرضى إثر التفكير في السباب الذي يُوجَّه لي في كافة الصحف، وأفكر كيف سيسبونني إثر هذه المقالة. لا يجب أن أفكر في ذلك، بل أن أوجِّه كافة عنايتي بالسلوك من أجل الله وحده. ساعدني يا أبي! قرأت (الأب سيرجيه) في بيروجوفو، ويا للعجب! وجدتها لا بأس بها. كنت سأبدأ المراجعة من البداية، لكني لم أستطع. دار حوار شيق مع بيساريف وبوجويفلينسكي عن الحياة. بيساريف ينضح بالحيوية.

٨ أكتوبر (ياسنايا بوليانا).

لم أُدوِّن يومياتي منذ ١١ يومًا. سأحاول أن أعود للخلف وأتذكر. حاولت اليوم أن أعود للكتابة في مقالتي عن المجاعة، ولكن بلا جدوى. في المساء كتبت ثمانية خطابات، وذهبت بها لمحطة البريد بكوزلوفكا. كنت سأبدأ في الكتابة لزولوتاريف عن كيف يؤسس لعلاقات تنضح بالمحبة مع مَن يعيش وسطهم، لكني ما إن صعدت للطابق العلوي

حتى اغتظت بشدة من صوفيا، فقد ظلت تؤكد على أن أولئك الذين يحاولون أن يحيوا حياة أخلاقية يخسرون بساطتهم. اغتظت بشدة لكني أمسكت نفسي. بالأمس حاولت كذلك الكتابة صباحًا ولكن بلا جدوى. ذهب كل من إريل وتانيا إلى موسكو. في أيام ٥، ٦ انشغلت بمراجعة الفصول الأولى من المقالة عن الخدمة العسكرية (يقصد: ملكوت الله بداخلكم). انشغلت في يومي ٣، ٤ بكتابة الفصل الثامن، وأنهيتهما على نحو جيد. أما في أيام ١، ٢، ٣ كتبت في مقالتي عن المجاعة. في هذا الوقت جاء ستاخوفيتش وبولياكوف وزينوفيف ودافيدوف وبناته. لم تصلني خطابات ذات أهمية خاصة. لا، بل وصلتني خطابات مهمة من خوخلوف ومن كاهن إنجليزي. في هذه الفترة أرسلت مقالتي: (الدرجة الأولى) بعد أن انتهيت من مراجعتها.

لم تراودني سوى فكرتين:

١- أكثر الأوضاع فائدة للإنسان حينما يعاني من العوز، فيما يتعلق بالطعام أو الثياب أو السكن، فحينها لا يفرط في تناول الطعام ولا في التدفئة ولا في الراحة، وخاصة الأولى. لا بد للمرء أن يضع في اعتباره دائمًا وهو يأكل أن الطعام لم يصل للجميع، وأن يترك للآخرين.

٢- عندما تكون الظروف صعبة جدًّا، كما هي ظروفي الآن في عامي الثالث والستين، ويبدو أن ما من مخرج، وتصعب وتتعقد الأمور، لا بد من التفكير في أن ذلك بمثابة تمييز لصاحبه. إن هذا بمثابة اختبار صعب، لذا فهو ينم عن ثقة كبيرة بي وآمل وحب لي. لا بد أن يكون المرء شاكرًا. الساعة الآن الثانية عشرة مساءً.

٢٤ أكتوبر.

مر ١٥ يومًا، وقد حدث الكثير في هذه الفترة. بالأمس لم أكن بخير صحيًّا. أُصبت بنوع من الإنفلونزا. أتى كل من ميتاشا أوبولينسكي وبوليجين. في الصباح، عاودت العمل على الفصل الرابع. في المساء أرسلت لجروت تتمة لمقالتي عن المجاعة. رحلت صوفيا في يوم ٢٢، وكنت فعلًا في حالة سيئة. قبل رحيلها تحدثت معي بسرور شديد حتى أني لم أصدق أن مَن يقف أمامي هي صوفيا فعلًا. كتبت في مقالتي عن المجاعة طوال اليوم. أتى جروت وشعرت بالآلام تغزو رأسي بشدة. تركني جروت في المساء. في يوم ٢١ صحَّحت بروفة الطباعة لمقالتي. أحببتها. لا بد أن أغوص أكثر داخل التساؤل. في المساء انتهيت من قراءة رواية: (اخفض سلاحك)[٢٢٨]. الرواية تضم مادة جيدة، ومكتوبة بحرارة، لكنها تفتقر إلى الموهبة. في يوم ٢٠ عملت على الفصل الرابع. جاء جروت في المساء. دار حوار ثقيل الوطأة جدًّا مع صوفيا. بوبوف هنا. يبدو الآن هادئًا، طيبًا وجادًّا. رحل كانيفسكي في الصباح. إنه إنسان مؤثر، ببساطته وإنكاره لذاته. لقد وصل من موسكو دون كوبيك[٢٢٩] واحد. أرسلته إلى أبيه مع أربعة روبلات. قضى هنا ليلتين. في يوم ١٩ كنت أعمل أيضًا على الفصل الرابع، ودار حوار بيني وبين كانيفسكي. (حذفت سطرًا ونصف)[٢٣٠]. في يوم ١٨ وصل كانيفسكي. في هذا

---

(٢٢٨) للكاتبة النمساوية برثا فون سوتنر، وكانت من دعاة السلام.

(٢٢٩) الروبل: مائة كوبيكًا.

(٢٣٠) الملاحظة من قِبل تولستوي.

اليوم وصل بيتيا رايفسكي. عشية اليوم، أي في يوم ١٧، أو ربما في ١٦ وصل بوبوف. انشغلت طوال الأسبوع تقريبًا في الكتابة في مقالتي عن المجاعة. وصلني خطاب رائعة من كانساس (ولاية أمريكية)، من مؤلف كتاب (التناقض بين ملكوت الله وملكوت الإكليروس «رجال الكنيسة»). وصلني كذلك خطاب يضم كتيبًا يشير إلى علامات نهاية العالم ويضفي دلالات معجزية على نصوص الإنجيل. فكرت كثيرًا في هذه الفترة، لكني لم أجد أهمية لكل ما فكرت فيه، لذا لم أدوِّن سوى الآتي:

١- وأنا أُصلِّي لله، اتضح لي بشكل ما أن الله كيان حقيقي؛ إنه كل ما أستحوذ عليه وأشعر به، في صورة الحب. إنه ليس مجرد شعور أو كيان مجرد، بل كيان حقيقي، وقد شعرت به.

٢- تشبه العلاقات مع الناس ما يحدث مع الكلوش (حذاء فوقي مطاطي) عندما يتمزق من الداخل فنقلبه على الوجه الآخر. كلما رقَّعته ازدادت صعوبة دخوله في قدمك.

٣- قالت صوفيا إن زوجة ابنها ليست أمًّا جيدة. تقول: «إنها لا تفعل ما تدينه في سوناتا كرويتزر. إنها لا تسمم حياة زوجها بالأطفال. فإن توقفت المرأة عن محبة الأطفال والعناية بهم، ستبدو جذابة». فقلت في نفسي: «يا لقدر ما يضيفونه من توابل إلى كل فعل خيِّر!». في غياب اللطف لا قيمة لأفضل الفضائل، وإن وُجِد يمكن العفو عن أسوأ العيوب. يا للأسلوب الفني الرائع الذي يمكن أن نجده لدى إنسان ضعيف فاسد، لكن طيب! أعتقد أن ثمة أمثلة كثيرة قد ظهرت قبلًا تُدلِّل على ذلك،

لكني أشعر بهذه النوعية الآن على نحو جديد.

٤- جاءتني امرأة تطلب الحماية. لقد حكموا عليها بدفع خمسين روبلًا أو السجن لثلاثة أشهر بسبب اشتغالها بتجارة الخمر بغير ترخيص. إنها أرملة، تعول أربعة أطفال، ولا تملك أرضًا. ما الذي سيجنونه من سجنها؟ يعاقبون هذه المتسولة وأطفالها لأنها أرادت أن تُقاسم الدولة أرباحها بـ ٢٥ روبلًا فقط[٢٣١].

ما زال بوبوف هنا. نحن على استعداد تقريبًا للرحيل. ما زلت أفتقر إلى المال[٢٣٢]. لا أعرف ماذا سوف نفعل، لكن الدافع صالح على ما أعتقد، وإن كنت أظن أن الرغبة في المجد الدنيوي تمازجه. سأحاول أن أقوم بهذا الفعل من أجل الله وحده. أنهيت اليوم الفصل الرابع، وراجعت أخيرًا الفصل السادس ونصف السابع (يقصد من ملكوت الله بداخلكم). كم أود الانتهاء من هذا العمل! الساعة الآن الحادية عشرة. في انتظار أن تصلني بعض الخطابات من كوزلوفكا.

١ نوفمبر (بيجيتشيفكا).

اليوم ذهبت إلى رايفسكي في ضيعته «بيجيتشيفكا». إنه يومنا الخامس هنا، ونحن بخير. لدينا عمل كثير لنقوم به. كتبت مقالة بعنوان: (هل لدينا ما يكفي من الخبز؟)[٢٣٣]. لديَّ وفرة من الأفكار التي أريد

---

(٢٣١) كانت الدولة حينها هي المحتكر الرئيس لتجارة الخمور.

(٢٣٢) لم يكن لدى تولستوي أي مال خاص به، وكان في انتظار أن تمده زوجته بالمال لتكاليف الرحلة حيث سيقوم بإعداد طاولات طعام مجانية للمتضررين من المجاعة، وقد منحته فعلًا ٦٠٠ روبل.

(٢٣٣) نُشِرت بعنوان آخر (مشكلة رهيبة).

تدوينها، لكن الوقت قد تأخر. سأنام. سأحاول غدًا أن أكتب. فكَّرت اليوم في أفكار كثيرة جيدة لكني نسيتها.

٦ نوفمبر.

انتهينا فعلًا من تجهيز ثلاثة موائد لتقديم الطعام. كتبت للصحيفة مقالة (هل لدينا ما يكفي من الخبز؟)، وبدأت في كتابة قصة (من المحق؟)[٢٣٤]. انشغلت الفتيات على نحو جيد. راجعت كذلك الفصلين السابع والثامن. أنا بخير. وصلني خطاب من إنجلترا يعرض عليَّ أن أصبح وسيطًا لتقديم المساعدات الخيرية، كما وصلني خطابان من صوفيا. شعوري بالحزن منها وعليها لا يتوقف أبدًا. بالأمس، بينما أصلي كي يخلصني من إغواء الكبرياء ويمنحني شعورًا بالإذلال، قلت في نفسي: إني إن كنت في حاجة للإذلال فعلًا، لا بد أن أرغب فيما يجلب لي هذا الإذلال، وبدأت أصلي لله باستحياء كي يجلب لي الإذلال. نعم، لا بد من الصلاة كي نجد الخير في صنوف المعاناة والإذلال، إن كنا نراها خيرًا فعلًا، وإلا يجب ألَّا نعتبرها خيرًا.

بالأمس انهمكت في تصحيح بروفة مقالتي عن المجاعة التي أرسلها جروت. اليوم راودتني فكرة بخصوص (الأب سيرجيه): كي يناضل ضد الكبرياء لا بد له من الدخول إلى هذه الحلقة المزيفة، حيث يتحول الإذلال إلى نوع من الكبرياء، ومن ثم يشعر بلا جدوى كبريائه. لا يصل إلى التواضع حقًّا، إلا بعد سقوطه وشعوره بالخزي من هروبه من تلك الحلقة المزيفة. حينها يشعر بالسعادة لانسلاله من بين ذراعي

(٢٣٤) لم يُنْهِ هذه القصة.

الشيطان، وشعوره أنه الآن بين أحضان الله.

١٧ نوفمبر.

مر اثنا عشر يومًا، وكانت فترة مليئة بالأحداث والنشاط، لكنها تبدو خاوية من حيث الحياة الروحية. لم أُدوِّن شيئًا في دفتري عدا أسماء الفلاحين الذين يريدون طعامًا وما إلى ذلك. سأحاول جاهدًا أن أستعيد ما حدث في الأيام الماضية. لكني سجَّلت أمرًا واحدًا:

كافة صنوف العلوم والفنون والتعليم جيدة ما دام لا يتطلب جني ثمارها أن نحرم حتى ولو إنسانًا واحدًا من خيره، أو نحزنه. لكن كافة صنوف التعليم الذي نحظى به قد شُيِّدت في الأساس على أكتاف المسحوقين.

استيقظت اليوم مبكرًا، ورأيت ليوفا ورايفسكي قبل رحيلهما إلى موسكو. كتبت بعد ذلك مقالة قصيرة للصحيفة[٢٣٥]. لم أُنهها، وبالتالي لم أرسلها. انتظرت وصول الخطابات ولكن بلا جدوى. التقيت بفلاديميروف[٢٣٦]، ثم ذهبت لجاي وموردفينوف. قرأت في كتاب باشكيرتسيف (رسامة أوكرانية). الساعة الآن العاشرة.

بالأمس، يوم ١٦، انشغلت بتصحيح الفصلين السابع والثامن. لم أستطع إنهاء العمل على الثامن. التقيت بإيلينا بافلوفنا وإيفان إيفانوفيتش، ووصل كل من بوجويفليسكي وناتاشا (شقيقة زوجة ابنه إيليا).

---

(٢٣٥) كيف نساعد المتضررين من المجاعة؟

(٢٣٦) مالك أراضٍ غني، وعضو بالزيمستفو، وقد أتى بتوصية من صوفيا ليعاون تولستوي في توفير الطعام للجوعى.

في يوم ١٥ كتبت في الفصلين السابع والثامن. قضيت المساء عند آل موردفينوف. غادرتهم مبكرًا، وذهبت إلى ناتاشا بصحبة تولينوف وبولياكوف، وكانا قد وصلا منذ الصباح. إنهما رفيقان طيبان.

في يوم ١٤ وصل ليوفا. في الصباح وصل الوالدان رايفسكي. كتبت كذلك في الفصل الثامن.

في يوم ١٣ ذهبت بصحبة ماشا إلى قرية جريازنوفكا.

في يوم ١٢ وصل تشيستياكوف.

في يوم ١١ كتبت مقالة بخصوص موائد الطعام التي نعدها للفقراء. وصل دوبروفين وأبناء الزوجين رايفسكي بصحبة بيرجير. ذهبت إلى موردوفينوف. لا أذكر شيئًا آخر. صحتي جيدة، أما النشاط الروحي فغائب.

إنها تضحية كبيرة فعلًا؛ أكثر من مائة ألف روبل[٢٣٧]. الأمور تسير بخطوات ثابتة، لكن لا أشعر بالرضى، بل بالخزي والتوبة. مر يوم آخر بكامله من أجل إعداد موائد الفقراء في قرية نيكيتسكوي وباشكوفو، ويوم آخر بقرية جوركي.

١٨ نوفمبر.

في الصباح حاولت الكتابة في الفصل الثامن، ولكن بلا جدوى. السبب هو تلك الخطابات التي تصلني، فأرى وسطها خطابات صوفيا التي تفصح فيها عن معاناتها بشدة، فأشعر بالأسف الشديد عليها. أشعر

(٢٣٧) بعدما نشرت صوفيا تولستوي في جريدة الأنباء الروسية رسائل تطلب فيها الدعم من أجل ضحايا المجاعة والفقراء، انهالت التبرعات حتى تخطت مائة ألف روبل.

أني لست مذنبًا في حقها، لكنها تعتبرني مذنبًا، وأشعر بالأسف الشديد جدًّا عليها. الطقس شديد السوء. وصل المزيد من المال: ٣٣٠٠ روبل. غفوت بعد الغداء، ثم أخذت أذرع الشرفة الزجاجية ذهابًا وإيابًا، وكتبت مقالة عن موائد الفقراء. أعرب بعض الفلاحين عن رغبتهم في التخلص من الجياد[٢٣٨]، الأمر الذي أثَّر فيَّ بشدة. الساعة الآن الثانية عشرة.

٢٤ نوفمبر.

مرت خمسة أيام. كتبت اليوم في الفصل الثامن على نحو لا بأس به. بعد الغداء ذهبت على متن الجواد إلى قرية باشكوفو، وقد بعثتْ فيَّ الموائد الأربع التي أسسناها هناك سرورًا شديدًا. دعوا صبيًّا فقيرًا لتناول العشاء، وسرعان ما ركض الصبية جميعًا. تعشينا معًا، ووصل آل بيبيكوف أثناء العشاء. جاء أيضًا بوجويفلينسكي. إيفان إيفانوفيتش (ريافسكي) في حالة سيئة جدًّا، حتى إننا نشعر بالخوف عليه. نمتُ طويلًا، لذا استيقظت في الخامسة وأرسلت المال والخطابات إلى تولا.

بالأمس مكثت بالمنزل. إيفان إيفانوفيتش مريض. كتبت بعض الخطابات. في يوم ٢٢ جاء مايكوف. تمشيت معه بالمساء، وجاء ديمتري إيفانوفيتش (رايفسكي - شقيق إيفان). في يوم ٢١ ذهبت إلى بينكي وكتبت مقالة عن موائد الفقراء. في يوم ٢٠ مكثت بالمنزل. في يوم ١٩ ذهبت إلى مزرعة آل خوفانسكي.

رغم أني لم أدون شيئًا، لكني فكرت في فكرة واحدة: تتناسب

---

(٢٣٨) لعدم توفر العلف.

الشهوة الجنسية والخيلاء والحب الإلهي عكسيًّا مع سحرها وكرامتها الحقيقية. أنا أفهم ما أريد قوله. كلما ازدادت حدة الشهوة الجنسية، قلَّت قدرًا ولم تعد لازمة للآخرين. الأمر ذاته مع الخيلاء والحب، فكلما ضعف كل منهما ازداد جذبه للمرء، والعكس صحيح.

٢٥ نوفمبر.

حالة إيفان إيفانوفيتش تزداد سوءًا. كتبت قليلًا عن الخدمة العسكرية الإلزامية.

٢٦ نوفمبر.

مات في الثالثة. شعرت بالحزن الشديد عليه. أحببته كثيرًا.

١٩ ديسمبر.

لم أُدوِّن يومياتي منذ شهر تقريبًا. كنت في موسكو خلال هذه الفترة. الراحة تكتنفني، فلم تكن علاقتي بصوفيا دافئة أبدًا كما هي الآن. شكرًا لك يا أبي. هذا ما طلبته منك. لقد منحتني كل ما طلبته منك. هبني أن أزداد اقترابًا من مشيئتك. لا أريد سوى ما تريده. ثمة عمل عظيم يتقدم هنا، وهو يضيء في أماكن أخرى عديدة بروسيا. ثمة الكثير من الصالحين. شكرًا لك يا أبي. أنا منهمك طوال الوقت في كتابة المقالة، ولم أستطع إنهاءها بعد (يقصد ملكوت الله بداخلكم). حالتي الصحية ممتازة.

١٩ ديسمبر (بيجيتشيفكا).

طوال هذا المدة والزحام يكتنفني صباحًا ومساءً. وصل أوسوف

وروبتسوف. طفت معهما حول الموائد. غفوت. آلمتني معدتي قليلًا، ثم وصل بيساريف. تعاملت معه على نحو أخرق. هذا فلاح تحطمت دائرته، وهو ليس صاحب أرض، بل مجرد فلاح أعذب. ليس لديه ما يفعله سوى إغراق نفسه في السُّكْر. لا بد من الاستماع له بصبر.

٢٣ ديسمبر.

في الصباح الباكر كتبت في مقالتي. لم أنهها بعد. ثمة هرج ومرج عظيمان. بالأمس وصل بيتيا وجريشا رايفسكي. اليوم رحل نوفيسيلوف وجاستيف وتشيرنيايفا. بالأمس جاء فاجنير. قرأت خطاب صوفيا جهارًا في حضور بوجويفلينسكي حيث أدلى جروت ونوفوسيلوف بتعليقات سخيفة. خطابات صوفيا تزداد سوءًا. اليوم وصل بروتوبوبوف وأوبوليانينوف (عضوا لجنة الزيمستفو). إنهما ذاهبان إلى تامبوف. تجادلت لتوي معهما. وصل ليونتيف. ذهبت معه بالأمس إلى قرية باریاتينو لإعداد طاولات الطعام هناك. راودتني أفكار كثيرة، لكني نسيتها. لا أشعر بالهدوء، وأفتقد السرور في روحي. كتبت اليوم خطابًا لليوفا وتريجوبوف. تشبه الحياة خطوات طفل، حرَّرته أمه من أحضانها، فسار بضعة خطوات وعاد إليها مجددًا.

٢٧ ديسمبر.

استيقظت مبكرًا، ودوَّنت يومياتي. وصل ليبيديف. ذهبت بعدها إلى قرية باریاتينو على متن الجواد. لم أجد ليونتيف بالمنزل. وصلت المنزل. غفوت وكتبت لفانيا بعض التوصيات ونمت. تعالت الجلبة صباح الأمس. ذهبت إلى بينكي وبرودكي. هبت عاصفة ثلجية

وكانت قوية. قضيت المساء بصحبة إلينا بافلوفنا وميخايلوفنا وألكسي ميتروفانوفيتش. أول أمس ذهبت إلى نوفيسيلوف. أمورهم بخير. الفقر مريع في كوزلوفا. عدت إلى المنزل منذ أربعة أيام على ما أذكر. لا أتذكر تحديدًا.

* * *

١٨٩٢

٣٠ يناير (بيجيتشيفكا).

مر شهر كامل. يستحيل تذكر كل ما حدث في الفترة الماضية. ذهبت إلى موسكو حيث قضيت هناك ثلاثة أسابيع، ومر أسبوع تقريبًا منذ أن عدتُ ثانية. هذه هي أهم ملامح وأحداث الفترة الماضية: عدم شعوري بالرضى عن ليوفا وشعور ثقيل الوطأة بعدم حبي له. الحياة في موسكو مليئة بالهرج والمرج والتبطل والترف والخيلاء والحسية. ذهبت إلى المسرح، وحضرت عرض مسرحيتي (ثمار التنوير). ما زلت أكتب في الفصل الثامن. التقيت بسولوفيوف وأليوخين وأورلوف، وشعرت بالكآبة من كل هذه اللقاءات، ولم أُسَرَّ سوى برؤية تشيرتكوف وجوربونوف تريجوبوف. عدتُ إلى هنا، ووجدت الفوضى والارتباك يعمان المكان. توزيع المواد الغذائية والأخشاب قد أيقظ الطمع داخل القلوب. كانت حالتي الصحية سيئة تقريبًا طوال الوقت. آلمتني معدتي، وبشكل عام شعرت بالضعف. أفكر كثيرًا في الموت، وأحرِّر نفسي أكثر فأكثر من الرغبة في المجد الدنيوي، لكني لا أزال بعيدًا تمامًا عن الحرية النهائية. أردت أن أستنسخ ملاحظاتي في الدفاتر الخاصة بها، لكني

فقدتها، وأشعر بالحزن والإنهاك، ولا أشعر بالرغبة في التفكير أو فعل أي شيء. ساعدني يا أبي أن أحب دائمًا.

٣ فبراير.

رحلت صوفيا اليوم[٢٣٩]. أشعر بالأسف عليها. العلاقات مع حشود الفلاحين سيئة جدًّا. أدركت اليوم أن كل هذا التسول والحسد والخداع وعدم الرضى والفقر الذي يقبع خلفنا هو مؤشر على حالة استثنائية نمر بها. في الصباح شعرت بضعف شديد. غفوت بالنهار. حاولت الكتابة لكن بلا جدوى. وصلني خطاب سيئ من أليخين. الجميع يودون فعل شيء استثنائي، في الوقت الذي لا يتطلب فيه الظرف الحاضر منهم إلا أكثر الأمور اعتيادية. دوَّنت الكثير من الملاحظات في دفتر صغير، لكني فقدته. لا أذكر شيئًا مما دوَّنته سوى الآتي:

١- عندما ترى شخصيات كثيرة لم تكن تعرفها من قبل، حتى إن كان ذلك في أي مكان؛ في أفريقيا مثلًا أو اليابان، فترى إنسانًا والآخر والثالث... عددًا لا نهائيًّا من الشخصيات الجديدة، وجميعها لم يكن بالإمكان أن تراها من قبل، ولن تراها بعد ذلك؛ شخصيات تعيش بأنانية من أجل حياتها الذاتية وحسب، مثلما تفعل أنت أيضًا، ستشعر حينها بالهلع والذهول وتتساءل: ماذا يعني ذلك؟ ما الهدف منه؟ ما علاقتي بهذا الآخر؟ أيُعقل أني غريب عنهم، وهم غرباء عني؟ هذا مستحيل. يجيب أحدهم عن ذلك قائلًا: أنا وهم واحد. هؤلاء الذين يعيشون الآن، ومَن سيأتون بعدي، واحد معي. أنا أعيش بهم وهم يعيشون بي.

---

(٢٣٩) جاءت إلى زوجها في بيجيتشيفكا منذ يوم ٢٣ يناير.

٢- أصبحت أسرع إلى الصلاة، بعد أن تحوَّلت إلى عادة، فأقول لنفسي: «يجب أن أُصلِّي سريعًا، حتى أشرب بعدها القهوة وأتحدث مع فلان. أيُعقل أن أسارع بفراق الله حتى أتحدث مع إيفان إيفانوفيتش! إن لم تكن الصلاة أهم شيء بالعالم، فأي شيء آخر سيكون سيئًا، ولن تكون له أدنى أهمية. هذه الصلاة إذَنْ ليست حقيقية، لكنها مجرد تكرار لكلمات معينة.

٣- التفسير الوحيد للتعاليم الدينية الحمقاء كالفداء والتثليث والأسرار والهرمية الكهنوتية وما إلى ذلك: أن هذا الدين ليس له استخدام حقيقي. كما لو أن إنسانًا يأكل تفاحًا أو خبزًا، بينما رأى آخر طعامًا مصنوعًا من الكرتون، أو منزل دون أبواب للدخول. ما هذا؟ ما الجدوى من ذلك؟ لم يفهم بالطبع هل هذا مجرد مظهر أم أنه من أجل الآخرين. الغالبية لا يمكنها أن تفهم ذلك. الساعة الآن الثانية عشرة صباحًا. سأنام.

٥ فبراير.

نهضت لتوي. وأنا على الفراش فكَّرت في الآتي: إننا نستيقظ من النوم لنجد أنفسنا فيما ندعوه «الحياة»، وهي ما تسبق النوم وتليه أيضًا. ولكن ألا يُحتمل أن تكون تلك الحياة حلمًا؟ ألا يُحتمل أننا سوف نستيقظ منها بالموت لنجد أنفسنا فيما ندعوه «الحياة الأخرى»، وهي ما سبقت وتلت نومنا هذا الذي ندعوه «هذه الحياة»؟

نختبر في أحلامنا هذه الانطباعات وتلك المشاعر التي منحتنا إياها حياتنا السابقة للنوم، تلك التي سنعود إليها بعدما نستيقظ. هكذا هو الأمر

مع ما ندعوها «حياتنا الحقيقية»، فنحن نعيش الكارما[٢٤٠] التي جلبتها إلينا حياتنا السابقة؛ تلك الحياة التي سنعود إليها مجددًا.

مثلما يكون النوم الحقيقي بمثابة فترة نكتسب فيها قوى جديدة تُمكِّننا من مواصلة التقدم في هذه الحياة التي نعود إليها بعدما نستيقظ، هكذا هي الحياة التي نحياها الآن، فهي بمثابة فترة نكتسب فيها قوى جديدة للمضي قدمًا في تلك الحياة، التي خرجنا منها، وإليها نعود.

أحيانًا يراودنا كابوس أثناء النوم، نستيقظ منه بجهد شديد. أليس الأمر كذلك مع اليأس الذي يتخلصون منه بالانتحار؟ أليست الحياة السالفة التي تسبق حياتنا الآنية بأكملها، والحياة اللاحقة التي نصل إليها عبر الموت، مرورًا بذلك الحلم الذي ندعوه الآن «حياتنا الآنية» هما مجرد حلم، تسبقه حياة أخرى أكثر واقعية، تلك التي سوف نعود إليها؟ أيمكن أن يستمر الأمر هكذا حتى الدرجة الأخيرة من واقع الحياة اللا نهائية لله؟

٢٤ فبراير.

رحلت تانيا اليوم إلى موسكو، وهي في حالة صحية سيئة. كما رحل اليوم كل من جاستيف وأليخين ونوفوسيلوف وستراخوف وبوشا بعد أن قمنا باجتماع الأحد[٢٤١]. وصل تولينوف. بوجويفلينسكي مريض

---

(٢٤٠) تعني العمل أو الفعل. هي مفهوم أخلاقي في المعتقدات الهندوسية والبوذية، يشير إلى مبدأ السببية حيث النوايا والأفعال الفردية تؤثر على مستقبل الفرد.

(٢٤١) يجتمع العاملون بخدمة موائد الفقراء يوم الأحد، ويأتون من كافة القرى من أجل لقاء تولستوي ومناقشة سير العمل.

للغاية. جاء ربيين ورحل اليوم. حاولت الذهاب إلى قرية روجنيو مرتين على متن الجواد لكني لم أستطع[٢٤٢]. العمل هنا كثير وصعب. كلما طالت حياتي ازدادت صعوبة، ولكن لا يمكن أن يحيا المرء بمعزل عن هذه الصعوبة، ولا أريد أن تفارقني.

٢٩ فبراير.

في الأيام الماضية هبَّت عاصفة ثلجية مرعبة. بالأمس حاولت مرة أخرى الذهاب إلى روجنيو على متن الجواد، لكني لم أستطع الوصول. ذهبت إلى قريتي كولوديزي وكاتارايفي طلبًا للحطب والملاجئ[٢٤٣]. وصل كل من بوبرينسكي والكاتب السويدي ستادلين وفيسوتسكي، وكذلك أربع شخصيات كئيبة. أشعر بالضيق منهم. لقد أُنهكت بشدة. لم أكن بخير في الصباح. الآن تحسنت حالتي، بل إني بخير تمامًا. أكتب طوال الوقت ولم أنتهِ منها بعد (يقصد: ملكوت الله بداخلكم). أول أمس كان يومًا مدهشًا. خرجت إلى الشرفة الخارجية ممسكًا بقِدر، فوجدت فلاحًا ضخمًا معافى، يبلغ الخمسين من العمر، بصحبته صبي يبلغ من العمر ١٢ عامًا، بشعر أشقر جميل مجعد، تتساقط أطرافه على جبهته.

- من أين أنت؟

- من زاتفورنوفو. (وهي قرية امتهن الفلاحون فيها التسول).

- ماذا تريد؟

---

(٢٤٢) تبعد ٣٠ كم عن بيجيتشيفكا.

(٢٤٣) نُزُل خاصة للأطفال الصغار البالغين من العمر عدة أشهر للعناية بهم وإطعامهم.

والإجابة كالمعتاد:

- ساعدنا يا سيد.

- ما الذي تحتاجه؟

- لا تتركنا نموت من الجوع. لم يعد لدينا طعام.

- أتعيش على التسول؟

- نعم، بقدر ما أستطيع. لقد نفد الطعام، ولم نأكل شيئًا منذ يومين.

شعرت بالكآبة. نفس الكلمات المحفوظة.

- لحظة واحدة.

أدخل لأجلب له خمسة كوبيكات لأتخلص منهما. يواصل الفلاح التحدث ويصف حاله. لا تدفئة، ولا خبز. يتسولان ولا يعطيهما أحد شيئًا. الثلج والبرد بالخارج. دخلت لأتخلص منهما. أتأمل الصبي. أعين رائعة مليئة بالدموع، تتساقط بالفعل من إحدى عينيه.

نعم، القلب يقسو بفعل السلطة والمال.

٣ إبريل (موسكو).

لم أُدوِّن يومياتي منذ أكثر من شهر. أنا في موسكو. على ما أذكر وصلت إلى هنا في يوم ١٤. طوال الوقت أحاول الانتهاء من الفصل الثامن، لكني أبتعد أكثر فأكثر عن ذلك. لم تحدث أحداث مهمة. ليس في روحي من شر سوى القليل، وتزداد محبتي للناس. أهم شيء أني أشعر بتحول مبهج، فلم أعد أعيش من أجل حياتي الذاتية تقريبًا. الشهوة

تراودني، أكرهها حينًا، وتتملكني حينًا، لكن لم تعد لديَّ حياة شخصية لأحبها. هذه دلالة جيدة على الشيخوخة. أقول من كل روحي: فلتكن إرادتك لا إرادتي، بالطريقة التي تريدها أنت لا أنا.

لا أذكر ما دوَّنته تحديدًا من أفكار، فقد راودتني أفكار كثيرة طوال هذه المدة. أذكر منها:

١- سنجد أعداءً لنا دائمًا، فالحياة دون أعداء أمر مستحيل، بل على العكس، كلما عشت حياة فاضلة ازداد أعداؤك. سيكون لديك أعداء، ولكن يجب أن نسلك على نحو يجعلنا لا نعاني بسببهم. يمكننا فعل ذلك، فلا يعود الأعداء مصدر لمعاناتنا، بل لسرورنا. يجب أن نحبهم، وهو أمر سهل.

٢- أنا فرد واحد، والناس كثيرون بدرجة هائلة، ومختلفون تمامًا، ولا يمكنني أن أعرفهم جميعًا. لا يمكنني أن أعرف كل هؤلاء الهنود والمالاويين واليابانيين، ولا حتى أولئك المحيطين بي دائمًا مثل أطفالي وزوجتي... أنا فرد واحد وسط كل أولئك الناس؛ فرد واحد وحيد تمامًا. إن وعيي بوحدتي واحتياجي إلى التواصل مع كل أولئك الناس، واستحالة تحقيق ذلك، يكفي تمامًا ليقودني إلى الجنون. ما من خلاص من ذلك سوى بالوعي الداخلي بإمكانية التواصل معهم جميعًا عبر الله. عندما تجد هذه الوسيلة ستتوقف عن القلق حيال التواصل الخارجي.

٣- ثمة ثلاث حيوات: الحيوانية القائمة على الشهوة -البشرية القائمة على الكبرياء- المقدسة الصالحة. وثمة محطات للعبور من واحدة للأخرى مثل: حياة حيوانية طاهرة بها أطفال يتحلون باللطف، لا

يزالون حمقى. ثمة حياة مليئة بكبرياء يهدف إلى إرضاء الحياة الحيوانية، حتى يحترمني الناس، وبهذا أستطيع أن أشبع المزيد من شهواتي. وهناك كذلك كبرياء طاهر يهدف إلى المجد، ويُضحي في سبيل ذلك بالشهوات الحيوانية. ثمة حياة مقدسة، ولكن ليس من أجل الخير، بل بدافع من الكبرياء، حيث يقوم الإنسان بفعل الخير كي ينال مديح الناس. وثمة حياة مقدسة تتم فيها التضحية بالشهوة والكبرياء من أجل الخير. أنا واقف أمام هذا المنعطف الأخير، فساعدني يا سيدي.

٤- الصلاة؟ لمن أقول: ساعدني؟ أعرف أن ليس ثمة شخص يمكن التوجه إليه هكذا، لكني أسلك كما لو أنه موجود بهذه الطريقة حتى أستطيع التعبير عما أنا في حاجة للتعبير عنه.

٥- في كافة الأفعال الروحية، أو الدينية -إن تحريت الدقة- لا بد من استخدام عبارة: *quasi* «كما لو» كما فعل نيوتن في قانونه للجاذبية حينما قال *quasi atrahuntur*: "كما لو أن الأجسام تنجذب"؛ أي أن الأجرام تسلك صوب بعضها كما لو أنها تنجذب. هكذا هو الأمر مع الله والحياة الأخرى والسعي إلى الخير. عِش كما لو أن الله موجود، وأنت داخل نطاق سلطانه، وهو يحب الخير ويكره الشر. عِش كما لو أنك سوف تستيقظ على حياة أخرى ستكون تتمة لحياتك الآن. عِش كما لو أن هدف حياتك هو زيادة الحب في داخلك وفي الآخرين. كل ذلك لا يعني أن الله والحياة الأخرى وزيادة الحب ليس لهم وجود، لكن ذلك يعني أن كل هذه الأمور لا يمكن الوصول إليها في حد ذاتها، لكن يمكن الوصول إليها بشكل عام، ولا شك في ذلك.

٦- أحب؟ من المستحيل أن يحب المرء الجميع دائمًا. يبدو أمرًا رائعًا لكنه غير ممكن، كما أنه من غير الممكن ألا ننام. مَن يحب، يعرف جيدًا أن هذا مستحيل، وكلما ازدادت محبته ازداد إدراكه ذلك. حتى تحب، لا بد وأن تدلف إلى أعماق روح غريبة، وهو أمر صعب نحتاج إلى قوة كبيرة لتحقيقه. عندما تعوزنا مثل هذه القوة لا يجب علينا ادعاء الحب. عندما لا أتمكن من النفاذ إلى روح هذا الآخر لا يجب أن أدَّعي أني أحب صاحبها. هذا محض كذب، ولا يجب أن أشاركه أي شيء مهما كان ضئيلًا، كأن أكره أعداءه مثلًا، فهذه أكثر صور الحب ابتذالًا. حينها سأبدو كمَن يصلح شيئًا من جانب، ويفسده من الجانب الآخر.

حتى نحب لا بد من الانتباه وبذل الجهد، وهما محدودان، ولا يمكننا أن نحوزهما طوال الوقت. عندما يتوفر هذا الانتباه، لا يجب أن نُضيِّع قوتنا على ترهات، بل لا بد من الحفاظ عليها. ولكن عندما نفتقر إلى هذه القوة، لا يجب أن نخدع أنفسنا مدعين محبة شخص معين، بل يدب أن نبذل كافة جهودنا كي يقتصر الأمر على ذلك، وألا نسمح للمشاعر العدائية بالنمو داخل أرواحنا. ليس علينا أن ننتظر أكثر من ذلك.

عبثًا توقفت عن الكتابة. أحتاج إلى الصلاة بحيوية. الساعة الآن العاشرة. سأذهب إلى الطابق السفلي وأنام.

٢٦ مايو.

عدتُ أول أمس من بيجيتشيفكا[٢٤٤]. مر الوقت هناك بسرعة هائلة. كل شيء كما هو. ازدادت العلاقات الكثيبة مع أولئك القاتمين الذين يبعثون الكآبة في القلب: أليخين، نوفوسيلوف وسكوروخودوف. ما زلت أشاهد فيهم طفولية غير ناضجة وخيلاء ذات طابع مسيحي ونقص في الإخلاص. العمل كما هو؛ كئيب ولا مفر منه. كنت قد بدأت لتوي في الشعور بالحرية هناك، حتى وصل يفدوكيم[٢٤٥] وجلب معه الفصل الثامن، وبدا الفصل في حالة بشعة. بدأت مراجعته، وعملت يوميًّا لمدة شهر، ولا أزال أراجعه حتى الآن. أعتقد أني وصلت إلى النهاية تقريبًا. جاء أبرام السويدي[٢٤٦]. إنه ظلي. لديه ذات أفكاري ونفس المزاج والحساسية. يتحدث ويكتب أمورًا كثيرة جيدة. ذهبت إليه اليوم مع تانيا، والتقانا فعلًا. فكَّرت في الآتي:

١ - يُعلِّم الله الناس بصنوف المعاناة المختلفة، والآن بالجوع، كما يُعلِّم الناس الحيوانات البكماء. قد لا يفهم الحيوان الآن، لذا في انتظاره خمس ساعات أخرى من عدم تناول الطعام. هكذا يعلمنا الله الآن، لكن فهمنا سيئ للغاية. لا نريد أن نتغير، نريد أن نبقى كما نحن. أمر سيئ!

٢ - تدور فكرة السويدي حول أن الأرض تزداد ثراءً من الحيوانات

---

(٢٤٤) قضى الشهرين الماضيين بين موسكو وياسنايا وبيجيتشيفكا، ثم عاد إلى ياسنايا مجددًا.

(٢٤٥) فلاح كان يعمل ناسخًا لدى تشيرتكوف.

(٢٤٦) أبرام بوندي: كان تاجرًا سويديًّا ثريًّا، وزع أملاكه، وقضى ثلاثين عامًا يجوب العالم. سمع عن تولستوي فقرر زيارته.

التي تتغذى عليها، وتزداد فقرًا من الإنسان؛ لأنه لا يكتفي بتناول طعامه منها، بل يجعلها فأرًا لتجاربه.

٣- لا بد أن نكون لإرادة الله كمهرة صالحة أصيلة مثل تلك التي امتطيتها. لم تكن ترغب في الهروب، بل تود أن تواصل الخدمة. كل ما كانت تريده هو أن تخمن ماذا أريد منها أن تفعله تحديدًا. كانت تحاول بقدم والثانية والثالثة، تتجه تارة لليمين وتارة لليسار وترفع رأسها. هكذا يجب أن نكون. هذا ما أوده. ساعدني يا إلهي.

٢٩ مايو.

وصلني بالأمس خطاب من ماتفي نيكولايفيتش، ثم وصل بنفسه. قدمي أفضل حالًا. انتويت الرحيل. صوفيا واجمة وكئيبة. كنت قد نسيت هذا العذاب، وها قد عاودني. صليت اليوم حتى أتخلص من مشاعري الشريرة. كتبت كثيرًا، وأضفت بعض الأجزاء. لم أنتهِ تمامًا من العمل، لكني قاربت ذلك.

٥ يوليو.

لم أكتب منذ شهر ونصف. في هذه الفترة كنت في بيجيتشيفكا، وعدت مجددًا، والآن أنا في ياسنايا منذ أكثر من أسبوعين. سأبقى مدة أخرى من أجل إتمام تقسيم الممتلكات. أمر محزن مريع يبعث العذاب في القلب. أُصلِّي كي ينجيني الله، ولكن كيف؟ لا كإرادتي بل كإرادته. آه لو يطفئ الكراهية بداخلي! بالأمس دار حوار عجيب بين أطفالي. يحاول ليوفا وتانيا إقناع ماشا أن رفضها لحصتها من الممتلكات هو عمل دنيء!

إن سلوكها يجبرهم على الشعور بخطأ موقفهم، وهم يودون أن يكونوا مُبرَّرين أمام أنفسهم، لذا يحاولون أن يبتكروا سببًا يجعلون به مَن تصرف ماشا سيئًا وخسيسًا. أمر مريع! لا أستطيع الكتابة. لقد بكيت، وما زلت أود أن أبكي. يقولون: «نود أن نقوم بالأمر بأنفسنا، لكن ذلك لن يكون صحيحًا». تقول زوجتي لهم: «اتركوا الأمر لي!»، ولا يجيبونها بشيء. لم أرَ أكاذيبهم ودوافعهم واضحة بهذا الشكل من قبل. أنا حزين جدًّا، وروحي معذبة. بوشا وستراخوف هنا. كنت قد أوشكت على الانتهاء (يقصد من ملكوت الله بداخلكم)، لكني سقطت في حالة سيئة جدًّا، فانشغلت بالمراجعة، ولا أزال بعيدًا عن النهاية. أعمل الآن في الفصلين التاسع والعاشر.

أثناء مغادرتي لبيجيتشيفكا، اندهشت من أن لوحات الطبيعة لا تزال تدهشني. في الخامسة صباحًا، الضباب كثيف، والناس يغتسلون في مياه النهر. الضباب يغلف كل شيء، وأوراق الشجر الندية تلمع بالقرب مني.

في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ - من أجل أن يحيا المرء حياة أخلاقية، لا بد أن يربط حياته الآنية بالحياة اللا نهائية، ويتبع القانون، فهذا يجعل الإيمان مُنصبًّا على الحياة المستقبلية. راودتني هذه الفكرة بسبب أصحاب مذهب الأرواحية. كل هذا غير واضح، وغير صالح للكتابة بعد.

٢- عندما يعيش المرء طويلًا مثلما عشتُ ٤٥ عامًا من الحياة

الواعية[٢٤٧]، يمكنه أن يفهم زيف واستحالة كافة المحاولات التي يبذلها من أجل التكيف مع الحياة. لا شيء راسخ في الحياة. الأمر يشبه أن يحاول المرء أن يتأقلم مع مياه جارية. الجميع؛ الأفراد والأسر والمجتمعات، يتغيرون وتذوب أُطرهم ويعيدون تشكيل أنفسهم من جديد، كما تفعل السحب. وما إن يحاول المرء أن يتأقلم مع حالة المجتمع حتى يجدها قد اختفت، وأصبح هذا المجتمع في حالة أخرى جديدة.

٣- تحدثت مع ستراخوف وقلت له إن الدين الذي يعتبر نفسه مطلقًا، ويمثل حقيقة معصومة من الخطأ، هو محض كذب، مثل العلم تمامًا. تحدثنا معًا عن اتحاد العلم والدين. إن تخلى كل منهما عن سلطانه الخارجي، لن تعود ثمة قسمة بينهما، وسيصبح الدِّين علمًا، والعلم دِينًا.

٤- أمسكت نفسي أكرر دعابة فاحشة، أخذت أبحث عن سير الأفكار الذي أفضى بي إلى هذه الدعابة. تبين لي أن التوبة التي تخجلني وتعذبني كانت بمثابة تذكرة لي بفكرة يجب أن أتوب عنها. إن فكرة الخزي الذي تتسبب فيه التوبة قد أفضت بي إلى تذكر كيف قلت هذه الطرفة الفاحشة من قبل. أدهشني تذكري لهذه الطرفة، وقلت في نفسي خائفًا: هل من المعقول أني أستمتع بتذكرها كما كنت في الماضي؟ لكني بتتبع سير الأفكار توصلت إلى أن العلاقة التي ربطت هذه الأفكار ببعضها كانت أخلاقية. كان الاهتمام أخلاقيًّا، واعتقدت أن الفارق بين الأعمال الفنية الشِّعرية المختلفة هو أن الرابطة التي تسترشد بها بعضها

(٢٤٧) تولستوي في هذه اللحظة يبلغ تقريبًا ٦٤ عامًا.

وتربط بها الأحداث أنانية شهوانية، وبالنسبة للبعض الآخر منها أخلاقية.

سوف أكمل غدًا. أنا حزين... حزين! الكآبة تكتنفني تمامًا. ساعدني يا أبي! أشفق عليَّ. لا أعرف ما العمل. ساعدني. علِّمني أن أحب.

٦ أغسطس.

من المرعب التفكير في أن شهرًا كاملًا قد مرَّ. ذهبت إلى بيجيتشيفكا مجددًا. أنهيت بعض الأمور هناك، وسوف أتابع بقية الأمور من هنا. أشعر بلا مبالاة وضعف عظيمين. انتهيت من الفصل الثامن، لكني لا أزال أعمل على الفصلين التاسع والعاشر. بدأت أشعر بالتخبط. انتهى تقسيم الملكيات. أرسلت لبوبوف. إنه يعيش معنا، يعمل بالنسخ والكتابة. أتى ستراخوف ثانية. لقد انحدرتُ أخلاقيًّا بشدة. ربما ذلك بسبب كتابتي، وفكرة أني أقوم بعمل مهم؛ عمل أهم من بقية الأعمال رغم أنه لا يعفيني من الالتزامات الأخرى. أصبحت صلاتي شكلية. فارقني الحزن، لكن لا أزال أفتقر إلى الطاقة. عزائي الوحيد أن قدر كبريائي قد قلَّ إلى درجة أني أود القول: لم يعد لديَّ كبرياء. لم أُدوِّن الكثير من الأفكار، بعضها كان يستحق التدوين. كان العزيز جوربونوف في بيجيتشيفكا. أما هنا فسكوروخودوف وبوديانسكي، وقد ترك كلاهما فيَّ انطباعًا ثقيل الوطأة. سكوروخودوف طيب ولطيف، لكن يا لكبريائه! سامحني يا أبي إن كنت مخطئًا. تذكرت الآن عندما كنت في الحمام العام، ودخل صبي راعٍ إلى الردهة الداخلية. سألت:

– من هناك؟

- أنا.

- مَن أنت؟

- إنه أنا.

- ومَن أنت؟

- قلت لك: أنا.

يشعر أنه الوحيد في هذا العالم، حتى إنه لا يفهم كيف يمكن لأحد ألا يعرفه. الجميع على هذه الصورة.

٩ أغسطس.

وصلني خطابان من فاينرمان وأليخين يقترحان فيه عمل اجتماع من أجل حل الخلافات بين الطوائف. ما هذه الصبيانية؟! كتبت لهما ردًّا.

بالأمس كتبت على نحو أفضل بعض الشيء. لا أشعر بالرضى عن نفسي. لا أشعر بالحب لشيء على الإطلاق. صحيح أن نفسي هي أكثر ما لا أحبه، ولكن الحب غائب في كل الأحوال. بالأمس تألمت بشدة على الغداء إثر حديثهم عن الفطر ومنع جمعه[٢٤٨]. لا بد أن أشعر بالخزي من ذلك. فكَّرت كثيرًا لكني لم أُدوِّن شيئًا، ولا أتذكر شيئًا. بالأمس قرأت قصة (الجثمان) لبوبوريكين (روائي وناقد روسي). جيدة جدًّا. وصل ليوفا. مضت الأمور بيننا بخير. كتبت اليوم على نحو أفضل، لكني لم أكتب الكثير. خرجت لجمع الفطر مع ساشا. أمر لطيف جدًّا.

---

(٢٤٨) ربما المقصود منع الفلاحين من جمع الفطر.

بالأمس كتبت خطابًا ملائمًا لديلون استجابة خطاب ليسكوف[٢٤٩]. أتى بوبوف وبوتكيفيتش. وصلت تانيا في المساء بصحبة حشد من الناس. إنهم يعزفون الكمان الآن بالأعلى. قرأت قصة لسيدة شابة، لكني وجدتها سيئة.

لم تراودني سوى فكرة واحدة: مهما كان خوف المرء قليلًا من الموت، من المستحيل تمامًا ألا يرتجف قلبه عندما يمر بهذه المحطة التي لم يمر بها أبدًا منذ يوم ولادته. أعرف أني سوف أذهب إلى هناك، حيث ينام أولئك الذين لم يولدوا بعد، وأني ذاهب إلى الرب الطيب الذي نُبعث منه، لكن قلبي لا يستطيع ألا يرتجف من اقترابه من ذلك، كما لا يمكن للقلب ألا يرتجف عندما يطير صاحبه داخل باراشوت، مهما كانت ثقته فيه.

٢١ أغسطس.

لا يمكنني تصور أن ١٣ يومًا أخرى قد مرت مجددًا.

أشعر بالإنهاك الشديد من انهماكي التام في المقالة (ملكوت الله بداخلكم)، التي لم أنتهِ منها بعد. وصلني خطاب من بروكوبينكو[٢٥٠]، وكتبت له خطابًا طويلًا ردًّا على خطابه عن المسيح الحي. لا بد أن أعدِّل الآتي في ذلك الخطاب: كتبت في البداية: «أولئك الذين تملؤهم حماسة

---

(٢٤٩) طلب ليسكوف من تولستوي أن يساند ديلون الذي تعرض للهجوم بسبب ترجمته لمقال تولستوي عن المجاعة إلى الإنجليزية.

(٢٥٠) مزارع ومدرس شعبي، مشارك في الطوائف الجديدة التي امتهنت الزراعة وعاشت حياة مشتركة. هاجر إلى أمريكا مع بقية الدوخوبوريين، ولم يعد إلى روسيا إلا بعد ثورة أكتوبر.

النزعة السلافية»، ثم كتبت: «بعضهم». لم يكن من الواجب أن أكتب لا هذا ولا ذاك، بل أكتب: «أولئك الذين يفهمون تعاليم المسيح بصورة سطحية؛ أولئك الذين لم يفهموا سوى نتائجها، لا الوسائل نفسها، التي تتمثل في أن يؤسس كل فرد لعلاقته بالله، يؤسسون جمعيات وطوائف من الناس من أجل تحقيق النتائج المرجوة، يطلبون فيها من بعضهم البعض القيام بتصرفات معينة. بالإضافة إلى ذلك يحاولون تحقيق تلك النتائج المرجوة سواء من تلقاء أنفسهم أو بتخويفها أو الإيحاء لها. ذهبت اليوم مجددًا مع ساشا لجمع المكسرات. بوبوف مشغول بالنسخ. كما لو أني أتقدم بسبب أن الرابطة أصبحت أكثر جلاءً لي، والأهم من ذلك أني تخلصت تمامًا من الكلام المنمق. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ - دار حديث عن التربية. تقول صوفيا إنها ربَّت الأطفال على نحو سيئ، وإن حالهم يسوء تمامًا بدنيًّا وأخلاقيًّا. ولكن ما العمل من وجهة نظرها؟ كما لو أن الجميع يقولون: «لا يهم ما هو جيد وما هو سيئ هناك، فالأمر سيان لي. لديَّ حياة واحدة، وكذلك ثمة حياة واحدة لدى أطفالي. سأدمر هذه الحياة الواحدة. لا يمكنني تجنب ذلك».

٢ - تحدثت مع جوربونوف. يقول: «كتبتَ في كتابك (عن الحياة) لو مات إنسان ما، فهو أمر ضروري. لكن هذا غير حقيقي». إنه محق. ما كتبته غير صحيح فعلًا. من المستحيل أن نقول ذلك. ولكن سؤال من قبيل: «لماذا يموت هذا ويعيش ذاك؟» تستحيل الإجابة عنه، تمامًا كما تستحيل الإجابة عن سؤال: «أين سأكون بعد الموت؟». إنهما في

الحقيقة سؤالان الأول «أين» والثاني «سأكون»، وكلاهما يتساءلان عن العلاقة التي ستربطني بالمكان والزمان عندما أخرج من حالتي الآنية، التي لا يمكنني التفكير وأنا فيها الآن خارج إطار الزمان والمكان، بينما التساؤل الثاني فهو عن حالة لن يكون فيها زمان أو مكان. أما السؤال: لماذا يموت هذا ويعيش ذاك؟ فهو عن العلاقة السببية التي تتعلق بالإنسان حينما يخرج من عالم الأسباب. يبدو أني عبرَّت عن الفكرة بشكل سيئ للغاية.

٣- يشبه الإنسان الذي يعيش منغمسًا في حياته الذاتية، جوادًا أخذه أحدهم من قلب سرب، ثم أسرجه، وأصبح على الجواد أن يعمل طالما لم يطلقه وسط القطيع بعد. عبَّرت عن الأمر بشكل سيئ مجددًا.

٤- نجبر الآخرين -وعادة الأطفال- على الابتسام إثر النكات. هذا يشبه ما نريده؛ ألا وهو أن نضحك من رقة الحب.

٥- هذه ليست فكرة، لكني كتبت في ١٣ أكتوبر أنه أصبح واضحًا لي، لا في لحظة غضب، بل في أهدأ أوقاتي، أني من الممكن أن أرحل، بل ربما من الضروري فعل ذلك(٢٥١).

٦- تحدثت عن الموسيقى. أقول مجددًا: إن هذه المتعة ليست أسمى من متعة الطعام إلا قليلًا. لا أريد الإساءة إلى الموسيقى، بل أنشد الوضوح. لا يمكنني قبول ما يقوله الناس بكل هذا الغموض وعدم الاتساق عن أن الموسيقى تسمو بالروح. بيت القصيد هو أن الموسيقى

---

(٢٥١) إنها المرة الثانية التي يكتب عن فكرة رحيله من ياسنايا بوليانا كما سيفعل فعلًا في آخر حياته. كانت المرة الأولى في ٤ يونيو ١٨٨٤.

غير أخلاقية، ولا أقصد أنها لا أخلاقية بمعنى أنها محايدة كتناول الطعام مثلًا، بل أقصد فعلًا أنها غير أخلاقية. أنا مع هذا الرأي، وطالما هي غير أخلاقية، لا بد أن تتغير علاقتي بها.

١٥ سبتمبر.

عدت من بيجيتشيفكا منذ يومين، حيث قضيت هناك ثلاثة أيام جيدة. كتبت مسودة تقرير وخاتمة. رأيت قطارًا مليئًا بالموظفين والجنود في طريقهم لقمع الاحتجاجات[٢٥٢]، الأمر الذي ترك فيَّ انطباعًا مؤلمًا بشدة. طوال هذه المدة التي لم أكن أُدوِّن فيها يومياتي كنت أعيش بذات الطريقة. كنت أعمل على الفصول ٨، ٩، ١٠ بقدر ما تسمح لي قواي، وأنهيت فعلًا الثامن والتاسع. لكني لم أقمْ بما يجب القيام به في العاشر. لم أصل بعد إلى استنتاج حقيقي. أعتقد أن الأمور ستزداد وضوحًا. وصلني خطاب جيد من بروكوبينكو[٢٥٣]؛ خطاب مسيحي حقًّا. دوَّنت في هذه الفترة الأفكار الآتية:

١- تحدثت عن الموسيقى. إنها متعة للمشاعر، مثل متعة التذوق والرؤية. أقر أنها أسمى من بقية المتع؛ أي أقل منها شهوانية، لكني أؤكد أنها لا تتضمن أي شيء أخلاقي كما يحاول الآخرون التأكيد على ذلك.

٢- الإغواءات ليست ظواهر عفوية، ولا تجارب مثيرة، مثل أن تعيش في هدوء تام وتلتقي فجأة بإغواء، لكنها شرط يرتبط دائمًا بالحياة

---

(٢٥٢) قام الفلاحون في إحدى المناطق بأعمال شغب احتجاجًا على قطع الكونت بوبرينسكي لأخشاب أشجارهم واستغلالها لصالحه.

(٢٥٣) راجع حاشية ٢٥٠.

الأخلاقية. سيكون طريق الحياة محاطًا دائمًا بالإغواءات، كما يجد المرء نفسه يتخبط وسط مستنقع، محاولًا الخروج منه بصعوبة.

٣- إن شروط الحياة من ثياب وعادات، تلك التي تبقى مع الإنسان بعد أن يُغيِّر طريقة حياته، تشبه الثياب البالية لممثل هرع بها إلى الشارع بسبب حريق اندلع أثناء العرض، والمساحيق لا تزال على وجهه.

٢٢ سبتمبر.

رحلت زوجتي بالأمس إلى موسكو بصحبة الصِّبية. لقد عادت إلى ياسنايا في يوم ١٨، ورحلت مجددًا في يوم ٢٠. حياتي كما هي. لم أستطع الانتهاء بعد من الفصل الحادي عشر والخاتمة. جاءت كوساكوفا. إنها من أولئك الذين يتمتعون بمخيلات حسية، امرأة قوية وذكية.

ما نتمناه ولا نناله هو مجرد طُعم. كذلك ما يعيقنا عن الوصول لمرادنا، يشبه جوادًا أراد أن يفلت من القضيب المربوط إليه، معتبرًا أن العربة التي يجرها هي العائق.

لم أُوفَّق في التعبير عن الفكرة.

مكتبة
t.me/t_pdf

١ أكتوبر.

حالي كما هو. لا أزال عاكفًا على العمل، ولا تزال الحركة بطيئة، ولا أشعر كذلك بالرضى عن نفسي. بالرغم من كل ذلك، أنا أفضل حالًا بعض الشيء. ذهبت اليوم إلى كوزلوفكا، وفكَّرت للمرة الأولى قائلًا في نفسي: كم من المريع التفكير في ذلك وقوله! أقصد أن القول إن هدف

الحياة هو أن ينجب المرء الذرية بهدف استمرار النسل، يوازي في ضآلته القول إنه خدمة الناس والله. ينجب ذرية بهدف استمرار النسل؟ لماذا؟ خدمة الناس؟ وماذا سوف يفعل أولئك الذين سنخدمهم؟ أقلت: خدمة الله؟ ألا يستطيع أن يقوم بما هو في حاجة إليه من دوننا؟ لا يمكن من الأساس أن يكون في حاجة إلى شيء. إن كان يدفعنا إلى خدمته، لا بد أن هذا ليس إلا لخيرنا. لا يمكن أن يكون للحياة هدف آخر سوى الخير والفرح. هذا الهدف وحده - أي الفرح - هو ما يستحق الحياة فعلًا. إن إنكار الذات والصليب والتضحية بالحياة، جميعها من أجل أن تتحقق الفرحة في النفس. يمكن للفرح ألا يعوقه شيء، وأن يكون دائمًا. الموت ينقلنا إلى فرحة أخرى ضخمة جديدة تمامًا، وغريبة. ثمة منابع للفرحة لا تجف أبدًا كجمال الطبيعة والحيوانات والبشر، وهي لا تغيب أبدًا. حتى في السجن ستجد جمال أشعة الشمس والذباب والأصوات. أما مصدر الفرحة الرئيس فهو حب الإنسان للآخرين وحبهم له. آه لو كان هذا حقيقيًا! هل أنا بصدد اكتشاف شيء جديد؟ الجمال والفرحة بعيدًا عن الخير أمر منفر حقًا. لقد اختبرت ذلك ونحيته بعيدًا عني. الخير دون جمال يُعذِّب المرء. المرء في حاجة إلى مزيج من كليهما. لا، إنه ليس في حاجة إلى مزيج منهما، بل إنه في حاجة إلى الخير المُتوَّج بالجمال. أعتقد أن ذلك يشبه الحقيقة. أقرأ الآن لأميل[٢٥٤]. لا بأس به.

٧ أكتوبر.

كل شيء على حاله؛ العمل المتواصل والتقدم البطيء. في خلال

(٢٥٤) هنري فريديريك أميل: فيلسوف وناقد سويسري.

هذه الفترة جاء أبنائي الكبار. قضيت معهم وقتًا لطيفًا، لكنهم شديدو الضعف. تحدثت مع ليوفا. إنه أقرب لي من الآخرين، فهو طيب ويحب الخير (الله). كتاب أميل جيد جدًّا.

١- بينما أقطع الخشب اليوم تذكرت فجأة بحيوية شديدة حالة سابقة غير مهمة على الإطلاق؛ تذكرت عندما كنت أصطاد السمك بخلو بال، وبدا لي هذا الماضي مهمًّا جدًّا، يبعث على السرور، كما لو أن هذه الحالة لا يمكن أن تتكرر أبدًا، وفي الآن ذاته، لم تكن أكثر من الحياة. لذا فإن سعيي إلى الحياة ليس إلا سعي لذلك. الحياة إذَنْ وتماسكها ليست إلا وعيًا ضبابيًّا بما اختبرته في حياتي السابقة، وحُجِب عني بولادتي في هذه الحياة. تبدو الفكرة غير واضحة، لكني أفهم ما أود قوله. إني أسعى إلى تلك السعادة في حياتي الآنية والمستقبلية؛ تلك السعادة التي اختبرتها في حياتي السابقة.

٢- أردت أن أكتب مقدمة لكتاب أميل أوضِّح فيها أنه قد أشار في مواضع عديدة لحاجتنا إلى مسيحية جديدة، تصبح دينًا في المستقبل. هو شخصيًّا رواقي في جزء منه، وبوذي في جزء آخر، لكنه في الأساس مسيحي على طريقته، سيعيش ويموت بهذا الفهم. إنه يمارس دينًا لا يعرفه، كتاجر وسط طبقة من النبلاء[٢٥٥]. لكنه لا يخدع نفسه بإعجابه به.

٣- لو كان لي أن أختار بين أن أملأ الأرض بأفضل القديسين الذين يمكنني تخيلهم، دون أن تكون لديهم قدرة على الإنجاب، وبين أن

(٢٥٥) يشير إلى السيد جوردان بطل مسرحية موليير (سيد من الطبقة الوسطى).

أملأها ببشر كالذين هم عليها الآن، ولكن بإمكانية إنجاب أطفال من عند الله باستمرار، لاخترت الاختيار الثاني.

٤ - إن (كفى)[٢٥٦] لتورجينيف وهملت ودون كيخوته هم بمثابة نفي للحياة الدنيوية وتأكيد على الحياة المسيحية. من الممكن أن أكتب مقالة جيدة عن ذلك. وصلني خطاب من تشيرتكوف، وسعدت جدًّا به. وصلني خطاب من ميتروفان أليخين وبوديانسكي. سأكتب لهما. إنهما في السجن[٢٥٧].

٦ نوفمبر.

لم أُدوِّن شيئًا منذ شهر تقريبًا. حالي كما هو. بوبوف لا يزال معنا. أنا منهمك في النسخ. أكتب في الصباح بكامل قوتي حتى تخور قواي. أحيانًا أكتب خطابًا. في هذه الفترة وصلتني خطابات من خيلكوف. أعمل على الخاتمة. قاربت الانتهاء منها، لكني لم أبلغها بعد. صوفيا مع الأطفال في موسكو. يبدو أنها أوقات صعبة. عشت ثلاثة أسابيع وحدي، وفي الفترة الأخيرة لم يكن بوبوف حتى موجودًا. لقد شعرت بالكراهية صوبه، لكني تغلبت عليها. لا بد أن أحبه، لكني أكرهه. ليوفا في بطرسبرج. حبي له يزداد أكثر فأكثر، وكذلك حبي لبناتي. في هذه الفترة راودتني أفكار جيدة لكني نسيتها. لم أدوِّن سوى الآتي:

١ - اقتربت فيروتشكا من خزانة الثياب واشتمت رائحة ما وقالت: «كرائحة الطفولة». اقتربت ماشا وقالت: «نعم، إنها رائحة الطفولة

---

(٢٥٦) قصة لتورجينيف.

(٢٥٧) تم اتهامهما بتحريض فلاحي شتونديزم.

تمامًا» وابتسمت بسرور. اقتربت وشممت الرائحة. لديَّ أنف حساسة، لكني لم أشتم شيئًا. إنهما يشمانها بوضوح لأنها رائحة قد اقترنت بوعي قوي بفرحة الحياة. مهما كانت الرائحة ضعيفة، سيدركها المرء طالما اقترنت بشعور قوي بالحياة. كل ما يفتن لُبَّنَا في هذه الحياة هو الجمال الذي اقترن بوعي قوي بالحياة التي مررنا بها قبل أن نولد. قليلًا ما يحدث ذلك لأننا في حاجة للتقدم للأمام. قليلًا ما يحدث ذلك لأنه حدث في الماضي. بالرغم من ذلك، في الحياة الحقيقية ليس ثمة قبل أو بعد. اللحظة التي تشعر فيها بشيء بقوة هي لحظة الحياة الحقيقية.

لم أُعبِّر بوضوح عن الفكرة.

٢- ما طبيعة الأنا؟ الأنا بمثابة مركز تتعاقب فيه المواد المختلفة. تتزامن سرعة وطاقة تبادل المواد هذا مع فرحة الحياة. هذه الطاقة تضعف تدريجيًّا، وتخف سرعة التبادل تدريجيًّا، حتى تتوقف تمامًا في نهاية الأمر، وينتقل المركز إلى مكان آخر.

٣- إن ازدريت إنسانًا، لن تعود طيبًا معه. إن احترمت إنسانًا بشدة، ستطلب منه الكثير، وبالتالي لن تكون طيبًا معه أيضًا. من أجل أن أحظى بعلاقات طيبة مع إنسان ما لا بد أن أزدريه من ناحية أنه مخلوق ضعيف، وأبجله كما أفعل مع إ.إ[٢٥٨].

٤- إنسان شرير! وغد دنيء شرير! مجرم! مريع! الناس ضعفاء وبائسون للغاية، لدرجة لا يمكننا فيها وسمهم بالشر. يريدون جميعًا

(٢٥٨) ربما يقصد إيفان إيفانيتش، وقد جرى ذكره سابقًا، لكني لم أتوصل إلى حقيقة هويته تحديدًا.

أن يكونوا أخيارًا، لكنهم لا يستطيعون. إننا نسميهم أشرارًا، لكن بيت القصيد هو عدم قدرتهم على أن يكونوا أخيارًا.

٥- وصلني خطاب من ستراخوف عن الاتجاهات الانحطاطية في الأدب. الفن من الأجل الفن مجددًا. سراويل ضيقة بعد أن كانت واسعة، ولكن تلك المرة بلمسة جديدة معاصرة. يقول الانحطاطيون اليوم - من قبيل بودلير- إن الشِّعر يحتاج إلى خير وشر مفرطين، ولن يكون لدينا شِعر في غياب ذلك. يقولون إن السعي إلى الخير وحده يقضي على القوة التي يُحدثها بيان التضاد، بالتالي فإنه يقضي على الشِّعر. لا يجب عليهم أن يقلقوا، فالشر قوي جدًّا. إنه خلفية كل شيء موجود، لذا فالتناقض سيكون باديًا دائمًا. ولكن إن قبلته، سوف يغطي كل شيء، ولن يكون ثمة شيء سواه، ولن ننال المفاضلة بالتناقض كما أردنا. في الحقيقة، لن يكون حتى ثمة شر، لن يكون ثمة شيء على الإطلاق. حتى نحافظ على إمكانية المفاضلة بالتناقض، وحتى يكون هناك شر، علينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوة صوب الخير.

في تلك الفترة أتاني طالب من الأكاديمية الطبية يُدعى سوبوليفسكي، وحاول أن يصلح مني بمحاولة إقناعي أن مفهوم «الله» من بقايا البربرية. اهتجت بسبب غبائه بدرجة تدعو للخزي، وتحدثت معه بطريقة وقحة للغاية وأحزنته.

* * *

١٨٩٣

٥ مايو.

يرعبني التفكير في أني لم أُدوِّن شيئًا منذ ٦ نوفمبر ١٨٩٢؛ أي لمدة ستة أشهر عدا يوم واحد. طوال هذا الوقت انغمست تمامًا في العمل على الفصل الأخير من كتابي[٢٥٩]، ولم أنهِهِ حتى الآن.

بالأمس، ٤ مايو، وصلنا من موسكو إلى ياسنايا، حيث قضيت بموسكو الشتاء بأكمله، تخللته فترة استراحة. يبدو أن انهماكي الشديد في العمل، لدرجة أني لم أُفوِّت يومًا واحدًا تقريبًا، جعلني أهمل الحياة الجسدية؛ وأقصد تحديدًا العمل البدني. لكني أصبحت أكثر عزمًا من نواحٍ مختلفة، خاصة فيما يتعلق بالمطالب التي أفرضها على نفسي كي لا أشارك في الشر الدنيوي. خلال هذه الفترة من العمل المتواصل اتضح لي الكثير من الأمور؛ مثل قضية «حرية الإرادة». الإنسان حر في العالم الروحي؛ ذلك العالم المسؤول عن تحريك العالم الجسدي.

في تلك الفترة ذهبت إلى بيجيتشيفكا. شعرت باللا مبالاة تجاه عمل المساعدة المبتذل الذي نقوم به، وبالنفور من الرياء. كان التعاطف الذي عبَّر عنه الناس صوب نشاطي في تقديم المساعدة بمثابة سرور بانتقالي

(٢٥٩) الفصل الثاني عشر من (ملكوت الله بداخلكم).

من موقع إدانة الرياء إلى الانغماس فيه.

بعض أحداث تلك الفترة: عودة ليوفا من بطرسبرج ومرضه. لم يطرأ شيء جديد على علاقتي ببقية أعضاء الأسرة. أندريوشا وميشا، وخاصة الأخير، في حالة سيئة جدًّا من اللا مبالاة. أما ماشا فافتُتِنت (يقصد بسبب بوشا رايفسكي) قليلًا ثم عادت لرشدها ثانية. بوليجين[٢٦٠] الآن هنا. لقد حُوكِم هو ورايف، وهما يخوضان صراعًا الآن. بشكل عام، أظن أن الصراع بين المسيحية والوثنية في بلدنا قد بدأ الآن. على المرء أن يدرك ذلك جيدًا ويستعد. لم أعمل اليوم على كتابي، وهي المرة الأولى التي أفعل فيها ذلك طوال تلك الفترة الماضية. لا أعرف بعد ماذا يجب عليَّ أن أكتب. راودتني أفكار كثيرة في تلك الفترة لكنها لم تسفر عن شيء. أتذكر منها الآتي:

١- عمل مسرحي يكشف بوضوح أساس أي عمل فني. يتألف من تقديم مختلف أنواع الشخصيات والمواقف، ويجعلهم جميعًا في مواجهة حاجتهم إلى حل إشكالية شديدة الأهمية لم يتوصل الناس إلى حلها من قبل. هذه الحاجة تجعلهم يسلكون في العالم من حولهم بهدف الوصول إلى حل لهذه الإشكالية. إنها تجربة معملية. أود أن أفعل ذلك في مسرحيتي القادمة.

الساعة الآن الواحدة ظهرًا. سأتناول غدائي، وغدًا أكمل كتابة.

---

(٢٦٠) أحد سكان تولا، وكان يشاطر تولستوي بعض آرائه. افتتح مدرسة لتعليم أبناء قريته من الفلاحين دون تصريح، فحُكم عليه بدفع غرامة خمسين روبلًا أو بالحبس لمدة شهر، وتقرر غلق المدرسة.

١٤ مايو.

فوَّتُّ أسبوعًا كاملًا، لا أعرف كيف مر مني. أرسلت الفصل الأخير بالأمس بعد أن انتهيت منه أخيرًا. إن كان سيئًا فليكن. كنت مريضًا، وقد حثني ذلك تحديدًا على سرعة الانتهاء منه. أخيرًا أصبحت حرًّا! أعيد قراءة ما بدأت فيه منذ فترة، ولم أقرر العمل الذي سأواصل الكتابة فيه. طوال هذا الوقت كنت في حالة سيئة. لست راضيًا عن موقفي، وأشعر بالعذاب. أريد أن أقوم بتغيير خارجي، لكن هذا غير ضروري.

١٥ ، بل ربما ١٦ مايو.

بالأمس كتبت خطابًا لبيلو[٢٦١] وآخر لبوديانسكي. اليوم كتبت خطابًا لخيلكوف. لست بخير. أنام نومًا سيئًا. سلبت قصة الأطفال حيويتي[٢٦٢]. أريد أن أنهيها. فكَّرت في الآتي:

١- مدهشة حقًّا عمليات سلب الأرض في مقاطعتي خيرسون وسامارا[٢٦٣] ومقاطعات أخرى. من المدهش حقًّا الأبهة العظيمة التى كانت فيها موسكو وأساقفتها في استقبال القيصر عند عودته لها. كذلك هو الأمر مع معرض شيكاغو[٢٦٤]، وتدمير الغابات واستباحة الأرض. يقولون إن العلم سوف يحل كل هذه المشاكل عن طريق مطر صناعي

---

(٢٦١) جون بيلو أحد أعضاء طائفة الكويكرز الإنجليز، وزار تولستوي مرتين.

(٢٦٢) قصة بعنوان (من المحق؟).

(٢٦٣) أراضٍ عامة كان من المفترض توزيعها على مَن لا يملكون أرضًا هناك، فتم توزيعها على بعض كبار الموظفين.

(٢٦٤) لإحياء الذكرى الأربعمائة لاكتشاف كولومبوس أمريكا.

يُولَّد بالكهرباء. أمر مريع! سيبيدون ٩٨ ٪ ولن يتبقى لنا سوى ٢٪.

٢- أحد الأسباب الرئيسة للحياة الشريرة هو أنك لا تدرك متى تمر بلحظة شديدة الأهمية، تُشكِّل انعطافًا حادًّا، وتحيا هذه اللحظات دون انتباه. بدلًا من أن يُنبِّه المرء نفسه إلى أن الاختبار يجري الآن، يحاول هو وآخرون ادعاء أن هذه القضية المهمة للغاية تافهة، والأكثر من ذلك هو ادعاء أن هذه القضية برمتها لا تحتاج سوى كلمة واحدة: نعم أو لا. هذا ما حدث معي إبان تقسيم الممتلكات.

٢٣ مايو (بيجيتشيفكا).

في هذه الفترة حاولت أن أكتب في قصة الأطفال، لكن بلا جدوى. لم أتعافَ تمامًا. كتبت خطابات لتشيرتكوف وبوبوف وينجول، ولاثنين فرنسيين: دوماس وشرودر[٢٦٥].

كنت في حالة مريعة بالمنزل. قررت أن أرحل في يوم٢١ مع تانيا، ورحلنا فعلًا. في الطريق دار حوار بيني وبين أتباع الطائفة المينوناتية[٢٦٦]. بالأمس كنا في قرية تاتيشيفي. فقر مريع. التناقض البادي مذهل. ذهبت إلى بعض مرضى التيفود، وشعرت بالخوف. يا للخزي! لدى فانيا كتب علمية عن التربة وحدود العلوم الطبيعية والتحليل الميكانيكي. يا لغباوة ما يقولونه. مثلًا يقول إميل دي بوس ريموند[٢٦٧]: «لا يمكننا أن نصل

(٢٦٥) الأول عالم نفسي وأستاذ بجامعة باريس، والآخر كاتب فرنسي.

(٢٦٦) أحد الطوائف المسيحية البروتستانتية نشأت على يد مينو سيمزنز بهولندا.

(٢٦٧) كان طبيبًا فيزيائيًّا وعالمًا فيزيائيًّا، واشترك في اكتشاف إمكانات الفعل العصبي، ومطور فيزيولوجيا كهروفيزيائية تجريبية.

إلى شيء في العلوم الطبيعية سوى معنى القوة والمادة والوعي. ولمعرفة أسباب كل شيء موجود، يمكننا أن نختزل ذلك في حركة الذرات». لقد نسي فقط أن كل شيء يتم في إطار لا نهائي من الزمان والمكان. كذلك هو الأمر مع دوكوتشايف. إنه يسمي التربة: كائنًا عضويًّا. أو الألماني مول، فهو يتحدث عن ثلاث مراحل للأرض، متناسيًا أن الانتقال من المرحلة الأولى للثانية يعتمد على ظهور الأجسام العضوية، لكننا لا نعرف كيف ظهرت. ليس لدينا إذَنْ الحق في التحدث عن المرحلة الأولى. كل ذلك، ولم أتطرق بعد إلى الحديث عن الخلاف الدائم في كافة القضايا. يا لها من أداة مرعبة تعمل على إغراق المتطلبات الأخلاقية في ضباب كثيف! أرى هذا بوضوح في رايفسكي. موازين حساسة وتحليل... إلخ. يولون كل ذلك أهمية فائقة، كأهمية القربان المقدس للمؤمنين. يجب أن أكتب عن هذا الكذب. فكَّرت في هذه الفترة في الآتي:

١- يخطئ المرء كثيرًا حينما يظن أن بعض الذين يفكر معهم باستمرار، وغالبًا يكونون من أقرب الناس إليه، غير قابلين للشفاء، ولا يخبرهم بما يظن أنه حقيقي. يجب أن نكون مباشرين تمامًا، فالحائط حائط، والعشب عشب، والبحر بحر، والجاودار جاودار.

٢- من الرائع والضروري أن تخرج من الإطار المحيط بك في كل مكان.

٣- طارت ورقة على أشجار البتولا، وبأثر الرياح الدافئة تجعدت. حلَّ المساء، سادت الظلمة بعد العاصفة الرعدية. تحركت الخيول لتوها، وبدأت تقضم العشب بشراهة، هازة ذيولها.

٤- ماذا فعل الزواج بي؟ ترعبني الإجابة. تقريبًا كل ما أنا فيه الآن.

٥- قاعدتان سلوكيتان لهما التأثير القوي ذاته. للرجل: أن ينال صفعة ولا يطلب المبارزة. للمرأة: أن تتزوج من دون مباركة الكنيسة.

٦- لا تتظاهر حينما تدينني أنك تغفر لي، وحينما تهددني أنك تهدئ من روعي. أنت قاتل. أنا تحت سلطانك، مع فارق واحد؛ ما تهددني به، هو ما أريده تحديدًا. أنا لا أعيش إلا من أجل تحقيق إرادة الله وتأسيس ملكوته. كي تتحقق ملكوته لا بد أن يُضطهد الأبرياء. كلما ازدادت الاضطهادات، ازداد جلاء الحقيقة. لذا فكل شر تسديه إليَّ، حتى وإن وصل إلى حد التعذيب والإعدام، يساعدني على إتمام عمل الله، ويبعث في قلبي السرور.

الساعة الآن الثانية عشرة. أريد أن أذهب إلى كوزلوفكا. سأكتب غدًا إن كان لي عمر.

٢٧ مايو.

لم أُدوِّن يومياتي في يومي ٢٥، ٢٦. كنت في بيجيتشيفكا. وصل بوشا. ذهبت إلى كوزلوفكا وسوفينكا وبارونوفكو، ثم وصلت في يوم ٢٦.

استمنيت اليوم. يبدو أن الأمر لن ينتهي أبدًا. يجب أن أعمل على وعيي. ستولياروف هنا (عازف كمان). صباح اليوم لعبت الورق بمفردي. بالأمس استمعت كثيرًا إلى الموسيقى. فكَّرت في الآتي: يتعامل قائد الأوركسترا مع موسيقيين غير معروفين، أصحاب مستوى متوسط، ويقدم لنا سيمفونيات، بحيث يصل كل من الموسيقيين

والحضور إلى حالة من البهجة. إنه أكثر الأمثلة وضوحًا وأهمية على التنويم المغناطيسي.

٢٩ مايو.

لم أفعل شيئًا في هذه الأيام سوى كتابة بعض الأمور غير المهمة. فكَّرت في الآتي:

١- بالأمس، كنت أفكر أثناء نزهتي في الآتي: ما من شك في أن معنى الحياة ليس إلا تنفيذ إرادة مَن أرسلني. تخيلت أني أعيش هكذا، أي من أجل تنفيذ إرادته، وأني لا أبالي على الإطلاق بآراء الناس، ومهما كان الموقف الذي أكون فيه، أسلك بحسب إرادته، فهو الأبدي، وفكَّرت في الموت، وشعرت حينها تمامًا بسهولته. إنه ليس سهلًا فقط، بل يبعث على السرور كذلك.

٢- يُقال إن ما هو موجود معقول. الأمر على النقيض من ذلك. كل ما هو موجود غير معقول على الإطلاق. المعقول هو غير الموجود. إنه ما يطلق عليه المنطقيون: الخيال أو الوهم. لو كان الموجود معقولًا، لما كانت حياة، كما أن الحياة غير ممكنة أيضًا لو لم يكن غير الموجود هو المعقول؛ أي المِثال. ليست الحياة سوى حركة أبدية مما هو غير معقول صوب ما هو معقول. صباح اليوم، بعد أن استيقظت فكَّرت في هذا كثيرًا.

يُقال إن كل ما هو موجود معقول. هذا غير صحيح. الأمر على النقيض من ذلك، فكل ما هو موجود غير معقول، إن كنا نقصد بالموجود: العالم المادي الملموس. لو كان الموجود معقولًا، لما اعترفنا بوجوده. لم نكن

لنعترف بحياتنا لو لم ندرك عدم اتساقها مع مِثال العقل، ولما كافحنا من أجل تدمير عدم الاتساق هذا. إن تجلي الوعي المتسق مع تجلي الحياة هو دلالة المهمة الموكلة إلينا للعمل عليها. لو تم حفر القناة، لن يكون بالإمكان جلب عمال من أجل الحفر. طالما أن هناك عمالًا؛ أي بشرًا، لا بد أن هناك عمل يجب إنجازه بواسطتهم. هكذا هو الأمر، طالما لدينا حياة، لا بد أن بها عملًا يجب أن يُنجز. البشر هم من يقومون بهذا العمل. ما دام هناك عمل يجب إنجازه، لا بد إذَنْ وأن العالم غير كامل، ولكن هناك تصور وإمكانية لتحقيق قدر أكبر من الكمال.

من الممكن أن نقول: من المعقول أن نحفر آبارًا وبركًا ليس فيها مياه، أو نزرع غابة أو ننظف القاذورات أو نخصب الحقول أو نعلم الأطفال... إلخ، ولكن ليس بإمكاننا أن نقول: من المعقول أن نعيش من دون مياه أو غابات، وسط القذارة، وبين أطفال جهلة. كذلك من المعقول أن نقول إننا يجب أن نعمل من أجل كمال أنفسنا والعالم، ولكن من المستحيل أن نقول إننا والعالم كاملان.

٣- بخصوص الفكرة رقم ١: كثيرًا ما يتبادر إلى ذهني أن الجنون (في المسيح مثلًا)؛ أي التضحية المتعمدة بالنفس من أجل شخص أسوأ منك هو أسمى درجات الفضيلة. أرى الآن أن الأمر لا يقتصر على ذلك، لكنه كذلك الشرط الضروري الأول - أو الثاني على أقصى تقدير - لكل حياة صالحة. ما إن يتحرر الإنسان - ولو قليلًا - من خطايا الشهوة، حتى يتراجع ويسقط في وحل حب مديح الناس. كما أن ثمة طرقًا ووسائل لتعويد النفس على ضبط الذات تتمثل في الأساس في مراقبة النفس

دائمًا، كذلك هو الأمر في النضال ضد حب الكبرياء. واحد من أول التدريبات على تحقيق ذلك - مثلما يُوصى في حالة الغذاء بتناول طعام أقل شهية من غيره - هو ألا يستغل المرء أي فرصة يستمع فيها إلى مديح صالح لنفسه أو يشعر بالرضى عن ذلك، مهما تعقد الموقف. هذا نوع من الجنون؛ إنه جنون أن تتظاهر عمدًا بالفساد. رغم أن ذلك قد يكون مفيدًا للنفس، لكني أظن أنه أمر مضر وفاسد، لكن بإمكان المرء ألا يحاول تبديد الآراء السيئة عن شخصيته، بل ويُسر بها، كوسيلة لتحرير نفسه من إغواء عظيم، واقتراب من الحياة الحقيقية القائمة على تحقيق إرادة الله. لا بد من دراسة هذا الموضوع فيما يتعلق بـ(الأب سيرجيه). إنه يستحق الدراسة.

والآن أواصل التفكير فيما هو معقول وما هو غير معقول في الحياة.

٤- الحياة بأكملها غير معقولة: من غير المعقول أن يكون لدى الإنسان جزء من الأمعاء لا لزوم له، وأن يكون لدى الجواد ما تبقى من الإصبع الخامس، وكذلك هو الحال مع التأسلات الرجعية[٢٦٨] الموجودة في الكائن الحي، فهي غير معقولة، والأهم من ذلك هو الصراع من أجل البقاء، فهو بمثابة إهدار غير مفيد للطاقة. يجلب الإنسان المنطق إلى عالم الطبيعة، مدمرًا هذا الصراع والإهدار غير المعقول. ولكن هذا النشاط البعيد الذي يقوم به خارج نفسه يبدو كانعكاس. يدرك الإنسان

(٢٦٨) التأسل هو الرجعية التطورية، مثل ظهور صفات متعضية مرة أخرى بعد أن انحسرت منذ أجيال. يقع التأسل لأن مورثات الخصائص الظاهرية التي وجدت في السابق ما زالت محفوظة في الشفرة الوراثية، وإن كانت تلك المورثات لا يعبَّر عنها ظاهريًا في أغلب المتعضيات التي تحوزها.

لا معقولية حياته ليس بالفكر فقط، بل إنه يشعر كذلك في قلبه بالنفور من الحب لجميع الكائنات. تتلخص حياة الإنسان بأكملها في الخطوات التي يقطعها للانتقال من غير المعقول إلى المعقول. من المهم جدًّا أن ندرك أن ما هو غير معقول في الطبيعة يُعرف بالفكر فقط، أما لا معقولية الحياة الإنسانية ذاتها، يدركها الإنسان بقلبه (بالحب) وبالفكر.

أهم ما في حياة الإنسان هو أن يجعل كل ما هو غير معقول في حياته معقولا. كي يقوم بذلك عليه أن يدرك لا معقولية الحياة في كل شيء من حوله، وألا يصرف انتباهه عنها، ويدرك بكل طهر عقلانية الحياة الممكن تحقيقها. عندما يدرك الإنسان لا معقولية الحياة والكارثة التي تنجم عن ذلك دائمًا، سيجد نفسه ينصرف عنها تلقائيًّا، ومن ناحية أخرى، عندما يدرك بوضوح عقلانية الحياة المحتملة، سيجد نفسه يسعى صوبها تلقائيًّا. كان من المفترض أن يوجِّه كافة حكماء البشرية كامل عنايتهم إلى عدم إخفاء شر الحياة غير المعقولة، وأن يعرضوا بكل وضوح خير الحياة المعقولة. ولكن دائمًا ما يجلس على مقعد موسى أولئك الذين لا يسيرون أبدًا صوب النور، لأن أعمالهم شريرة، لذا فالأمر لا يقتصر على أن أولئك الذين يجعلون أنفسهم معلمين لا يحاولون توضيح لا معقولية الحياة ومعقولية المِثال، بل إنهم يخفون لا معقولية الحياة، ويحطمون الثقة في معقولية المثال.

هذا ما يحدث في حياتنا. إن نشاط البشر بأكمله يتأسس على إخفاء لا معقولية الحياة. من أجل تحقيق هذا الهدف لدينا هذه المؤسسات: الشرطة- الجيش- التشريعات الجنائية- السجون- المؤسسات

الخيرية- ملاجئ الأطفال والعجزة - بيوت البر- مستشفيات المجانين- العيادات، وخاصة التي تعالج السفلس والسل- شركات التأمين- فرق الإطفاء- جميع المؤسسات التعليمية الإلزامية- المؤسسات الخاصة بالمجرمين الأحداث- مؤسسات الهندسة الزراعية.. إلخ.

لو كنا استغللنا ٠,٠٠١ من هذه الطاقة التي نهدرها في تنظيم كل ما يعمل على إخفاء الشر -وهو في الحقيقة لا يؤدي إلا إلى زيادته- في مواجهة كل ما تعمل هذه المؤسسات على إخفائه، لانكشف لنا بوضوح الشر الذي يعذبنا، ومن ثم دمرناه سريعًا. من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن عمل هذه المؤسسات لا يقتصر على إخفاء الشر بطريقة مميتة، لكنها تُنتج أيضًا شرًّا جديدًا وتزيده إلى درجة لا يمكن السيطرة عليها، كما يحدث مع كرة الثلج، وبالتالي يتعذر تدميره. لننظر مثلًا إلى المؤسسات التعليمية ومستشفيات المجانين وملاجئ الأيتام والسجون والتجنيد.

٥- قرأت في مقالة بواسيه عن انهيار الوثنية. الدور الذي لعبه علم البلاغة وقتها يشبه كثيرًا الدور الذي يلعبه العلم الآن(٢٦٩).

٥ يونيو.

حاولت الكتابة في الخاتمة، وربطها بتعريف الحياة كحركة من اللا معقول صوب المعقول، لكن بلا جدوى، ولا أعرف ما إن كان ذلك لأسباب جسمانية أم عقلية. حاولت أن أعمل في هذا الوقت. قطعت الخشب وذهبت إلى بوليجين. رايف وستولياروف في قمة الضعف.

(٢٦٩) أعتقد أنه يشير إلى استخدام بعض السفسطائيين للبلاغة من أجل إخفاء الحقيقة.

ثمة وقت انجلى لي فيه أن مفهوم الحياة كخدمة بدأ يصيبه الوهن بتأثير الإغواءات.

سأذهب الآن إلى تولا. في هذا الوقت فكَّرت في الآتي:

١ - أدهشتني بشدة فكرة أن أحد الأسباب الرئيسة لمشاعر العداء بين الأزواج والزوجات هو التنافس الشديد بينهما على تولي مقاليد الأمور بالأسرة. الزوجة لا تعترف أن سلوك زوجها معقول وعملي، لأنها إن فعلت ذلك، سيتوجب عليها أن تنصاع لإرادته، وكذلك يفعل الزوج. إن كنت لا أزال أكتب في سوناتا كرويتزر الآن، لعرضت هذه الفكرة.

٢ - إن معرض شيكاغو -مثل كافة المعارض- هو مثال صارخ على الوقاحة والنفاق. كل ما يفعلونه هو بدافع الربح واللهو، أو حتى بدافع الملل، ويتظاهرون أن الدافع نبيل؛ ألا وهو حب الناس. كان من الأفضل لهم لو واصلوا انغماسهم في الملذات.

٣- كثيرًا ما يُقال: إن سخطك وإدانتك لما سبق هو أمر منطقي بارد. هذا صحيح عندما ينظر الإنسان إلى مخالفات مَن يحيطون به ويدينها، ويُظهر نفسه خارج هذا الإطار، وكأنه يطيع متطلبات العقل. لكن عندما يشعر الإنسان بعدم اتساق حياته مع المحيطين به، ذلك ليس من عمل المنطق، بل العقل والضمير والحب، وهو أمر ليس باردًا، بل شديد الحرارة.

٥- لا شيء يحول دون تجلي الحب مثل الكبرياء والفخر وحب الذات والتباهي. لمسّة واحدة لهذا الشعور الشخصي من شأنها أن تجعل زهرة الحب تتوارى تمامًا.

٦- لا بأس بكافة الفنون والموسيقى، لكن من الواضح أنها تشغل مكانًا غير صحيح.

٧- وحده المسيحي الحقيقي مَن يمكنه أن يُكرِّس حياته كلها من أجل الوصول إلى الحقيقة وتنفيذها، لذا فهو وحده الحر؛ لأن لا شيء بإمكانه أن يحول دون الاعتراف بالحقيقة.

٨- لم أستطع طويلًا تصديق أن الديانة الرسمية خاطئة، وأنها انحراف عن الحقيقة الدينية، ومناقضة لها، حتى حان الوقت وصدقت ذلك. الأمر ذاته فيما يخص مؤسسات التعليم الرسمية.

٩- في طريق عودتي إلى المنزل من عند بوليجين، قطعت حوالي عشرين فرست[٢٧٠] على قدمي حتى أُنهكت. الأمور سيان. كما أنه يستحيل أن نرفع مياه البحيرة إلى بقعة ما أعلى أو نجعلها تنحدر إلى بقعة أدنى، كذلك لا يمكننا أن نزيد أو نقل من الخير بالوسائل المادية. أنا في طريقي الآن إلى تولا.

١٠ يونيو.

لم أقم بشيء محدد طوال هذه الفترة. بدأت في الخاتمة، ثم في مقالتي عن العلم والفن، والآن أكتب شيئًا بخصوص خطاب زولا وخطبة دوماس[٢٧١]. رحل بوبوف، ووصل بوشا. علاقاتي بالناس كما هي. في هذه الفترة فكرت في الآتي:

---

(٢٧٠) مقياس روسي للطول يبلغ ١,١ كيلو مترًا.

(٢٧١) ترجمت هذه المقالة بعنوان (فلسفة اللا فعل) في كتاب (في العلم والأخلاق والسياسة) من إصدارات آفاق.

١- يعترف الناس أن العقوبات قاسية، لكنهم يقولون إنها ضرورية لدعم النظام القائم. ولكن هل النظام القائم حسن؟ لا، إنه سيئ. لماذا نسانده إذَنْ؟

٢- صديق طفولتي[٢٧٢]، إنسان تائه، سكير، شره وتعيس، كسول لا يمكن الثقة فيه. عندما يُثار دائمًا موضوع الأطفال والتربية، يستشهد دائمًا بطفولته وتربيته، كما لو أنها دليل قاطع على نجاحه. يقوم بذلك تلقائيًا، ولا يرى أن الأمر يدعو للسخرية. كم هو قوي ذلك الحب للنفس الذي يجعلها في نظر صاحبها أفضل من الجميع!

٣- فكَّرت في مقالتي عن العلم. حتى نفهم ما هو العلم، علينا أن نفحص ما يمنحنا إياه، وما هو بالنسبة لمن يعملون به. لا... فكرة سيئة.

٤- إن التوصل إلى إجابة حاسمة عن السؤال: «هل ما ندعوه فنًّا وعلمًا هو أمر جيد وصالح أم لا؟» ليست مسألة بسيطة. إن تنشئة الشباب ترتكز تحديدًا على ما ندعوه علمًا وفنًّا.

٥- تعتبر التربية نقلًا حقيقيًّا للمعارف، عندما يتم نقل محتوى مهم وضروري؛ أي التعليم الأخلاقي، وعندما يتم ذلك في صورة مفاهيم عقلانية واضحة ومفهومة. أما الفن فهو ما يأسر ويجذب الشخص إلى هذه المادة الحقيقية. إننا لا ننقل التعليم الديني الأخلاقي بصورة واضحة، ونستخدم طريقة متصنعة. قانوننا إلهي، أما العلم فليس به مضمون أخلاقي، ويُنقل بصورة منفصلة. الفن وحده هو ما يجذب، لكننا

---

(٢٧٢) يقصد ك. أ إيسلافين.

ننقله إلى الآخرين بصورة منفصلة عن الدين.

لقد عبَّرت عن الفكرة بشكل سيئ.

٦- عندما سألت عن الهدف من التحليل الطيفي[٢٧٣]، قالوا لي: قد ينفعنا في شيء. الوضع مع العلم يشبه الوضع مع البضائع: ينتجونها مسبقًا، ثم يبحثون بعد ذلك عن استخدام لها.

٧- ماذا أفعل إن حلَّ بي عجز جسدي ما؟ سأعمل قدر المستطاع بجسدي المريض. ماذا أفعل إن أصابني عجز أخلاقي، وتملكتني عواطف لا تقهر؟ سأظل راغبًا في الخدمة بما تبقى لي من قوة.

٨- الدين، ليس ما يؤمن به الناس، والعلم ليس ما يدرسونه، لكن الدين هو ما يعطينا فكرة الحياة، والعلم هو ما يجب على الناس أن يعرفوه.

٢١ يونيو.

أول أمس أرسلت مع كوزمينسكي مقالتي التي كتبتها عن خطابَيْ زولا ودوماس، إلى *Revue de Families* (جريدة فرنسية). كنت مشغولًا طوال هذا الوقت بالتفكير في مقالتي عن الفن وفي الخاتمة وفي تلك المقالة. حاولت أن أعمل. لقد ضعفت للغاية. أتت ماشا، وكنت سعيدًا جدًّا برؤيتها. بالأمس دار حديث سيئ بيني وبين صوفيا، الأمر

---

(٢٧٣) تحليل للضوء المنبعث أو المنعكس عن أي مادة بواسطة جهاز خاص يطلق عليه اسم المطياف. ولكل مادة طيفها المميز الذي لا يطابق أي مادة أخرى. ويمكن تعرّفها عن طريق خطوط سوداء تظهر في أماكن محدودة من مقياس الطيف. ينشأ الطيف أساسًا من مرور الضوء في منشور زجاجي.

الذي لم يحدث منذ فترة طويلة.

إن الفقراء يعانون.

يجب أن نشفق عليهم، لكنك تفرط في انفعالك.

مع ذلك دار الحوار بهدوء ولم يلحظ أحد شيئًا. كل ما في الأمر أني تألمت بشدة. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- لا تفسد أسنان الأطفال والآباء إلا لأسباب معينة. ماذا يحدث إذَنْ؟ أتعتقد أنهم سوف يعالجون المشكلة حينما يعرفون السبب؟ لا، بالرغم من أنهم يُقدِّرون قيمة أسنانهم للغاية، لكنهم سيواصلون العيش بنفس النمط، ويحشون أسنانهم بالذهب والبلاتين مقابل كمية كبيرة من المال. هكذا هو الأمر مع مرض السفلس والعيادات والجرائم والعقاب والحرب والصليب الأحمر... إلخ.

٢- أقل ما يمكننا فهمه هي تصرفات بعضنا الناتجة عن الغرور. لن يمكنك أن تخمن سبب اختياله أو هوية الشخصية التي يختال أمامها.

٣- يقولون (وقد قال أندريوشا ذلك منذ فترة طويلة) إنهم لا يعرفون قانون الحياة أو قانون الله. إنهم لا يعرفونه وتراودهم فعلًا الشكوك بشأنه. منبع ذلك أنهم يؤمنون بأفكار خرقاء مثل التثليث والكنيسة والعلم... إلخ، شاعرين بالتناقض بين قانون الله وموضوعات إيمانهم، فتراودهم الشكوك بشأن هذا وذاك. إنهم يسلكون كما يسلك إنسان وضع لوحًا أمام عينيه مباشرة، لذا لم يعد بإمكانه أن يرى ما أمامه.

٤ - لن نصل إلى معنى الموت والحياة الأخرى إلا عندما ندرك أن هدف الحياة هو تنفيذه إرادة من أرسلنا إليها.

٢٥ يونيو.

بالأمس فكَّرت في الآتي:

١ - تخيلت مجموعة من الناس؛ رجلًا وامرأة، زوجًا وزوجةً، أخًا وأختًا، أبًا وابنةً، أمًّا وابنًا، طبقة غنية أدرك أفرادها خطيئة حياة الترف والبطالة وسط الفقراء، وإجبارهم على العمل. غادروا المدينة، وبشكل أو آخر تخلصوا من فائض أموالهم، ولم يتركوا لأنفسهم سوى، ولنقل ١٥٠ روبلًا، لمدة عامين. لم يتركوا لأنفسهم شيئًا آخر، بل توجب عليهم أن يعملوا بأي مهنة من أجل الرزق. لنفترض مثلًا أنهم تعلموا الرسم على الخزف وترجمة الكتب الجيدة، وأنهم يعيشون في قرية من القرى الروسية، وقد استأجروا أو اشتروا لأنفسهم كوخًا ريفيًّا، وزرعوا بأنفسهم بستانًا لهم وحديقة. لنتخيل أيضًا أنهم يقومون بتربية النحل، وفي الآن ذاته يقدمون مساعدات طبية للفلاحين بقدر ما يعرفون، ويُعلِّمون أطفالهم، ويكتبون الخطابات والعرائض وما إلى ذلك. بدا لي أن هذه هي أفضل حياة ممكنة. لكن إن أصبح هؤلاء الناس كاذبين ومنافقين، ستتحول هذه الحياة إلى جحيم. فإن تنازل الناس عن هذه المنافع والمسرات، والحياة المبهرجة التي يوفرها المال والمدينة، لن يفعلوا ذلك إلا لإيمانهم بأخوة البشر جميعًا ومساواتهم أمام الله، حتى إن لم يكونوا متساوين في القدرة والمكانة، لكنهم متساوون في حقهم في الحياة، وكل ما يمكن للحياة أن تمنحهم إياه. إن راودنا الشك في مساواة الناس، عندما ننظر إليهم

بعد أن أصبحوا يافعين، ولكل منهم ماضيه الخاص به، لا يمكن أن يراودنا الشك عندما ننظر إلى الأطفال. لماذا ينال هذا الطفل كل العناية اللازمة لنموه الجسماني والعقلي، بينما يُصاب هذا الطفل الرائع، والذي ربما ينعم بمواهب أفضل من الأول، بالكساح وتتدهور صحته من قلة الحليب، ويصبح جاهلا همجيًّا مقيدًا بالخرافات البشرية، ولا يمكنه أن يعمل سوى أعمال بدنية خشنة؟ إن رحل هؤلاء الناس من المدينة، وعاشوا بهذه الطريقة التي يعيش بها الناس في القرية، فليس هذا لأنهم يؤمنون بأخوة البشر، لا على مستوى الكلام أو الفعل، ولا لأنهم يريدون تحقيق هذه الأخوة في حياتهم. إن كانوا مخلصين حقًّا لا بد أن تفضي بهم إلى هذه المحاولة إلى وضع مريع لا مهرب منه. بعد أن ينتقلوا إلى القرية، بكل ما لديهم من عادات اكتسبوها منذ الطفولة من نظام وراحة، ونظافة قبل كل شيء، سيشترون كوخًا ريفيًّا، ثم ينظفونه مما فيه من حشرات، وربما حتى يلصقون الورق على حوائطه، ويضعون بعض قطع الأثاث، ليست بالضرورة فاخرة، لكنها ضرورية، مثل فراش حديدي ودولاب ومكتب. هكذا سيعيشون. في البداية سيخجل القرويون منهم، وسيتوقعون أنهم سيستولون على ما لديهم، مثلما يفعل كافة الأغنياء، ولهذا لن يطلبوا منهم شيئًا. ولكن سيتضح تدريجيًّا طبع السكان الجدد، فهم سيعرضون خدماتهم مجانًا من تلقاء أنفسهم، وبالتالي سيدرك أكثر القرويين جرأةً وفضولًا بخبرتهم أن هؤلاء السكان الجدد لن يرفضوا شيئًا، وبالتالي يمكن الاستفادة منهم. حينها سيبدأون في التقدم بمختلف أنواع الطلبات، وستزيد متطلباتهم أكثر فأكثر. لن يقتصر الأمر حينها على

التسول، لكنهم سيطلبون حتى ما ليسوا في حاجة إليه فعلًا. في الآن ذاته لن يكون الأمر عبارة عن متطلبات فقط، ولكن السكان الجدد في القرية، حينما يتعاملون مع القرويين، سيشعرون من تلقاء أنفسهم بضرورة التخلي عن كل ما هو فائض لديهم، حتى لا يعود يتبقى لديهم شيء أكثر مما لدى بقية القرويين؛ أي يعيشون في مستوى متوسط. ولكن أحدًا غير قادر على تحديد القدر المناسب للحياة المتوسطة، ولا يمكن للأمر أن يتوقف، لأنهم سيجدون المعوزين من حولهم دائمًا، وسيشعرون أن لديهم فائضًا من الإمكانات بالنسبة لأولئك المعوزين. مثلًا قد يبدو لهم أن من الضروري للفرد أن يحتفظ بكوب لبن، لكن ماتريونا لديها طفلان، أحدهما رضيع، ولا يجد لبنًا في ثدي أمه، ويبدأ الطفل ذو العامين في الإصابة بالجفاف. يبدو لهم أنه يحق للمرء أن يحتفظ بوسادة وغطاء حتى يمكنه النوم بشكل طبيعي بعد يوم عمل مرهق، لكن ثمة مريض ينام ملتفًا بمعطفه المهترئ، يعاني من برد الليل، ولا يجد سوى قطعة من الخيش يغطي بها نفسه. قد يبدو لهم أنه يحق للفرد أن يحتفظ ببعض الشاي والطعام، لكنه سيضطر أن يعطيهما لعجوز شريد ضعيف. قد يبدو لهم أنه يحق للفرد أن يُبقي منزله نظيفًا، لكن سيأتيه صبية فقراء وسيبيتون في منزله، وينشرون القمل في المكان[٢٧٤].

من المستحيل أن نكتشف متى يمكننا التوقف. أولئك الذين لم يختبروا الشعور بأخوة البشر جميعًا؛ ذلك الشعور الذي أجبر أولئك

---

(٢٧٤) من المثير جدًّا تأمل تشابه الفكرة المطروحة مع حبكة رواية حياتي لأنطون تشيخوف. ترجمتها وصدرت عن آفاق للنشر.

الناس على الانتقال إلى الحياة في القرية، أو أولئك الذين اعتادوا الكذب قائلين أنهم لا يلاحظون الفارق بين الكذب والحقيقة، سيقولون إن ثمة حدودًا يمكننا أن نتوقف عندها، بل ويجب أن نتوقف عندها. في الحقيقة ليس ثمة حد فاصل يمكن التوقف عنده، فهذا ما يخبرنا به الشعور الذي يدفعنا إلى القيام بتلك الأفعال. إن كان ثمة حد فاصل، فهذا لا يعني إلا أن الشعور الذي دفع صاحبه إلى هذه الأفعال لم يكن شعورًا حقيقيًّا، بل محض رياء. أنا منهمك في تخيل هؤلاء الناس. إنهم يعملون طوال اليوم، ثم يعودون إلى منزلهم. ليس لديهم فراش، ولا وسادة. ينامون على القش بعد أن يتناولوا بعض الخبز. في الخريف، تسقط الأمطار مُحمَّلة بالثلوج. يطرق أحدهم باب المنزل، فهل بإمكانهم ألا يفتحوا له؟ يدخل إنسان مبللًا ومحمومًا. ما العمل؟ أيتركونه لينام على القش الجاف؟ ولكن ليس ثمة المزيد من القش الجاف. إما أن يطردوا هذا المريض إذَنْ ويتركونه لينام مبللًا على الأرض، وإمَّا أن يعطوه القش الجاف خاصتهم لأنه يجب أن ينام عليه في مكان ما، وينامون معه.

لكن كل هذا قليل. سيأتيك إنسان معروف بالسُّكْر والانحلال، سبق أن قدَّمت إليه المساعدة مرارًا وتكرارًا، والتهم كل ما قدمته له. سيأتي الآن بفكين مرتعشين ويطلب أن نعطيه ثلاثة روبلات، كان قد سرق مثلها وشرب بها، وإن لم يعيدها سيسجنونه. ستقول إن كل ما لديك هو أربعة روبلات، وإنك في حاجة إليهم غدًا لتسديد احتياجاتك. سيقول لك حينها: «هذا يعني إذَنْ أنك تكتفي بالأقوال فقط، لكن حينما يتطلب الأمر أفعالًا، فإنك لا تقوم بشيء، وتقول مثل الآخرين: فليهلك مَن

ندعوه أخينا، طالما نحن آمنون».

ماذا نفعل حينها؟ ما العمل؟ أنترك المحموم يستلقي على القش الرطب، بينما ننام نحن فوق القش الجاف ونقول إننا لا يمكننا فعل المزيد؟ أنتركه ينام على فراشنا وننام بجانبه، فنصاب بعدوى القمل والتيفود؟ أنعطي السائل الروبلات الثلاثة، ونبقى غدًا من دون خبز؟ أم لا نعطيه شيئًا، ونتخلى عن المبادئ التي ندَّعي أننا نعيش بها على حد قوله؟ إن كان بإمكاننا التوقف عند هذا الحد، فلماذا ليس بإمكاننا التوقف عند مرحلة تسبق ذلك بكثير؟ لماذا كنا نساعد الناس من الأساس؟ لماذا تخلينا عن ثروتنا وتركنا المدينة؟ أين الحد الفاصل؟ إن كان ثمة حد لما تفعله، لا معنى للعمل بأكمله إذَنْ، أو أنه لا يعني سوى رياء مفزع.

ما العمل إذَنْ؟ عدم التوقف يعني أن تُهلك حياتك تمامًا، يغطي القمل جسدك وتمرض وتموت دون فائدة. وإن توقفت، فهذا يعني أن تتخلى عن المبدأ الذي قمت باسمه بكل ما قمت به من أفعال خير. من المستحيل أن تتخلى عن ذلك. لست أنت أو المسيح مَن اخترع فكرة أن البشر إخوة، بل الأمر كذلك فعلًا. يستحيل انتزاع مثل هذا الوعي من قلب الإنسان بعد أن سكنه بالفعل. ما العمل إذَنْ؟ أليس ثمة مخرج؟ سأتخيل أن هؤلاء الناس بعد أن شعروا بالخوف من هذا الوضع الذي يتوجب عليهم فيه أن يُضحوا بأنفسهم، توصلوا إلى حتمية الموت، وتوصلوا إلى أن هذا الوضع ينبع في الأساس من حقيقة أن الوسائل التي حاولوا بها مساعدة الناس ضئيلة جدًا، وأنها ستكون ذات تأثير ضخم إن كان لديهم قدر كبير من المال.

سأتخيل أن هؤلاء الناس قد وجدوا بعض مصادر الدعم، وجمعوا كميات ضخمة من المال، وبدأوا في تقديم المساعدة. لم يمر أسبوع واحد حتى تكرر الأمر ذاته. بالرغم من ضخامة المال الذي جمعوه إلا أنه نفد سريعًا، وابتلعته هاوية الفقر، وبقى الوضع على ما هو عليه.

ألا يمكن أن يكون ثمة طريق ثالث؟ البعض يقولون أن ثمة طريق ثالث فعلًا، وأنه يتأسس على العمل على تنوير الناس، وبالتالي يزول هذا التفاوت من جذوره. لكن من الواضح تمامًا أن هذا الطريق هو محض رياء. من المستحيل أن نُنوِّر أناسًا يوشكون على الهلاك في كل لحظة من فرط الجوع. الأهم من ذلك، هو أنه من الواضح أن أولئك الكاذبين الذين يقترحون هذا الحل، يوضحون لنا أن من المستحيل لأحد يسعى إلى المساواة بين البشر، حتى وإن كان عن طريق العلم، أن يساند اللا مساواة طوال حياته. لكن ثمة حل رابع؛ ألا وهو تعزيز القضاء على تلك العوامل التي تخلق اللا مساواة، وتعزيز القضاء على العنف الذي ينتج عنها. بالطبع لا يمكن أن يراود هذا الحل عقول هؤلاء المخلصين! سيستمرون في محاولاتهم في توليد الوعي بأخوة البشر!

«إن لم يكن باستطاعتنا أن نعيش هنا، وسط أولئك الناس، في القرية، لا بد أن هؤلاء الناس الذين تخيلتهم سيقولون لأنفسهم، وهم في هذا الوضع المريع: إما أن نضعف ونمرض ونموت موتة بطيئة، وإما أن نتخلى عن الأساس الأخلاقي الوحيد لحياتنا، لكن هذا الوضع قد نشأ في الأساس من تراكم الأموال لدى مجموعة من الناس، بينما تعيش البقية في فقر مدقع. هذه المساواة فُرِضت بين الناس بالعنف، لذا لا بد وأن

نناضل ضد العنف لأنه هو أساس كل شيء». لا يمكن أن تكون خدمة الناس ممكنة إلا بالقضاء على هذا العنف، والعبودية التي تنجم عنه. لكن كيف يمكننا القضاء على هذا العنف؟ أين موضعه؟ إنه يتمثل في الجندي والشرطي والسجَّان الذي يغلق عليَّ الباب. كيف أناضل ضدهم؟ أين؟ ما الوسيلة؟ ثمة أناس يعيشون في كنف العنف، ويصارعونه بالعنف. هذا وضع غير ممكن لأي إنسان مخلص. النضال ضد العنف بالعنف يعني أن نؤسس لعنف جديد بدلًا من القديم. إن محاولة نشر التنوير استنادًا إلى العنف، تعني أننا نفعل الشيء ذاته. إن جمعت مالًا اكتسبته بالعنف واستخدمته في مساعدة أولئك الذين افتقروا بسبب العنف، فهذا يعني أنك تعالج الداء بالداء. حتى في هذه الحالة التي تصورتها: إن لم تسمحْ للمريض باستخدام فراشك، وإن لم تعطِ السكير الروبلات الثلاثة لأنك تستطيع الاحتفاظ بهما بالقوة، فأنت تستخدم نوعًا من العنف. لذا فإن مكافحة العنف في مجتمعنا لا تستبعد أن يقوم إنسان، يود أن يعيش حياة أخوية، بالتضحية بنفسه والموت، لكنه في الوقت ذاته يناضل ضد العنف بالتبشير باللا عنف، وفضحه، والأهم من ذلك بالنموذج العملي الذي يقدمه في حياته بنبذ العنف والتضحية.

بغض النظر عن مدى الصعوبة المريعة التي يواجهها إنسان يعيش حياة مسيحية وسط حياة مؤسسة على العنف، لكن ليس ثمة مخرج آخر سوى النضال والتضحية؛ التضحية حتى النهاية. علينا أن نبصر هذه الهاوية التي تفصل بين الملايين المتخمة بالطعام ورغد الثياب، وبقية الناس. حتى نردم تلك الهاوية، يجب أن نضحي، وألَّا نتحلى بالرياء

الذي نحاول أن نخفي به الآن عمق تلك الهاوية المريعة.

قد لا يجد الإنسان في نفسه القوى اللازمة للتقدم صوب هذه الهاوية، لكن الاقتراب منها مستحيل على أي شخص يسعى إلى الحياة. يمكنك ألا تمر بها، لكن عليك أن تعرف ذلك وتُقِر به، وألَّا تخدع نفسك وألَّا ترائي.

هذه الهاوية ليست مريعة تمامًا كما تبدو. وإن كانت مريعة، فالأكثر ترويعًا منها هي تلك المصائب التي تعترض طريق حياتنا الدنيوية.

منذ أيام وصلت بعض الأخبار، ولا أعرف ما إن كانت حقيقية أم لا، ففي مثل هذه الحالات يحب الناس التلفيق. أفادت الأخبار بأن الأدميرال تريون لم يهرب، كي يحافظ على شرفه وشرف الأسطول القائم على القتل، ومات مع مركبته كبطل، وإن بدا سريعًا كأحمق[٢٧٥]. في كل الأحوال يبدو أن الموت بسبب العدوى أو المرض أو الحاجة أو مساعدة الناس حتى النفس الأخير هو أقل احتمالا من الموت أثناء مناورات حربية.

قد يثير القمل والخبز الأسود والعوز الهلع في الإنسان، لكن رغم كل ذلك، قاع الحاجة ليس عميقًا. إننا نبدو كذلك الصبي الذي ظل عالقًا طوال الليل على جدار البئر، ممسكًا جداره بيديه خوفًا من السقوط والغرق في مياه البئر العميقة، بينما كانت البئر جافَّةً أسفل جسده.

---

(٢٧٥) جورج تريون (١٨٣١-١٨٩٣): أميرال إنجليزي، قائد سرب البحر المتوسط. في ٢٢ أكتوبر ١٨٩٣ اصطدمت البوارج الإنجليزية كامبردون وفيكتوريا أثناء المناورات، بسبب تخطيطه غير الصحيح، ونتيجة لذلك غرقت فيكتوريا. من بين ٧٦٨ شخصًا في الفريق، تم إنقاذ ٢٥٥ فقط، ورفض تريون، الذي كان في فيكتوريا، وهو الجاني، مغادرة السفينة ومات معها.

لكن ليس من الضروري أن نأمل ألا تكون المياه عميقة، بل علينا أن نعد أنفسنا للموت. الحب وحده هو ما يجعل التضحية بلا حدود، حتى الموت.

١٨ يوليو (بيجيتشيفكا).

لم أدوِّن يومياتي منذ فترة طويلة مريعة. في هذه الفترة كتبت مقالًا عن خطابيْ زولا ودوماس، لكني لم أرسله بعد. ذهبت إلى بيجيتشيفكا في يوم ١٠. قضينا الوقت هنا على نحو حسن. أُنهي العمل هنا أخيرًا (يقصد مساعدات الفلاحين). راودتني أفكار جيدة كثيرة ونسيتها. سأدوِّن بعضًا مما أتذكره منها:

١- عن العلم. فكرة أن العلم مفيد، وينقذ الإنسانية من الكوارث التي تحل بها، هو محض خداع للذات. إن المخلصين للعلم لا يعملون إلا بسبب فضولهم المتعلق بمعرفة جوانب معينة من ظواهر بعينها. هكذا هو الأمر أيضًا مع الفن. العلم إذَنْ مجرد معارف يتم تحصيلها عرضًا، غير ضرورية وغير واضحة، وغير مترابطة. مع ذلك الأمر ليس على هذه الصورة. سأفكر في ذلك وأحاول استجلاء الأمر.

٢- عاشت الإنسانية دومًا في مجتمعات يسيطر فيها الرجال على النساء[٢٧٦]. ثم يخبروننا فجأةً أن النساء لا يجب أن يقودهن أحد، بل عليهن أن يكن سادة أنفسهن!

٣- إن استولى اللصوص على السلطة والثروة، من الطبيعي أن أولئك الذين يسعون إلى السلطة والثروة سيتصرفون بدناءة وينغمسون

(٢٧٦) نعلم الآن أن هذه معلومات غير دقيقة، ففي حضارات قديمة كانت النساء هن المسيطرات.

في السرقة؛ أي يصبحون أسوأ الأوغاد. ولهذا السلطة في يد النساء.

٤- إن راودت الشكوك أحدهم حول اقتران الحكمة بالتضحية، فلينظر إلى الجانب الآخر، وسيجد دائمًا الحماقة والأنانية مقترنين.

٥- لن يستمر شكل الرواية إلى الأبد، وسينقضي في وقت ما. يشعر المرء بالخزي من كتابة أمور غير حقيقية، ويدَّعي حدوث شيء لم يحدث. إن أردت أن تقول شيئًا، قله بصراحة.

٦- ليس صحيحًا أن التسامح مؤسس على العدالة، بمعنى أني ما دمت أؤمن بديني، لديك أنت أيضًا الحق في الإيمان بدينك. هذا غير صحيح. كل مؤمن حقيقي سوف يتألم من عدم إيمان الآخر بما يراه حقيقيًّا، وسيحاول بكل ما لديه من وسائل أن يُحوِّله عن دينه. أما ما يسمونه بالتسامح المسيحي فهم يقصدون به ما يحدث عندما يتوجه المُسلَّم إليهم بسيفه، فلا يعود أمامهم سوى التظاهر بالقناعة والحب.

لم أنتهِ من الفكرة.

١٩ يوليو.

أواصل ما بدأته:

٧- ثمة ابتسامتان: واحدة تشي بالسرور، وهي حسنة. الأخرى تشي بالسخرية، سواء من الآخرين أو من النفس، وكلاهما فعل سيئ.

٨- يبدو أن ثمة أربع رؤى للعالم:

أ- يأتي الإنسان إلى العالم، كإنسان وصل إلى مصنع ليعمل فيه، ولم يوجه أدنى انتباه لما يجري في المصنع، ويتوقف ويفسد ويكسر كل

ما في المصنع بينما هو منهمك في إعداد حياة ممتعة له بالمصنع. هذا ما يفعله دائمًا كافة الأطفال والسُّذَّج والأنانيين. لدينا الكثير من هؤلاء الناس. يبحثون عن سعادتهم بخراب المصنع، ويكسرون ويفسدون الكثير، وسريعًا ما يدركون أن ليس ثمة سعادة. هذه هي أكثر النوعيات التي نلتقيها وسط الناس. لهذا فأغلب الناس ينتمون إلى هذه الرؤية للعالم.

ب- يدرك الإنسان أن المصنع هو مكان يتم تنفيذ شيء محدد فيه، وأن كل شيء داخل المصنع مرتب على نحو حسن، لكن ما من مكان له في هذا المصنع. تدور العجلات اللامعة، وتتحرك السيور، وشيء ما يندفع ليربط بينهما. لكن كل ذلك يعوقه، فيقول الإنسان لنفسه: إنه إن كان السيد الذي أرسله إلى هنا قد نظَّم كل شيء على هذا النحو الرائع، ولم يترك له مكانًا هنا -كما يتراءى له- فربما هذا بسبب أن إرساليته يجب أن تكون في مكان آخر؛ في مؤسسة أخرى. أولئك هم الذين يعتبرون الحياة الآنية بمثابة إعداد أو اختبار لحياة أخرى، أو يرونها حياة ساقطة في وحل الخطيئة، كما تعظ الكنيسة الناس.

ج- يرى أصحاب الرؤية الثالثة أن هذا العمل الذي لا ينتهي أبدًا غير ضروري لهم، ولا يمنحهم السعادة، ويقرون بأن الحياة الآنية هي شر محض، ويعتقدون أن أكثر الأفعال منطقية هو تحرير أنفسهم منها، وتدمير حياتهم هم شخصيًّا (التشاؤم - البوذية).

د- إنها الرؤية التي بعد أن يرى الإنسان فيها ذاته محاطًا بالعمل من كل ناحية، يدرك أنه ما دام كل شيء يعمل، لا بد وأن يشارك في

هذا العمل ويجد مكانًا لنفسه فيه. ما إن يدرك الإنسان ذلك حتى يتضح له فورًا ماذا عليه أن يفعل. ما إن يعمل حتى ينال ما كان يبحث عنه في البداية؛ أي أكبر قدر من السعادة الشخصية، ويدرك أن السعادة ليست بعيدة، بل هي في متناول اليد، وأنها تتلخص في تنفيذ الأعمال المعدة له. إنه يرى أن الحياة ليست شرًّا، كما يعتقد الفريق الثالث، وأن الخير ليس شخصيًّا فقط؛ أي محدودًا بحدود الزمان والمكان، كما يعتقد الناس، لكنه أبدي ولا نهائي. سوف يشعر بهذا الخير بدرجة أو بأخرى، تعتمد على ما إن كان يقوم بأفعاله من دون رغبة كما العبد، أم برغبة شخصية كمن يشارك السيد أعماله.

٩- لآلاف الأعوام امتلأت الأرض بملايين البشر، ولم يتناولوا اللحم، وكانوا يستريحون في اليوم السابع من الأسبوع. والآن يدَّعي العلم أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش دون لحم. بالإضافة إلى ذلك توصل إلى استنتاج بعد مجموعة من التجارب، مثل أن يضع إنسانًا في قفص ويجعله يدحرج حجرًا، ومفاده أن الراحة في اليوم السابع أمر ضروري. إن لم يكونوا قد كوموا المال بالسرقة؛ ذلك المال الذي يمكنهم به أن يشتروا اللحم، وإن كان عليهم أن يعملوا بأنفسهم، لتوصَّلوا منذ فترة طويلة إلى الحل الصحيح للمشكلة الأولى، ولأدركوا أهمية الراحة في اليوم السابع دون الحاجة إلى تجارب ولا أقفاص.

إنها طريقة حقيقية، لا يرقى إليها الشك، يجب أن تحل محل تلك الطريقة التي ندعوها: «العلم».

١٠- النساء يشبهن اليهود، فهنَّ يعوضن العبودية التي رزحن

تحت أثقالها، باستعباد الرجال. لا تستسلم. من الضروري أن نزيل ذلك الضعف من أنفسنا، الذي يجعلهن يحكمن السيطرة علينا.

١١ - يقولون إن الفن لا يمكنه التسامح مع الرداءة، لكنه لا يتحمل الوعي أيضًا. أنا مُغَنٍّ. دهنت شعري بالزيت، وارتديت معطف السهرة وربطة عنق، وسأصعد على خشبة المسرح لأغني لك. أشعر بالبرد قليلًا والنفور، ولكن ثمة مربية ومرضعة تسيران في الحديقة، إحداهما تغني بصوت هادئ، والأخرى تردد أغنية شعبية. بالإضافة إلى ذلك، الغناء بصوت مرتفع وجيد في الآن ذاته أمر شديد الصعوبة.

١٦ أغسطس.

مر شهر تقريبًا، وقد مررت فيه بالكثير. أولًا: أنهيت عملي الخاص بضحايا المجاعات. ثانيًا: جاء تشيرتكوف وبوشا. كذلك أنهيت مقالتي «فلسفة اللا فعل» وأرسلتها للنشر، بالروسية والفرنسية على السواء. ثالثًا، وهو الأمر الأهم، نُشِر مقتطف من كتابي بخصوص ما حدث في أورلوفسكي، وأثار ضجيجًا وضيقًا شديدين، وردود أفعال وسوء فهم وملاحظات مليئة بالافتراء[٢٧٧]. بالأمس قرأتْ صوفيا وكذلك آل كوزمينسكي هذا المقطع، وأشاروا إلى بعض المواضع غير الدقيقة:

١ - كانوا دائمًا يشنقون الفلاحين في القرى.

---

(٢٧٧) الحديث عن الفصل الثاني عشر من (ملكوت الله بداخلكم)، والذي يتعرض بالحديث إلى الحملة التأديبية التي قام بها النظام الحاكم لقمع انتفاضة الفلاحين في عام ١٨٩٢.

٢- كانوا يضربون الفلاحين.

٣- أهانوا زينوفيف[٢٧٨]. وقد قرأ زينوفيف ذلك في ستوكهولم واستاء وغضب جدًّا.

اليوم أُرسِلت برقيات تطالب المترجمين جميعًا بوقف النشر[٢٧٩]. أعتقد أن الوقت قد تأخر على ذلك. استيقظت مساء الأمس، تعذبني أفكار مؤلمة، وما زالت الأفكار ذاتها تعذبني مساء اليوم. الأمر يزداد سوءًا. كنت على حافة الإصابة بانهيار عصبي. صليت طوال الوقت، خاصة من أجل أن أعي اتكالي على الله وحده، بعيدًا عن الناس جميعًا. لتكن لا إرادتي، بل إرادتك. إني لا أخفي خطاياي، وأعترف بها. لتكن إرادتك. لتتم الأمور كما تريد وبالطريقة التي تريدها. هدأت بشكل عجيب إثر هذا الوعي، لذا تحسنتْ حالتي في الليلة الماضية والآن بينما أكتب ذلك. إني أتوق لهذه المصاعب، فهي ضرورية لي كي توجِّهني إلى مَن أرسلني، وتبعث فيَّ الوعي بوحدتي به، واعتمادي الكامل عليه، وتحطيم كافة مظاهر الاعتماد الأخرى. لم يكن من الممكن حتى للاضطهاد والتعذيب أن يفعلا هذا بي، فإن لحقا بي كنت سأزداد كبرياءً. أما ذلك فيُحط من قدري، ويكشف لي عن خطئي وزيفي. هذا تحديدًا ما أنا في حاجة إليه. ثمة شيء آخر يعزيني ويُهدئ من حالي؛ ألا وهي الصلاة. ليتقدس اسمك. «الله مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ

---

(٢٧٨) قائد الحملة العسكرية على الفلاحين.

(٢٧٩) أصرت صوفيا على إرسال برقيات للمترجمين في باريس وبرلين وبوسطن بوقف النشر، تتبعها خطابات تحوي بعض التعديلات على النص الأصلي.

وَاللهُ فِيهِ» (يوحنا الأولى ٤: ١٦). «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا (وأضيف كذلك: من نظر أخاه في تجربة)[٢٨٠]، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟» (يوحنا الأولى ٣: ١٧). علينا ألا نترك إخوتنا في عوز. لا بد وأن نكشف ما يفعله الظالمون. علينا ألا نترك إخوتنا أسرى للضلال. يجب أن نكشف عن هذه الضلالات. لكن فلنحذر من كسر رابطة الحب. فلنكشف إذَنْ بمحبة. لكني لا أستطيع إلا أن أزمجر بِغِل كحيوان. ساعدني يا سيدي. لا تتوقف عن استعلان إرادتك بداخلي.

أهم ما حدث في تلك الفترة هي العلاقة التي بدأت بين ماشا وزاندير[٢٨١]. كانت ماشا في حالة بائسة للغاية، لكنها تعافت. يبدو أنها قد رفضته، لكن الضيق وشبكة الأكاذيب المتعلقة بالأمر لم تنفض تمامًا بعد. لتكن إرادتك لا إرادتي. ثمة ملاحظة أخرى صغيرة جديرة بالذكر، وهي علاقتي الطيبة مع كوزمينسكي الآن.

أصلي لله طوال الوقت كي يُحررني من أسر الشهوات. إني أعاني منها. ثمة ملاحظة جيدة عن الصلاة في كتاب فريدريك إيفانز[٢٨٢]. يقول: «كما أن الإنسان لا يحيا بالله، إلا عندما يعيه في داخله ويعيش به، هكذا أيضًا الصلاة مثل زهرة عباد الشمس، تتوجه دائمًا صوب الشمس،

---

(٢٨٠) الإضافة بين القوسين من قِبل تولستوي.

(٢٨١) وقعت ماشا (ابنة تولستوي) في حب زاندير، وهو طبيب شاب عمل مؤقتًا كمعلم لأبناء تولستوي الصغار، ولكن تولستوي وصوفيا عارضا تلك العلاقة، وترك زاندير ياسنايا بوليانا في نهاية يوليو.

(٢٨٢) كتاب (القانون الإلهي للشفاء).

حتى تمتص أشعتها جميعًا».

في تلك الفترة فكَّرت في الآتي:

١- يحدث أحيانًا أن نجد إنسانًا يدافع بغضب عن رأي نراه غير مهم. نعتقد أنه رأي تافه، ولن يكلفه التراجع عنه شيئًا. لكن هذا الرأي بالنسبة له هو حجر أساس حياته بأكملها.

٢- أحيانًا قد يبدو لك ولبعض الناس أنك إن سلمت بإرادة من أرسلك وحققتها، فأنت تقوم بمأثرة عظيمة. لكن ليست هناك أي مأثرة في ذلك على الإطلاق، بل إنك تكافئ نفسك عندما تفعل ذلك، بإمكانية أن تنعم بالوعي بإرادته في داخلك.

٣- واحد من العوائق التي تحول دون تقدم البشرية صوب تحقيق ملكوت الله، هم هؤلاء الأطفال والشباب والنساء والمحرومين من الحس الديني. لكن القوة التي تمنع كل هؤلاء من التقدم للأمام، هي ذاتها التي تعزز هذه الحركة، إن بدأتْ فعلًا، وتزيد من اتساعها.

٤- الجنون لا يقتصر على الأنانية والرضى عن الذات وتمجيد النفس وجنون العظمة حتى الحد الأخير، لكنه كذلك إضعاف القوة الروحية، الذي يعبر عن نفسه في صورة الأنانية والرضى عن الذات وتبجيلها، والاهتمام الاستثنائي بالنفس.

٥- في حديث مع بعض الاشتراكيين الديموقراطيين، كانوا من الشباب بنوعيهما، قالوا: سيسقط النظام الرأسمالي في يد العمال، وحينها لن يكون ثمة قمع للعمال، وسيزول الظلم في توزيع الأجور».

سألتهم: «ولكن مَن سوف يتولى إدارة العمل؟». أجابوني: «ستُدار الأمور من تلقاء نفسها. سيدير العمال العمل بأنفسهم». قلت: «ولكن من المؤكد أن النظام الرأسمالي لم يتأسس إلا بسبب أن الأعمال تطلبت وجود مديرين على رأس السلطة. ما دامت الوظائف، سيكون القادة، بالتالي سيظهر مديرون على رأس السلطة. ما دامت السلطة، سوف يُساء استخدامها، وهو الأمر الذي تقاومونه الآن».

٦- الأمر لا يقتصر على أنه من المستحيل تمامًا أن نقول ما إن كانت حياة أحدهم مفيدة أم لا، ولكن كذلك ما إن كانت سعيدة أم لا. إننا لا نعرف ذلك إلا عندما نرى عواقبها في وحدة مترابطة. الأمر ذاته مع العمل. اسأل فلاحًا بينما يعمل، ما إن كانت حياته سعيدة أم لا. إنه لا يعرف، بل وربما يعتقد أن الحياة الفارغة البطَّالة التي يحياها الغَنِي تبعث على الفرح. ولكن اسأله عندما يشيخ ويكون بإمكانه استدعاء ذكرياته.

١١ أغسطس، صباحًا.

ضباب أزرق. تناثرت قطرات الندى على العشب الأخضر والأجمات والأشجار على ارتفاع ساجن (مقياس روسي قديم للطول). مالت أشجار التفاح تحت ثقل ثمارها. تفوح من الكوخ رائحة الدخان الناجم عن الأجمات. كان الندى قد بدأ يجف بالفعل في الحقل الأصفر المشرق، فوق جذامات[٢٨٣] الشوفان. بدأ العمل. ها هم يوثقون الحزم ويحملونها ويواصلون الحصاد بالمناجل، ويحرثون الحقل البنفسجي اللون. في كل مكان، على الطرقات وغصون الأشجار، يمكن رؤية بقايا

(٢٨٣) الجذامة هي ما يبقى من الزرع بعد الحصاد.

سنابل القمح المكسورة متناثرة هنا وهناك. أنشدت الفتيات بهدوء في حديقة الزهور الندية، وارتدين ثيابًا مبرقشة، وهرع الخدم من حولهم بمآزرهم. ها هو كلب صغير يستدفئ بأشعة الشمس. لم ينهض السادة من نومهم بعد.

ليت المرء يتذكر دائمًا قيمته كمبعوث من قِبل الله للقيام بعمل معين! كم كان المرء ليعتني بنفسه إن كان مبعوثًا للقيصر في تركيا! أما عندما يكون مبعوثًا لله في العالم، لا يشعر بشيء على الإطلاق! ربما يمكن للمرء أن يخفي شيئًا ما عن القيصر، لكن من المستحيل أن يخفي شيئًا عن الله! غباء!

٢٣ أغسطس.

فوَّتُّ خمسة أيام. جاء ستراخوف وسالومون[٢٨٤]. زال شعوري بالاضطراب، لكني لا أزال لا أفعل شيئًا. أحاول أن أكتب عن الدين[٢٨٥]، لكن بلا جدوى. اليوم أرسل لي كودرياتسيف من أجل المقالة. كتبت له خطابًا. كتبت كذلك لدونايف وتشيرتكوف وليوفينفيلد. دار حوار سيئ بيني وبين ستراخوف. يقول إنه لا يرى أي ارتباط حتمي بين ثروة الأغنياء وفقر الفقراء. أمر مدهش حقًّا! ذهبت اليوم إلى أوفسيانينكوفو. ليست لديَّ رغبة في الكتابة. لست متوترًا. بدا لي أن لديَّ مادة كثيرة جاهزة

---

(٢٨٤) تشارلز سالومون: رجل صناعة فرنسي، وترجم عدة أعمال لتولستوي إلى الفرنسية، وزار ياسنايا عدة مرات.

(٢٨٥) أنتجت هذه المحاولات مقالته (الدين والأخلاق)، وقد ترجمتها ونُشرت في كتاب (في الدين والعقل والفلسفة)، الصادر عن آفاق للنشر.

للكتابة. دار حوار سيئ بيني وبين ميتيا أولسوفيف. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- تحدثت مع ميتيا أولسوفيف عن أن الدين هو بمثابة تأسيس لعلاقة بين الإنسان واللا نهائي. هذه العلاقة هي ما تحدد تصرفات الإنسان. يقول لي إن هذا أمر غير واضح. الأمر غير واضح فعلًا بالنسبة له؛ لأنه كان يأمل أن أقول له تعريفًا للدين يتوافق مع فكرته الغامضة عما يجب أن يكون عليه الدين. يبدو الأمر كما لو أن الإنسان الذي تصور أن الحرث هو ركوب الخيل، يجد أن تعريف الحرث بتقليب التربة أمر غير واضح.

٢- للمرة الأولى في تلك الفترة أُصلِّي قائلًا: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا ٩: ٦٢). لقد فهمت ماذا تعني هذه الكلمات. افعل ما يلزم من أجل أن تحقق ملكوت الله. إني أقوم بهذا على نحو عفوي فيما يتعلق بطباعة كتابي، ولا أهتم بما سينتج عن ذلك. لا يمكن أن يصيب ذلك أحدًا بشيء سوى الخير.

٣- تخيلت مدعيًا عامًّا أو شرطيًّا يطالبني بتعهد موقع بألا أكتب ثانية، ويقول إنَّ هذه أوامر عُليا. أجيبه: «ليس من الممكن أن تكون ثمة أوامر أعلى من تلك التي أسلك وفقًا لها، بالدفاع عن إخوتي وفضح مضطهديهم. ثمة طريقتان فقط لإسكاتي: الأولى أن أكف من تلقاء نفسي عن القيام بذلك، أو أن تقتلوني أو تسجنوني طوال الحياة. في الحقيقة الطريقة الأولى وحدها هي الممكنة. لذا أخبر مَن أرسلوك لي أن يكفوا عن فعل ما يقومون به».

٤- يقول المناهضون للمسيحية: «تريد أن تدمر كل شيء. انظر كيف تسير حياتنا على نحو رائع وسليم! إن استمعنا لما تقوله ستحدث هزة عنيفة». هذا يماثل أن يقول أولئك الذين يلصقون ورق الحائط أو يطلون حوائط المنزل، وهم يشيرون إلى الثقوب التي يحدثونها من أجل ورق الحائط والطلاء: «أهذا ما تريد؟».

٥- حوار مع ستراخوف: يريد أن يجد الخير في كل شيء، أو على الأقل، لا يتركه يفلت منه. ولكن الأمر هو أنه مهما كانت خطورة تفويت ما هو جيد وعدم تقديره، الأخطر من ذلك هو أن نعترف بالخير ، وفي الآن ذاته نتمسك بما من شأنه أن يدمر حياتنا تمامًا.

٦- دار حوار آخر مع ستراخوف عن الآتي: بما إن الناس قد وصلوا الآن إلى توفير الحماية للجميع من العنف والسرقة والقتل والحيوانات المتوحشة، حان الوقت إذَنْ لحماية الناس من الموت جوعًا. الأمر الآن مجرد افتراض، لكنه لم يتحقق.

الساعة الآن التاسعة. أُنهكت بشدة، ونمت نومًا سيئًا. لست بخير.

٤ سبتمبر.

في تلك الفترة ظللت مريضًا ليومين. لا أكتب شيئًا. أمر بفترة خمول فكري، لكني على ما يرام روحيًا. ثمة ما أود أن أُدوِّنه، لكني لن أقوم بذلك اليوم. كتبت لمتيروفانوف وتشيرتكوف.

٥ أكتوبر.

من المرعب أن أنظر إلى تاريخ آخر ما دوَّنته. لقد مرَّ وقت طويل؛

شهر تحديدًا. ماذا حدث خلال تلك المدة؟ ليوفا لم يتحسن بعد. وثمة صراع مع ماشا. كتبتُ إلى زاندير، وكتب إليَّ. كتبت ماشا له خطابًا سيئًا، وقد أحزنني ذلك بشدة. على المرء ألا يمنعهما عن الحياة وارتكاب الأخطاء والمعاناة، فبهذه الطريقة سيحول بينهما وبين التقدم. سافرت تانيا إلى موسكو لتحل محل صوفيا. صوفيا الآن في طريقها إلى هنا. بوبوف هنا. انهمك كلانا في ترجمة كتاب لاو تسو عن الترجمة الألمانية التي قام بها شتراوس. يا لجمال كتابته! يجب أن أكتب كتابًا مستوحى من كتاباته. انهمكت طوال الوقت في الكتابة في مقالتي عن الدين. أعتقد أني انتهيت منها. كتبت أيضًا مسودة لمقالة عن موباسان[٢٨٦]. هذا كل شيء. راودتني بعض الأفكار ودوَّنت بعض الملاحظات.

١ - ثمة نوعان من العقل: عقل منطقي، أناني، ضيق الأفق. والآخر: دقيق، حساس، واسع الأفق.

٢- ثمة طريقتان لاكتشاف العالم الخارجي: الأولى طريقة خام تمامًا، لا مفر منها، وهي المعرفة عبر الحواس الخمس. لن يكون بإمكاننا تشكيل وعينا بالعالم الذي نعرفه، بل سنجد أمامنا فوضى تبعث فينا مجموعة مختلفة من الأحاسيس. الطريقة الثانية هي أن تعرف نفسك بالحب، ثم تعرف المخلوقات الأخرى بالحب، وأن تتماهى بالفكر مع إنسان آخر أو حيوان أو نبات، أو حتى صخرة. بهذه الطريقة ستعرف معرفة داخلية، وسيمكنك أن تشكل صورة عن العالم كله؛ العالم الذي نعرفه حقًّا. هذه الطريقة هي ما يُطلق عليها: الموهبة الشِّعرية، وهي الحب

(٢٨٦) مقدمة لأعمال موباسان، وقد ترجمها الأستاذ: جودت هوشيار.

أيضًا. إنها بمثابة استعادة لروابط الوحدة الممزقة بين المخلوقات؛ أن تخرج عن إطار ذاتك، وتدلف إلى أعماق كيان آخر. بإمكانك حينها أن تدلف إلى أعماق كل شيء، و ينصهر كل شيء في الله.

٤- الأطفال في حالة جيدة؛ لأنهم غير مشغولين بشيء سوى معرفة كيف يقضون يومهم على نحو رائع. هكذا يجب أن نربيهم، لكننا نُسرع بتدريبهم على القيام بالأعمال. بدلًا من أن نُعوِّدهم على القيام بعمل أبدي أمام وجه الله وضمائرهم، نُعوِّدهم على القيام بعمل أنشأه بعض الناس اتفاقًا، تمامًا كاللعبة.

٥- كي نعرف ما إن كنا نثق في الصلاة أم لا، جرِّب أن تصلي من أجل ما لا تريده أو ما تخشاه.

٦- عندما نطعن كتلة صلبة، ونقوم بالضربة الأولى، يبدو لنا كأننا لم نفعل شيئًا، وأننا ضربناها عبثًا. المشكلة أن نشعر حينها بالفشل. ولكن جرب أن تعاود الضرب، وسريعًا ما ستسمع صوت ضربات مكتومة. هذا يعني أنها قد بدأت تُحدث تأثيرًا. بضعة ضربات أخرى وستجد الصوت بدأ يرن بقوة. هكذا هي علاقة العالم بالحقيقة المسيحية. هكذا كنت أعتقد حينما بدت ضرباتي الأولى بلا فائدة. هكذا كان أمري مع الناس أيضًا. يجب أن نكون مثل ذلك الإنسان الذي يغترف من البحر. إن كرَّس حياته لعمل ما -أيًّا كان العمل- فإنه يقوم به. والأمر يفوق ذلك مع عمل الله.

٧- كل فعل يقوم به إنسان صغير ضئيل يُحدث أثرًا صغيرًا لا متناهيًا إن نظرنا له من منظور القوى الفاعلة اللا نهائية في الزمان والمكان. إنه

ينتج تأثيرًا لا نهائيًّا في المكان والزمان.

٨- يقولون: عصفور واحد لا يصنع ربيعًا. لكن هل يمكن لذلك أن يحمل هذا العصفور الذي يشعر بالربيع على الانتظار؟ إن انتظر كل برعم وعشب بهذه الصورة لن يأتي الربيع أبدًا.

٩- نعم، الخير يتحقق عندما لا تدرك أنك تقوم به. كما تخبرنا الحكاية الرمزية، ما إن تتراجع عن طلب المياه الحية والشجرة الصادحة بالغناء، حتى تفقد ما كنت تسعى إليه. إن آية «فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ(٢٨٧)» ليست وصية، إنما هي بمثابة تأكيد على الآتي: إن عرَّفت شمالك ما تفعله يمينك، فلن يكون صنيعك خيرًا.

١٠- يبدو استرجاع أفراح الحياة الماضية كإحساس شِعري. الإحساس الشِّعري هو بمثابة ذكرى قوية وخبرات عديدة مررنا بها في حياتنا السالفة. ربما كنت مجرد ذرة في الحياة السالفة، استقرتْ في جسد، ساعية إلى الاندماج. يمثل هذا المسعى الحياة بأكملها. ستبدو حياتنا الحالية، بكل ما فيها من حب للناس، في نظر المستقبل، بمثابة قانون جاذبية يعمل ببساطة ودون تعقيد.

١١- الموضوع واحد مهما تعددت جوانبه، ومهما كانت أطوال نصف أقطار الكرة، فهي بلا نهاية، ومهما كانت الحيوات التي مررنا بها، لا تزال أمامنا حيوات أخرى. عبر مرورنا من حياة لأخرى نزداد اكتمالًا. لم أُعبِّر عن الفكرة بوضوح. رأسي يُؤلمني.

---

(٢٨٧) «وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ». متى ٦: ٣.

١٢- إن البلية الكبرى في مثقفين كبار مثل أميل (ناقد وفيلسوف سويسري) هى كثرة الحصاوي التي تشوب ما نالوه من تعليم، خاصة الجمالي منه. هذا أكثر ما يعوقهم عن إدراك ما يعرفونه فعلًا، إنه مرض، على حد تعبير لاو تسو. يشعرون بالأسف لإخراج هذه الحصاوي التي تشوب تعليمهم، ولكن للأسف، لا يمكنهم أن يدخلوا إلى قارب الوعي المسيحي وهم محملون بها. لا يصدقون أن بإمكان المرء أن يضحي بكل ما هو معقد ومصقول من أجل فعل بسيط، كالخلاص المسيحي.

١٣- يقول جون ستيوارت مِل: «ستنال الإنسانية حصتها الكبرى من السعادة، عندما يسعى كل فرد منها إلى تحقيق سعادته الشخصية، مع خضوعه ومراعاته للقواعد المتعلقة بمنفعة الآخرين، أكثر مما تنال إن اعتبر كل فرد منفعته الخاصة أهم من منفعة الآخرين». هذا صحيح، ولكن إن فهمنا فقط أن خير المرء هو خيره الروحي؛ أي في اتساقه مع إرادة الله، أو بصورة أبسط، في إرضاء متطلبات ضميره؛ أي عقله وحبه. إن بحث كل إنسان عن ملكوت الله، ووضع ذلك هدفًا له، سيحقق أكبر قدر من السعادة للجميع. ولكن سيتضح بعد ذلك أن سعادة الإنسان في الحقيقة تتألف من مراعاة القواعد والظروف التي يمكن فيها أن يتحقق الخير للجميع. أي أنه سيتحقق ما ينكره مِل تحديدًا.

١٤- يقول لاو تسو: إن الفراغ هو أسمى ما في العالم، كفراغ الإناء وكير الحداد[٢٨٨]، فالوسيلة المثلى للانتفاع تتلخص في الفراغ.

ليس ذلك سوى الحرية. لا أقصد الحرية بمعناها السياسي، فهي

(٢٨٨) جهاز من جلد أو نحوه، يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في الجمر أو النار لإشعالها.

ليست الحرية الحقيقية أبدًا، لكني أقصد الحرية الداخلية؛ الحرية من الشهوات؛ تلك الحرية التي لا يمكن أن يتحقق أي شيء عظيم في غيابها؛ إنها تلك الحرية التي إن توفرت في إنسان، جعلته قادرًا على كل شيء.

١٥- الرجال يكرهون زوجاتهم تحديدًا. يقول ليسينج (فيلسوف ألماني): «ثمة امرأة واحدة سيئة؛ إنها زوجتي». والزوجات هن من يتحملن ذنب ذلك بسبب خداعهن وتمثيلهن. إنهن جميعًا يؤدين مسرحية كوميدية في حضور الآخرين، لكنهن لا يستطيعن الاستمرار فيها خلف الكواليس؛ أي أمام أزواجهن. بالتالي يعتقد الزوج أن النساء جميعهن عاقلات وصالحات سوى زوجته.

هذا كل ما في الأمر. حدث أيضًا في تلك الفترة أن نشرت جريدة *Revue des Revues* ترجمة فرنسية حمقاء لمقالتي (فلسفة اللا فعل)؛ الأمر الذي أغضبني بشدة. توقفت أيضًا منذ ثلاثة أسابيع عن شرب الشاي والقهوة وتناول السكر، والأهم من كل ذلك: اللبن. أشعر أني أفضل حالًا بعدما فعلت ذلك. الساعة الآن العاشرة مساءً.

٣ نوفمبر.

لم أدوِّن يومياتي منذ شهر تقريبًا. أعيش أنا وماشا بمفردنا منذ حوالي أسبوعين أو ثلاثة. الأمور بخير. لقد هدأتْ تمامًا. سيغادر ليوفا البلاد. لم يتحسن حاله. صدرت الترجمة الفرنسية لـ(ملكوت الله بداخلكم). أنهيت مقالتي عن الدين، وكذلك أنهيت مقالة (تريون)[٢٨٩]، لكني لم

(٢٨٩) الاسم الأول لمقالة تولستوي (المسيحية والوطنية)، إشارة لحادث غرق الأسطول وقائده تريون الذي ذكرناه سابقًا.

أرسلها للنشر. فكرت قليلًا في هذه الفترة، ولم أدوِّن شيئًا من أفكاري سوى الآتي:

١- لا شيء يمكنه أن يحول بين الناس وفهم الحياة على نحو سليم أكثر من أن يلفقوا لأنفسهم منظورًا خاصًا بهم. فلنفترض مثلًا أنهم يقتلون رجلًا أمام عينيك. إن لم يكن لديك منظور خاص بك، ستندفع على الفور لتخلصه من بين أيديهم، أو على الأقل سوف تستاء بشدة وتحاول إثناءهم عن فعل ذلك. لكن إن كان لديك منظور جمالي خاص، سوف تولي انتباهك للتعبير عن المشاعر والمواقف... إلخ. إن كان لديك منظور رسمي للأمور، ستوافق على ذلك الفعل أو تندد به وفقًا لمنظورك الرسمي، وإن كان لديك منظور ديني، ستتحدث عن الخطيئة وما إلى ذلك.

٢- يمر أولئك الذين ينتقلون من إطار الحياة الدنيوية إلى المسيحية بمرحلة انتقالية صعبة حينما يفقد كل نشاط دنيوي معناه، ولا يعود يؤثر عليهم، في الوقت الذي لم يتوصلوا فيه بعد إلى النشاط المسيحي، وكيفية خدمة الله. عندما تجد نفسك في هذا الموقف، لا تظن أن بمقدورك أن تعود إلى الوضع القديم، أو أن تظل خامدًا لا تفعل شيئًا، ولكن اعلم أن ما من خلاص لك إلا في نشاط مسيحي جديد ومختلف تمامًا؛ إنه المعاونة في تحقيق ملكوت الله.

٣- لماذا يحاول الناس قراءة طالعهم بالطيور وقلوب الثمار وورق اللعب؟ قراءة الطالع والتكهن بالنجاح يزيد الطاقة والأمل في النجاح. لذا إن أردت أن تقرأ طالعك، اعلم أنك في حاجة إلى ما من شأنه أن يزيد طاقتك.

٤- عِش كما لو كنت ستموت غدًا، واعمل كما لو كنت ستعيش للأبد. تعلَّم أن تعيش كما لو كانت اللحظة الآنية هي الأخيرة، ولا يسعك حينها إلا أن تقوم بالأهم. في الآن ذاته قم بعملك كما لو أنه سيستمر إلى الأبد.

٥- لا تفكر أبدًا في أنك لا تحب، أو أنك غير محبوب. كل ما في الأمر هو وجود شيء يحول دائمًا دون تبادل الحب بينك وبين الآخرين، وكل ما عليك فعله هو أن تحاول إزالة ما يعوق عمل هذه الرابطة الأبدية - التي هي الحب - بينك وبين الآخرين.

٢٢ ديسمبر.

أنا في موسكو منذ أكثر من شهر. ولم أُدوِّن يومياتي طوال هذه المدة. أشعر بالكآبة والدناءة. لا يمكنني هزيمة نفسي. أريد أن أقوم بفعل بطولي. أريد أن أكرس بقية حياتي لخدمة الله، لكنه لا يريدني. أو ربما لا يريدني أن أسلك هذا الطريق الذي أسلكه الآن، بينما أزمجر ممتعضًا. إن بيع الكتب هو ترف شديد[٢٩٠]. إنها دناءة أخلاقية وجلبة مزعجة. لا يمكنني التغلب على كآبتي. بيت القصيد هو أني أريد أن أعاني، وأصرخ بالحقيقة المستعرة بداخلي.

حدث الكثير أثناء هذه الفترة. أولًا: حقيقة أني دُفِعت إلى المجيء إلى هنا. عانت صوفيا وتعذبت بشدة، وكان الأمر واضحًا في خطاباتها؛ الأمر الذي دفعني إلى المجيء إلى هنا. ثانيًا: حقيقة أني كتبت مقدمة

(٢٩٠) يشير إلى قيام زوجته ببيع أعماله، بالرغم من الخطاب الذي أعلن فيه تنازله عن حقوقه الفكرية.

لأميل. ثالثًا: العمل الشاق الذي لا ينتهي على مقالة تريون، ولا يمكنني التوقف عنه. كتبت أيضًا بعض القصص الخرافية، لكني لم أنهها. وصلتني بعض الخطابات الجيدة من ليوفا. هذا مصدر جديد للفرح. بالنسبة للفتاتين، فقد سلكتْ كل واحدة منهما طريقًا مختلفًا. ماشا: الطب، وتانيا: الرسم[٢٩١]. في يوم آخر أتى الموسيقار شور[٢٩٢]. تحدثت معه حديثًا شيقًا عن الموسيقى. للمرة الأولى أشعر أن أهمية الفن؛ حتى الدرامي منه، قد انجلت لي. ستكون هذه أولى أفكاري في هذه الفترة.

ثمة حوادث أخرى في تلك الفترة: كتاب ساباتييه[٢٩٣] عن القديس فرانسيس[٢٩٤]. لقد أيقظ الكتاب بداخلي ذكريات عن عواطفي المتأججة المبكرة للخير، واتباع الحقيقة كاملًا بفعالية وحيوية. أعدت قراءة كتاب أميل، والآن أقرأ في كتاب ويليامز[٢٩٥] (الابن الحقيقي للحرية). ممتاز. جعلني الكتاب أرغب في كتابة مسرحية. أحيانًا أعتقد أن أمري قد انتهى، وأني لم أعد قادرًا على الكتابة. يحزنني ذلك، وكأني سأظل مثلًا أكتب

---

(٢٩١) أرادت ماشا البدء في دراسة الطب. أما تانيا، فقد تأهلت بالفعل في مجالها، وأصبح لديها المرسم الخاص بها.

(٢٩٢) عازف بيانو ومعلم بكونسير فوتوار موسكو.

(٢٩٣) بول ساباتييه: مؤرخ، وعالم عقيدة، وأستاذ جامعي فرنسي، كان عضوًا في أكاديمية لينسيان، والأكاديمية الفرنسية للعلوم. سأله تولستوي أن يسمح له بترجمة كتابه إلى الروسية، وهو ما حدث.

(٢٩٤) ينحدر من مدينة أسيزي ٢٦ سبتمبر ١١٨١ - ٣ أكتوبر ١٢٢٦، لقب كقديس في الكنيسة الكاثوليكية، وهو مؤسس الرهبنة الفرنسيسكانية.

(٢٩٥) فرانك بوردي ويليامز: كاتب بريطاني.

على فراش موتي، أو حتى بعد الموت! لم يكن عليَّ أن أكتب في دفتري أني نسيت الله بعد أن وصلت لتوي إلى موسكو. كم من المريع أن ينسى المرءُ اللهَ! الأمر يحدث بصورة غير ملحوظة. تستبدل بالأشياء التي نفعلها من أجل الله أشياء من أجل الناس، بدافع نيل مديحهم، ثم نفعل أشياء من أجل أنفسنا؛ أنفسنا الدنيئة! عندما نتورط في مثل هذه الدناءات نود لو نرفع أنفسنا عنها ثانية.

١- إن غموض تعريف الفنون، ولنقل الموسيقى مثلًا، ينشأ في الأساس من حقيقة أننا نريد أن ننسب إليها أهمية تتسق مع المكانة السامية الغريبة التي ننسبها إليها. تتلخص أهميتها في الآتي:

أ- تساعد في نقل مشاعر وأفكار المرء عن طريق الكلمة، وتكوين حالة مزاجية تتسق مع ما ننقله للآخرين.

ب- غير مضرة، بل ومفيدة، عندما نقارنها مع كافة المتع الأخرى بالتالي هي أفيد أنواع المتع.

٢- يمكن للمرء أن يخطو بسهولة فوق الثلج المتجمد الطازج، ولكن إن كان من الضروري تحمل أوازن ثقيلة، لا بد حينها من كسر الثلج الجديد والخطو فوق القديم. كذلك هو الأمر إن أردت أن تُشيِّد منزلًا؛ عليك أن تحفر أولًا. لا. تشبيه غير موفق.

٣- فور أن تلاحظ في نفسك ظاهرة مادية، حتى تشعر أنك لا شيء، لأنك جزء من المادة اللا نهائية، في الفضاء والزمان اللانهائيين. حتى تصل إلى كينونة حقيقية، يجب أن تكون كيانًا روحيًّا. لكن كيانك الروحي محدود، ولا يشكل شيئًا أمام العقل والحب اللا نهائيين. حتى

تصبح كيانًا حقيقيًّا، لا بد وأن تكون أرغنًا مفعمًا بالحياة.

٤- مي تي (فيلسوف صيني) على حق حينما قال إن الحب يقهر كل شيء. لكنه غير محق في تغييره بحيث يلائم الناس جميعًا. لا يمكن أن نمارس الحب على مستوى خارجي. لا بد أن يُمارس على مستوى داخلي؛ أي أن الإنسان الذي يدركه، يجب أن يحياه فعلًا. هذه هي الوسيلة الوحيدة لنشر الحب.

٥- أن تنسى الله يعني أن تنسى أنه هو معنى الحياة الوحيد. يا لفظاعة الأمر! رغم ذلك يتكرر الأمر معي باستمرار.

٦- اسألْ نفسك جيدًا: أي اختيار تريده من الاختيارين: أن يبجلوك الآن، وترى ثمار عملك، ولكن يراودك الشك في قيمة عملك من الأساس، أم لا يفهمونك، ويسبونك دائمًا، لكنك تكون على ثقة كاملة في قيامك بعمل إلهي.

٧- أن نؤمن -دون تمحيص- بشيء من صنع الإنسان، كالعلم مثلًا، يماثل أن نأخذ الجاودار من كومة مجهولة، ونخبز منه الخبز، وفي الآن ذاته نُصر على أنه مخبوز من الحنطة.

لا... تشبيه غير موفق.

٨- يشبه ليبراليونا في روسيا أصحاب الإيمان القديم[٢٩٦]. كل ما لديهم هي مبادئ تحجرت ككرات الكريستال. هم لا يفهمون شيئًا سوى

---

(٢٩٦) مجموعة من التيارات الدينية الأرثوذكسية رفضت الإجراءات التي تم التصديق عليها بين أعوام ١٦٥٠ - ١٦٦٠ من قبل البطريرك نيكون والقيصر ألكسي ميخايلوفيتش.

علاقتهم بالحكومة، ولا يتجادلون إلا عن أمور تافهة. لكن علاقتهم بموضوع الجدال لا تبدو لهم فقط غريبة، بل عدائية أيضًا.

٩- أراقب الطالبات وهن يهرعن بكتبهن ودفاترهن من محاضرة للأخرى. لدينا كذلك رسامات وموسيقيات قادرات على فعل كل شيء، وقد حاكين الرجل في كل شيء، كما تحاكي القردة الإنسان. لكنْ ثمة أمر واحد لا تستطيع المرأة أن تفعله (لا يزال بإمكان الفتيات فعله)؛ ألا وهو تحفيز الدافع الأخلاقي.

١٠- ذات مرة كان لدى أحد السادة عمل خطير وصعب، عليه أن يقوم به. لم يودَّ أن يُرغم أحدًا من العاملين لديه على القيام به، لا بالعنف ولا باستغلال حاجتهم. ترك لهم الحرية الكاملة، وأعطاهم كل ما يريدونه، لكنه حكم عليهم جميعًا بالموت كي يقارن بين شجاعتهم. قرَّر ألا يتم الحكم بالموت عليهم جميعًا في لحظة واحدة، ولكن بحسب القرعة. لذلك كانوا ينفذون الحكم بالإعدام على آلاف الأفراد من بين الملايين الذين تم القبض عليهم. ولم يكن أحد يعرف متى يحين دوره. بهذا لم يعد أحد منهم يشعر بالخوف من القيام بالعمل المطلوب؛ لأن ذلك العمل لن يكون أكثر إثارة للذعر من الموت شنقًا.

ووجدوا بين هؤلاء الناس بعض الأغبياء، الذين بالرغم من إدراكهم أنهم سيموتون لا محالة في أي لحظة، حاولوا أن يحافظوا على حياتهم بتجنب الخطورة، وتوقفوا عن القيام بعمل السيد. لذا حرمهم السيد من كل أنواع التسلية، وجعلهم في طليعة المتقدمين للموت، دون أن يأخذوا دورهم الطبيعي بالقرعة.

هذا السيد هو الله. والبشر هم العمال. الإعدام هو الموت، الذي لا يعرف أحد موعده. أما أولئك الذين حاولوا حماية أنفسهم، وخافوا من القيام بالعمل الإلهي، هم الأغنياء الذين يوجهون كافة عنايتهم بحياتهم. أما الأمر الجديد الذي أصدره السيد، الذي يتضمن أن يُحرم بعضهم من اللهو ويُقدمون إلى الموت دون قرعة، فهو التخمة والمرض، والضعف الروحي والجسدي الذي نجده في الأغنياء، والموت المبكر الذي يحل بهم.

ماذا سوف يحدث غدًا؟ متى سأكتب ثانية؟

مكتبة
t.me/t_pdf

* * *

١٨٩٤

٢٤ يناير (جرينيوفكا).

مرت فترة طويلة مجددًا؛ شهر ويومان لم أدوِّن فيها شيئًا. أنا الآن في منزل إليوشا (ابنه) في جرينيوفكا. لقد سافر خارج البلاد. كان هذا الشهر عسيرًا. لم أفعل فيه شيئًا سوى الكتابة في (تريون)، وقد تقدم العمل قليلًا، لكنه سيئ بشكل عام. في تلك الفترة حدث الآتي:

١ - منذ حوالي ثلاثة أسابيع كتبت خطابًا للقيصر عن خيلكوف[٢٩٧] وأولاده، وانتظرت رده، وكنت مبتهجًا بحريتي. لم يكن الخطاب جيدًا، فقد تضمن وعيًا باستقلاليتي أكثر مما تضمن من حب.

٢- أثناء العمل، بينما كنت أجلب المياه، أرهقت نفسي وسط صقيع شديد، وقد طرأ شيء ما على صدري. منذ ذلك الوقت وأنا أشعر بالضعف واقتراب الموت بقوة.

---

(٢٩٧) ديمتري خيلكوف: ضابط سابق ومالك أراضٍ تخلى عنها جميعًا للفلاحين. نُفي في عام ١٨٩٠ ، وفي ١٨٩٣ استولت الجدة على أطفاله من أمهم أثناء منفاه، لرفض خيلكوف وزوجته تعميدهما، وبذل تولستوي جهوده لإرجاع الأطفال بلا جدوى. هاجر خيلكوف لكندا في ١٨٩٨ ثم لسويسرا حيث انضم هناك لجماعات ثورية، وعاد لروسيا في ١٩٠٥ لكنه فارق الجماعات الثورية. تطوع في الحرب عام ١٩١٤ وقُتل فيها.

٣- حدث موقف غبي أثناء اجتماع علماء الطبيعة؛ وهو الاجتماع الذي وجدته كريهًا[٢٩٨].

٤- أشعر بوطأة حياة موسكو المزيفة الخاوية المترفة، وكذلك مدى صعوبة علاقتي مع زوجتي، أو بالأحرى انعدام علاقتي معها. إنها لا يمكنها أن تفهم، ولا تريد ذلك من الأساس. هذه الخطية تعذبها وتعذبني بشدة، لكن نصيبها أكبر من العذاب. الفتاتان بحالة جيدة. إنهما وليوفا يجلبون لي الفرحة. وصلني خطاب ليوفا الأخير. إنه غاضب مني لتسامحي مع هذه الحياة الكريهة التي تدمر الأطفال. أشعر أني أستحق اللوم، لكن ذلك كان في الماضي، أما الآن لا أستطيع فعل شيء. لقد تُركِت صوفيا زوجة ابني بمفردها، فقررنا زيارتها. مررت مجددًا بنفس الاحتكاك والألم. حذفت سطرًا ونصف.

ساعدني يا سيدي. علِّمني كيف أحمل هذا الصليب. أعد نفسي باستمرار للصليب الذي أعرفه؛ للسجن أو المشنقة، لكن هذا الصليب مختلف وجديد تمامًا، ولا أعرف كيف أحمله. يتمثل اختلافه وسماته الأساسية في أني قد أُجبرت على أن أكون في هذا الوضع المجنون الذي تتطلب فيه حياتي تحطيم الشيء الوحيد الذي عِشت من أجله، وإبعاد الناس عن الحقيقة والتوقف عن توضيحها لهم، وهو أغلى ما في حياتي. يا لتلك الدناءة التي فُرِضت عليَّ! لا يمكنني الخلاص من هذا الشرك الذي يحيط بي سريعًا. وذلك ليس لأني ليست لديَّ القوة، ولكن بسبب

(٢٩٨) مؤتمر لعلماء الطبيعة والأطباء تم في موسكو، وتعرفوا على تولستوي بين الحضور، فأجلسوه على المنبر بجانب رئيس المؤتمر.

أني غير قادر على فعل ذلك من الناحية الأخلاقية. أشعر بالشفقة على هذه العناكب التي تُحيك شباكها حولي. لا، الحقيقة هي أني غير صالح. ولا أتمتع بالإيمان والمحبة الكافيين لله أو الحقيقة. ولكن ماذا يمكن أن يكون موضوع حبي غير الله؟ أهي الحقيقة؟

تعرفت على زوجة خيلكوف. إنها امرأة تفتقد إلى الحافز الأخلاقي. في تلك الفترة فكَّرت في الآتي:

١- لا يمكن للمرء الفكاك من ذلك الوهم الذي مفاده أن التعرف على أناس جدد يجلب لنا معرفة جديدة، وكلما ازداد عدد الناس، ازداد الذكاء والصلاح، كما تزداد الحرارة بازدياد كمية الفحم. الأمر مع الناس ليس بهذه الصورة على الإطلاق. إنهم متشابهون في كل مكان وزمان؛ في الماضي كما في الحاضر، في الريف كما في المدينة، في بلدك وفي بلد آخرى. إنهم هم أنفسهم سواء كانوا في روسيا أم آيسلندا أم في الصين. كلما ازداد عددهم معًا، احترق الفحم على نحو أسرع، وقل منسوب الذكاء والصلاح فيهم.

٢- يثبت تشيتشيرين[٢٩٩] في كتابه، على نحو فلسفي، أن جوهر المسيحية هو: التجسد- الفداء- القيامة. كذلك فعل ألكسندر ففيدينسكي فلسفيًّا في مقالته. ذلك يثبت أمرًا واحدًا؛ ألا وهو أن بوسعنا

---

(٢٩٩) بوريس تشيشيرين: عالم قانون وفيلسوف سياسي روسي، وقد توصل إلى نظرية مفادها أن روسيا تحتاج إلى حكومة قوية وموثوقة لمواصلة الإصلاحات الليبرالية. بحلول وقت الثورة الروسية ، ربما كان تشيتشيرين الفيلسوف والمؤرخ القانوني الأكثر شهرة في روسيا. الكتاب المقصود هو (العلم والدين).

أن نثبت ما نشاء إن استخدمنا بعض الرطانة الفلسفية، وبالتالي لا يمكننا أن نثبت شيئًا.

٣- العائق الرئيس والخفي والداخلي لاعتراف الناس بالحقيقة بأكملها هو أنهم دائمًا ما يشتمُّون رائحة الحقيقة، لكنهم نادرًا ما يدركون أن الاعتراف بالحقيقة هو أمر يتنافر تمامًا مع تحقيق تلك النجاحات الصناعية الضخمة التي تضفي المتعة على حياتنا. يشعرون أننا لا نستطيع أن نُحجم عن كل هذه المتع التي نحققها في الحياة، أو على الأقل عن الجزء الغالب منها، إلى حد أن يقضي ٩٩,٠ من البشر نحبهم من أجلها، فمن دونها لا يمكن للحياة أن تستمر. إنهم مخطئون، كما يخطئ أولئك الذين يخشون أن ينقلوا معيشتهم من المدينة إلى الريف.

٤- نريد أن نرضي الله والناس، بحيث تَرضَى ضمائرنا والناس عن أفعالنا على السواء. هذا غير ممكن. الناس لا يقرون بما يقره الضمير، والعكس صحيح، على الأقل أثناء القيام بالفعل، وحتى في الفترة الأولى بعد أن يتم.

٥- ذهبنا إلى إيليوشا. رأيت في الصباح الفلاحين يسيرون وسط العاصفة الثلجية، مرتدين أحذية من اللحاء[٣٠٠]، يسوقون خيول إيليوشا وعلف البقر والحطب إلى المنزل. كان بالمنزل طاهٍ عجوز وفتاة صغيرة يعملان من أجله هو وأسرته. فجأةً انجلت لي بوضوح مربع تلك العبودية الشاملة التي يخضع لها أولئك البائسون. سواء هنا، أو عند إليوشا، الذي

(٣٠٠) غير مناسبة للثلوج والبرودة الشديدة بسبب فقرهم.

كان حتى وقت قريب لا يزال صبيًّا يافعًا، نفس النوعية من البشر الذين تحولوا إلى عبيد يعملون من أجله. كيف يمكن تحطيم تلك القيود؟ فلتساعدني يا سيدي، طالما أنك كشفت لي الأمر بهذا الوضوح، وطالما أنك تحثني بهذه الطريقة على فعل شيء ما.

٦- فكَّرت أيضًا في الآتي، وأنا عند إيليوشا: يا لبشاعة تلك الحياة التي يحياها المرء من أجل نفسه؛ تلك الحياة التي لا يُكرسها المرء لخدمة العمل الإلهي. كم هو مريع أن يدرك الإنسان تبجح تلك الحياة الشخصية ومدى خطورتها، وماهية دعوته لخدمة الله! إنها ليست حياة مريعة لأولئك الذين لم يدركوا بعد تفاهة الحياة الشخصية والأسرية. إنها ليست مريعة أيضًا للمرء عندما يخدم أهدافًا عامة دون وعي، أما عندما يخدم الإنسان هذه الأهداف عن وعي، فالأمر لا يقتصر على أنها لن تكون مريعة، بل ستبعث الهدوء والسرور في نفس صاحبها. تبدو الحياة مريعة أيضًا في أوقات الانتقال من مرحلة لأخرى. على الجميع أن يمروا بهذه المرحلة. أعتقد أن لا مفر من ذلك، حتى للطفل، والشيخ المحتضر.

أنا حزين للغاية، لكني بخير. أشعر أن تغييرًا سيحدث قريبًا في حياتي؛ تغييرًا ندعوه الموت. لا، هذا تأكيد شديد الجرأة. لن يحدث تغيير في حياتي، لكنها مرحلة انتقالية، بعد المرور بها يصبح إحساسي بوحدتي بالله أكثر وضوحًا وقربًا. هكذا أتصور الأمر:

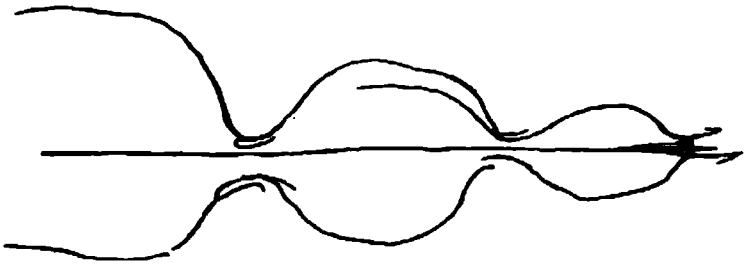

يمثل الخط المستقيم: الله. المواضع الضيقة تمثل الاقتراب من الموت والولادة الجديدة. هذه المواضع أقرب لله. إنه لا يخفي شيئًا، لكن تعقيدات الحياة تكتم صوته ونحن في خضم حركة الحياة. يا سيدي، اقبلني وعلِّمني وادخل إلى أعماق قلبي. إما أن تتوحد بذاتي أو تهلكني. من دونك ليست لي حياة مطلقًا... آه يا أبي!

٩ فبراير.

رحلتُ من عند صوفيا (زوجة ابنه) في أول الشهر. كنت في حالة جيدة جدًّا هناك. لقد أحببتها. بعد أن وصلت إلى هنا علمت أن خوخلوف هنا، وشعرت بالضيق. كان عليَّ أن أناضل ضد شعوري هذا. طوال هذه الفترة امتلأ المنزل بالزوار. في البداية جاء بوشا المبتهج دائمًا. بعد ذلك جاء م. ن تشيستياكوف بصحبة تاراباربن وهو فلاح عاقل. استمرت الزيارة يومًا واحدًا فقط، وكانت لطيفة. بعد ذلك جاء يميليان (فلاح منشق عن الكنيسة الأرثوذكسية)، ولقد شعرنا جميعًا بالإعجاب نحوه. أبديت اهتمامًا خاصًّا بمعرفة أسباب انشقاقه عن الكنيسة، لكنه كان أسمى من ذلك ورفض التوضيح. إن حال المولوكانيين[٣٠١]

(٣٠١) المولوكانيون أو شاربو الحليب (حليب بالروسية: مولوكو): هم أتباع طائفة دينية روسية رفضوا نظام الكهنوت والتبرك بالأيقونات والرفات والرهبنة والخدمة العسكرية.

وأعضاء طائفة الشتونديست[٣٠٢] يكاد يكون متماثلًا. ينظمون أنفسهم بطريقة متشابهة. لديهم ذات الطقوس الخارجية والخضوع للسلطة كما نجد عند أتباع الكنيسة الأرثوذكسية، لذا فهم يشبهونهم في تعصبهم؛ أي في رياءهم. بالأمس وصل جي. لقد أغراه الفن تمامًا.

لا أزال أشعر بنفس حالة الضعف الجسماني والعقلاني، والعمل على ترولون يمضي على نحو سيئ. كتبت الكثير من النهايات المتوسطة، لكني لم أكتب واحدة قوية كفاية؛ ربما لأن المقدمة مصطنعة للغاية. لا أزال أشعر بجدية وأهمية العمل. مات دروجينين[٣٠٣] معذبًا من قِبل الحكومة. لم يصلني رد القيصر، ولا أعرف هل قرأ خطابي من الأساس أم لا. مر تشيرتكوف بحالة سيئة، لكنه تحسن الآن، وعاد للكتابة، إلا أنه لم يزرني بعد. في هذه الفترة فكَّرت بقوة رهيبة في معنى حياتي، لكني لا أستطيع أن أعبر حتى عن ٠,٠١ مما شعرت به. فكَّرت في الآتي:

١- انحصر هدف الحياة بالنسبة تمامًا في خدمة الله، وتخليص الناس من الخطية وصنوف المعاناة. أما ما يشكل صعوبة مريعة فهو أن تحاول تخمين الطريق الذي يودك الله أن تسير فيه، وتخطئ وتُسرع، وبدلًا من المشاركة في العمل الإلهي، تعوقه. ثمة وسيلة واحدة تجعلك لا تخطئ في ذلك الأمر؛ لا تبدأ من تلقاء نفسك، بل انتظر دعوة الله؛ أي انتظر ذلك الموقف الذي يستحيل فيه أن تتصرف إلا على نحو معين، إن

---

(٣٠٢) الاسم مشتق من كلمة ألمانية **stunde** بمعنى: ساعة، وهي طائفة دينية روسية ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر.

(٣٠٣) فلاح حي الضمير، رفض الاشتراك في حملة عسكرية تأديبية، فحُكِم عليه بالسجن، ومات فيه.

كنت تسلك بحسب قانون الله. في مثل هذه المواقف تكون قوى الروح جميعها موجهة لتحقيق ذلك الفعل. كما توجب عليَّ أن أتصرف في موضوع توزيع الملكية، يتوجب عليَّ الآن أن أتصرف مع...[٣٠٤].

٢- يبدو أني كتبت ذلك سابقًا، لكني فكَّرت بجلاء شديد في الآتي: لا يصل الإنسان إلى طريق الحياة الحقيقية إلا عندما يقوم بما يقوده إلى الكمال والمشاركة في تأسيس ملكوت الله على الأرض. لن تشعر بالرضى الكامل إلا عندما تشعر أنك تتقدم للأمام، وعندما تتقدم فعلًا، ستجد نفسك قد خدمت الناس والعالم. هذا ليس مجرد جدال، بل حقيقة مؤكدة تمامًا. هذان الشعوران فقط هما ما يبعثان الرضى في نفس صاحبهما.

٣- خطرت على ذهني فكرة واضحة لقصة يمكنني أن أُقدِّم فيها رجلين: الأول فاسق، قد ضل طريقه، وأصبح في وضع مذري. الآخر: يبدو ظاهريًّا طاهرًا، مبجلًا، لكنه يبدو كذلك بسبب برودته، لا بسبب الحب[٣٠٥].

أشعر بخمول وضعف شديدين.

٢٣ مارس (موسكو).

لم أدون شيئًا في هذا الدفتر منذ شهر ونصف. في هذا الوقت انهمكت في الكتابة في (ترولون)، وأنهيتها منذ خمسة أيام، وقررت ألا

---

(٣٠٤) الاسم محذوف في المخطوطة الأصلية، ولكن غالب الظن أنه يقصد بوبوف.

(٣٠٥) فلنقارن هذين النموذجين بشخصيتي: فيديا بروتاسوف وكارينين في مسرحية (جثة حية).

أنشرها أو أترجمها[٣٠٦]. بعث هذا القرار الراحة في قلبي. عاد بوشا. كان خيلكوف هنا أيضًا. لم يكن لخطابي أي تأثير؛ أو ربما كان له تأثير سيئ.

حدث مهم ومؤلم: العلاقة التي تطورت بين تانيا و...[٣٠٧]. إنها أكثر العلاقات طهرًا وودًّا جميلًا، لكنها فريدة. كان حبًّا خفيًّا. لقد أخبرتني عن الأمر، وتحدثتُ معه. لقد قررا أن ينبذا كل ما هو مفرط واستثنائي. لقد رحل. إن ذلك يبعث في نفسي شعورًا مؤلمًا دنيئًا؛ أقصد إحساسي بشعورها بالإذلال. ذهبت تانيا لزيارة ليوفا بباريس، وقد مر أسبوع منذ عودتهما. إنه إنسان طيب عاقل، لكن المرض يضغط عليه طوال الوقت. أموري مع صوفيا تمضي بخير، ولكن... أنا أستعد للذهاب إلى تشيرتكوف. انشغلت ثانية بنظرية الفن، بسبب المقدمة التي أكتبها لموباسان. الأمور لا تتقدم فيها. أود أن أكتب الكثير، لكن يبدو أني ليست لديَّ القوة الكافية. يجب أن أجرب أن أكتب عملًا أدبيًّا صرفًا. خلال هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ - الفن الحقيقي يتحقق عندما يتسق السعي الداخلي مع الوعي بإتمام عمل الله. قد يحدث أن يسعى المرء إلى التعبير عما يشغله، ويكون ذلك الأمر غير مهم لعمل الله، وقد ينشغل المرء أيضًا بعمل فني يدعم تحقيق عمل الله، ولكن دون أن يشعر نحوه بانجذاب داخلي حقيقي، وحينها لن يكون هذا العمل فنًّا حقيقيًّا.

---

(٣٠٦) غيَّر رأيه سريعًا وأرسلها للنشر بالخارج بعنوان (المسيحية والوطنية).

(٣٠٧) الاسم محذوف، لكنه يقصد بوبوف.

٢- للعمل الفني أثر على الناس كالعدوى، فهو يدفعهم إلى حالة مزاجية معينة. لا شيء يمكنه أن ينتج مثل هذا التأثير القوي الذي يُخضِع الناس إلى ذات الحالة المزاجية مثل عمل الحياة، وفي النهاية: حياة البشرية بأكملها. آه لو كان بإمكان عدد كافٍ من الناس فهم مدى أهمية وقوة ذلك الفن؛ الذي هو حياتهم! آه لو كان بإمكانهم الاهتمام بها بشدة، وتوجيه كافة عنايتهم لحمايتها من الفساد من أي شيء، والعمل على أن يتجلى كل جمال فيها! لكننا نعتني بظل الحياة، بينما نحتقر الحياة الحقيقية.

٣- «نفقد أحدًا»؟ نقول عادة: لقد فقدت زوجتي أو زوجي أو أبي، عندما يموت أحد منهم. لكن ما يحدث عادة هو أننا نفقد الناس قبل أن يموتوا. إننا نفارقهم بشكل أسوأ مما يحدث عند الموت. والعكس صحيح؛ فعندما يموت البشر كثيرًا ما نجدهم ونزداد قربًا منهم.

٤- استدعتني شقيقتي ماشينكا[٣٠٨] للقاء إحدى المتدروشات[٣٠٩]. كانت شديدة اللطف، لكنها أخذت تحدثني بمختلف أنواع الهراء. حسنًا فعلت - وفقًا لرواية شقيقتي - عندما قالت لخادمة عنيدة: «تُهلكين روحكِ؛ روحكِ الجميلة الرائعة. أسفي على روحكِ البائسة. لماذا تعذبينها هكذا؟»... إلخ. راق لي ذلك.

---

(٣٠٨) لمن لم يتابع الأجزاء السابقة: ماريا أو ماشا أوماشينكا هي شقيقة تولستوي، وقد عاشت لفترة في الدير ثم ترهبنت.

(٣٠٩) طائفة من الرهبان والراهبات انتشرت قديمًا في الكنيسة الروسية، يتميز أعضاؤها بالزهد الشديد ويدَّعون الجنون والحماقة أحيانًا. متدروش هي كلمة فصيحة، وجدتها أقرب شيء للمعنى المراد.

٥- الجمال اسم، نطلقه الآن على شيء يروق لنا. ولكن بالنسبة لليونانيين كان الجمال يمثل شيئًا ما غامضًا، مقدسًا؛ شيئًا اكتشفناه لتونا.

٦- كثيرًا ما أنخرط في تبرير موقفي عندما أتعرض للهجوم، ويحدث هذا على وجه خاص مع أخي سيريوجا، حينما يؤكد على أني أعيش حياة شريرة، وأني أخدع الناس وأستغل الآخرين كما يفعل الجميع. أبرر موقفي وأتباهى بمسيحيتي: «لا، أنا طيب... أنا صالح!». يا للحماقة! لا يمكن للمسيحي أن يُبرِّر نفسه. عندما يدينونه، لا يمكنه أن يقول إلا: «إنكم تعرفون القليل عني، ولو عرفتم المزيد، لوجَّهتم لي المزيد من السباب، وستكونون حينها على صواب». المسيحي مذنب دائمًا في كل شيء.

٧- في الآونة الأخيرة، كثيرًا ما حدث أثناء سيري في المدينة، أن تناهت إلى سمعي محادثات مريعة قاسية حمقاء، تصيب المرء بالذهول ولا يفهم ماذا يريد أصحابها بالضبط، وماذا يفعلون، حتى إنه يسأل نفسه: أين أنا؟ ويقول: لا يمكن أن يكون منزلي هنا.

٨- إن عرف المرء يقينًا أن حياته هنا على الأرض ستكون نهاية المطاف، فماذا سيفعل عندما يصل إلى خريف العمر مثلي؟

لقد انتقل كل العمل هنا بالفعل إلى أيدي أخرى شابة. ولكن ماذا عليه أن يفعل؟ الحالة الوحيدة التي تظل فيها الحياة أهم ما لديك، ويظل اهتمامك بها شديدًا، ويظل من الضروري أن تعمل على روحك، هي أن تؤمن أن الحياة هنا على الأرض ليست نهاية المطاف، فحينها لن تتوارى روحك، وستكون في حاجة إليها هناك؛ في الحياة الأخرى.

٢١ إبريل (موسكو).

لم أُدوِّن شيئًا منذ شهر تقريبًا. أثناء هذه المدة ذهبت إلى تشيرتكوف بصحبة ماشا (ابنته). كانت رحلة رائعة. زرت أيضًا آل روسانوف. لم تفسد الرحلة سوى محاولة حل مشكلة تانيا الصعبة[٣١٠]. يا لضعفهما المريع! إننا أيضًا ضعفاء. عندما قرأت هذه اليوميات وجدتها مؤلمة ومفيدة في الآن ذاته. لقد زادت من اقترابي من تانيا. أثارت إعجابي بجاذبيتها وسموها. إنها فتاة صغيرة ضعيفة متزعزعة، لكنها لطيفة. مضى كل منهما بعيدًا بدرجة ما. مع ذلك جميعنا قد فعلنا كذلك. لا أتوقف عن التفكير في أننا قد تبيَّنا كل شيء؛ تبيَّنا موقفنا وفحوى إرساليتنا، وأننا جاهزون للعمل والكفاح والتضحية، ومع ذلك ليس ثمة كفاح ولا تضحية ولا بذل للجهد... إننا قابعون في أعماق الملل. هذا صحيح. إننا وحدنا الملومون على عدم مقدرتنا على التحرر دون أن ندمر الحب. هذا هو السبب الذي يفسر لماذا لدينا ما نفعله. ولكن سواء كنا نستحق هذا اللوم أم لا، ما يهم هو أننا لم يعد لدينا ما نفعله إلا الرغبة في نشر أفكارنا. هذه ليست مهمة حقيقية، فالأمر يحدث من تلقاء نفسه. علينا أن ننتظر بعزم ونكون مستعدين لتلك اللحظة التي سيتحول فيها النداء بداخلنا إلى فعل حقيقي. إني أحب جاليا (زوجة تشيرتكوف) وأقدِّرها بشدة. كذلك أحببت زوجة روزانوف وأولادها جدًّا.

ليوفا يتحسن. لا نزال مقربين، ولكن لسبب ما، ليست علاقتي به

---

(٣١٠) أثناء وجوده عند تشيرتكوف دارت حوارات مريرة بينه وبين بوبوف "طالب يد ابنته تاتيانا".

كعلاقتي مع شقيقتيه. جاء سيريوجا (الابن)، ودار بيننا حوار ثقيل الوطأة. إنه غاضب مني ومن شقيقتيه أيضًا، لأنهما يحرزان تقدمًا، بينما هو لا يفعل ذلك. حذفت بضعة كلمات هنا. إنه شديد الثقة في نفسه، ذو مقام غير متكافئ[٣١١]. ولكن من ناحية أخرى، كم سأفرح إن أفاق من غفلته! إليوشا (ابنه) يتصرف كطفل، ولكن للأسف لا يزال يتوفر لديه ما يدعمه على الاستمرار في هذا الجنون. أمور مع صوفيا على ما يرام. بالأمس، عندما لاحظت طريقة تعاملها مع أندريوشا وميشا، قلت في نفسي: « يا لها من أم وزوجة رائعة، من منظور معين! » أعتقد أن فِيت على حق حينما قال إن كل رجل ينال الزوجة التي يحتاج إليها. أندريوشا مرح وطيب، لكنه غبي، ميال للتقليد، ومتغطرس. لم أكن مسرورًا من ميشا بسبب أنانيته، لكنه الآن أفضل حالًا.

انشغلت طوال هذه المدة في كتابة مقدمة لأعمال موباسان، وأعتقد أنها قد أصبحت واضحة الآن، وكذلك انهمكت في كتابة كتاب تعليم شفهي[٣١٢]، وكنت مخطئًا في البدء في هذا العمل قبل أن أنتهي من العمل الآخر. لديَّ أيضًا المقالة التي كتبها تشيرتكوف عن الفن، وكنت قد وافقت عليها، لكني الآن أراجعها مرة أخرى. قررت أن أرسل (ترولون) إلى المترجمين. الجميع موافقون عليها.

t.me/t_pdf

في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

---

(٣١١) استعارة حسابية كان تولستوي مولعًا باستخدامها يشير البسط للصفات الإيجابية للشخص، ويشير المقام إلى رأيه في نفسه.

(٣١٢) طريقة أدبية تشرح العقيدة في صورة سؤال وجواب. بالإنجليزية: **catechism** – بالروسية: **катехизис**

مكتبة

١- عن قسوة فقدان أحبائنا: سواء كان الفقيد طفلًا أو زوجًا أو زوجةً أو أبًا أو أمًّا، الأمر يتلخص في أننا عندما نفقد أحدهم، نُحرم من الشخص الذي كنا نكشف له جزءًا من مكنوناتنا؛ جزءًا من أنانيتنا. إن لم يكن الإنسان مسيحيًّا حقيقيًّا، سيجد نفسه في غياب هذا الشخص في حالة مريعة؛ لأنه سيعود وحيدًا مع نفسه.

٢- من المريع أن ينظر المرء ماذا يفعل الأغنياء بأطفالهم. عندما يكون الابن لا يزال في مرحلة الشباب، مليئًا بالاندفاع والحماسة، يجد نفسه منجذبًا إلى هذه الحياة التي يعيش فيها عبئًا على كاهل الآخرين، ويتعود عليها. وعندما تُكبِّل الإغواءات يديه وقدميه تمامًا، لا يمكنه أن يعيش على نحو آخر، حتى لو انفتحت عيناه على الحقيقة من تلقاء نفسها. حينها لا يعود أمامه اختيار سوى الآتي: إما أن يصبح شهيدًا ويرفض ما تعود عليه تمامًا، وما لم يعد بإمكانه العيش من دونه، وإما أن يصبح كاذبًا.

٣- تخيل امرأة رائعة قد وعدتك بلقاء في المساء. كيف ستقضي هذا اليوم؟ كيف ستستعد له؟ كم سترجو ألا ينتهي العالم قبل لقائك بها! ستقول في نفسك: فلنلتقِ، وليحدث بعدها ما يحدث. هذا ما تعنيه الرغبة. هكذا أتمنى أن أحقق مشيئة الله. هكذا أشعر بالشغف صوب شيء واحد فقط؛ ألا وهو تحقيق إرادته. هل هذا ممكن؟

نعم، هذا ممكن. كل ما يحتاج إليه المرء لتحقيق ذلك هو أن يدرك بوضوح العمل الذي يجب أن يضحي به. إني أُصلِّي لله من أجل ذلك، وأؤمن أنه سيهبني ذلك. كنت أُصلِّي طوال اليوم من أجل ذلك.

٤- أثناء نزهتي اليوم، صليت لله كي يوطد داخل قلبي الإيمان بأني

سأعرف العمل الإلهي الذي يمكنني القيام به، وأقوم به فعلًا. قلت في نفسي إن هذا الإيمان يمثل كل شيء. إن آمنت في قرارة نفسي أني سأقوم بعمل الله، سأقوم به لا محالة. عندما أزيد الإيمان في داخلي، أزيده في الآخرين، بطريقة داخلية وخارجية على السواء. تتمثل الطريقة الداخلية في أني بزيادة الإيمان بداخلي، أزيده في الجزء الذي يمثل الكيان الواحد الموجود داخل الناس جميعًا، وبزيادة الإيمان فيه، أزيده في الجميع، كما لو أني أزيد من المياه التي تروي الجميع. لقد عبَّرت عن الفكرة بشكل سيئ. أما الطريقة الخارجية فتتمثل في أن إيماني سينعكس لا محالة في إيمان من حولي، كما لو أن ثمة قطرة في البحر، تتمتع بقدرة ذاتية على الحفاظ على حرارتها، لذا ستنقل هذه الحرارة حتمًا إلى جميع القطرات المحيطة بها.

٣ مايو (ياسنايا بوليانا).

بالأمس قرأت مقالة ساذجة مدهشة عن نكهات المواد، كتبها كابوستين، وهو أستاذ بجامعة كازان. أراد أن يثبت أن كل ما يستخدمه الناس؛ السكر - الخمر - التبغ، وحتى الأفيون، هو ضروري بالمعنى النفسي. هذه المقالة الغبية الساذجة كانت مفيدة جدًّا لي[٣١٣]. لقد كشفت لي بوضوح طبيعة العلم التي يفترضها المنافقون العاملون في مجال العلم. لا أقصد تعريف العلم كما يجب أن يكون، ولكن تعريف ما هو قائم فعلًا. لقد حدث انحراف كامل في مجال العلم منذ أن بدأت المدرسة التجريبية؛ أي ذلك العلم الذي يصف ما هو موجود فعلًا،

(٣١٣) هاجمت هذه المقالة مقالة تولستوي (الدرجة الأولى).

وبالتالي فهو ليس علمًا؛ لأننا بشكل أو بآخر نعرف ما هو قائم فعلًا، ولا أحد في حاجة إلى توصيف له. يشرب الناس الخمر ويدخنون التبغ، ويضع العلم على عاتقه مهمة تبرير استخدام التبغ والخمر نفسيًّا! الناس يقتلون بعضهم، ويضع العلم على عاتقه مهمة تبرير ذلك تاريخيًّا. يخدع الناس بعضهم، ويحرمون الآخرين من الأرض، أو من أداة العمل لدى الجميع، ويحمل العلم على عاتقه مهمة تبرير ذلك اقتصاديًّا. يؤمن الناس بالهراء، ويتولى علم اللاهوت تبرير ذلك الهراء.

يجب أن تكون وظيفة العلم: معرفة ما يجب أن يكون، لا ما هو قائم فعلًا. لكن العلم المعاصر يعمل على النقيض من ذلك، فهو يجعل مهمته الرئيسة أن يحوِّل انتباه الناس عما يجب أن يكون، ويوجِّهه صوب ما هو قائم فعلًا، وإلى ما لا يحتاجه أي شخص.

وصلت إلى ياسنايا بصحبة ماشا، وقد رافقنا كل من سولوفيوف ويروشينكو، وأسعدني التقارب منهما. شعرت أني لست بخير صحيًّا منذ اليوم الأول. في اليوم الثاني مرضت ماشا. الآن هي أفضل. بالأمس وصلت تانيا وفيرا وجي. كنت قلقًا على تانيا. لا أستطيع كتابة شيء طوال الوقت. لعبت الورق اليوم بمفردي، واستغرقت طوال الوقت في التفكير في مقالتي (التعليم الشفهي). وكما هو الحال دائمًا، اكتشفت أن الأمر أكثر خطورة وأهمية وصعوبة مما كنت أعتقد.

١- أكثر مَن يتمتع بالثقة في النفس وخلو البال هم أولئك الذين لا تتخطى شهواتهم ومتطلباتهم من الحياة الحدود التي يتسامح معها المجتمع مثل: الخليلات- بيوت الدعارة، وحتى الشذوذ، الوظيفة-

الراتب- حيازة ممتلكات- الثراء بالزواج[٣١٤] - الحرب - المبارزات... إلخ.

٢- ما دام الكائن الأبدي موجودًا، فهو موجود إلى الأبد. إنه ما هو موجود في الإنسان، وما يعيش وسط الموت وفي الموت وبالموت.

٣- نود العيش من أجل خدمة الله، ومن أجل تحقيق ملكوته، ولكن لا نعرف كيف ومتى. هذا قليل. ليس من المفترض أن يكون الوضع كذلك؛ لأن الإنسان وُهِب روحًا، ولا يمكن للإنسان أن يساعد في تحقيق ملكوت الله إلا بالعمل على كمال هذه الروح. هذا عمل غير قليل، بل إنه كافٍ تمامًا. يمكن لهذا العمل أن يشغل صاحبه تمامًا، مثلما تفعل أي عاطفة قوية.

١٥ مايو.

لم أكن بخير صحيًّا لأسبوع أو أكثر. بدأ الأمر - على ما أذكر - في اليوم الذي انزعجتْ فيه من عبوس صوفيا المفرط من تشيرتكوف[٣١٥]. كل هذا مفهوم، لكنه ثقيل الوطأة. المشكلة أني لم أعد أشعر بالاعتياد على ذلك، وكنت سعيدًا باستعادة مشاعري صوب صوفيا، بل إني حتى كنت قد بدأت أشعر صوبها بمشاعر حب جديدة قوية. خشيت أن يلحق بها الدمار ثانية. ولكن لا... مرَّت هذه الغيمة، واستعاد شعوري الجديد

---

(٣١٤) كان من المتعارف عليه في روسيا أن تقدم الزوجة المهر للزوج، وليس العكس، لذا كان البعض يصيبون ثراءً من الزواج بامرأة تقدم مهرًا (بائنة) قيِّمًا.

(٣١٥) شعرت صوفيا بالانزعاج من استئجار تشيرتكوف منزل بالقرب من ياسنايا. بشكل عام شعرت صوفيا أن تشيرتكوف يزيد من المشاكل بينها وبين زوجها، وكتبت لتشيرتكوف خطابًا فعلًا بشأن قراره بالانتقال قريبًا من ياسنايا.

صوبها قوته. إنها ليست هنا. ستعود بعد غد. تانيا وليوفا وماشا وساشا وفانيتشكا جميعًا هنا. جميعهم يتحلون باللطف ويشعرون بالسرور. جاء كروسبي[٣١٦]. لا أعرف كيف أصفه تحديدًا. كُتب كينورثي[٣١٧] جيدة. كتبت له خطابًا أخرق، وكتبت خطابات أخرى كثيرة أيضًا. قرأت مقالة رائعة لأدلر[٣١٨] عن صنوف المعاناة الأربعة التي تُعلِّم من يمر بها، ويمكننا أن نرحب بها كمصدر للخير: الحاجة- المرض- الحزن- الخطية.

لم أكتب شيئًا. الضعف يكتنفني. العمل على كتاب (التعليم الشفهي) يتقدم ببطء، لكني أعتقد أنه سيتم. بدأت في تصحيح لاو تسو[٣١٩]. راودتني اليوم بعض الأفكار الشِّعرية لكتابة عمل فني. لم أدوِّن في هذه الفترة أفكارًا سوى الآتي:

١- الخير المادي لا يتحقق إلا على حساب الآخرين، أما الخير الروحي فيحقق دائمًا خير الآخرين.

٢ يونيو.

وصلتني برقية للتو تُعلِمني بموت جي. بالكاد يمكنني كتابة هذه الكلمات: «موت جي»! كم نحن عميان، لا نرى إلا ما نريد أن نراه! لذا قد يبدو لنا أننا كنا في حاجة إليه وإلى مشاريعه وخططه. لكن لا... إني

---

(٣١٦) أ.هـ كروسبي: مصلح اجتماعي أمريكي، وكان يحب تولستوي وأفكاره، وكتب كثيرًا عنه.

(٣١٧) واعظ إنجليزي شديد الحماسة لأفكار تولستوي، والكتاب المقصود هو (من العبودية إلى الأُخوَّة).

(٣١٨) فيليكس أدلر: فيلسوف، وكاتب سيناريو، وأستاذ جامعي أمريكي.

(٣١٩) يدور الحديث عن ترجمة يقوم بها تولستوي وبوبوف لكتاب لاو تسو.

أحبه بشدة... لا أود أن أقول: لقد أحببته بشدة، بصيغة الماضي، ولكن رغم ذلك يبدو لي أنه كان بعيدًا تمامًا عن إنهاء عمله، بالمعنى الفني، وكذلك من منظور حركة التطور المسيحي. من المريع أن أكتب ذلك، لكن هذا ما يبدو لي. أشعر بأسف مريع على فقدانه، فقد كان يبدو لي كطفل فاتن عبقري.

أكتب طوال الوقت في كتاب (التعليم الشفهي)، وأشعر بالضعف. وصل تشيركوف. أموري معه تمضي على نحو جيد. لم تراودني في هذه الفترة سوى الأفكار الآتية:

١ - النساء بشر تعلو قلوبهن أعضاء جنسية.

٢- نريد جميعًا أعمالًا عامة، ولا نريد أن نقوم بأعمال خاصة شخصية، مثل القيام بالأمور المنزلية المتنوعة. ما يهم ليس ما نعمله في المحكمة ولا في الأدب ولا في الديوان؛ بل في المنزل مع الخادم وغاسلة الثياب والبوَّاب.

٣- كنت أجمع زهور كونفالاريا أيار، وفجأة رأيت زهرة بيضاء من هذا النوع، فانحنيت صوبها، وتأملت لونها المنعكس على خلفية خضراء. كنت أتخيل هذه الزهور، والآن تحيط بي في كل مكان، لذا فكل ما أراه الآن في الحياة؛ كل ما رأيته وأحببته وبحثت عنه، هو في الحقيقة فكرة!

١٣ يونيو.

بدا لي الأمر كما لو أن يومين قد مرا، لكن في الحقيقة مرت عشرة

أيام كاملة. في هذه الفترة ذهبت لبوليجين[٣٢٠]. إنه قوي للغاية. أرسلت زوجته له بعض الأغراض، فأعادها وقال لها ألا ترسل سوى ما يمكنه مقاسمته مع بقية المحبوسين. وصلت شقيقتي ماشينكا، وكذلك وصلت فيرا، وكان سيريوجا موجودًا. أهم حدث في تلك الفترة كان موت جي. لم أكن أدرك أني أحبه إلى هذه الدرجة. العمل لا يتقدم. كنت أشعر بأني في حالة شديدة السوء. اليوم تحسنت قليلًا. كتبت بضعة خطابات.

في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- ثمة رابطة بين الموت والحب. الحب هو جوهر الحياة، والموت، عندما ينزع غطاء الحياة، يكشف عن جوهره؛ الذي هو الحب. إننا لا ندرك كم أحببنا إنسانًا إلا عندما يموت.

٢- بينما كنت أتنزه في الغابة فكَّرت في الآتي: كل ما أراه؛ الزهور والأشجار والسماء والأرض... كل هذا محض أحاسيس. أحاسيسي ليست إلا إدراك لحدود أناي. تسعى «الأنا» لتوسيع حدودها، وتصطدم في مسعاها هذا بحدودها في المكان، وهذا الوعي بحدودها هو ما يمنحها الأحاسيس، وتتجسد هذه الأحاسيس في صورة زهور وأشجار وأرض وسماء.

ثم فكَّرت هكذا: ما الحب؟ لماذا نحب طالما الحياة عبارة عن هذه التصادمات التي تحدث مع حدودها؟ من الضروري أن يحدث اصطدام مع هذه الحدود، وفي هذا تتلخص لعبة الحياة. لماذا الحب إذَنْ؟ لا أتذكر كيف حدث ذلك، لكن هذا التصور للحياة قد أبطل الحب،

---

(٣٢٠) زار تولستوي بوليجين مرتين حيث كان يقضي فترة سجن لمدة أسبوعين من قِبل ريس الزيمستفو، لعدم تنفيذه لأوامر الإدارة.

وجعل منه أمرًا غير ضروري. حينها شعرت بالشك والكآبة. هل اختلقت كل ما أفكر فيه وأقوله عن الحب؟ لكني لست الوحيد الذي يتحدث عنه. لم أختلقه، فهو موجود دائمًا منذ زمن بعيد. ولكن هل هذا يحول دون إمكانية أن يكون كل ذلك محض خداع للنفس؟ واصلت التفكير وقلت في نفسي: ولكن لماذا أدرك أني أنا هو أنا، وأن كل ما أراه هو حدود أناي؟ بالإضافة إلى الوعي بالحدود، ثمة وعي بالنفس، وهو الذي يخلق الوعي بالحدود. ما طبيعة هذا الوعي؟ إن شعرت بالحدود، فهذا يعني أني مخلوق غير محدود، أسعى إلى الخروج عن هذه الحدود. وكيف أستطيع تحقيق ذلك؟ كيف يمكنني اختراقها؟ ثمة وسيلة واحدة: أن أحب ما هو قابع خلف هذه الحدود. هكذا يحطم الحب الحدود، ويُوحِّد بين المُحِب وبين من هو خارج حدوده؛ أي الله. لم أعبِّر عن الفكرة بوضوح.

بالحب يمكن للإنسان أن يتخطى هذه الحدود التي تحيط به، ويصبح غير محدود؛ يصبح الله! في البداية يدمر الإنسان هذه الحدود بين المخلوقات القريبة منه والمفهومة، ثم بين الأكثر بعدًا والأعسر فهمًا بالنسبة له.

ولكن كيف يمكنه أن يأكل دون أن يقتل نباتًا وألَّا يطأ عشبًا أو حشرة؛ أي دون أن يضر الحب؟ بقدر ما تزيد الحدود في هذا العالم، يتحقق الحب كاملًا دون قصد؛ أي تزول الحدود بينك وبين العالم!

لا يمكن أن يتحقق الحب كاملًا، ولكن يمكننا أن نستمر في اقترابنا منه إلى الأبد. لكن هذا العالم ليس الوحيد، فثمة عوالم أخرى يمكن أن

يتحقق فيها الحب كاملًا. من ناحية، يقترب الإنسان من تحقيق ملكوت الله؛ أي الحب، ومن ناحية أخرى فإنه يعد نفسه لهذه الحياة التي يمكن فيها تحقيق الحب كاملًا. ولكن من الذي يعد نفسه؟ هذا تعبير شديد المكر!

١٤ يونيو.

كتبت عرضًا لمشروع هنري جورج[٣٢١]. لم أواصل في تلك الفترة الكتابة في (التعليم الشفهي). لم أشعر أني قادر على ذلك. انفعل تشيرتكوف بشدة يوم أمس. اليوم ذهبت صوفيا إليه في منزله، لكنها لم تجده هناك. كان في زيارة لبوليجين في حبسه. في الصباح خرجتْ لجمع الفطر واغتسلت في المياه. قرَّرت أن أتوقف عن الكتابة. قرأت كافة الأعمال التي كنت قد بدأت كتاباتها، ووجدتها جميعًا سيئة. إن كنت سأكتب، عليَّ أن أبدأ كل شيء من جديد، بطريقة أكثر صدقًا، ودون اختلاق. بعد الغداء ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. تحدثت معها عن بيكيتوف الذي قال إنه يستحيل أن يعيش المرء حياة، يعمل فيها طوال الوقت من أجل نفسه، ويقوم بغسل ثيابه بنفسه. ومن إذَنْ الذي سوف يغسل لك ثيابك؟ إنها غاسلة الثياب بالطبع! وصلني خطاب عجيب من كوليتشكا (ابن جي). يقول أن عشرة أعوام من عمره مرَّت بشكل خاطئ؛ عشرة أعوام مرَّت دون أن يوبِّخ نفسه على خطاياه، ودون أن يغسل ثيابه

---

(٣٢١) عالم اقتصاد وفيلسوف وكاتب أمريكي. اقترح نظرية أسماها (الضريبة الواحدة). استشهد تولستوي كثيرًا بنظرية هنري جورج في كتاباته: في البعث وفي العديد من المقالات، وفي (طريق الحياة) الذي ترجمته وصدر عن آفاق للنشر.

بنفسه، ودون أن يقدم الطعام لغيره... ويصف هذا بمجرد خطأ؟! أمر مذهل! بخصوص ذلك فكَّرت في الآتي:

١ - إننا الآن نختبر تلك اللحظة التي لا مفر منها عند الإفاقة. لا بد للرغوة أن تستوي، وللتراب أن يتناثر، وللأرجوحة أن تتوقف، ومن ثم يمكن أن يحدث نمو حقيقي وصلب لا تمكن مقاومته. بالطبع سنصاب أحيانًا بالبرودة والسقوط والتراجع، بل وحتى الخيانة. ولكن كل هذا لن يحول دون أن يشتعل كل ما يمكنه أن يشتعل.

٢ - في طريقي إلى قرية أوفسيانينكوفو راقبت مشهد الغروب البديع. رأيت فجوة بين السحب المتراكمة، ولاحت الشمس عبرها كقطعة فحم غير مستوية الجوانب. ويا لمنظر الغابة وحبوب الجاودار! أمر يبعث على السرور. قلت في نفسي: لا، لا يمكن أن يكون هذا العالم مجرد مزحة، ولا وادي للتجارب والبلايا، ولا مجرد مرحلة انتقالية صوب عالم آخر أبدي وأفضل. لكنه هو نفسه عالم أبدي، مليء بالجمال والسرور. الأمر لا يقتصر على أن بإمكاننا أن نجعله أكثر روعة وبعثًا للسرور في النفس لمَن يعيشون معنا، ولمَن سيأتون بعدنا، لكن هذا أمر واجب علينا.

١٥ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر. صعدت للطابق العلوي، وتحدثت مع ستراخوف بخمول. وصل ليوفا، وظل يتحدث بشأن خطاب كوليتشكا قائلًا إنه لم يعشْ على نحو جيد، لذا لم يكن سعيدًا، فالحياة لم تقدم له السعادة. إنه يعتقد أن الشعور بالسعادة هو سِمة الحقيقة، وأن الشباب ليس بإمكانهم فهم ذلك، وكذلك كثير من الذين فارقوا عمر الشباب من

غير المتدينين من الناس. لكن كيف تكون السعادة سمة الحقيقة؟ إن الوعي بالسعادة هو أمر مخادع ومتغير. ما كانت تبدو لي سعادة بالأمس، لا تبدو لي كذلك الآن. الساعة الآن الواحدة. سأتناول إفطاري.

٢٥ يونيو.

لم أُدوِّن يومياتي منذ ١١ يومًا. الأمر الوحيد الجديد والمفاجئ في تلك الفترة كانت الأخبار التي وردتني بخصوص مداهمة الشرطة لبوبوف وبوشا في مدينة كوستروما[٣٢٢]. أخشى أن نبتهج جدًّا بما يبدو لنا في البداية اضطهادًا نرغب فيه. لقد سلك كلاهما ببساطة وثبات شديدين، لكنهما كانا مسرورين. أخشى ذلك. أتمنى بالطبع ألا يشعرا بالمعاناة عندما يسجنونهما ويعذبونهما. أشعر بالخزي والاستياء من أني وحدي سالم لم أتعرض لأذى. سأحاول ألا أرغب في ذلك وألا أسعى إليه. أشعر بالضعف طوال الوقت وأعاني من سوء حالتي الصحية وألم ظهري. سأحاول كتابة عرض لنظرية هنري جورج. لم أستطع الكتابة في العرض، أما الخطابات فأكتبها رغم أنها غير ضرورية. جاء كل من جوربونوف وبولانجي وتريجوبوف، ومضت أموري معهم جميعا بخير. أما مع تشيرتكوف تسير الأمور على نحو رائع. تربطني بهم جميعًا علاقات جادة مخلصة مرتبطة بالله. أشعر ببرودة صوب ليوفا؛ الأمر الذي يعذبني. إنه مريض طوال الوقت، لا ينظر إلا داخل نفسه، لذا لا

---

(٣٢٢) في ١٨ يونيو داهمت الشرطة بوبوف في مقر دار النشر "الوسيط" واستولت على أوراق وخطابات بخصوص سيرة دروجينين. كذلك داهمت الشرطة بيريوكوف في مزرعته بكوستروما، وبحثوا عن مواد تتعلق بدروجينين كما فعلوا عند بوبوف.

يرى شيئًا ولا يعيش حياة حقيقية.

ما أحزنني في تلك الفترة هو انحلال أبنائي الصغار: أندريوشا وميشا، وخاصة أندريوشا. ميشا لم يكبر بعد، ولكن إن استمر سلوكه على هذه الصورة، في غياب أي رقابة أخلاقية، سيصيبه ما أصاب أخيه. منذ أسبوع تقريبًا، ظل بالخارج حتى الواحدة صباحًا يرقص. قلت له إنه سيصبح بيبيكوف آخر، وإن من الأصلح له أن يترك المنزل ويذهب ليعيش في القرية. بالأمس، وبينما لم تكن هناك أي حفلات رقص، لم يتغير الأمر؛ غادر إلى القرية، ولم يعد إلى المنزل قبل الواحدة. شعرت بالقلق الشديد عليه، لكني تغلبت على ضيقي، وعندما عاد قلتُ له إن عليه ألا يظن أننا كنا نائمين، بل إننا كنا في انتظاره، وأننا قلقنا بشدة عليه. أردت أن أحدثه بلطف. إن وضع أبنائنا شديد السوء، فليس ثمة أي رقابة أخلاقية تضبط سلوكهم. صوفيا تدمر أي دور أخلاقي لي عن عمد، وتستبدله بمتطلباتها الهزلية المتعلقة باللياقة العامة، وهي متطلبات يسهل عليهم تحقيقها. أشعر بالأسف عليهم وعليها في الآن ذاته. في الفترة الأخيرة يزداد شعوري بالأسف صوبها تحديدًا. إنها تدرك الآن أن كل ما كانت تفعله كان خاطئًا، وأنه لم يؤدِ إلى الخير. لكن من المستحيل عليها أن تعترف أنها أخطأت في عدم اتباعي. لن تحتمل وقتها تأنيب الضمير. لا أزال أفكر في عرض أفكار هنري جورج، وتبدو لي الأمور الآن واضحة تمامًا، لكني لم أكتب شيئًا بعد. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ - إن هدف الحياة هو الاتصال بالله الكامن في النفس، الذي يريد

الخير للجميع.

٢- يمكن للحياة أن تكون بمثابة قتل لله في النفس، أو اتصال به.

لا يمكن لملكوت الله أن يتحقق إلا في الروح؛ أي أن الروح يمكن أن تخضع لله وتتحد معه. هذا الخضوع تحديدًا هو وسيلة تحقيق ملكوت الله في العالم، وحينها سيكون تحقق الملكوت بمثابة نتيجة حتمية لهذا الخضوع.

إني لا أفكر بوضوح، وأتخبط في أفكاري...

٣- يُقال إن الفن أمر طبيعي، مثلما هي طبيعة الطائر أن يُغرِّد. ولكن الإنسان هو الإنسان، ولديه متطلبات أسمى من ذلك. هذا صحيح. ما دام يغني مثل الطائر فهذا أمر حسن، ولكن إن جَمَعَ مئات الموسيقيين الذين تشوهوا في معاهد الكونسير فوتوار التي درسوا فيها، وارتدوا رابطات العنق البيضاء خاصتهم، وانخرطوا في عزف سيمفونيات غامضة، لا يمكننا حينها أن نقول أنه ينشد كالطائر. حينها نقول إنه يُضيِّع ملكة العقل التي وُهِب إياها من أجل أهداف سامية؛ يُضيِّعها على محاكاة فاشلة للطائر.

٤- يمكن ألا يكون الإنسان قادرًا على كافة متطلبات الفضيلة، إلا أمر واحد في مقدوره دائمًا أن يقوم به؛ ألا وهو إعلان الحقيقة. ربما يكون من المستحيل على إنسان أن يحمل ٥٠ بودًا (وحدة وزن روسية قديمة) أو أن يسيطر على الغضب أو الشهوة، لكن بإمكانه دائمًا ألا يكذب. لذا إعلان الحقيقة هو مطلب المسيحية الأول.

٢٦ يونيو.

أشعر طوال الوقت بالضعف الجسدي والعقلي على السواء. على النقيض من ذلك، أشعر بالصلابة الروحية. هذا يبعث السرور في نفسي. أتذكر دائمًا أني مبعوث من الله، وأني يجب أن أقوم بعمله. أشعل في نفسي الشرارة الإلهية؛ ألا وهي الحب. الحب هو ما يحقق ملكوت الله في نفسي؛ أي الإذعان له والاتحاد به. الحب يحقق الملكوت كذلك خارج نفسي، فكثيرًا ما تصيب عدواي الآخرين، وتشعل بداخلهم ذات الشرارة الإلهية؛ ألا وهي الحب. لا أكتب الآن. بالأمس لم أعمل حتى بمنجلي في الحصاد. لا أكتب الآن لأني لا أجد الصياغة الدقيقة الواضحة التي أريدها، بالإضافة إلى أني لا أشعر برغبة شديدة في الكتابة. بالأمس تحدثت مع أندريوشا وبيَّنت له كافة الأخطاء التي قام بها. لم أتحدث بغضب، لكني لم أتحدث بحب أيضًا كما يجب. ظل صامتًا. يمثل ذلك مثالًا رائعًا على الشيء الوحيد الذي نحن في حاجة إليه فعلًا؛ ألا وهو استدعاء الحب بداخلي صوبه، بالدرجة التي يمكنني بها أن أؤثر عليه تأثيرًا جيدًا. بعد الغداء تنزهت مع ماشا وفيرا. ذهبت تانيا بصحبة ميشا إلى آل مامونوف. وصلني خطاب من جوربونوف. اليوم كتبت لليجراس (أستاذ أدب بفرنسا). فكَّرت في فكرة شديدة الأهمية:

اللا نهائية تحجب عني عمل الله. لا أقصد أني لا أستطيع أن أرى عمل الله بسبب اللا نهائية، لكني أقصد أني لا أستطيع أن أراه لأنه يتمثل لي داخل إطار الزمان والمكان، وبالتالي في ضوء مخادع للا نهائية.

مرضت صوفيا بالأمس. حالها الآن أفضل. وصل فياتشيسلاف مع

زوجته ليزا وساشا. الساعة الآن الرابعة. سأتمشى حتى موعد الغداء. ذهبت إلى أنفاق الرمال. وجدت هناك الفلاحين، يخرجون من الحفر، ويخاطرون بحياتهم. قلت على الغداء: يجب أن نشيد منجمًا[٣٢٣]. في البداية قالت صوفيا إنها لن تدفع مالًا من أجل ذلك. شعرتُ بالغضب. تود أن تعرض خدك الآخر لمن يضربك على خدك الأول، لكن حينما تأتي فرصة حقيقية لذلك ويضربك أحدهم على خدك، لا تشعر برغبة في تقديم خدك الآخر له[٣٢٤]، بل تود أن تبعده. بعد الغداء تمشيت مع فياتشيسلاف، وقررت أن أُشيِّد منجمًا. وصل سيريوجا. شعرت بالحزن، لكني قلت في نفسي إني لست الملوم على ذلك. تمشيت مع تشيرتكوف وتحدثت معه عن عدم طيبته مع ماريا ألكسندروفنا وأوزميدوف. بعد ذلك ذهبت إلى العمال. حمدًا لله أني لم أنسَ الأمر الوحيد الذي نحن في حاجة إليه فعلًا. تحدثت مع ليوفا في المساء. أنَّبني لأني لم أصدق مرضه فعلًا. كان من الممكن أن أتحدث معه بمزيد من اللين والطيبة.

٢٧ يونيو.

استيقظت اليوم، تراودني أفكار سيئة، ولم أكتب شيئًا. قرأت في كتاب شوبنهاور[٣٢٥]. يقتصر معنى الكارما بالنسبة له على إعداد

---

(٣٢٣) كان الفلاحون يحملون الرمال داخل أنفاق بدائية يمكن أن يؤدي انهيارها إلى كارثة، لذا أراد تولستوي أن يجلب مهندسًا ويشيدوا منجمًا بطريقة آمنة للعمل.

(٣٢٤) وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. متى ٥: ٣٩.

(٣٢٥) الكتاب المقصود **Parerga und Paralipomena**، وقرأ تولستوي منه مقطعًا يتعلق بفكرة تناسخ الأرواح في الأديان الشرقية القديمة.

شخصية الإنسان في حياة سابقة من أجل هذه الحياة، لا بمعنى الصراع بين النور والظلمة. إنه ينكر تلك الفكرة.

تحدثت مع فلاديمير فيدوروفيتش[٣٢٦] عن النقد. تذكرت مقولة كوليتشكا الشهيرة التي مفادها أن النقد هو حديث الحمقى عن الأذكياء. حاولت الكتابة في عرض مشروع هنري جورج، لكني لم أستطع، ليست لديَّ رغبة. أشعر طوال الوقت بالضعف وآلام الظهر. ليتني لا أتوقف عن القيام بعمل الله في نفسي. ساعدني يا سيدي. الساعة الآن الثانية عشرة ظهرًا.

٢٩ يونيو.

لم يحدث شيء ذو أهمية خاصة في هذين اليومين. جاء إيفان تسينجر. ثمة محاولات ضعيفة لتغيير للحياة، لكنها ليست عميقة. جاءت ابنتا أخي. بالأمس عملت بالحصاد بكد. حاولت أن أكتب، ولكن بلا جدوى، رغم أني اعتقدت أن كل شي قد أكَّد لنا ضرورة أن نكشف عن الخداع، والبلايا الناتجة عنه؛ ذلك الخداع الذي تُخلصنا منه تعاليم المسيح. أُبقي على حذري من نفسي وشعوري بأني مبعوث من الله. رغم ذلك النتائج ضئيلة. عونك يا سيدي. بالأمس عادت كل من تانيا وماشا. جاء ضابطان؛ الأول عجوز مفرط في التدخين وعصبي، والثاني شاب. كلاهما لم يقرأ شيئًا، لكن لديهما ذات الفضول تقريبًا. فقدت ساعتي بشكل غريب. طوال الوقت يزداد تفكيري في الموت

(٣٢٦) مؤرخ أدبي وأستاذ جامعي، استدعته صوفيا من أجل أن يُدرِّس لأندريه وميخائيل اللغة اللاتينية.

الجسدي تواترًا وحيوية. أقرأ الآن في كتاب شوبنهاور. يخطئ خطأً غريبًا حينما يقول: الشخصية لا تتغير، وكل الصراعات غير مجدية، وفي الآن ذاته يقول إن الشخصية هي نتاج للحياة الآنية. لماذا يصبح المرء إذَنْ على هذه الصورة تحديدًا؟ لقد تغيَّر. إن حياتنا تتألف من هذه التغييرات، وهي لا تنتج لا بالفكر ولا بالصراع؛ ولكن بالخبرة. لا ينتجها المحيط الاجتماعي؛ بل الحب، أو بمعنى أدق؛ مزيج من كل هذا. إنكار أي عامل من هذه العوامل يعني إنكار الحياة، أو أحد جوانبها.

١ يوليو.

عملت كثيرًا بالحصاد في اليومين الماضيين. ماشا تعمل وسط جماعة كبيرة، وبالأمس عاونتني تانيا في العمل. صباح الأمس استيقظت في حالة رائعة، وخطرت على ذهني أفكار عن عَمَى أولئك الذين يناضلون من أجل الأناركية، فيدمرونها بدلًا من النضال من أجل إصلاح نظام الحياة المشوه، وهو الهدف الذي من المفترض أنهم يناضلون باسمه[٣٢٧].

تدفقت الأفكار على ذهني بوضوح ونصوع وتسلسل موجز. لم أُنْهِ ما بدأت كتابته، بل قرَّرت كتابة خطاب لكينورثي، والبدء في كتاب (التعليم الشفهي). كتبت الخطاب فعلًا على نحو لائق. خرجت للعمل بالحصاد، وتصورت اعترافًا موجزًا للإيمان بوضوح، لكني نسيته. في المساء وصل تشيرتكوف، ثم دافيدوف. نمت نوما سيئًا. لم أدوِّن أي أفكار.

---

(٣٢٧) مناسبة الحديث هو مقتل الرئيس الفرنسي ماري فرانسوا كارنو على يد الأناركي الإيطالي جيوفاني سانتو كاسيريو.

٦ يوليو.

عملت طوال الفترة الماضية بالحصاد. أنا بخير. بالأمس فقط شعرت بألم في الكبد من فرط الحرارة. وصل بيوتر جي. حدَّثني عن أبيه وأخيه. وصلني خطاب من فيليكانوف. أشعر بالانزعاج من مديحه لي. يثير ليوفا بداخلي مشاعر مؤلمة. لقد أصبح متغطرسًا بشدة. بالأمس جاء أوزميدوف. أشعر بالأسف على حياته المشوهة. كتبت خطابًا لكينورثي. بالأمس أضفت إليه قليلًا. تقوم السيدة ويلش[٣٢٨] بترجمته الآن. صدرت (ترولون) بالإنجليزية.

فكَّرت في الآتي:

١- كثيرًا ما نشعر بخيبة الأمل في الناس لعدم قبولهم النظرة المسيحية للعالم، رغم أنهم يفهمونها. عبثًا نفعل ذلك. إنهم ليس في حاجة إليها. إنهم يعيشون كالحيوانات، ولا أقصد بذلك أن أسيئ إليهم، لكني أقصد عدم إمكانية الاقتراب من سؤال الحياة بكامل معناه، وهو السؤال الذي تجيب عنه المسيحية. البعض يعيشون ويبتهجون ويحزنون ويمرحون ويعانون وينمون ويهرمون ويموتون دون أن يسألوا أنفسهم: لماذا؟ إنهم ليسوا في حاجة إلى التعليم المسيحي، فحياتهم لا تتسق من الأساس مع هذا السؤال. عاش البشر في العصر الحجري وقبله كالحيوانات، حتى أدرك أخيرًا المتقدمون منهم حاجتهم إلى التواصل، ثم زادت أعدادهم وتعقدت الحياة وانصاعت الحشود. هكذا هو الأمر

(٣٢٨) سيدة إنجليزية تعلم أطفال تولستوي الإنجليزية والموسيقى.

الآن. ثمة أناس في مرحلة متدنية من التطور الأخلاقي، وهم ليسوا في حاجة إلى التعليم المسيحي، فهم لا يستطيعون فهمه من الأساس. لكن بإمكانهم، بل ويتوجب عليهم، أن يسترشدوا بأولئك الذين يفهمونه. لا بد وأن يقودهم أحد إلى حياة تتسق مع هذا المفهوم. أليست هذه هي قيمة الفن الوحيدة؟

٢- يوم ٣ يوليو، قبل الغداء. يوم حار ، والشمس ناصعة. بالقرب من المنزل، عند ظل سور الأشجار، لا يتوقف الذباب عن الطنين فوق الروث، بينما ترتعش الشمس هناك في السهوب الممتدة، ويهب الهواء الساخن.

٣- تذكرت فسادي وانحطاطي. لقد أفسدني الانحلال والترف المبكرين، وكذلك الشره والبطالة. إن لم يحدث ذلك، ربما كنت الآن في عمر الخامسة والستين، أنعم بالشباب والحيوية. ولكن لم يضع تأثير هذا الفساد عبثًا، فكافة متطلباتي الأخلاقية قد تزايدت بداخلي بسببه. نحن الآن في الصباح، ورغم ذلك أود أن أنام. لا أستطيع الكتابة. في المساء ذهبت إلى تشيرتكوف. إنه مريض.

١١ يوليو.

أنا مريض منذ أربعة أيام. سأسترجع ما حدث في تلك الأيام. بالأمس، يوم ١٠، تحسنت حالتي كثيرًا. منذ الصباح وصل تشيرتكوف. كان شديد اللطف معي. قلت له شيئًا كنت أفكر فيه في الصباح. استغرقت

طوال اليوم في قراءة كتاب غبي دنيء لبريفوست[٣٢٩]، ومختلف أنواع الهراء. جاء جورافوف وذلك الفلاح الآخر الذي سجنوه بسببي. كتبت ردًّا على خطاب فومينا[٣٣٠].

كان يوم ٩ يوليو أسوأ. في الصباح جاء تورنير[٣٣١] ثم رحل. دار بيني وبين ليوفا حوار جيد مرح. استغرقت طوال اليوم في القراءة.

كذلك كان يوم ٨ أسوأ، ومع ذلك خرجت. عملت بالحصاد وتابعت سير العمل. في الصباح تحدثت مع ستراخوف ولازورسكي. في المساء وصل يهودي أمريكي[٣٣٢]. من الصعب أن يحب الإنسان يهوديًّا. لا بد أن أبذل قصارى جهدي. في يوم ٧ انشغلت بالعمل وشحنت التبن وشعرت بكآبة مروعة. في يوم ٣ جاء تورنير. تحدثت معه عن الترجمة والمقدمة. راجعت خطابي إلى كينورثي وأرسلته بالفعل، وكتبت خطابات أخرى لكودريافتسيف وكانديدوف، وبدأت في خطاب لكوليتشكا لكني لم أُنْهِهِ. أمران سيئان بهذا اليوم: ليوفا ومرضه، وأندريوشا وحماقته ولا أخلاقيته.

فكَّرت كثيرًا في هذه الفترة لكني لم أُدوِّن أفكاري ونسيت أغلبها. أذكر منها الآتي:

١ - إضافة إلى خطاب كينورثي. الوحدة المسيحية هي إحدى سمات

---

(٣٢٩) مارسيل بريفوست هو كاتب مسرحي فرنسي. الكتاب المقصود هو رواية (نصف عذارى).

(٣٣٠) أعرب في رده عن رفضه كتابة مقدمة لرواية نصف عذارى وقد وصفها بأنها شديدة الضرر.

(٣٣١) بهدف الاتفاق على ترجمة كتاب تولستوي (الأناجيل الأربعة) إلى الإنجليزية.

(٣٣٢) جوزيف كرايسكوبف: حاخام يهودي جاء لروسيا ليبحث إمكانية أن تكون وطنًا لليهود، وجلب لتولستوي كتاب له بعنوان (٦ محاضرات).

تنفيذ القانون الإلهي. بينما نحن جميعًا منقسمون إلى أحزاب وطبقات وشعوب وعقائد وطوائف. أحزاب: سياسية واقتصادية وأدبية. طبقات: أغنياء وفقراء ومثقفون وشعبيون وأرستقراطيون وبسطاء. نحن جميعًا منقسمون بين حكومات وعقائد وطوائف مختلفة: مسيحيون - مسلمون - يهود- بوذيون... إلخ، وفي كل ديانة ثمة العديد من الطوائف. كيف يمكن للمرء أن يؤسس طوائف أو جماعات هنا دون أن يخشى زيادة هذه الفرقة؟ إن عملنا الرئيس يجب أن يكون على النقيض من ذلك؛ ألا وهو تحطيم كل ما يقسمنا ويُفرِّق بيننا. علينا ألا نتمسك إلا بما يُوحِّدنا، لا بالمسيحيين فقط بل كذلك بالبوذيين والمسلمين والبربريين. هذا هو معنى المسيحية.

٢- فكَّرت في الآتي بخصوص ذلك الكتاب الدنيء لبريفوست، الذي يتحدث في مقدمته عن الأخلاق: من المعروف منذ زمن بعيد أن الفنان لا يُعلِّم الآخرين ما يريده، بل ما يمكنه أن يُعلِّمهم إياه. ما استطاع أن يتغلب عليه داخل نفسه، وما أصبح المنظور الرئيس لديه، هو الذي يمكنه أن يعلنه للآخرين. إن ذلك لا يقتصر على ما يعتبره صالحًا، بل يجب أن يحبه جدًّا، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنه أن يجعل بها الناس تحب الأمر ذاته. كذلك لا يمكن لهذا أن يحدث مع أمر يقوم باختلاقه. أفضل إثبات على ذلك هو أن الفنان لا يعمل بطريقة الحجة والمنطق، بل بالمحاكاة، واستدعاء الرغبة الداخلية في المحاكاة.

٣- للفن هدفان: الأول يبدو كلعبة حيوانية؛ أن ترقص كعجل، وتغرد كطير، وتتسلى بالحكايات الخرافية. أما الهدف الآخر فإنساني: أن تتقدم

للأمام، وهذه الحركة تحفز الاقتراب أكثر فأكثر من تحقيق ملكوت الله. لذلك لدينا وجهتان نظر عن الفن عادة ما تمتزجان: الحيوانية والإنسانية. من وجهة النظر الحيوانية، لا يمكنك الحكم على سواها، أما الإنسانية فتُمكِّنك من الحكم على الاثنين. المنظور الإنساني للفن لا يرى أن الآخر الحيواني جيد إلا بقدر ما يشبع الاحتياجات الإنسانية. عندما لا يقوم بذلك، وفي الآن ذاته لا يناقض هذه الاحتياجات، يُعتبر محايدًا، ولكن عندما يناقضها، يُعتبر سيئًا.

هذا الخلط هو ما ينتج كل أنواع الأفكار الخاطئة بشأن الفن، فهذا إنسان يحكم على الفن الإنساني من منظور حيواني، وذاك فن يناقض أهداف المنظور الإنساني... هكذا يحدث الأمر بأشكال مختلفة.

فكَّرت كثيرًا وعلى نحو جيد في الكتابة عن الإيمان. فكَّرت تحديدًا في:

٤- حتى يكون التعليم المسيحي حقيقيًّا، لا بد وأن يناسب جميع الشعوب. ثمة ثلاث لحظات واضحة: اليأس من الحياة الدنيوية وتحقيق الخير -أن يعي الإنسان وضعه كمبعوث من الله، محل للثقة، وقد كلفه الله بأعظم شيء ممكن؛ ألا وهو إشعال الشرارة الإلهية- الوعي بأن ما حُرِم الإنسان منه وأفضى به إلى اليأس، سيُعاد إليه، وسيجد الإنسان الفرح بدلا من اليأس.

الساعة الآن الواحدة. سأتناول إفطاري. أشعر أني أفضل حالًا جدًّا. ساعدني يا سيدي أن أقوم بعملك داخل نفسي.

١٣ يوليو.

فوَّتُّ يوم أمس. أول أمس استغرقت في القراءة. أتت كل من ماريا ألكسندروفنا وصديقتها لوستينج. في المساء ذهبت إلى تشيرتكوف. تحدث مع ستراخوف بحرارة شديدة. تصفح بعض المقتطفات من يومياتي، وكانت جيدة جدًّا[٣٣٣]. انزعجت أيضًا من مدحه إياي. أنا أفضل صحيًّا، لكني أشعر بالضعف. بالأمس نمت نومًا سيئًا، لكن حالتي الصحية أفضل. لم أستطع العمل بالصباح، ولا حتى أن أكتب خطابات. قرأ لي ستراخوف مقالته. ما يعيبها هي أنها ليست لازمة لأحد. وصل فانيا رايفسكي. تحدثت معه. في المساء ذهبت إلى تشيرتكوف ووجدت كونوف (جنرال عسكري) هناك. لم أُدوِّن أفكارًا في دفتري. حالتي الصحية تتحسن. الآن أشعر بالهدوء والراحة. أريد أن أكتب بضعة خطابات. الساعة الآن الحادية عشرة.

يبدو أن اليوم هو ١٧ يوليو. بالأمس، لم أفعل شيئًا طوال اليوم سوى القراءة. في المساء ذهبت إلى تشيرتكوف. إنه مريض جدًّا.

في يوم ١٥ أمليت على ماشا مسرحية (بطرس العشَّار)[٣٣٤]. في الصباح كتبت خطابًا لتريتياكوفا. في صباح يوم ١٤ كتبت كثيرًا. نمت نومًا سيئًا مجددًا وشعرت بالضعف الشديد.

لم أدوِّن في دفتري سوى الآتي:

---

(٣٣٣) بهدف جمع بعض أفكار تولستوي في كتاب.

(٣٣٤) مسرحية شعبية لم يكملها تولستوي.

صباح اليوم وصل كل من باراتينسكايا وماريا ألكسندروفنا ونيكولاي جوربونوف وبولانجي وكاساتكين وبوشا. في أغلب الأحيان أتذكر جيدًا أني أعيش أمام وجه الله وحده، ولكن ضعفي يحزنني. عليَّ ألا أحزن، بل يجب أن أبتهج بكل ما يتم، وألا أتوقف عن القيام بالعمل الإلهي داخل روحي. فكَّرت في الآتي:

من المريع قول ذلك، لكن من المستحيل أن يصلي المرء بالكلمات؛ أي أن الصلاة اللفظية غير مسموعة. يمكننا بالكلمات أن نستحث حالة الصلاة داخل أرواحنا، وهذا ما يقوله تشيرتكوف، ولكن الصلاة التي يسمعها الله ليست صلاة لفظية. الصلاة بالكلمات تعني أن نُعبِّر عن بعض الأفكار عن الله. التفكير في الله مستحيل. كل ما يمكننا فعله هو أن نشعر به ونحقق إرادته. لا يمكن للتعامل مع الله أن يتم في هذا العالم إلا بالأفعال، ويمكن كذلك أن يتضمن الكلمات. الحقيقة أن التعاملات لا تتم بالأفعال على نحو خاص، بل بكيان المرء كله من خلال الخضوع الكامل لله. لا أعرف كيف لم أستطع أن أجد تشبيهات للأمر. بدلًا من ذلك اعتقدت أن من الجائر ألا يمكننا أن نصلي بالكلمات. لا بد من القول: من المستحيل أن نتعامل مع الله بالكلمات. الصلاة بمثابة مقدمة للتعامل مع الله.

سرعان ما حلَّت الساعة الثانية عشرة. لم أكتب شيئًا.

١٩ يوليو.

لم أكتب شيئًا بالأمس. لا أزال أشعر بالضعف ذاته، بل وربما اليوم أسوأ من ذي قبل. ظهري يؤلمني بشدة. صباح الأمس جاء بعض المتسولون، ثم جاءت سيدة بولندية تُدعى برجيفالسكايا، عديمة النفع

تمامًا. إنها ليست في حاجة إليَّ، ولا أنا في حاجة إليها. كتبت قليلًا صباح اليوم. أتذكر دائمًا أني أعيش لله وحده، ولكن حياتي ضعيفة للغاية. إنها تتقطر ببطء شديد. آه لو كانت طاهرة! لم أدوِّن أي ملاحظات. قاربت الساعة الآن الثانية عشرة. فوَّتُّ يومًا. ذهبت مع كاساتكين إلى مصانع جيليفسكي[٣٣٥]. لم تُثر اهتمامي. أُنهكت بشدة. في المساء ذهبت إلى منزل تشيرتكوف. بالأمس خرجت لأغتسل في المياه. أشعر بضعف شديد. قرأ ستراخوف كل ما كنت قد بدأت العمل فيه من قبل، وشجعني على إكماله. ذهبت مع صوفيا إلى منزل تشيرتكوف. في الطريق تحدثت معها قليلًا عن معنى الحياة. إننا نتحدث الآن معًا على نحو أفضل قليلًا. في المساء اختفى أندريوشا مجددًا في القرية. دار بيني وبين صوفيا حديث صعب. أخبرها أندريوشا أن الفلاحين أخبروه أن تيموفي[٣٣٦] هو ابني. أشعر بالأسف على أبنائي. ليس ثمة أي رقابة أخلاقية يمكنهم أن ينموا ويزدادوا قوة تحت سقفها. بالأمس كتبت كثيرًا إلى حد ما، لكن على نحو سيئ.

٢١ يوليو.

الساعة الآن الحادية عشرة. أعدت قراءة ما كتبته وحاولت مواصلة الكتابة، ولكن بلا جدوى. لذا أقبلت على اليوميات والخطابات.

---

(٣٣٥) حيث مناجم الفحم وأعمال البناء، على بعد خمسة أميال من ياسنايا بوليانا.

(٣٣٦) تيموفي بازيكين: فلاح من ياسنايا، وأمه هي أكسينيا ألكسندروفنا بازيكينا، وكانت ثمة علاقة غرامية بينها وبين تولستوي كما ظهر في الجزء الأول من اليوميات، وأنجبت منه فعلًا تيموفي. استمرت العلاقة من ١٨٥٨ - ١٨٦٠ أي قبل زواجه من صوفيا.

٢٣ يوليو.

لم أفعل شيئًا طوال هذه الأيام. أقرأ في كتاب موريسون[٣٣٧]. جيد. بالأمس وصل عزيزي دونايف. شحنت بعض الخضراوات بابتهاج وقوة. حاولت الكتابة من البداية، ولكن بلا جدوى. لا أعرف ماذا يريد الله مني. قضيت مساء الأمس مع دونايف وماريا ألكسندروفنا، ومن هناك عبرت سياج الأشجار وذهبت لتشيرتكوف، ومن هناك ذهبت إلى ماشا. إنها شديدة اللطف معي. رحلت صوفيا إلى بيروجوفو. لم أستطع كتابة شيء اليوم. أشعر بالضعف واللا مبالاة. الساعة الآن الثالثة. استرحت قليلًا. سأخرج لأتمشى.

٢٤ يوليو.

سرعان ما حلَّت الساعة الثانية عشرة. بالأمس ظللت طوال اليوم أشعر بالضعف. لم أذهب إلى أي مكان، ولم أكتب شيئًا. قرأت في كتاب موريسون (إنجيل الفقراء). جيد. عادت صوفيا.

٢٧ يوليو.

نحن الآن في الصباح الباكر. فكَّرت في الآتي:

مع مرور الأعوام أصبح الوقت يمر أسرع فأسرع. الربيع، ثم الصيف، ثم الخريف، ثم الشتاء؛ بتعبير آخر: تقل قدرة الزمان على خداعي. لن يكون الخداع ملحوظًا بالنسبة لمخلوق هرم، أما بالنسبة لمخلوق أبدي

---

(٣٣٧) جون موريسون: صحفي ومحامٍ واشتراكي مسيحي إنجليزي، ألف عدة كتب حول مسائل دينية واشتراكية. الكتاب المقصود هو (إنجيل الفقراء).

لن يكون ثمة وقت من الأساس. لا يمكن لكائن قد وُلِد لتوه أن يتذكر شيئًا، فالوقت بالنسبة له يمتد طويلًا. (إني أتخبط في أفكاري).

بالأمس كتبت، واليوم انجلت في ذهني تمامًا خطة كتاب (التعليم الشفهي). أنا في حالة جيدة وأشعر بالسرور.

٩ أغسطس.

لا يمكنني أن أتصور أن أسبوعين قد مرا دون أن أكتب شيئًا. الساعة الآن العاشرة مساءً. لم يحدث شيء ذو بال في خلال هذه الفترة. لا، بل حدث؛ رحل ليوفا بصحبة تانيا إلى موسكو. أشعر بالأسف الشديد عليه، وعلى ضعفه الروحي. رحلت ماشا أول أمس حتى تتحرر من تانيا. جاء بوبوف. سررت بمجيئه، ولكن ليس ثمة تقارب حقيقي بيننا. التقيت مرارًا بتشيرتكوف في هذه الفترة. إنه مريض جسديًا، لكنه صلب روحيًا. لديَّ كومة من الخطاب لم أفحصها بعد. طوال هذه الفترة كنت أكتب في (التعليم الشفهي) باستثناء بعض الأيام، كاليوم. الأمور آخذة في الجلاء أكثر فأكثر، لكني لم أصل بعد إلى شكل الصياغة المرجو.

زارتني في هذه الفترة ماكجهان[٣٣٨] وابنها، وجلبا لي بعض كتب هنري جورج. أعدت قراءة كتاب (الفيلسوف الحائر) (كتاب لهنري جورج) مجددًا. كتاب رائع حقًّا. أصبحت على وعي شديد ثانية بخطية ملكية الأرض. من المدهش حقًّا عدم إدراك الناس لذلك. كم من الضروري أن أكتب عن ذلك! يجب أن أكتب نسخة جديدة من (كوخ

(٣٣٨) فارفارا نيكولايفنا ماكجهان: أرملة صحفي أمريكي، لكنها من أصل روسي.

العم توم)[٣٣٩]. تعلن الحقيقة عن نفسها من كافة الاتجاهات بوفرة، ولا يسمع الناس منها سوى القليل! إننا في حاجة لشيء آخر؛ شيء مختلف.

في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- فكرة غير مهمة: من أجل إقرار التناغم بين زوجين تختلف آراؤهما في الحياة والعالم، من الضروري أن يخضع الطرف الذي يفكِّر بقدر أقل في هذه المواضيع، إلى الطرف الذي يفكِّر أكثر. كم كان من الممكن أن أنعم بالسعادة إن كنت قد خضعت لصوفيا! لكنه أمر مستحيل، استحالة عودة الكتكوت إلى بيضته. عليها هي أن تخضع لي، لكنها لا تريد ذلك. إنها تفتقد القدرة إلى التفهم والتواضع والحب.

٢- فكرة مهمة: أحد أكثر مفاهيمنا الميتافيزيقية تخبطًا هي خرافة أن العالم مخلوق، وأنه قد خُلِق من العدم، وأن الله هو الخالق. في حقيقة الأمر، ليس لدينا أي أساس لافتراض أن الله خالق، وليس لدينا حتى أمل في الوصول إلى ذلك. بالمناسبة، ليس لدى الهنود والصينيين مثل هذا المفهوم. كذلك لا يمكن لمفهوم الله الخالق والوصي على كل شيء أن يتواءم مع المفهوم المسيحي لله على أنه الأب والروح، الذي يعيش جزء منه في داخلي، ويشكل تجليه وسموه معنى حياتي؛ إنه الله الحب. الإله الخالق لا يبالي بشيء، ويسمح بالمعاناة والشر. أما الله الروح فيخلصنا من المعاناة والشر، ويُشكِّل دائمًا مفهوم الخير الكامل. الله الخالق غير موجود. إنما الموجود هو «أنا»، وأنا أدرك العالم الذي وُهِبت إياه عن

---

(٣٣٩) رواية تدور حول مكافحة العبودية، وطرح معاناة السود في أمريكا. كتبتها الكاتبة الأمريكية هيريت ستو، ونشرت في عام ١٨٥٢.

طريق الحواس، وأدرك في داخلي الله الأب. إنه جوهري الروحي، أما العالم فليس إلا حدود أناي الخارجية.

الفكرة غير واضحة تمامًا. سأنام.

١٥ أغسطس.

فوَّتُّ خمسة أيام. في هذه الفترة جاءني الكثير من الزوار. اليوم جاءت آنا إلبيديروفنا، وقد جلبت معها خطابًا مريعًا من روبان. كوليتشكا (جي الابن) وزويا يعذبان أقاربهما بخطيئتهما. لم أكن أنتظر ذلك. يا إلهي! كم كان سيتعذب لو كان على قيد الحياة (يقصد جي الأب)! لقد عرف بالأمر قبل موته. كتبت له خطابًا وأرسلته مع إلبيديروفنا. ستصل تانيا اليوم. الساعة الآن الخامسة. لم أفعل سوى القليل. أعيد كتابة كل شيء من البداية. قررت الآن أن عليَّ أن أكتب، فالأمر ضروري حقًّا. سوف يتقدم هذا العمل من تلقاء نفسه. مساء الأمس عزفت على البيانو والكمان. غاب أندريوشا في القرية. أشعر بالأسف عليه ولا يمكنني فعل شيء. وصلني اليوم خطاب من ليوفا، مريع من فرط حماقته، ينضح بالأنانية والثقة في الذات. صباح الأمس بدأت أعيد كتابة مواد قديمة. جاءني من الزوار: تسينجر، وهو ذكي لكن تافه، لا بمعنى الطيش، ولكن بمعنى غياب المضمون. جاء أيضًا زونوف بصحبة صهره. في البداية شعرت بالضيق من حضورهما، لكن بعد ذلك مضى الأمر على ما يرام. يبدو أني تحدثت وفقًا لله، أو على الأقل حاولت أن أفعل ذلك. رحل آل تشيرتكوف أول أمس تقريبًا. إنه ضعيف جسديًّا تمامًا، لكنه صلب الروح. إني وحيد من دونهما، فأنا أحبهما جدًّا، وخاصة هو. في يوم ١٢

كتبت على ما أتذكر في (التعليم الشفهي)، وفي أحد هذه الأيام كتبت عددًا كبيرًا من الخطابات. جاء بوشا اللطيف. سررت عندما عرفت أن تانيا تلتقي بآل بوبوف، وأنها ذهبت إلى آل أولسوفيف. فكَّرت كثيرًا؛ تحديدًا في ٤ نقاط: العلم - الأناركيون - الجدار - أجواء الخطيئة. لا يمكنني الاستمرار في الكتابة الآن. سأتناول غدائي.

يراوني شعور خريفي لطيف. اليوم سترحل صوفيا إلى موسكو.

١٦ أغسطس.

لقد استيقظت لتوي. فتحت الدفتر كي أُدوِّن ما فكرت فيه وأنا على فراشي، لكني نسيت. مَن يتضع يُرفع، ومن يَخضع يُخضع له، ومن يتخلى عن السعادة ينال خيرًا. هذا تحديدًا ما قيل سابقًا: «مَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا». (متى ١٦ : ٢٥).

١٨ أغسطس.

الساعة الآن العاشرة مساءً. صباح اليوم كتبت بعض الخطابات، ثم ذهبت إلى بوليجين. لم أجد كوليتشكا هناك. وجدت ماريا ألكسندروفنا في المنزل مضطربة الفكر بشأن ما إن كانت ستستقبل براسكوفيا (ابنة جي الابن) أم لا. مساء الأمس ذهبت إلى يسينكا. استلمت خطابًا من بتروشكا. تحدثت صباحًا مع كوليتشكا. ليس بخير. حالته غير طبيعية. في الصباح كتبت خطابًا لخيلكوف وشخص آخر. أول أمس ودَّعت صوفيا والتقيت بماشا، كما جاءت إلبيديروفنا.

بخصوص العلم فكَّرت في الآتي: نقول: بغض النظر عما يسفر

العلم عنه، معرفة الطيف والمجرة اللبنية ودورة المريخ حول الشمس والجراثيم... إلخ، ستكون مفيدة لنا. لكن علينا أن نقول: وحدها المعرفة التي تنفع هي ما يجب أن نطلق عليها علمًا.

عن الأناركيين: انتشار الفكر والكلمة الرهيب، واتساع نطاق الفهم بين الناس، يحدث بأكثر الطرق اختلافًا، ويؤثِّر على البشر بأغرب الطرق. يتأثر به البعض بفعل ذيوعه، وآخرون كي يتباهوا به تحت قناع الليبرالية والعلم والفلسفة أو الدين، ومن ثم يصبح مألوفًا لهم. الناس يصدقون أنهم إخوة، وأن الأخ لا يجب أن يقمع أخيه، وأن عليه أن يعمل من أجل انتشار التقدم والتعليم ويقاتل ضد الخرافات. لقد أصبح ذلك بمثابة رأي عام تقريبًا، وفجأة... حالة من الهلع؛ الثورة الفرنسية، والأول من مارس[٣٤٠] واغتيال كارنو، ومن ثم يضيع كل هذا هباءً. كما لو أن المياه التي تجمعت خلف سد، قطرة قطرة، اندفعت فجأة بضربة مجرفة واحدة، لتغرق الحقول والمروج بلا جدوى. كيف لا يمكن للأناركيين ألا يدركوا ضرر ما يرتكبونه من عنف؟ كم أود أن أكتب لهم بخصوص ذلك! ولكن بعيدًا عن تلك النقطة، كل ما يجادلون بشأنه، وما ينشرونه من أفكار عن لا جدوى وضرر عنف الدولة صحيح. كل ما عليهم أن يبدلوه هو أمر واحد فقط ألا وهو العنف والقتل.

مريع هو ذلك الجدار الروحي الذي ينمو بين الناس. تود أن تحطمه، وتبدو كذبابة داخل كوب، أو كطائر صغير يطير في مكان مغلق

---

(٣٤٠) أُغتيل القيصر ألكسندر الثاني في ١ مارس ١٨٨١، وأُغتيل الرئيس الفرنسي كارنو على يد الأناركي الإيطالي كاسيريو.

بالزجاج من كافة نواحيه، وليس ثمة مخرج. أحيانًا تفكر قائلًا: ربما أنا الذي أشيد هذا الجدار بيني وبين الآخرين، ولكن لا... أنا أعرف أني منفتح، وأبحث عن التقارب، وأقبل بسرور كل مَن يتعامل معي، وكافة محاولات الانفتاح.

ربما يحدث ذلك بسبب الخطية. إنها تنشر بين الناس أجواء كثيفة من التفكير الخاطئ، لا يمكن لأشعة الضوء أن تمر عبرها، أو أنها تنعكس، لذا لا تصل إلى الجسم المنشود، بل تمر بالقرب منه.

يبدو لي أن قدراتي العقلية تضعف. للوهلة الأولى، بدا لي ذلك مؤلمًا. لكن بعد أن أمعنت التفكير فيه، أرى أن ذلك ليس سيئًا. لم أتمكن بعد من رؤية الخير في ذلك، لكنْ قطعًا ثمة خير في ذلك. أحتاج فقط إلى أن أفطم نفسي عن الاحتياج إلى العمل الذهني، وأقوم بما يريدني الله أن أقوم به. تتحقق قوة الله وسط الضعف.

٢٢ أغسطس.

وصلت صوفيا اليوم. لقد بلغتْ من العمر خمسين عامًا. نمتُ نومًا سيئًا. خطرتْ على ذهني فكرة مفادها أنه لا بد من البدء في عمل عرض لتعاليم العهدين؛ القديم والجديد، لكن رأسي يؤلمني، ولم أستطع التفكير في الأمر. مساء الأمس كتبت خطابًا لليبيديفا[٣٤١] وتشيرتكوف وسافرونوف بشأن زواجه. تصفحت صحيفة (المجتمع الأسترالي). لم أخرج تقريبًا طوال اليوم باستثناء خروجي لقطع بعض الأخشاب.

(٣٤١) ترجمت بعض أعمال تولستوي إلى التركية.

وصلت صوفيا أثناء الغداء، وصوفيا الأخرى زوجة ابني. تجادلت معها بحدة بشأن عمها. في الصباح وصل طبيب سلافي مثير جدًّا للاهتمام. حكى لي الكثير من القصص المهمة عن التأثير الشرير لفكرة الوطنية في شعوب النمسا القليلة العدد. يتشاجرون معًا، ومع السلطة، ويظنون أنهم مشغولون بأمور في غاية الأهمية. مساء أول أمس ذهبت على متن الجواد إلى قرية باسوفو[٣٤٢]. عملت ظهرًا بقطع الأشجار، أما بالنهار انشغلت بالكتابة. تقدم العمل قليلًا. جاء كوليتشكا وتحدثت معه بالصواب. كتبت بضعة خطابات.

راودتني فكرة واحدة: لماذا نعتقد طواعية أننا محبوبون؟ سيقول الشهيد لمعذبه، والعبد لسيده، والمخدوع لخادعه أنه يحبه، وسيصدقه. لا يعود ذلك إلى أننا نسعد على وجه خاص بأن نكون محبوبين، ولكن الأهم من ذلك هو أن الحب سمة طبيعية في الإنسان.

٢٧ أغسطس.

لا أعرف كيف فوَّتُّ خمسة أيام! رحل ماكوفيتسكي ووصلت تانيا. كتبت بضعة خطابات. وصل إيليا. إنه طفل مدلل. يبدو أني أزداد صلاحًا. أتذكر دومًا حضور الله. ساعدني يا أبي. أعمل طوال الوقت باجتهاد على كتاب (التعليم الشفهي). بدأت التفكير اليوم وأنا على فراشي، ويبدو أني فكرت على نحو جيد جدًّا في الأناركيين، وفي كتابة خطاب لهم، وكذلك فكَّرت في كتاب التعليم الشفهي وفي الحب والحقيقة والخير، وأردت أن أكتب عن ذلك، لكني لم أجد مكانًا في الدفتر. نحَّيت ذلك

(٣٤٢) تبعد عشرة كيلو مترات عن ياسنايا.

الدفتر، وأريد أن أكتب هنا بقدر ما أستطيع. ربما يريد الله مني ذلك.

كي يُنفِّذ المرء إرادة الله، عليه أن يقوم بعمل الله. كي يقوم بعمل الله، يلزمه شيئان لا يجب أن يفترقا؛ ألا وهما العقل والحب؛ أي أننا في حاجة إلى الحقيقة والخير. من الضروري أن يكون العقل محبًا؛ أي أن يتوجه نشاطه صوب الحب، أو أن يكون الحب عقلانيًّا، بحيث لا يتناقض الحب مع العقل.

الحقيقة ثمرة نشاط العقل. والخير ثمرة نشاط الحب. لكن كي ننال الثمرة، يجب أن يتزامن كلا النشاطين. لا ينتج الخير سوى حب قد اختبرنا حقيقته بالعقل، ولا يمكننا الوصول إلى الحقيقة إلا بنشاط عقل مُحِب يهدف إلى الخير.

أنا لم أختلق هذا، لكنه ما أراه. ماذا تريد مني يا أبي؟ سامحني على عدم قدرتي على الانتظار.

بالأمس ذهبت تانيا إلى أوفسيانينكوفو للوصول إلى اتفاق مع الفلاحين[٣٤٣]. لقد آلمني ذلك[٣٤٤]. لم أنبس بشفة. إنها حزينة. قلت لها ما بكِ؟ فقالت: إنها أوفسيانينكوفو، وانخرطت في البكاء. قالت: «إنهم يلعبون هناك لعبة دنيئة لن تفيد أحدًا». يا للفرحة! إنها هدية عيد ميلادي!

---

(٣٤٣) بناء على نصيحة تولستوي عرضت تانيا على الفلاحين اتفاقًا على غرار نظرية هنري جورج في الأرض التي تملكها عند أوفسيانينكوفو. ينص الاتفاق على أن يتعهد الفلاحون - بدلًا من دفع الإيجار - بدفع مبلغ سنوي ثابت لسد الضرورات العامة لمجتمعهم.

(٣٤٤) السياق لا يوضح تحديدًا سبب الحزن. ربما رفض الفلاحون الاتفاق بسبب الخوف وعدم تصديق نوايا تاتيانا. عرض تولستوي هذه الأحداث تقريبًا في "البعث".

٢٨ أغسطس.

أتممت الآن السادسة والستين. هذا هو التاريخ الذي بدا لي دائمًا بعيدًا. لن ينتهي قريبًا العمل على كتاب التعليم الشفهي. لم أبدأ أيضًا العمل على كتاب جديد. مساء الأمس واليوم شعرت بحزن شديد. كتبت بالأمس خطابًا عن ذلك لليوفا وماشا. انخرطت صباح اليوم في العمل على كتاب التعليم الشفهي. بدا لي أن العمل عليه قد تقدَّم، حتى إني رأيت كل شيء فيه قد اكتمل تقريبًا.

تحدثت مع تانيا. كل ما تريده هو أن تتخلص من أملاكها. سأحاول ترتيب الأمر لها بأفضل الطرق الممكنة. في المساء قرأت في كتاب (نبي العمل). ثمة مواضع كثيرة به جيدة. يتحدث مثلًا عن الفارق بين الضرورة والأهمية. الضرورة تشمل: الخبز والثياب والسكن والمجتمع والطُّرُق والمباني... إلخ. أما الأهمية فتشمل التطور الروحي والعلوم والفنون والأديان. من الجيد أن يتوفر للجميع هذا وذاك، ويجب أن يتوفر أولًا ما هو ضروري، فلا يمكن توفر ما هو مهم إلا إن توفر ما هو ضروري. من الجيد أن يكتسب الجميع هذا وذاك. لكن في الواقع يتمتع البعض بما هو ضروري فقط، وتنصب كافة جهودهم في توفير ما هو ضروري فقط للآخرين. بينما ثمة مجموعة أخرى من الناس لديهم كل ما هو ضروري دون أن يعملوا من أجل توفيره. إن أفكار ثورو[٣٤٥] رائعة. لم أدوِّن شيئًا.

---

(٣٤٥) هنري ديفد ثورو: مؤلف أمريكي، داعٍ للعصيان المدني وإنهاء العبودية.

٣٠ أغسطس.

لم أدوِّن شيئًا بالأمس. في الصباح وبَّخت الصبية على فجورهم. كتبت قليلًا جدًّا؛ تقريبًا لم أكتب شيئًا. لا أزال عالقًا في البقعة ذاتها. عملت بقطع الخشب مع فلاح من كولبنا. في المساء ذهبت إلى أوفسيانينكوفو، لكني لم أتحدث هناك مع الفلاحين. كانوا ثملين تمامًا. فكَّرت صباح اليوم في الآتي: أن نحب الله يعني أن نرغب فيما يرغب فيه، وهو يريد الخير للجميع.

لا أستطيع الكتابة. أُنهكت ولم ينجلِ شيء بعد في رأسي. دوَّنت أفكارًا جيدة. «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ» (يوحنا الأولى ٤ : ٧). ثم يقول بعدها «الله محبة». كان من الأصوب أن يقول: «المحبة هي الله». عندما نقول إن الله محبة، فهذا يعني أننا لا نعرف الله إلا في صورة الحب، أما الحب هو الله فتعني أننا إن أحببنا، فلسنا آلهة عديدة، بل إله واحد.

لقد كتبت الفكرة على نحو سيئ. خرجت لجمع الفطر، وفجأة انجلت لي تمامًا فكرة كتاب (التعليم الشفهي)، ووجدت التعليم كله مترابطًا دون أدنى شك. ليتني أتذكر ذلك!

تنتهي الروايات بزواج البطل والبطلة. عليهم أن يبدأوا الروايات بذلك، وينهوها بانفصال البطلين؛ أي بتحررهما. أن تصف حياة الناس، ثم تقطع سير الوصف بالزواج يماثل أن تصف رحلة شخص، ثم تقطع

الوصف في المرحلة التي يسقط فيها المسافر في يد اللصوص.

١ سبتمبر.

فوَّتُّ يومًا. ليس لديَّ ما أدوِّنه، لا عن عالمي الخارجي ولا الداخلي. فيليكانوف هنا. إنه شديد الذكاء، لكنه غير لطيف. كتبت كثيرًا صباح الأمس، وبدا لي أني كتبت جيدًا. لقد وضعت ملخصًا كاملًا. أعدت اليوم قراءته، وأدنت كل ما كتبته، وبدأت العمل ثانية من البداية، ولم أفعل شيئًا تقريبًا. يعتريني ضعف عقلي. لم أدوِّن شيئًا مع أني كان لديَّ ما أدوِّنه. بالأمس وصلتني كومة خطابات. ثمة خطاب جيد من تشيرتكوف، وكذلك خطابات جيدة من غرباء. فكَّرت في أمر واحد: الفارق بين المنظور الوثني للحياة والمنظور المسيحي لها يكمن في النهاية نفسها. لا أعرف شيئًا آخر. فليفعل معي روح الله ما يريد فعله. كل ما أريده هو ألا أعيق عمله.

٦ سبتمبر.

لم أتوقع أني سأفوِّت أربعة أيام. الساعة الآن الخامسة. في الصباح عملت على كتاب (التعليم الشفهي). أخشى أن أقول إن العمل يتقدم لأني لا ألاحظ ذلك بوضوح كافٍ. بالرغم من ذلك لا أشعر بالاستياء منه، فكل يوم ينجلي لي شيء جديد بخصوصه. وأنا على فراشي في الصباح، بعد ليلة سيئة، فكَّرت بحيوية شديدة في كتابة قصة عن سيد وعامل لديه[٣٤٦]. بعد الإفطار قطعت بعض أشجار البلوط مع أندريوشا.

(٣٤٦) الذكر الأول لقصة (السيد والعامل). تُرجمت إلى العربية بعنوان (السيد والخادم).

مساء الأمس ذهبت إلى أوفسيانينكوفو، ووصلت إلى اتفاق رائع مع الفلاحين هناك. سيدفعون ٤٥٠ روبلًا للاحتياجات العامة. وضَّحت لهم الفكرة تمامًا.

في المساء قرأت رسالة أنثوية فصيحة وغبية في الآن ذاته، مُوقَّعة باسم «المرأة الروسية» ومنشورة في جريدة (المنشور الروسي)، وقرأت كذلك مقالة عن رواية (اخفضْ سلاحك). ذهبت إلى كوزلوفكا حتى يحل موعد الغداء. كتبت في الصباح. العمل يتقدم طوال الوقت لكن ببطء.

في صباح يوم ٣، ٤ كتبت في كتاب (التعليم الشفهي). بعد الغداء قطعت بعض الأخشاب من أجل أرملة من قرية أوزيرسكو. في المساء كتبت ١٢ خطابًا. رحلتْ تانيا. في صباح يوم ٢ كتبت وذهبت على متن الجواد إلى جارياتشينكو. لا أذكر ماذا حدث قبل ذلك.

لم أدوِّن في تلك الفترة سوى فكرة واحدة: كلما كان فعل الحياة حقيقيًّا، ازداد انفصاله عن نتائجه. الأمر لا يقتصر على ذلك، إن نتائجه تمتد إلى ما لا نهاية، لذا يستحيل رصد هذه النتائج. انظر إلى ما هو أبعد من معيشتك الآنية. أنت ترى كيف يشيدون منزلًا، وترى كيف يعيش الجنرالات، ولا ترى كيف يمكنك التحرر من عبودية الدولة، ولا حتى من عبودية الملكية الخاصة. أوضح دليل على ذلك هو أن معنى الحياة ليس في الوصول إلى الهدف؛ بل في تحقيق مهمتنا. ثمة شيء خاطئ. كان بإمكاني أن أفكر على نحو أفضل وأكثر جدة ووضوحًا.

٨ سبتمبر.

فوَّتُّ يومًا واحدًا. بالأمس كتبت قليلًا، لكني فكَّرت كثيرًا. بدأت كل شيء من البداية مجددًا. بعد الإفطار قطعت بعض الأخشاب بصحبة دافيدوف، وفي المساء استغرقت في القراءة. وصلت ماشا. كل شيء على ما يرام لكنها تشعر بالملل. أما صباح اليوم فقد استغرقته كاملًا في القراءة، ولم أجلس إلى مكتبي. خرجت على متن جوادي بصحبة الفتيات وذهبنا إلى أوفسيانينكوفو. في الصباح توصلنا بطريقة ما إلى إبرام العقد مع الفلاحين. نمتُ قليلًا، لذا لم أكتب شيئًا. في المساء فكَّرت بوضوح وعلى نحو جيد في الآتي: لا يمكن للمرء أن يعيش مع الشهوات إلا حياة شريرة. لا يمكنه أن يعيش حياة صالحة إلا بالفضيلة والرغبة المتزايدة فيها.

لا يمكن للناس أن ينحدروا أخلاقيًّا إلا مع وجود مساعٍ قوية ومثالية، كما أنه لا يمكن لطائر أن يندفع بتهور ليصطدم بشجرة أو حائط إلا عندما تكون لديه أجنحة. الأجنحة هي الوعي بقوة الصعود الروحي.

١٠ سبتمبر.

بالأمس كتبت على نحو جيد. ثم ذهبت إلى موثق العقود بتولا ثم إلى روداكوف[٣٤٧]. أراد الموثق أن يُشهر ما فعلته تانيا علنًا. أمر سيئ. التقيت بيفدوكيموف[٣٤٨]. يعيش مع مومس. حاولت إقناعه أن

(٣٤٧) ذهب لموثق العقود لتسجيل عقده مع الفلاحين بأوفسيانينكو، وذهب لروداكوف وهو عامل من تولا كي يقدم له النصيحة التي طلبها منه بشأن تربية أولاده.

(٣٤٨) طالب سابق بجامعة كييف. ساعده تولستوي في أن يجد عملًا بتولا.

عليه أن يأخذ على عاتقه القيام بتلك المهمة العظيمة؛ ألا وهي إعادة هذه المرأة للحياة. وصل روداكوف لليأس من فكرة الحياة الأسرية. أُنهكت بالأمس، ولم تكن معدتي على ما يرام. لذا أشعر اليوم بالخمول. في الصباح وصل جوربونوف ويكوبوفسكي. لا أُكِنُّ إعجابًا بالأخير. يبدو أني دنيء. بعد أن استيقظت صباح الأمس فكرت في كتابة رد على خطاب الرجل الإنجليزي الذي وصلني بشأن الأناركية، وكيف يمكننا أن نحيا في غياب الحكومة.

١- قرأت كتاب أوجست جارد (عالم اجتماع فرنسي) الرائع. يقول: هدف الحياة هو الخير، وسلوك طريق كمال الذات، والوسيلة هي الحب. لا يمكنني أن أجيب عن سؤال: كيف نعيش في غياب الحكومة والقوانين والجيش... إلخ، وذلك لأن السؤال نفسه مُصاغ بطريقة سيئة. لا يتعلق السؤال بالشكل الذي يجب أن تكون عليه الحكومة: هل هو الشكل الحالي أم شكل جديد؟ لست في وضع يسمح لي أنا أو غيري بحل هذه المسألة. لكني قادر على حلها، والمسألة ليست اختيارية، بل حتمية تمامًا. السؤال يتعلق بـ: كيف يجب أن أسلك تجاه إشكالية أواجهها لا محالة: هل أُخضِع ضميري لما يجري من حولي، وأعلن عن تضامني مع حكومة تشنق أولئك الذين ضلوا طريقهم، وتقود الجنود صوب القتل، وتُخدِّر الناس بالأفيون والفودكا... إلخ، أم أُخضِع أفعالي لضميري؛ أي ألا أشارك في عمل الحكومة الذي يناقض وعيي؟ ما الذي يمكن أن ينتج عن ذلك؟ كيف ستكون الدولة حينها؟ لا أعرف ذلك. الأمر ليس أني لا أريد أن أعرف، بل إني لا أستطيع أن أعرف. كل ما أعرفه هو أن شيئًا سيئًا لا يمكن أن ينتج عن اتباعي لأسمى ما فيَّ؛ أي العقل والحب، أو

الحب العاقل. لا يمكن أن ينتج أيضًا أي شيء سيئ عن نحلة تنساق إلى غرائزها الفطرية السامية وتطير مع بقية السرب، ربما حتى إلى الهلاك. لكني أُكرِّر؛ لا أريد أن أحكم على ذلك الأمر، ولا يمكنني حتى فعل ذلك. في هذا تحديدًا تكمن قوة تعاليم المسيح. لا أقصد أن السبب هو أن المسيح هو الله أو حتى إنسان عظيم، لكني أقصد أن تعاليمه لا تُقاوم. أعظم ما في تعاليم المسيح تحديدًا هو أنها تنقل المسألة من مجال الشكوك والتكهنات الأبدية إلى أرض اليقين. أنت إنسان؛ أنت كيان عاقل وخيِّر، وتعرف أن هذه هي أسمى السمات بداخلك. وتعرف أيضًا أن غدًا سوف تموت وتتلاشى. إن كان الله موجودًا، فلا بد وأنك ستذهب إليه، وسيسألك عن أفعالك، وهل سلكت بموجب قانونه أم لا، أو حتى بموجب الصفات السامية التي وضعها فيك. إن لم يكن الله موجودًا فستدرك أيضًا أن العقل والحب هما أسمى ما فيك، وأنه يتوجب عليك أن تُخضع بقية مساعيك إليهما، ولا تخضعهما لطبيعتك الحيوانية، وألا تهتم بمتاع الحياة، أو تخشى من المصاعب والكوارث المادية. أُكرِّر مجددًا؛ السؤال لا يتعلق بأي نوع من الحياة سيكون أفضل وأضمن: هل عندما نحيط أنفسنا بالأسلحة والمدافع والمشانق، أم عندما لا نحيط أنفسنا بكل ذلك؟ لا... السؤال الحقيقي بالنسبة لكل إنسان هو سؤال واحد، لا يمكن التهرب منه أبدًا؛ هل تريد ككيان عاقل وخيِّر يأتي لبرهة في هذا العالم، ويمكن أن يتلاشى في أي لحظة، أن تشارك في قتل الضالين، أو قتل كافة الشعوب الأجنبية، شعبًا تلو الآخر، وأن تشارك في إبادة شعوب بأكملها نطلق عليها «الشعوب الهمجية»؟ هل تريد أن تشارك في تدهور أجيال بتخديرها بالأفيون والفودكا من أجل ربحك

الخاص؟ هل تريد أن تشارك في مثل هذه الأفعال أو حتى أن تتضامن مع مَن يفعلها أم لا؟ ثمة إجابة واحدة لهذا السؤال. أنا لا أعرف ماذا سوف ينتج عن ذلك، لأني لم يُعْطَ لي هذا. أما بخصوص ماذا يتوجب عليَّ أن أفعل، فهو أمر معروف لي تمامًا بلا أدنى شك. إن سألتني: ماذا ستكون النتيجة؟ سأجيبك: ستكون خيرًا لا محالة؛ لأن السلوك وفقًا للعقل والحب هو السلوك وفقًا لأسمى قانون أعرفه.

٢- **فكرة مهمة:** خطأ فادح أن نتصور أن العالم قد خُلِق. العالم يُخلق حتى الآن، والحياة ليست إلا عملية خلق مستمرة. أما نحن البشر، فنمثل أدوات الخلق. نحن نخلق العالم بحسب إرادة الله.

٣- **فكرة أكثر أهمية:** إن شغل الحياة الشاغل هو الكمال. أداة الأنا لتحقيق ذلك هي الحب. نحن في حاجة إلى العقل حتى يكون الحب فاعلًا.

الحب هو الرغبة في الخير. حب الخير للذات هو حب للذات، أما حب الخير للآخر فهو أمر مختلف؛ حب الآخرين والرغبة في الخير للجميع هو حب الله. آه من فوضى الأفكار! الساعة الآن الواحدة. سأصعد للطابق العلوي.

١١ سبتمبر.

أكتب صباحًا في الساعة الثانية عشرة. بالأمس خرجت لأتنزه مع يكوبوفسكي وجوربونوف، ثم استغرقت في القراءة مساءً. صحتي ليست بخير. تتبدد الحياة عبثًا بفعل الخطية، والخطية تكتنفنا بسبب الضعف العقلي الناتج عن الإفراط في تناول الطعام، والأخير بدوره بسبب الجشع. شعرت بالخمول طوال الصباح ولم أكتب شيئًا. اقترح جوربونوف فكرة

جيدة لإصدار مجلة. ماذا سينتج عن ذلك؟ بدأت الكتابة عن الإغواءات. ارتبكت وجلست وأخذت أفكر في لعب الورق بمفردي.

١٤ سبتمبر.

فوَّتُّ يومًا، وأخطأت بالنهار. أول أمس ذهبت لضحايا الحريق بقرية كوجوخوفو. كان يومًا طيبًا. أردت أن أكتب في المساء، ولكن كان عليَّ أن أودِّع الضيوف. عملت قليلًا صباح الأمس، ثم ذهبت إلى قرية أوفسيانينكوفو لنحسم أمر الغابة والحديقة. حسمنا الأمور هناك على أفضل وجه ممكن. في المساء عكفت على الكتابة، وكتبت فعلًا قصة عن عاصفة ثلجية[٣٤٩]. ليست جيدة. استغرقت في الكتابة حتى الثانية عشرة. استيقظت صباح اليوم في حالة صحية سيئة، شاعرًا بألم في جانبي، واستغرقت الصباح بطوله في لعب الورق بمفردي. لم أكتب شيئًا. سأتناول إفطاري الآن. عليَّ ألا أخرج.

١٦ سبتمبر.

كتبت قليلًا بالأمس، لكني فكرت على نحو جيد، وانتهيت من خطة الكتاب تمامًا (يقصد كتاب التعليم الشفهي). خرجت بعدها لأقتطع بعض الأخشاب. عملت كثيرًا. أشعر أني في حالة صحية ممتازة. في المساء قرأت بعض الخطابات والمقالات التي وصلتني. لم يصلني شيء مهم؛ خطاب من ليبيديفا، ومقالة عن البابية[٣٥٠].

---

(٣٤٩) الصياغة الأولى لقصة (السيد والعامل).

(٣٥٠) هي دعوة ظهرت على يد علي محمد بن محمد رضا الشيرازي الملقب بـ«الباب»، حيث إن لقب الباب يعني في المعتقدات الشيعية الوسيط بين الله، أو الوليّ المقدس.

أُنهكت تمامًا مساء أول أمس بسبب طالب من خاركوف طلب مني على الطريق أن أمنحه عشرة روبلات. كتبت اليوم أيضًا على نحو جيد، لكني لم أنه ما بدأته، وتعثرت في العمل. فكرة الله لا تزال غير واضحة. ثمة فكرة عن الله كخالق، وأخرى كشخصية غير ضرورية تمامًا ذات وجود اعتباطي. لم أكتب سوى مقارنة بين لا مبالاة جواد، يسير تحت الأغصان، وشخصية تمتطي هذا الجواد وتعاني بشدة، تحتك الأغصان بوجهها، وكذلك لا مبالاة الحشود التي تمضي في طريق تلبية متطلبات معيشتها، ومعاناة أولئك الذين يشعرون بمعاناة الآخرين ولا يمكنهم ألا يبالوا بها.

٢٠ سبتمبر.

لم أُدوِّن شيئًا لثلاثة أيام. بالأمس ذهبت إلى كوزلوفكا، وأول أمس عملت كثيرًا بقطع الأخشاب، وفي يوم ١٧ ذهبت مع أطفالي إلى يسينكا. كتبت في صباح كل هذه الأيام. صباح اليوم، أو مساء الأمس، أصبت ببرد شديد وسعال. عليَّ أن أستغل سوء حالتي الصحية، ولا أدين الآخرين، وأتحمل كل شيء دون أن أزعج أحدًا ودون أن أعامل أحدًا بغير لطف، والأهم من ذلك أن أستمر في الخدمة. بالنسبة للكتابة، كتبت نصين متوازيين. يبدو الثاني أفضل من الأول. كل ما عليَّ فعله هو تضمينه الفكرة الآتية: الرغبة في خير لا يضيئه نور العقل تُعتبر حبًّا للذات، أما الاستنارة أو التحرر بالعقل فتُعتبر حبًّا، تزيد أو تقل درجة أصالته بحسب درجة تنوير العقل.

دوَّنت فكرة واحدة: قرأت اليوم عن فلسفة تيشولير (فيلسوف

ألماني). إنها تناقش أمرًا عرفته منذ زمن بعيد؛ ألا وهو: المكان والزمان مجرد ترتيب لتوزيع العناصر. هذا ما توصلت إليه عندما بلغت سني خمسة عشر عامًا، حينما قلت إننا كي نفهم وجود عنصرين في غياب مفهوم المكان، لا بد أن يختفي عنصر ويحل آخر مكانه. المكان هو إمكانية الرؤية. كي نفهم وجود عنصرين دون مفهوم الزمان، لا بد وأن يكونا متقاربين. لا وجود للزمان والمكان؛ بل هما مجرد وسيلتين لفهم العناصر. لذا نخطئ حينما نتحدث عن لا نهائية الزمان والمكان، والنجوم التي لم يصل ضوؤها بعد إلينا، وحالة الشمس من ملايين السنين... إلخ. كل هذا محض هراء، ولا يُعبِّر عن أي حقيقة. الحقيقة تقتصر على مشاعرنا وأفكارنا، لذا فإننا نخطئ حينما نفكر ونقول: أنا أقوم بكذا بعد كذا. ما يحدث في مجال الروح قد حدث فعلًا، وما لم يحدث، لم يحدث، الآن وفي كل مكان وزمان.

٢٢ سبتمبر.

أخطأت بالأمس. عانيت طوال الأمس من برد قوي. لم أكتب شيئًا تقريبًا في الصباح، لكني استغرقت في التفكير. كل شيء يتحرك. وصلتني خطابات من موسكو. ساعدني يا سيدي على حب أقرب الناس إليَّ. يبدو أن الحب قد توطد بداخلي فعلًا. انهمكت في كتابة الخطابات طوال المساء.

٢٤ سبتمبر.

لم أدوِّن شيئًا بالأمس. كتبت على نحو جيد جدًّا في الصباح. العمل يتقدم. رحلت ماشا إلى موسكو. ذهبت إلى قرية أوفسيانينكوفو. في

المساء أعدت ماريا ألكسندروفنا إلى منزلها وانهمكت في القراءة.

بالنسبة لليوم، كتبت في الصباح على نحو جيد أيضًا. تساعدني تانيا وتعيد نسخ كل ما أكتبه. من الغريب أني فور أن أتذكر أمر أوفسيانينكوفو، وتنازل تانيا عن أرضها هناك للفلاحين، أشعر بالضيق والقلق. في الساعة الثانية ذهبت بمجرفتي إلى كوزلوفكا وعملت بإصلاح الطريق هناك. أُنهكت بشدة. عدت لأنتظر صوفيا، لكنها لم تصل بعد. ستصل غدًا. أنتظرها بفراغ صبر شديد. حذفت عدة كلمات، كما لو أن شعوري الطيب صوبها لن يتغير إن حذفت هذه الكلمات.

فكَّرت كثيرًا فيما كَتَبْتُه لتسيتسيليا فلاديمروفنا[٣٥١]. تحدثت عن ذلك مع ماريا ألكسندروفنا. إن تحرير المرأة الحقيقي يتمثل في ألا ننظر إلى أي عمل على أنه خاص بالنساء فقط؛ أقصد تلك الأعمال التي يخجل المرء من القيام بها، لذا فتحرير المرأة يكمن في تقديم المساعدة لها بكل ما لدينا من قوة، خاصة لأن النساء ضعيفات جسديًّا، لذا علينا أن نأخذ من على عاتقهن كل العمل الذي يمكننا القيام به بأنفسنا. هكذا هو الأمر أيضًا فيما يتعلق بالتربية، خاصة عندما تضطر المرأة إلى الإنجاب ثانية، ومن ثم يقل الوقت المتوفر لديها. هكذا هو الأمر أيضًا فيما يتعلق بالمدارس، فعلى الرجال تولي أمور الدراسة مع أبنائهم، بحيث يكتسب الأبناء القوة والمعرفة اللازمة لهم. هم قادرون على ذلك. جعلني ذلك

---

(٣٥١) تزوجت من دون مباركة الكنيسة بـ د. أ خيلكوف. ذهبت إلى تولستوي بموسكو لتطلب منه مراجعة وتصحيح التماسها للقيصر كي يعيد إليها أطفالها الذين أُخذوا منها بسبب معارضتها للكنيسة.

أتذكر علاقاتي الأنانية الفظة مع زوجتي. سلكتُ كما يسلك الجميع؛ أي بدناءة وقسوة. تركتها تحمل عبء العمل بأكمله على كاهلها، بينما كنت أخرج للصيد. شعرت بالسرور لاعترافي بذنبي.

رأيت كلبًا أسودَ مشوهًا كسيحًا، وأردت أن أطرده لكني شعرت بعدها بالخزي من ذلك. إنه مريض وقبيح ومشوه، وأنا أريد طرده بسبب ذلك! الجمال جذاب والقبح منفر. ماذا يعني ذلك؟ أيعني أننا يجب أن نسعى إلى الكمال ونبتعد عن القبح؟ لا. هذا يعني أننا يجب أن نسعى إلى ما تُعد نتائجه جمالًا، ونتجنب ما تُعد نتائجه قبحًا. هذا يعني أن نسعى إلى الخير ومساعدة وخدمة كافة المخلوقات، ونتجنب كل ما يمكن أن يضر بها. ستكون النتائج جميلة لا محالة. سيكون كل شيء جميلًا. إن القبح مؤشر على الخطية، والجمال مؤشر على عدم الخطية الكامن في الطبيعة والأطفال. لهذا تحديدًا من الخطأ أن نجعل الجمال هدفًا للفن.

رحلت ماشا في مزاج سيئ. من المؤكد أنها لا تشعر بالغيرة من تانيا وما فَعَلَتْه بأوفسيانينكوفو لا سمح الله. عليَّ أن أكتب لها.

٢٧ سبتمبر.

استيقظت اليوم في السادسة، وذهبت على متن الجواد إلى تولا لجمع التفاح. تحدثت هناك مع العمال عن الإغواءات، ثم ذهبت إلى أوفسيانينكوفو وعدتُ على الغداء. لم أُنهك، لكني أشعر برغبة في النوم. فوَّتُّ يومًا دون كتابة. صباح الأمس كتبت على نحو لا بأس به. بعد الإفطار ذهبت إلى تولا لجمع التفاح. ذهبت إلى روداكوف. إنه متكبر بدناءة وذكاء. شعرت كما لو أني تلوثت بالذهاب إلى هناك. في

المساء قرأت وجلست مع صوفيا وتانيا. وصلت صوفيا في صباح أول أمس الباكر. علاقتنا الآن رائعة. ثمة شيء طيب يبعث على السرور بيننا. في الصباح انشغلت بالكتابة. لا أذكر ماذا فعلت أيضًا. فكَّرت في الآتي:

١ - في معظم الأديان، وخاصة في المسيحية الدوجمائية، ثمة جوانب ميتافيزيقية كثيرة للغاية، تبدو كما لو أنها بنية هائلة شديدة التعقيد؛ أما ما تنتجه من قوة فإما أنها طفيفة للغاية وإما أنها لا تُنتج شيئًا على الإطلاق، وأقصد تحديدًا القوة الأخلاقية والعملية. خطر كل ذلك على ذهني، لأني أرى على نحو يزداد وضوحًا كل ما هو فائض ولا نفع منه، وكيف يتغير مركز الثقل وينحرف بعيدًا عن الاتجاه الذي يقدم فيه الدين وجهة نظر دينية للعالم، تتضمن بداخلها مفهومًا عن الله. كلما فكَّرت بمزيد من الإخلاص والجدية في نفسي وفي الحياة ومصدرها، قلَّت حاجتي وتعقد أكثر مفهوم الله. كلما اقتربت من الله، قلَّت رؤيتي له. ليس ذلك بسبب أنه غير موجود، ولكن بسبب أن من المرعب أن يتحدث المرء عنه، لا بمعنى تعريفه، بل بمعنى تسميته.

٢ - فكَّرت اليوم بسرور في أن الدليل على أن الحب هو أصل كل شيء، وأنه هو الله، هو أنك عندما ترغب في زيادة الحب، تجد نفسك منجذبًا إلى زيادته بداخلك وبالآخرين على السواء، فزيادته في الآخرين تُسعدك بقدر أكبر من زيادته داخل نفسك. كافة السمات الأخرى في الآخرين عدا الحب، يمكنها أن تجعلك تشعر بالأسف - إن لم تشعر بالحسد - لأنها ليست فيك.

٣- فيما يتعلق بكتاب (التعليم الشفهي): جوهر حياتنا هو شيء

أبدي لا نهائي، يُعبِّر عن نفسه في رغبتنا في الخير لأنفسنا وللآخرين؛ الأمر الذي نطلق عليه «الحب».

٢٨ سبتمبر.

بالأمس شعرت بالضعف وآلمني ظهري. عملت قليلًا. تنزهت قليلًا قبل الغداء. أنا مسرور بعلاقتي مع صوفيا. يبدو أنها صلبة، كما أني ألاحظ تغييرًا في صوفيا.

٢٩ سبتمبر.

في المساء جاء فلاحو بيروجوف. تعاملت معهم على نحو سيئ. تكاسلت عن كتابة خطاب. نهضت في وقت غير متأخر. وأنا على فراشي في الصباح تصورت بوضوح كتاب (التعليم الشفهي) بأكمله ببساطة تامة وشكل مناسب. لكن عندما بدأت الكتابة لم ينجح الأمر. على أي حال فكَّرت كثيرًا. دوَّنت الآتي بالأمس: مما يكبح جماح الحب:

١ - الإقبال على ما يشبه الحياة، وتَصوُّر أن ثمة هدفًا عقلانيًّا لمفاهيم من قبيل: الملكية- الأسرة- الدولة- العلم- الفن.

٢ - ما يُجبرنا على نسيان عبثية الحياة مثل المتع والإغواءات.

فكَّرت اليوم أيضًا في الآتي: ثمة ثلاث أنواع من الخداع: خداع الشهوات (الشره والرغبة الجنسية واللهو)- خداع حب مديح الناس (العادة- المجد- العظمة)- خداع الخرافات (المِلكية- الدولة- الإيمان المتمثل في الأديان الآن).

أشعر بالضعف وألم ظهري ثانية ولكن على نحو أقل. نمت. عملت

قليلًا مع ألكسي، وقطعت له بفأسي أجمة صغيرة. تنزهنا، أنا والأطفال، على متون الجياد. في المساء قرأت خطابيْ كينورثي ويوجين شميت. الخطابان جيدان جدًّا، خاصة الأخير. ثمة حراك واضح في إنجلترا وألمانيا. وصلني كذلك خطاب من تشيرتكوف وروزين يتضمن أسئلة ذكية أود أن أجيب عنها. لقد تأخر الوقت الآن. إنها الحادية عشرة، وليست لديَّ قوة لفعل ذلك الآن.

٤ أكتوبر.

سأعود إلى ما حدث في الأيام الماضية. الساعة الآن الثانية عشرة صباحًا. مكثت بالطابق العلوي مع ابني سيريوجا. يا للفرحة! لم يراودني أدنى شعور سلبي تجاهه كما كان يحدث بالماضي؛ بل على النقيض من ذلك، شعرت بالحب يتوهج في قلبي. هذا بفضلك يا أبا الحب. اليوم يوافق عيد ميلاد تانيا. بلغت سنها ثلاثين عامًا. إنها حزينة قليلًا، وأعتقد أنها لا تشعر بالراحة في قلبها. فليعينها الله! غفوت ظهرًا، وعملت صباحًا. ضمَّدت قدمي. مساء الأمس جلست مع ليجراس، كما أني كتبت نهارًا وبعد الظهر. تؤلمني قدمي. أول أمس عدت من بيروجوفو بقدم مصابة. وجدت صوفيا في حالة مزاجية حيوية وجيدة جدًّا. كل شيء يتحسن. في الصباح تركت بيروجوفو، حيث قضيت هناك يومين رائعين: ١، ٢ أكتوبر. كتبت خطابًا لماشا وآخر لتريجوبوف. فكَّرت كثيرًا في الطريق ونسيت الكثير من أفكاري. كانت جميعها عن الإيمان:

١- وسائل الخداع هي ما تجعلنا نَقبل ما يُشبه الحياة. الإغواءات هي ما تُبطل قوة الحياة.

٢- يبحث الكيان الشخصي عن مواصلة الحياة، ويخشى فقدانها.

٣- الأمر لا يقتصر على أن الروح لا تخشى فقدان الحياة؛ بل تخلقها.

٤- الرغبة في الخير للذات هي حياة الشخصية، أما الرغبة في خير الآخرين فهي حياة الروح.

٥- تتأسس الحياة الحقيقية على العمل في هذه الحياة من أجل الوصول إلى أهداف خارج إطارها.

٦- مَن يحيا حياة حقيقية هو ذاك الموقن أن حياته لا يمكنها أن تبلى، ومَن لا يشعر بالأسف على هذه الحياة، تمامًا كما لا يمكن لإنسان يقف عند نبع مياه لا ينضب أن يخشى أن تتبدد.

٧- ذاك مَن يحيا داخل حدود الحياة الشخصية، يحافظ عليها، لأنها تمثل كل ما لديه. أما مَن يعيش حياة حقيقية بإمكانه أن يُبدِّد هذه الحياة الشخصية من أجل أن يخلق حياة حقيقية.

قدمي تؤلمني بقوة. بدأت أتخيل أني سأموت، ولم يقتصر شعوري بالأسف على الحياة؛ إنما كذلك على قطع قدمي. كم هي ضآلة استعدادي للموت! يا لضعف إيماني! ساعدني!

٨ أكتوبر.

صباح اليوم وصل بوشا وستراخوف. أجروا تفتيشًا في منزل ستراخوف، وأخبروه أن الوضع قد اختلف مع تولستوي الآن، وأنه أصبح شخصًا خطيرًا. شعرت أني لا أرغب في التعرض للاضطهاد؛ الأمر الذي أخجلني. كانت الأمور على أفضل حال في المنزل مع صوفيا، لكنها

حاولتْ طوال اليوم وحتى المساء، أن تجعلني أشعر بالسرور بالاضطهاد. أحداث اليوم: في البداية سرقة أشجار التفاح وسجن الفلاحة ثم إدانة ما هو عزيز عليَّ، وبعد ذلك الفرحة بعودة نوفيسيلوف إلى الأرثوذكسية، ثم الحديث عن المال الخاص بـ (ثمار التنوير)[٣٥٢]. ضعفتُ وبدأتْ شعلة الحب التي أنارت حياتي بفرح تخبو. عليَّ ألا أنسى أن أهم ما في الحياة ليست هذه الأعمال؛ بل هو النور. أعتقد أني تذكرت ذلك. ساعدني يا سيدي.

ذهبت إلى يسينكا قبل الغداء. عملت قليلًا في الصباح، ووصلت إلى الجزء الثاني[٣٥٣]. صباح الأمس كتبت، ثم ذهبت إلى كوزلوفكا. في المساء كتبت إلى ليوفا وليسكوف. أول أمس مكثت بالمنزل طوال اليوم. كتبت، ولا أذكر شيئًا آخر.

فيما يتعلق بـ(التعليم الشفهي) فكَّرت في الآتي:

الصلاة هي بمثابة قراءة لأوراق اعتماد إيماننا، وإنعاش لذكرى مهمتنا التي أُرسلنا من أجل تحقيقها.

كتبت بالألمانية خطابًا لشميت. وصلني خطاب من كروسبي[٣٥٤] عن هنري جورج.

---

(٣٥٢) بالرغم من تخلي تولستوي عن حقوق الملكية الفكرية لأعماله، لكنه وافق على تقاضي مبالغ صغيرة من المال مقابل العروض المسرحية لـ(ثمار التنوير) و(الضوء يسطع في الظلام)، واستخدم هذا المال في أغراض خيرية.

(٣٥٣) من كتاب التعليم الشفهي، والفصل بعنوان (الخطايا).

(٣٥٤) إرنست هاورد كروسبي: كاتب أمريكي.

٩ أكتوبر.

مَرَض القيصر، وموته المحتمل يؤثر فيَّ بشدة. أشعر بالأسف الشديد. وصل روداكوف صباحًا. انهمكت في العمل، لكني واجهت إغراءات شديدة. التقسيمات والتعريفات اعتباطية تمامًا، وثمة نقص حاد في الدقة. فكَّرت كثيرًا في الأمر، لكني لم أحسمه بعد. ذهبت إلى ديمانكا[٣٥٥]. ضمَّدت جرح رجل عجوز. وجدتني قد غرقت في فقر القرية. كم من السيئ أني لم أفعل ذلك منذ فترة طويلة! تشكو من الزمان، وتود أن تقول كل ما يجب عليك قوله، لكنك تفتقر إلى القوة. إن انهمكت تمامًا في شؤون القرية، أظنني سأجد نفسي أفتقد الحالة المزاجية المناسبة للعمل. أقول «أظنني» لأني غير متيقن من ذلك. حتى إن كان العمل في القرية والتعامل مع الناس سيمضى بيسر وسهولة، دون صراع، فبخلاف العلاقات المصطنعة تمامًا، سأظل غارقًا في صراع مع أسرتي، وهذا أمر صعب يفوق مقدرتي.

ستراخوف لطيف. لقد رحل إلى موسكو. صوفيا ليست بخير. تتذمر باستمرار.

١٣ أكتوبر.

كتبت صباح اليوم. كل شيء يتقدم، وينجلي في نفسي أكثر فأكثر، لكن التفسير لا يزال سيئًا. توصلت اليوم إلى أن الحياة هي الرغبة في الخير. أما الفهم الكاذب للحياة فيتأسس على أن تعتقد أن شخصيتك

(٣٥٥) حيث منزل تشيرتكوف الريفي.

وحدها هي ما تمثل أناك، وبالتالي ترغب في الخير من أجل شخصك فقط. كل ما يلزمك هو أن تتوقف عن اعتقاد نفسك شخصًا، وستكون الحياة حينها بالنسبة لك رغبة في الخير لما تعتبره نفسك وما تحبه. الأمر كله يدور حول هذا المحور. يبدو أني قد حدَّدت طبيعة الإغواءات الآن بشكل صحيح: الإغواءات هي الإشباع الواع للاحتياجات، وزيادتها وصون الشخصية. الإغواءات الأولى هي إغواءات الشهوة واللهو المتمثلة في الفنون، والعلوم ونيل مديح الناس. أما المرحلة الثانية من الإغواءات فتتمثل في الملكية والقومية والأديان.

صباح الأمس وصلتْ ماشا بصحبة فيرا سفيرتسيفا. ماشا بخير وسلام. ليوفا مثير للشفقة، وكذلك القيصر. قطعت بعض الأخشاب بصحبة بوشا. في المساء أنهيت قراءة مقالة (صداقة جوته وشيلر). فكَّرت كثيرًا أثناء القراءة في علم الجمال ومسرحيتي[٣٥٦]. أشعر بالرغبة في الكتابة. قد تكون هذه هي إرداة الله أيضًا.

كتبت أول أمس أيضًا. رحل ستراخوف. شاركت مع الفلاحين في قطع الأخشاب. في يوم ١٠ وصل بوشا بصحبة ستراخوف. كنت مسرورًا بوصولهما. سترحل صوفيا غدًا. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ – الناس مهووسون الآن بنظرية الفن. واحد يعتقد أن الجمال هو ما يراه وحده مثاليًّا. وآخر يرى الجمال فيما هو مفيد، وثالث يرى أنه بمثابة لعبة. إن منشأ هذا الخلط ينبع من حقيقة أن الناس تريد أن تواصل اعتبار شيءٍ ما مثاليًّا، رغم أن الزمن قد عفا عليه. هكذا هو الأمر مع فكرة

(٣٥٦) يقصد (الضوء يسطع في الظلام).

الفائدة والجمال. الفن هو القدرة على رسم ما يجب أن يكون، وما يجب أن يسعى إليه الناس جميعًا، وما يمنحهم الخير الأعظم. لا يمكننا أن نُصوِّر ذلك إلا في هيئة نماذج. لقد مرَّت الإنسانية بنموذجين للمِثال عفا عليهما الزمن الآن، وتمر الآن بالثالث. أول المُثُل كان مفهوم الفائدة: كل شيء مفيد كان بمثابة قطعة فنية، أو هكذا اعتبروه. ثم جاء دور الجميل، والآن دور الخيِّر والصالح والأخلاقي. منشأ الارتباك هنا هو أن الناس تريد إعادة ما عفا عليه الزمن ليصبح مثالًا مجددًا، كما لو أنهم يريدون من البالغين أن يعودوا إلى اللعب بالدمى. علينا أن نقول ذلك بوضوح وإيجاز.

٢- عندما يدين إنسان الآخر على نقص الحب، فهذا دائمًا لا يعني إلا أمرًا واحدًا؛ أن هذا الإنسان قد أصبح فظًّا مع الناس من قلة ما لديه من حب، وأن هذا أمر يحزنه.

أكتب في كتاب (التعليم الشفهي) وأفحص في نفسي باستمرار ما أعرضه من آراء. ليس هناك موقف أكثر وضوحًا يمكن للتجربة أن تؤكد عليه أكثر من أن معنى الحياة يتلخص في زيادة الحب. سأظل أشعر بالسرور ما دمت أذكر ذلك وأسلك بهذه الطريقة.

الساعة الآن العاشرة مساءً. سأصعد إلى الطابق العلوي. أردت أن أكتب بشدة. صوفيا آتية.

٢١ أكتوبر.

لم أُدوِّن شيئًا منذ أكثر من أسبوع. رحلت صوفيا ووصلت تانيا.

حالتها أفضل الآن. واصلت العمل على نفس المنوال خلال هذه المدة، وهو يتقدم وإن كان بمزيد من البطء. قررت اليوم مجددًا أن أكتب بلغة شعبية مفهومة للجميع. حالتي الصحية ليست جيدة. ليست لديَّ طاقة، لكن حالتي الروحية رائعة. منذ ثلاثة أيام مضت كنت أقرأ في يوميات ١٨٨٤، وشعرت بالنفور من نفسي بسبب قساوة آرائي في صوفيا وسيريوجا. فليعرفا إذَنْ أني أتراجع عن كل هذه القساوة التي كتبتها عنهما. إني أزداد تقديرًا وحبًّا لصوفيا، وأتفهم سيريوجا، ولا أشعر صوبه سوى بالحب. خوخلوف موجود الآن. لقد جاء من موسكو لسبب ما. شعرت بالضيق الشديد من حضوره. إحدى دلالات سوء حالتي الروحية في هذه الفترة هو أني لم أدوِّن شيئًا. وصلتني خطابات كثيرة، وأجبت عنها بالأمس واليوم. فكَّرت في الآتي:

١- تذكرت سنوات شبابي وعلاقاتي بالنساء. إن أراد إنسان أن يحرم نفسه تمامًا من أي احتمالية للنشاط العقلي الحر والعلاقات الحرة مع الناس، عليه أن يفعل ما فعلته: يأكل اللحم ويشرب القهوة والشاي والخمر ولا يعمل، ويقوم ببعض التمرينات ويقرأ الكتب التي تثير العواطف. طوال فترة شبابي كنت أبدو كمهر مجنون متخم بالطعام. من الغريب أن أتذكر ذلك.

٢- لقد أسقطني الشيطان بين شباكه بشكل مريع. في عملي على كتاب (التعليم الشفهي) كان يحثني على التخلي عن مفهوم الله كأساس لكل شيء؛ الله الذي نعيش في هذا العالم بإرادته، والتي بمقتضاها أصبح الجوهر الإلهي في كل واحد منا، يتجلى في حياتنا. فجأة شعرت بالكآبة

والخوف. اكتنفتني حالة من الهلع، وأخذت أفكر وأفحص نفسي، حتى وجدت الله بداخلي، وكأني أعدت اكتشافه بداخلي وأحببته. مهما يحدث لنا، ومهما نعتقد أنه أمر يبعث على الضيق والحزن، علينا أن نتذكر أن الله موجود، وسيبعث ذلك فينا السرور. مثلما رأيت الجبال في القوقاز وصحت من فرط هذا الانطباع المادي: يا للجبال! هكذا هو انطباعي الروحي، وها أنا أصيح: يا ألله!

٢٢ أكتوبر.

بالأمس وصل خوخلوف، وهو يعذبني من الأمس. يمكنني أن أصف حالته الروحية، لكنه أمر عسير جدًّا. لقد تمسك - ولا يزال - بالجانب السلبي من تعاليم الحقيقة المتعلق بإدانة العالم، في مقابل تعاليم المسيح السامية. إنه لا يقف مع المسيح؛ بل على ألواح خشبية قريبة منه. انكسرت هذه الألواح، وسقط في ظلام دامس لا يمكنه فيه أن يرى شيئًا سوى نفسه. إن موقفه مرعب. إنه لا يحب أحدًا أو شيئًا، ولا يفكر في أحد أو شيء سوى نفسه؛ لذا فهو تعيس تعاسة هائلة. صباح اليوم وأمس كتبت خطابات وانتهيت من صياغتها. كتبت لتشيرتكوف عن حالتي الروحية، وعن سعادتي بإيجاد الله الذي كنت قد فقدته، وعن القوة الخاصة بالوعي به. أخشى أن يُضعفه هذا الوصف لمشاعري في الخطابات واليوميات، لكن هذا لم يحدث حتى الآن. سروري بهذا الوعي مستمر. تحدثت اليوم مع خوخلوف وتذكرت عدة مرات أن أضع الله دائمًا نصب عينيَّ، وهكذا كان الأمر أيضًا في حديثي مع تانيا. لا تتركني يا أبي! ليتني أشعر دائمًا بقربه وعناقه يكتنف كياني كله!

عرفت اليوم خبر موت القيصر. اصطحبت خوخلوف إلى كوزلوفكا.

٢٦ أكتوبر.

لم أدوِّن شيئًا منذ ثلاثة أيام. حدث في تلك الفترة أن كتبتُ لبوبوف لأطلب منه أن يكف عن إرسال الخطابات لتانيا. لقد التزمتْ بالطاعة. إنها بخير تمامًا. لازمت اليوم فراشها بسبب السعال والرشح. بالأمس ذهبتُ إلى يسينكا، وكتبتُ خطابًا في الصباح إلى روزين وإلى رجل إنجليزي، وكذلك فعلت اليوم. أول أمس عملت أيضًا وقضيت بعض الوقت مع إيليا. الأمر لا يقتصر على أني لم أدنه، بل شعرت بالأسف عليه والحب تجاهه. كم هو ضعيف وطيب!

أقرأ الآن *Morticoles*(٣٥٧). أعتقد أن فيها بعضًا من تأثيري. إنه كتاب شديد الأهمية والفائدة. اليوم مات بافل الإسكافي. أخذ يسأل زوجته: ألم يأتوا من أجلي؟ وظل يسترق السمع بالقرب من النوافذ، وكان يصيح في الليل: «سيأتون الآن»، ومات! لا يمكن إلا لعجوز مثلي أن يدرك طبيعة الحياة القصيرة العابرة! يتضح الأمر بقوة عندما يختفي الناس من حولك واحدًا تلو الآخر. كل ما يدهشك هو أنك لا تزال متشبثًا بالحياة. حينها تفكر: هل ثمة قيمة لاستمرار المرء في إلقاء الأكاذيب ونشر الارتباك والقيام بتلك الأفعال الحمقاء في هذه الفترة القصيرة من العمر التي يحياها؟ يشبه الأمر ممثلًا لديه مشهد واحد، وقد ظل يستعد لهذا المشهد منذ زمن طويل، وارتدى ثيابه ووضع مساحيقه،

(٣٥٧) رواية ساخرة لليون دوديه، ابن الأديب الفرنسي الشهير ألفونس دوديه.

وفجأة نسي دوره تمامًا وهو على خشبة المسرح، وجلب الخزي لنفسه وأفسد العرض بأكمله.

في هذه الفترة فكَّرت في أمرين بديا لي شديدي الأهمية:

١- كل إنسان، مهما كان شريرًا أو مجرمًا أو جاهلًا أو غبيًّا، ومهما ارتكب من دناءات وحماقات، يعتبر نفسه، لا محالة، على حق تمامًا. من المستحيل أن نغضب منه بسبب ذلك، ولسنا حتى في حاجة إلى ذلك. يستحيل ألا يعتبر المرء نفسه محقًّا، فإن فعل ذلك، لما استطاع أن يعيش كما يعيش الآن.

لا يمكن سواء للصالح الورع أو المُثقل بحِمل الخطيئة أن يعيش ضد العقل تمامًا. لذا، فإن أراد أن يعيش في تناقض مع عقله، عليه أن يختلق أنواعًا من التفكير، لا يقتصر عملها على تبرير موقفه، إنما تثبت له كذلك أن الإنسان لا يمكنه أن يحيا إلا بهذه الطريقة.

حتى لا يستمر في تبرير نفسه، عليه أولًا أن يكف عن العيش بهذه الطريقة. لا يمكن للإنسان أن يحكم على نفسه إلا بحكمين: إما محق تمامًا وإما مذنب تمامًا. مَن لا يريد أن يُغيِّر حياته يعتبر نفسه محقًّا تمامًا، ويستخدم العقل في تبرير ما فعله. أما مَن يسعى صوب الكمال، يعتبر نفسه مذنبًا تمامًا، ويستخدم عقله في إدراك ما يجب أن يكون.

٢- لا يمكن لي أن أشعر بالله وأدركه بداخلي طوال الوقت. ثمة أنواع من النشاط علينا أن نستسلم لها تمامًا، ولا نفكر في شيء آخر سواها. في مثل هذه الأوقات يكون التفكير في الله غير ممكن وغير لازم. علينا أن نعيش ببساطة، ودون تكلف، تاركين أنفسنا لهذا الانجذاب، لكن

حالما يظهر شك داخلي وصراع وقنوط وخوف وضغينة، علينا أن نجد بداخلنا هذا الكيان الروحي، وندرك رابطتنا بالله، وننتقل من مجال ما هو جسدي إلى ما هو روحي، ليس بهدف الانسحاب من الحياة؛ بل على النقيض من ذلك، من أجل إعادة شحن قوانا لتحقيق هدفنا، كي ننتصر على ما يواجهنا من عقبات. يتقدم الطائر إلى الأمام على قدميه، طاويًا جناحيه، ولكن ما إن يواجه عقبة، حتى يبسط جناحيه سريعًا ويطير. هذا ما أفعله، وأنا بخير. ما إن أشعر بالغضب أو الخوف أو الكآبة أو الألم، حتى أبسط جناحيَّ، وأتذكر من أنا، فأعود إلى مكاني وعملي بهذا الوعي، ويصبح كل شيء سهلًا، وتزول كافة المصاعب.

٢٧ أكتوبر.

الساعة الآن الثامنة مساءً. عاودت العمل صباحًا على كتاب «التعليم الشفهي» وحاولت أن أجعل كتابتي سهلة ومفهومة. لا يمكنني القول أن العمل يتقدم، لكني أرى طوال الوقت إمكانية تحقيق ذلك. بعدها قطعت بعض الأخشاب. وصلتني خطابات محزنة من موسكو. ليوفا مريض ويود السفر للخارج. أرى أن صوفيا وتانيا والجميع يريدون ذلك أيضًا. فليفعلوا ما يشاؤون. أشعر بالأسف والخوف على ليوفا. فكَّرت الآن في الآتي: من المدهش كيف لم أرَ من قبل هذه الحقيقة التي لا تقبل الشك؛ ألا وهي أن خلف هذا العالم وخلف حياتنا ثمة شخص أو شيء ما يعرف سبب وجود هذا العالم الذي نبدو بداخله كالفقاعات التي تظهر في المياه المغلية؛ تتدافع وتنفجر ثم تتلاشى. لا شك أن ثمة عملًا يتم في هذا العالم من قِبل كافة الكائنات الحية، ويتم كذلك من خلال

حياتي أنا أيضًا، وإلا فلماذا وُجِدت إذَنْ هذه الشمس، وفصول الربيع والصيف؟ الأهم من ذلك، لماذا جاءت إلى الحياة هذه الفتاة المستعرة غضبًا وحياة، ذات الثلاثة أعوام؟ ولماذا نجد هذه العجوز المختلة، وذلك المجنون؟ جميعها مخلوقات مستقلة، ومن الواضح أن ليس ثمة هدف من وجودهم لي، وفي الآن ذاته يعيشون بحيوية، ويحافظ كل منهم على الحياة المستعرة بداخله. هذه المخلوقات هي أكثر ما يقنعني أنها ضرورية لإتمام عمل ما عقلاني وخيِّر، لكني لا يمكنني إدراكه.

٣٠ أكتوبر.

فوَّت يومًا. طوال تلك الفترة وأنا أشعر بالضعف العقلي. عملت بالأمس قليلًا، وفي المساء صحَّحت بعض الخطابات، لكني اليوم لم أفتح دفاتري. طوال الوقت أشعر بالحزن والكآبة، مع أن شيئًا لا يزعجني؛ بل على العكس، كل شيء على ما يرام. الفتيات ينعمن بالهدوء ويتحلين باللطف. الخطابات جيدة. وصلني بالأمس خطاب من ليوفا، أثَّر فيَّ بشدة. فكرت في الآتي:

١ - بشأن القَسَم الذي تحدثت عنه بالأمس مع بيوتر تسيجانوك[٣٥٨]. يأمرون صبية يبلغون من العمر اثني عشر عامًا بالقسم! هل يعتقدون حقًّا أن بإمكانهم تقييد الصبية بهذه الطريقة؟ من الواضح طبعًا أن الطلب ذاته يكشف عن ذنبهم ووعيهم به. إنهم يريدون دعم الديكتاتورية وإنقاذها من الغرق الذي تتعرض له، لذا فقد أرسلوا في طلب الكنيسة الأرثوذكسية لتنقذها، ولكن الديكتاتورية سوف تدفع الكنيسة أسفلها، وسرعان ما

(٣٥٨) يقصد القسم بالولاء للقيصر الجديد.

ستغرق الكنيسة من تلقاء نفسها على نحو أسرع.

٢- بدا لي الأمر شديد الأهمية عندما فكَّرت في دور العقل. العقل ليس الله، ومن الحماقة أن نصلي للعقل أو لإله العقل، لكنه مقدس، وهو الأداة التي منحنا الله إياها كي نعرفه بها. لذا علينا أن نرعى هذه الأداة ونحافظ على طهارتها، ولا نجلب لها الخزي. لا يمكن للعقل أن يفهم كل شيء، ولا أتحدث هنا فقط عن ظواهر العالم، ولكن حتى عن دور الإنسان. لكن بإمكانه أن يكتشف ما هو غير منطقي ويشير إليه. فارق كبير بين أن تفهم كل شيء، وأن تقبل كل شيء مهما كان. فكَّرت في ذلك بسبب هذه الحماقات المريعة التي يكتبونها ويطبعونها ويتحدثون عنها ويقومون بها بسبب تغير القيصر.

أنهيت *Morticoles*. كتاب شيق، لكنه مكتوب بإهمال، وثمة تسرع في الخطة بأكملها، ومع ذلك فالأسلوب مذهل.

٢ نوفمبر.

فوَّتُّ بضعة أيام. الوقت يمر بسرعة مذهلة، خاصة مع هذا الخمول الذي أعيش به. الخريف قادم، وهو أفضل أوقات العام. لم أفعل شيئًا بعد. لا يمكنني العمل بنجاح في أوقات الصباح في تلك الفترة. كل شيء لا يزال يدور في نفس النقطة. اليوم ذهبت للقاء ماشا. كانت في تولا، وفكرت في نفسي قائلًا إن الجوهر الروحي الإلهي بداخلنا يسعى إلى الكمال؛ إلى الآب، ليصبح ما كان عليه، أو ما يجب عليه أن يكونه. هذا السعي يعمل على زيادة الحب، ولا يمكننا أن نزيد الحب إلا بعمل الحياة، والأخير يعيد تشكيل الحياة ذاتها. لا... الأمر ليس كذلك. إني

أفكر بضعف شديد، وأفتقر إلى الطاقة. كان ستاخوفيتش موجودًا في اليومين الأخيرين، ومضيت للقائه؛ أي أني حاولت ألا أحزنه، أما هو فبذل جهدًا أكبر ليحاول أن يلتقي بي. فكَّرت كذلك في أني يجب أن أغير شكل كتاب (التعليم الشفهي). لقد ضاع مني الشعور بقرب الله، وإحاطته بي، وسروري بهذا الوعي. الساعة الآن العاشرة مساءً. سنذهب إلى بيروجوفو غدًا.

٤ نوفمبر.

لم نذهب إلى بيروجوفو. وجدت الفتيات خطابًا من صوفيا في كوزلوفكا تعرب فيه عن يأسها. ولكن مساء الأمس وصلني خطاب، اتضح منه أن كل شيء قد مر. لم أكتب ليومين. لا أرغب في الكتابة والتفكير. أشعر بالرغبة في العمل اليدوي وركوب الخيل. وصل سيريوجا اليوم. عاملته على نحو جيد. لا أشعر مجددًا أني ذاهب للقائه، بينما هو يقترب مني. الساعة الآن العاشرة. ليس لديَّ عمل ضروري لأقوم به. تشكو تانيا التي لم تتخط بعد الثلاثين من العمر من أن حياتها قد مرَّت بلا فائدة، وأنها قد أفسدتها. حسنًا أنها تفكر كذلك. لقد أرسلوا ماشا إلى خارج البلاد.

١٠ نوفمبر.

لم أدوِّن شيئًا منذ خمسة أيام. أنا في موسكو. لم يحدث شيء له أهمية خاصة في حياتي الخارجية خلال هذه الفترة. ذهبنا إلى موسكو. أتى بوليجين لزيارتنا، وتكرر الجنون والدناءة ذاتهما بخصوص موت القيصر وتنصيب القيصر الجديد. أشعر بالضيق في موسكو من كثرة

الناس. بالنسبة لحياتي الداخلية، من الجيد أن العمل يبدو أنه يتقدم، وقد ازداد جلاءً، ولكن من السيئ أني لم أعد أتمتع بهذا الوعي المنعش بحضور الله ومشاعر الحب التي كانت لديَّ من قبل. أشعر بذلك بوضوح في علاقتي مع صوفيا وليوفا.

كنت أفكر طوال هذه الفترة في كتابتي، ودوَّنت في دفتري ما فكَّرت فيه، أو سأدونه الآن. دوَّنت بعض الأفكار في ورقة وفقدتها. لا أتذكر سوى أن الموكب الذي عبر موسكو بالنعش بدا كعرض يتوجب على القياصرة القيام به. إنهم يؤدون تلك العروض طوال حياتهم؛ بل إن حياتهم تتحول بأكملها إلى عرض كهذا. والناس يحسدونهم! وصلني خطاب مؤثر من شاب ما من بطرسبرج، يسألني فيه: ما الهدف من الحياة؟ كتبت له بالأمس.

١٦ نوفمبر.

الساعة الآن الثانية عشرة ظهرًا. كتبت في «التعليم الشفهي»، وأخذت أفكر من البداية واختبرت فرحة لم أختبرها من قبل. أريد أن أقول: « أشكرك يا سيدي لأنك تكشف لي أسرارك. حتى إن كان ذلك مجرد وهم، فإني أشكرك أيضًا». فكَّرت في أن الشخصية هي أداة كمال الروح، فمن خلالها وحدها، ومن خلال العمل عليها يمكن أن نعمل على كمال الروح ونقترب من الله. وعبر العالم وحده يمكن للروح أن تتفاعل مع الأرواح الأخرى، وتتحد بها، وتدفعها، هي ونفسها، صوب الكمال. إن ملكوت الله ليس إلا شكلًا تعبر عنه أعلى مستويات الكمال والتواصل مع الروح نعرفه الآن. ساعدني يا سيدي... قُدني إلى عملك، ووضحه لي.

٢٠ نوفمبر.

كأنه استمع لصلاتي! إني أشعر، أو بمعنى أدق، شعرت اليوم أثناء تمشيتي على وجه الخصوص بفرحة الحياة. كتبت اليوم على نحو جيد. انشغلت في الوقت المتبقي بمراجعة حياة دروجينين. مساء الأمس اندلع صراع شديد. حمدًا لله أني تذكرته طوال الوقت، ومضى كل شيء بخير. مساء الأمس جاء حشد من الضيوف. أول الجميع كان بوجويفلينسكي وسوبوتسكو. قرأت لبوجويفلينسكي بداية كتاب (التعليم الشفهي). كان من الشيق أن أستمع لرأيه. رغم كل شيء وجدته أفضل مما توقعت. ذهبت لستراخوف في فترة النهار، وتمشيت مع يفجيني إيفانوفيتش. كل شيء بخير. كتبت بانتظام. شعرت بالضعف في يوم واحد فقط. في هذا الوقت كتبت مقدمة للقصة الخيالية (كارما)[٣٥٩] وأرسلتها للنشر. فكَّرت كثيرًا في تلك الفترة، ولم أدوِّن أغلب تلك الأفكار، ونسيت أغلبها. هذا ما أتذكره منها:

١ - علينا أن نمر في حياتنا بين جرفين شديدي الخطورة؛ بين شيلا وتشيريبديس[٣٦٠]: الرغبة في الموت، والرغبة في مواصلة الحياة. إن أردت أن تموت، لن تعمل. وإن لم ترد أن تموت، ستعمل من أجل نفسك لا من أجل الله. إن المرء لا يعيش على نحو حسن إلا عندما لا

---

(٣٥٩) قصة بوذية كتبها الكاتب الأمريكي بول كاروس، وترجمها تولستوي ونشرها بعد أن كتب لها مقدمة.

(٣٦٠) وحشان أسطوريان بالأساطير اليونانية يسكنان ممرًّا بحريًّا ضيقًا بحيث يتحتم على السفن أن تسقط بين براثن أحدهما لا محالة، وأحيانًا يُترجم هذا التعبير باختيار أقل الشرين وطأة.

يرغب في الموت؛ لأن لديه عملًا يبعث في قلبه السرور، وعندما يكون مستعدًّا للموت بينما يقوم بعمل إلهي؛ لأنه يعرف أن عمل الله لن ينتهي أبدًا، وأن كل ما في الأمر أنه سينتقل من عمل لآخر.

٢- سرت بمحاذاة أسوار الكرملين وكواته، وفكَّرت في نفسي قائلًا: كان ذلك ضروريًّا في زمان ما. كانت أدوات التعذيب وأحكام الإعدام ضرورية هي الأخرى، وكذلك الرقابة، لكن هذا الزمن قد مرَّ، وأصبحت بعض هذه الأمور بالنسبة لبعض الناس من آثار الماضي البعيد. هكذا سيحل زمن سيعرض فيه البشر المدافع والسيوف والحصون والثياب العسكرية وأوسمة الشرف كآثار من الزمن القديم.

٣- ما نسميها «الروح» هي تجلي الله بداخلنا.

٤- لا يمكن للروح الخالدة أن ترضى عن عمل محدود زائل. إنها في حاجة إلى عمل لا نهائي وخالد من نفس طبيعتها.

٥- الفهم الخاطئ للحياة هو أن يعتبر الإنسان أن نفسه هي تلك الشخصية الفانية، لا روحه التي تنمو إلى الأبد.

٦- القول أن العقل يمكنه أن يُضلنا، وأن علينا ألا نثق به، وأن الثقة به هي نوع من الكبرياء، يماثل قولنا إن عاملًا يعمل في منجم على ضوء مصباح، قد يتيه إن استرشد بضوء هذا المصباح، وإن عليه ألا يثق في هذا الضوء، وإن هذا محض كبرياء. ولكن بما يثق إذَنْ إن لم يكن لديه ضوء آخر؟ أعرف أن عقلي محدود وضعيف مقارنة بعقل الله، وأني لا أستطيع أن أدرك كل شيء، ولكن يبقى العقل هو العقل، وهو مرشدي الوحيد، وقد منحنا الله إياه، وهو يشبهه. صحيح أن مصباح العامل ليس

شمسًا، لكنه يشع ضوءًا، وفي هذا يشبه الشمس. الساعة الآن الثانية عشرة صباحًا. سأنام.

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٥ ديسمبر.

لم أدوِّن يومياتي منذ أكثر من شهر. من بين أحداث تلك الفترة كانت زيارة الطلبة لي. كتبت خطابات من أجلهم وأرسلتها لبطرسبرج[٣٦١]. حدث صدام محزن آخر بيني وبين ليوفا. سعدت بوصول تشيرتكوف وزوجته في اليوم التالي. كنت أكتب في (عقيدة الخير)[٣٦٢]. توقفت عن العمل عليه مؤخرًا، وعاودت العمل من البداية على قصة (حلم القيصر الشاب)، ثم قصة (السيد والعامل). أعتقد أني سوف أنهي الأخيرة. لا أزال أحب كتاب (التعليم الشفهي) وأفكر فيه باستمرار. تمضي الأمور بخير مع أطفالي. أرسل روزين لي خطابًا ومقالة إنجليزية عن كيف يمكننا أن نحيا من دون حكومة. مرت بي فترة مبهجة، يسودها الوعي ببهجة الخدمة. دوَّنت القليل. من الواضح أني لم أفكر إلا قليلًا. نسيت أن أكتب أني بدأت زيارة النجار مؤخرًا للعمل. من أفكار تلك الفترة:

١ - الإيمان بالمعجزات هو دلالة على النظر إلى طبيعة قوانين العالم المادي على أنها غير مهمة وضعيفة ووهمية وعرضية، ودلالة أيضًا على اعتمادها على كيان روحي يمثل كل قوتها، ولا يتغير إلى الأبد، وهو

---

(٣٦١) زار وفد من الطلبة من جامعة موسكو تولستوي، وأخبره الوفد بشأن فصل ٥٣ طالبًا منهم بسبب التظاهر إبان إحدى المحاضرات، فكتب تولستوي من أجلهم خطابًا وأرسله إلى صديقه المحامي كوني.

(٣٦٢) جزء من كتاب (التعليم الشفهي).

وحده ما يمثل الواقع الحقيقي. قد يرغب المرء في أن يؤمن أن بإمكانه أن يطير حيًّا إلى السماء، أو أن يُبعث بعد الموت، لكن لم يخطر على ذهن أحد أبدًا أن يؤمن أن ٢ +٢ = ٥، أو أن يصبح الشعور المرير حلوًا، أو أن الكراهية أمر طيب.

٢- كنت أنظر إلى ظواهر الحياة من قبل دون أن أفكر في مصدرها أو سبب رؤيتي لها. أدركت بعد ذلك أن كل ما أراه ينبع من ضوء الفهم. سعدت باختزالي كل شيء إلى أمر واحد، حتى إني شعرت بالرضى الكامل لاعترافي بفكرة واحدة تكون مصدرًا لكل شيء. لكني ارتأيت بعدها أن الفهم هو ضوء يصلني عبر مرآة قاتمة. إني أرى الضوء، لكني لا أعرف مصدره. لا أعرف أنه موجود. إني لا أعرف مصدر الضوء الذي ينيرني، لكني متيقن من وجوده؛ إنه الله.

٣- إن الله لا يُدْرَكُ بالعقل وحده، أو القلب، ولكن كذلك بشعور الإنسان باعتماديته الكاملة عليه؛ إنه شعور مماثل للشعور الذي يختبره الطفل وهو بين يدي أمه. إنه لا يعرف مَن يمسكه ويدفئه ويطعمه، لكنه متيقن من وجود مثل هذا الكيان، ويدرك أيضًا أنه يحبه. إنها المرة الأولى التي شعرت فيها بإمكانية أن أحب الله.

٤- اختبرت شعورًا مبهجًا بتحول فكرة الحياة من الرغبة في خدمة الله إلى خدمة الناس والرغبة في خير كل من ألتقيه. هذه الحياة ممكنة، وتبعث السرور في قلب صاحبها. هذا تحديدًا ما يعنيه أن يعيش المرء بموجب قانون الله.

٥- كي تخلص؛ أي كي لا تصبح تعيسًا ولا تعاني، عليك أن تنسى

نفسك. النسيان الوحيد للذات هو النسيان الناشئ عن الحب، ولكن معظم الناس لا يحبون ولا يريدون أن ينسوا بالحب لأنهم خاضعون للإغواءات، ويفضلون تخدير أنفسهم بالتبغ والخمر والأفيون والفنون.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام. أعتقد أني سوف أنهي قصة (السيد والعامل) غدًا.

٣١ ديسمبر.

مرَّت خمسة أيام. انشغلت طوال هذا الوقت بالكتابة في (السيد والعامل). لا أعرف ما إن كانت جيدة أم لا. أعتقد أنها تافهة. جاء تشيرتكوف. حدث خلاف سيئ بسبب الصور. تصرفت صوفيا كعادتها، بحزم، ولكن بدون تفكير وعلى نحو سيئ[٣٦٣]. كتاب لاخمان[٣٦٤] رائع. عليَّ أن أكتب له.

١- رأيت فيرا فيليتشكينا وأخاها وصديقًا آخر وشقيقته. قضوا جميعًا شهرًا ونصفًا في منزل بمثابة سجن تمهيدي. تذكروا جميعًا الفترة التي قضوها هناك بسرور. تعمدت أن أسألهم عمَّ إن كانت التجربة مريعة في بدايتها. تبين أن فيرا فيليتشكينا قد تحسنت، واستعادت قوة أعصابها واستراحت. المرء في هذه الحالات يحتاج إلى علاج بسيط وعزلة وهدوء يسوده الاطمئنان.

٢- قال ليوفا إنه تحدث طويلًا مع فانيا رايفسكي عن حقيقة ضعف

---

(٣٦٣) أُفسدت شرائط الصور التي التُقِطت لتولستوي وتشيرتكوف وبيريوكوف وبقية التولستويين.

(٣٦٤) فريدريش فيلهلم لاخمان: كاتب دانماركي ذو وجهات نظر قريبة من أفكار تولستوي. الكتاب بعنوان (لا عقيدة ولا اعتراف بالإيمان، بل دين).

الشباب في عصرنا، ومعاناتهم من أمراض عصبية، وذلك لأن ليس لديهم مجال يمارسون فيه نشاطهم، وتحدثا عن موضوعات أخرى جذابة. كل هذا يقود في النهاية إلى ديانة «القِدر» كما اعتاد جدي أن يقول؛ أي ألا تجبر الآخرين على خدمتك في أبسط الأمور. إن الأخلاق المسيحية في تطبيقها العملي تفضي بالمرء إلى اعتبار البشر جميعًا بمثابة إخوة له، وأن يكون مساويًا للجميع. شكَّل هذا الوعي نقطة التحول الرئيسة في حياتي. حتى تطبقه بطريقة عملية، عليك بادئ ذي بدء أن تتوقف عن إجبار الناس على العمل من أجلك. أما في ظل النظام الذي يسير عليه العالم اليوم، عليك أن تستخدم أقل قدر ممكن من عمل الآخرين، وأن تنفق أقل قدر من المال وتعيش بأبسط صورة ممكنة. ولكن حتى أطيب الناس من وسط أولئك الذين يريدون الاتفاق معي في ذلك، يراوغون هذا المطلب، ويسمونه: تفكيرًا أحادي النظرة، ينطوي على قدر من المبالغة، وهم بذلك يخرقون القاعدة الأولى والرئيسة من الأخلاق، وفي الآن ذاته يريدون أن يعيشوا بشكل أخلاقي! من المفهوم طبعًا أنهم لن ينجحوا في ذلك، وبالتالي يكتنفهم الحزن كاملًا.

٣- عرجت على أحد الوسطاء القانونيين، فوجدتهم هناك يتساءلون: هل يمكن لهم أن يقروا بأن جيليابوف وكيباليتش[٣٦٥] يتمتعان بمستوى أخلاقي سامٍ، وقدر كبير من التضحية؟ قلت: لا. فسألوني عن السبب. قلت: لأن الفعل الذي ارتكباه عن عمد هو فعل غير أخلاقي. سألوا:

(٣٦٥) من قادة حركة الإرادة الشعبية التي اغتالت القيصر ألكسندر الثاني.

لماذا؟ قلت: حتى يكون الفعل أخلاقيًا، لا بد أن يتوفر فيه شرطان: أن يكون موجهًا لخير الناس، وكذلك للكمال الشخصي. على الفعل الأخلاقي أن يتحدد بهذين النظيرين الإيجابيين، ويكون على مستوى الخط القطري الواصل بينهما.

شرحت الفكرة بهذه الرسمة:

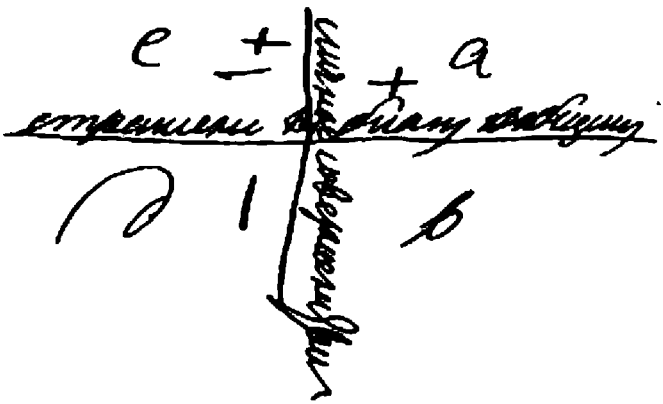

هكذا إن تحدد الفعل بالسعي إلى الخير العام والكمال الشخصي، سيظل دائمًا في القطاع (a) وعلى مستوى الخط القطري (+).

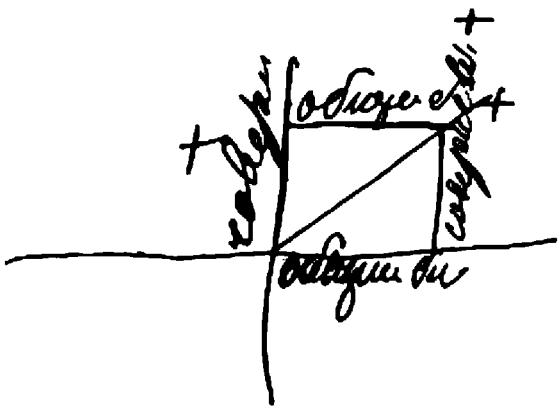

أما إن حدث العكس، فسيكون في المجال (d)، وسيكون الفعل حينها سيئًا جدًّا. أما إن كان في الحقل (B)، فبالرغم من أنه سيسعى إلى الخير العام، سيُحرم من مجال الكمال الشخصي. هكذا هي كافة تصرفات الحكومة والمنظمات الثورية وما حدث في ١ مارس (قتل القيصر) ومحاكم التفتيش.

أما إن كان الفعل في المجال (c)، فسيسعى الفعل نحو الكمال الشخصي، لكنه سيُحرم من مجال السعي إلى تحقيق الخير العام. هكذا هو الأمر مع كافة أفعال الزهد، والمكوث فوق عامود[٣٦٦]... إلخ.

* * *

(٣٦٦) ظهر نوع من النُّسَّاك كانوا يحيون فوق عمود، مثل سمعان العمودي بسوريا وغيره.

١٨٩٥

٣ يناير نيكولسكوي. (عند آل أولسوفيف).

رحلنا في أول الشهر كما انتوينا[٣٦٧]. عملت حتى الساعة الأخيرة على (السيد والعامل). أصبحت الآن جيدة من الناحية الفنية، لكنها لا تزال ضعيفة من حيث المحتوى. ما يتعلق بالصور مثير للحزن فعلًا. لقد استاءوا جميعًا[٣٦٨]. كتبت خطابًا لتشيرتكوف. حتى قبل ذلك الأمر شعرت أني لست بخير، ورحلت وأنا بهذا الضعف وفي هذه الحالة السيئة. وصلنا بخير. لم أفعل شيئًا اليوم وأمس، سوى القراءة والتمشية والنوم. بالأمس دار نقاش حيوي عن الأرثوذكسية. إن مبعث سوء الفهم بأكمله في هذه النقطة يعود لحقيقة أن الناس لا يعترفون بأن الحياة هي جزء من عملية تطوير النفس. كُن أفضل، واجعل الحياة أفضل. لم أدوِّن أفكارًا في هذه الأيام الأخيرة. الساعة الآن التاسعة مساءً. أشعر بالنعاس.

---

(٣٦٧) كان تولستوي وابنته تاتيانا في ضيافة آل أولسوفيف من ١ - ١٨ يناير.

(٣٦٨) راجع حاشية ٣٦٨.

٦ يناير.

أنا بخير صحيًّا تمامًا، وبدأت العمل على كتاب (التعليم الشفهي) منذ الأمس. أحب الموضوع جدًّا، وهو شديد القرب من قلبي، لكني لم أجد بعد الشكل المناسب، ولا أشعر بالرضى بسبب ذلك. قرأت قصتي (يقصد: السيد والعامل) مساء أول أمس. ليست جيدة. شخصيتا البطلين تفتقدان الكثير. الآن أعرف ماذا سأفعل. تجادلت مرتين مع ديمتري أداموفيتش (أحد أبناء أولسوفيف). لقد وطَّن نفسه على خدمة الشعب بالروح السلافية؛ أي أنه قرر أن يكون من أولئك الذين يستلقون على الفراش دون عمل! يتعاملون مع الحياة كشيء جامد، لا كتيار جارٍ. فكَّرت في أمر شديد الأهمية بالأمس ونسيته. يخشى ميخائيل أداموفيتش (ابن آخر لأولسوفيف) تانيا بوضوح. يا للخزي! إنها نحيلة وشاحبة. وصلتني خطابات لطيفة: من كينورثي وسيرجينكو وستادلينج. فكَّرت في الآتي:

العمل والتجارة والزراعة وحتى الإحسان ليسوا جميعًا عمل الحياة الرئيس. عمل الحياة هو خدمة ملكوت الله؛ أي كل ما يعين على التقدم الأبدي.

تتمثل الحياة الحقيقية في التقدم للأمام، وتحسين الذات وحياة العالم بأكمله عبر تحسين حياة الناس. كل ما لا يؤدي إلى ذلك ليس حياة؛ بل إنه يعوق سير الحياة. الساعة الآن السادسة. سأتمشى وسأرى كذلك شجرة عيد الميلاد. ذهبت اليوم إلى المستشفى وحضرت إحدى العمليات.

٢٩ يناير.

لم أدوِّن شيئًا منذ أكثر من ثلاثة أسابيع. قضيت وقتًا طيبًا عند آل أولسوفيف. أكثر ما شغلني في تلك الفترة كانت قصتي، ولم أنتهِ منها بعد رغم أنهم أعدوا نسخة الطباعة الخاصة بها. في هذه الفترة جرى حادث هام، أخشى أنه لن يمر بي دون عواقب؛ ألا وهي خطبة القيصر الوقحة[٣٦٩]. اجتمعنا بلا جدوى عند شاخوفسكي. كل هذا محض غباء، ومن الواضح أن هذه المنظمة لا تفعل شيئًا سوى شل قوى الأفراد[٣٧٠]. عملت هنا أيضًا على تصحيح بروفة الطباعة. وصلتني خطابات ومقالات جيدة عن مقالتي (الوطنية والمسيحية). كتبت شيئًا آخر، ولكن ليس لديَّ وقت لتسجيله الآن هنا. سأحاول الكتابة في المساء[٣٧١].

٧ فبراير- ١١ صباحًا (موسكو).

الأمر لم يقتصر على أني لم أستطع تدوين ما حدث في تلك الليلة، لكني لم أدوِّن شيئًا لأكثر من أسبوع كامل. خلال هذه الفترة كتبت مقدمة قصيرة لحياة دروجينين، وواصلت مراجعة القصة. يا لها من قصة بائسة!

---

(٣٦٩) ألقى القيصر نيكولاي الثاني خطبة في ١٧ يناير، وصف فيها اقتراح مشاركة مجالس الزيمستفو في الحكم بأنها أحلام سخيفة، وأشار بوضوح أنه سيتمسك بحكمه المطلق بقوة.

(٣٧٠) يشير إلى اجتماع الليبراليين عند شاخوفسكي، وحضوره لهذا الاجتماع الذي قرروا فيه كتابة عريضة ضد خطبة القيصر ونشرها بالخارج؛ الأمر الذي رفضه تولستوي. للاطلاع حول آرائه عن الحركة الليبرالية يمكن قراءة مقالته (رسالة إلى الليبراليين)، المنشورة بكتاب (في الدين والعقل والفلسفة) من ترجمتي ومن إصدارات آفاق للنشر.

(٣٧١) يقصد أنه كتب صفحة هنا وأزالها، وكان ذلك بسبب الخلاف الشديد الذي نشب بينه وبين صوفيا بسبب رغبتها في نشر قصته الجديدة (السيد والعامل)، في طبعتها من الأعمال الكاملة له، بينما أراد أن ينشرها بلا مقابل.

لقد تسببت في عاصفة رهيبة اندلعت بالأمس من جانب صوفيا. لم تكن بخير، وكانت ضعيفة ومنهكة بعد مرض عزيزي فانيتشكا، وأنا أيضًا لم أكن بخير في الأيام القليلة الماضية. بدأ الأمر حينما بدأتْ في نسخ بروفة الطباعة. سألتها: لماذا؟ قـ....[٣٧٢].

ساعدني كي لا أبتعد عنك، وكي لا أنسى مَن أنا، والهدف من وجودي. ساعدني.

في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ - الجنون هو الأنانية، أو ربما التعبير معكوس: الأنانية هي الجنون؛ أي أن الحياة من أجل الذات هي ضرب من الجنون. أريد أن أقول ليس ثمة ضرب آخر من الجنون، لكني لا أعرف بعد هل هذا صحيح أم لا. خُلِق الإنسان بحيث لا يمكنه العيش وحيدًا، كما لا يمكن للنحلة أن تعيش بمفردها، فثمة احتياج بداخلها لخدمة الآخرين. إن كان الاحتياج للخدمة موجودًا بداخله، فهذا يعني أن من الطبيعي أن يكون لديه كذلك احتياج لأن يخدمه الناس. إن حُرِم الإنسان من النوع الثاني؛ أي من الاستفادة من خدمة الآخرين له، فإنه يصبح مجنونًا، ويصيب عقلَه الشلل والسوداء (مالنخوليا). أما إن حُرِم من النوع الأول؛ أي خدمة الآخرين، فإنه يعاني من مختلف أنواع الجنون المتنوعة، والأكثر تميزًا من وسط هذه الأنواع هو جنون العظمة. أغلب المجانين يعانون من النوع الثاني؛ أي أنهم أولئك الذين حُرِموا من خدمة الآخرين. إنه جنون الأنانية كما قلت في البداية. عدد المجانين من هذا النوع ضخم للغاية. يعاني معظم

(٣٧٢) صفحة مفقودة من اليوميات.

البشر الدنيويين من هذا الجنون. إنه لا يلفت النظر لسبب واحد؛ ألا وهو أنه شائع جدًّا بين أغلب الناس. إنهم لا يعانون من جنونهم سوى قليلٍ، وبالتالي لا يُقابَلون بالرفض، بل بالتعاطف. لذلك يتمسك كافة الناس الذين يتملكهم هذا الجنون بعناد مريع بهذه المسارات الفاسدة التي تحددها الظروف الدنيوية. هذا وحده ما ينقذهم من عذاب جنونهم الأناني. ما إن يفارق هذا الشخص لسبب ما مجتمعًا متماثلا من الناس، حتى تلوح عليه إمارات التعاسة والجنون بوضوح. هؤلاء المجانين هم مَن يجمعون الثروات، وهم الطموحون من الجانب المدني والعسكري على السواء. ما إن يفارقوا تلك القنوات المشتركة التي تجمعهم حتى يلوح جنونهم الخطير.

٢- يصعب أن نجد كلمة استُخدِمت بمعانٍ مختلفة غامضة متناقضة مثل كلمة «المِثال». المِثال هو الحقيقة التي تبدأ في الكشف عن نفسها في طريق تقدم الإنسانية. هذا هو مِثال البشرية. ولكن المثال لكل فرد هو ما يُكشف له على حدة، ويمكن أن يظل في مستوى بعيد عن المِثال الخاص بالبشرية. هكذا كان المِثال في الماضي في المجال الديني؛ وأقصد تحديدًا: الكاثوليكية. تمثَّل حينها المِثال في الخضوع للكنيسة وقراراتها. أما المثال في البروتستانتية بالمعنى الواسع فتمثل في اتباع تعاليم المسيح في حياة كل فرد والعالم بأكمله. في المجال السياسي كان المِثال قبلًا في الدستور والجمهورية، وأصبح الآن في أخوة البشر الشاملة. بينما أكتب ذلك أفكر أن ثمة معنى آخر للمِثال؛ إنه الكمال الذي لا يمكن بلوغه، والمتأصل في الوعي الإنساني. أعتقد أن التعريف الأخير

هو تعريف دقيق وحقيقي وجامع، أما الأول فهو تطبيقي لتقريب المعنى.

٣- كثيرًا ما أقول أو أكتب ما قلته أو كتبته فعلًا من قبل دون أن أدرك ذلك. لا يحدث ذلك إلا مع الأفكار الثمينة بالنسبة لي والتي أراها مهمة. مبعث ذلك هو أني لا أعرف، ولا يمكنني أن أتذكر، أن ما أريد التعبير عنه قد انكشف لي بعد وقبل هذه الحياة على السواء.

٤- يا له من موقف مريع، ذلك الذي يكتنف غالبية المتنورين بنور الحب الأخوي الحقيقي! إنهم يعانون من خداع ومكر أولئك الذين استولوا على السلطة بالعنف، حيث يُجبرون على تحطيم حياتهم. يبدو الموقف كأنه بلا مخرج. لا يلوح أمامهم سوى مخرجين، ولكنَّ كليهما مغلق. الأول هو تمزيق قيود العنف بالعنف والرعب والديناميت والقنابل والخناجر، وهذا ما يفعله عدميونا وأناركيونا؛ أي القضاء على مؤامرة الحكومة على الشعب دون أن يشاركوا فيها. أما الطريق الثاني فيتمثل في التوافق مع الحكومة، والتسليم بحقها، والمشاركة في عملها، مع حل قيودها التي تُقيِّد الناس، وتحرير الناس منها تدريجيًّا. كلا المخرجين مغلق. لقد عرفنا من واقع خبرتنا أن الديناميت والخناجر لا يؤديان لشيء سوى ردة فعل عكسية، و تدمير القوة الوحيدة الثمينة التي لدينا؛ ألا وهي الرأي العام. أما المخرج الآخر فمغلق كذلك لحقيقة أن الحكومات قد أدركت بالفعل الحد الذي يمكنها أن تسمح به بمشاركة الناس الذين يريدون إصلاحها. إنهم لا يسمحون بتلك المشاركة إلا بالقدر الذي لا يدمر ما هو جوهري وحساس، ولا يجلب لهم الضرر؛ لأن المسألة تتعلق بوجودهم. إنهم لا يفسحون الطريق لأولئك الذين لا يتفقون معهم

ويرغبون في إصلاح الحكومة، إلا لمن يفعلون ذلك ليس فقط لإرضاء متطلبات الناس، بل أيضًا لإرضاء متطلبات الحكومات نفسها. كان من الممكن أن يشكل هؤلاء الناس خطورة على الحكومات إن تركوا أُطُر الحكومات الخارجية كما هي، وثاروا عليها، متسلحين بسلاح الحكومة القوى والوحيد؛ ألا وهو الرأي العام[٣٧٣]. لذا تعمل الحكومات على تأمين نفسها من خطر أولئك الناس بجذبهم نحوها، عن طريق منحهم بعض الامتيازات، والقضاء على خطورتهم، مثلما يتحصن المرء من الميكروبات باللقاح، ومن ثم يستخدمونهم من أجل خدمة أهداف الحكومات نفسها؛ أي القمع واستغلال الناس.

كلا الطريقين مغلق تمامًا. ماذا يتبقى لنا إذَنْ؟ لا يمكنك أن تقهر العنف بالعنف؛ لأنك تزيد من ردة الفعل، وكذلك لا يمكنك الانضمام إلى صفوف الحكومة؛ لأنك حينها تصبح أداة طيعة بين أيديهم. لا يتبقى لك سوى أمر واحد: أن تناضل الحكومة بأسلحة الفكر والكلمة وأفعالك في الحياة، دون أن تسلم بأي امتيازات للحكومة، ودون أن تنضم إلى صفوفها، أو تزيد من قوتها. هذا هو الأمر الضروري الوحيد، وقد ينجح. هذا ما يريده الله، وهذا ما علَّمنا المسيح إياه.

٥- عندما أراقب ما يحدث في كافة الاجتماعات، وما يحدث في المجتمع من حولي بفعل أعرافه المعتادة ووسائل اللهو، أجدني مصعوقًا بشدة من قِبل فكرة لم تخطر على ذهني من قبل؛ ألا وهي أن الجماعات

(٣٧٣) في مواضع أخرى شرح تولستوي أن القوة العسكرية هي في النهاية نتيجة لرأي عام يُقر عملها؛ لأن الجنود هم في النهاية أفراد من الشعب.

والحشود لا تصنع إلا الشر، أما الخير فلا يقوم به سوى كل فرد على حدة.

١٥ فبراير.

لقد أعانني الله... لقد أعانني واستعلن ذاته بداخلي رغم ضعفي. استعلن ذاته بداخلي بحب أولئك من يرتكبون الشرور ضدنا؛ أي بالحب الحقيقي الوحيد. ما إن تجلى هذا الشعور بداخلي حتى تأجج وغمرني تمامًا، ثم غمر القريبين مني، ومن ثم تلاشى كل شيء؛ تلاشت المعاناة.

ساءت الأمور في الأيام الماضية. لقد اقتربتْ تمامًا من الجنون والانتحار (يقصد صوفيا). ذهبوا من خلفها، سيرًا وركوبًا، حتى لحقوا بها وأعادوها للمنزل. كانت تعاني بفظاعة. لقد كان شيطان الغيرة والجنون؛ غيرة لا أساس لها على الإطلاق. عليَّ أن أحبها ثانية. لقد فهمتُ دوافعها، ومن ثم لا مكان للحديث عن الغفران.

أرسلت القصة بالأمس إلى جريدة «الرسول الشمالي» وسأدعها تنشرها في طبعتها هي أيضًا بالإضافة إلى نشرها في جريدة «الوسيط». كتبت ثلاث قصص خرافية وأرسلتها للنشر.

١٥ فبراير (موسكو).

استيقظت صباحًا، منهكًا، ولم أستطع العمل. وصل إيفان إيفانوفيتش وجولتسيف. رفضت التوقيع على الالتماس الخاص بكفالة حرية النشر[٣٧٤]. الساعة الآن الثانية عشرة. ساعدني يا أبي كي أحقق

(٣٧٤) جلب جولستيف معه التماسًا للقيصر موقعًا من ١١٤ شخصية عامة في موسكو وبطرسبرج، من أجل أن يكفل القيصر حرية النشر، لكن تولستوي رفض توقيعه انطلاقًا من موقفه الذي وضَّحه سابقًا.

إرادتك في العالم، كما في السماء كذلك على الأرض[٣٧٥].

٢١ فبراير (موسكو).

استغرقت هذه الأيام في مراجعة قصصي الخرافية وقصة (السيد والعامل) والتفكير في (التعليم الشفهي) فلا يمكنني الكتابة الآن. استعادت صوفيا صحتها تمامًا. أتى سنيجيروف، وأشار إلى أن هذه الحالة بسبب انقطاع الطمث الذي يصاحب الشيخوخة. كم من الجيد أن يشيخ المرء ويتحرر!

ثمة حادث أدهشني بشدة خلال تلك الفترة؛ ألا وهو سكر وعربدة الطلبة من بطرسبرج. إنه أمر مريع. هذا ما اقتادوا الشباب إليه. ليس ذلك من فعل الحكومة وحدها، ولكنه كذلك من فعل الليبراليين والثوار، وزعماء الثورات التي ليس لها أساس.

حدث آخر: رَفْض شكارفان تأدية الخدمة العسكرية، ومطالبة أليخين وآخرين من مدينة نالتشيك بإعلان الولاء دون قسم، وكذلك الغرامة المفروضة على بوشا. كل ذلك يبدو لي بمثابة بدء الصراع مع الحكومة. أريد بشدة أن أكتب عن ذلك، وراودتني أفكار واضحة عن الأمر أكثر من مرة. تصورت بوضوح كيف أصف الأكاذيب الذي نعيش وسطها، وما يدعمها، وكيف أُضمِّن في الآن ذاته تلك الفلسفة البسيطة التي عبَّرت عنها في كتاب (التعليم الشفهي).

فكَّرت في الآتي:

---

(٣٧٥) الجملة الأخيرة من الصلاة الربانية.

١- الإغواء هو كل ما يُبعد الإنسان عن تأدية وظيفته، مثل كل ما يحول دون أي رسول وتحقيق المهمة الموكلة إليه.

٢- الفهم المزيف للحياة هو أن نعتقد أن علينا أن نحافظ على ما مُنحنا إياه بهدف تبديده؛ ألا وهي شخصياتنا الحيوانية. لقد وُهِب الإنسان الأرض كي يتغذى على ما تنتجه، لكنه يحميها ولا يحرثها! لا، هذه مقارنة سيئة. هذه أفضل: وُهب الإنسان الحبوب كي يطعم أسرته أو عماله، لكنه يحتفظ بها. هذه هي الفكرة الإنجيلية الرئيسة؛ ألا وهي أن مَن يُهلِك حياته، بمعنى جسده، هو مَن يحميها. أما مَن يحمي حياته، بمعنى جسده، يهلك روحه[٣٧٦].

٣- كلما بددت، نلت الكثير. هذه مقارنة لاو تسو بكير الحداد: كلما خرج منه الكثير؛ زاد ما يدخله.

لو آمن الإنسان بقوة بأن حياته في روحه، وأن الجسد المادي ليس إلا خبز للروح، وأن هذا الخبز لا نهاية له، كم سينعم حينها بالحرية، وكم ستكون شجاعته! عندما راودتني تلك الفكرة بوضوح، اختبرت هذا الشعور الرقيق الذي لم أختبره منذ فترة طويلة، بالرغم من أن شيئًا جديدًا لم يحدث.

٤- أثناء حديث مع جوريوشين الشاب، وهو رفيق بافل بيتروفيتش[٣٧٧]، ازدادت فكرتي جلاءً عن ذلك الأمر الذي لا أتوقف عن

---

(٣٧٦) فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. مرقس ٨: ٣٥.

(٣٧٧) بافل بيتروفيتش هو معلم لأبناء تولستوي، وجوريوشين طالب جامعي، ذو ميول اشتراكية ديموقراطية.

التفكير فيه؛ ألا وهو الدولة. لقد وصلنا إلى فكرة استحالة مشاركة إنسان طيب وعاقل في شؤون الدولة؛ أي أنه ليس بإمكانه أن يتضامن معها. الأمر لا يقتصر على روسيا، بل كذلك لا يمكنه أن يتضامن مع سيادة إنجلترا على الأرض، واستغلال أصحاب المصانع والرأسماليين، ولا يمكنه التضامن مع أعمال القمع في الهند، ولا مع تجارة الأفيون، وإبادة شعوب أفريقيا، ولا مع استعدادات الحروب أو الحروب ذاتها. أما نقطة الارتكاز التي يمكن للإنسان أن يقف عليها ويقول: «أنا لا أعرف ما هي الدولة أو كيف يجب أن تكون، ولا أريد أن أعرف، لكني أعرف أن ليس بإمكاني أن أعيش خلافًا لضميري» شديدة الصلابة، وعلى معاصرينا أن يتبنوها من أجل تعزيز تقدم الحياة. أعرف ما يأمرني به ضميري، أما أنتم، يا مَن تُبدون اهتمامًا بالدولة، فسيِّروا أمورها كما يتراءى لكم، شرط أن تتوافق مع متطلبات ضمائر البشر في عصرنا. لكن الناس يهجرون نقطة الارتكاز الصلبة، ويتبنون وجهة النظر التي مفادها أن شكل الدولة يجب أن يتغير ويتحسن، وهم بذلك يفقدون مرتكزهم القائم على الاعتراف بضرورة الدولة، وبالتالي يفارقون مرتكزهم الراسخ. ما كتبته غير واضح، ولكني أفكر في الكتابة حول هذا الموضوع. يبدو لي أنه شديد الأهمية.

الساعة الآن الثانية عشرة. أعتزم إرسال بروفة العمل إلى بطرسبرج، وها قد اضطربت صوفيا مجددًا. مسكينة! أشفق عليها وأحبها، وقد ازدادت معرفتي الآن بمرضها.

بالأمس ساعدني أوجرانوفيتش[٣٧٨] كي أعامل ليوفا بطريقة أكثر

(٣٧٨) صاحب المصحة التي كان يُعالج فيها ليوفا.

عدلًا. وضَّح لي أنه مصاب بنوع خفي من المالاريا. بدأت أتفهم حالته وأشعر بالأسف عليه، لكني لا أزال غير قادر على استجماع أي مشاعر حب صوبه.

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٦ فبراير (موسكو) ليلًا.

دفنا فانيتشكا[٣٧٩]. أمر مريع! لا، بل إنه حدث روحي عظيم! أشكرك يا أبي... أشكرك!

١٢ مارس (موسكو).

عايشت في تلك الفترة مشاعر وأفكارًا كثيرة، لا يمكنني كتابتها. كان موت فانيتشكا بالنسبة لي مثل موت نيكولينكا (شقيق تولستوي الأكبر). لا، بل إنه إلى حد كبير جدًّا بمثابة استعلان لله، وحبل يجذبني به إليه. لذا فالأمر لا يقتصر على أني لا أستطيع أن أقول إنه كان أمرًا محزنًا مؤلمًا، بل إن بوسعي أن أقول إنه كان حدثًا مفرحًا تمامًا. لا، لا أقصد مفرحًا... أسأت التعبير. أقصد إنه كان حدثًا رحيمًا من الله، يفك شباك أكاذيب الحياة، ويُقرِّبني إليه أكثر.

صوفيا بالطبع لا يمكنها رؤية الأمر بهذه الطريقة. ألم الفراق بالنسبة لها - وهو ألم مادي تقريبًا - يحجب أهمية الحدث الروحية تمامًا. لكنها تدهشني، فقد حررها ألم الفراق سريعًا من كل ما كان يُعتم روحها. كما لو أن ثمة أبوابًا قد انفتحت، وانكشف لها جوهر الحب الذي يُشكل

(٣٧٩) الابن الأصغر لتولستوي (إيفان)، وقد مات إثر إصابته بحمى قرمزية قبل أن يبلغ عامه السابع.

أرواحنا. لقد أدهشتني في الأيام الخمسة الأولى بقوتها المدهشة على الحب. كانت تشعر بالإساءة من أي شيء يُدمِّر الحب بأي طريقة، أو يدين شخصًا أو شيئًا بأي قدر، أو حتى ينم عن ضغينة، وكان ذلك يجعلها تعاني، ويتسبب في انقباض مؤلم لبرعم الحب الجديد. لكن الوقت يمر، وسيتلاشى هذا الحب مجددًا، ولن تجد معاناتها إشباعًا فيما بعد، أو منفذًا للحب الكوني تجد فيه راحتها، وبالتالي ستشعر مجددًا بعذاب لا طاقة لها به. إنها تعاني على وجه خاص لأنها فقدت الهدف الذي تصب عليه طاقة حبها، وكانت تظن أن الهدف ذاته هو سبب سعادتها، لا الحب الذي تكنه له. لا يمكنها أن تفصل بين هدف حبها، وحبها ذاته. لا يمكنها أن تنظر إلى الحياة بنظرة دينية. لا يمكنها أن تفهم بوضوح أو تشعر أن ليس أمامها سوى اختيارين: إما أن الموت في انتظارنا، وله سلطان علينا، ويمكنه أن يفرقنا ويحرمنا من سعادة الحب، وإما أن ليس ثمة موت، لكنها مجرد سلسلة من التغييرات التي تطرأ علينا جميعًا، والموت واحد من أهم هذه التغييرات التي تأتينا على شكل موجات، بتركيبات مختلفة؛ بعضها يأتي أولًا، والأخرى لاحقًا.

أحاول مساعدتها، لكني أدرك أني لم أساعدها حتى الآن. أحبها. التواجد معها مؤلم ونافع لي في الآن ذاته. ما زالت في حالة ضعف جسدية. لم تأتها الدورة الشهرية منذ شهرين، وأحيانًا تظن أنها حبلى. عزيزتي تانيا المسكينة تشعر بالضعف الشديد هي الأخرى. نحن جميعًا متقاربون من بعضنا، كما عبَّر (د) تعبيرًا جيدًا بقوله: ما إن تسقط ورقة شجر، حتى تتقارب بقية الأوراق. أشعر بالضعف الجسدي الشديد ولا

يمكنني كتابة شيء. عملت قليلًا على (التعليم الشفهي) ولكن على مستوى التفكير فقط. كتبت خطابًا لشميت وضعت فيه برنامجًا للنشر الدولي[٣٨٠]. في هذه الفترة صدرت قصة (السيد والعامل)، ووصلني المديح من كل صوب، لكني لا أحب ذلك المديح. بالرغم من ذلك يراودني شعور تافه مغرور بالرضى.

تكتنفني اليوم رغبة في كتابة عمل فني. حاولت أن أتذكر ما لم أنهه من أعمال. سيكون من الجيد لو أنهيتها جميعًا، خاصة الأعمال الآتية: رواية كوني (البعث) - من المحق؟ - الأب سيرجيه - الشيطان في الجحيم - السند - مذكرات أم - ألكسندر الأول - المسرحية - المهاجرون وشعب الباشقير[٣٨١]. في الآن ذاته عليَّ أن أنهي كتاب (التعليم الشفهي). بعد هذا التخطيط، لديَّ ما يكفيني من عمل لثمانية أعوام على الأقل، رغم أني قد أموت غدًا. هذا حسن. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ - الفهم المزيف للحياة هو أن نعتقد أن علينا أن نحافظ على ما مُنحنا إياه بهدف تبديده؛ وأن علينا أن نعمل على تحسين وصقل كياننا الشخصي، بينما كان علينا أن نقوم بذلك مع أرواحنا والعالم الإلهي.

---

(٣٨٠) يوجين هاينريش شميت: كاتب نمساوي يشارك تولستوي الكثير من آرائه الأخلاقية. ترجم بعض مقالات تولستوي إلى الألمانية وكتب كتابًا عنه. اقترح تولستوي عليه تأسيس دار نشر دولية بسويسرا تنشر مجموعة من الكتب والمنشورات الرخيصة بأربع لغات أوروبية، لكن المشروع لم يتحقق.

(٣٨١) (من المحق؟ - مذكرات أم - المهاجرون وشعب الباشقير) جميعها أعمال لم تتم. أما قصة ألكسندر الأول فنُشِرت بعنوان: يوميات الشيخ فيدور كوزميتش التي ظهرت بعد وفاته. المسرحية المقصودة: الضوء يسطع في الظلام. قصة السند هي: السند المزيف.

٢- إنها ضلالة مريعة، تلك التي تجبر المرء على أن يشفق على ما لا حدود له؛ ذاك الذي ينال أكثر مما يُبدد. كما قال لاو تسو عن كير الحداد: كلما خرجت منه كمية أكبر من الهواء؛ زادت قدرته على ابتلاع المزيد. هكذا هو الأمر مع كل ما هو شهواني في الحياة... إنها صيغ لا نهائية، وكلما ظهرت المزيد منها، تبددت. ليس علينا إلا أن نؤمن بذلك. إن متنا، نعود مجددًا للحياة. هل نصدق ذلك؟

٣- موت الأطفال من منظور موضوعي: تحاول الطبيعة أن تقدم أفضل ما لديها، وعندما ترى أن العالم ليس مستعدًّا بعد لهم، تستعيدهم. لكن عليها أن تحاول التقدم. هذا مطلبها. الأمر يشبه ما يحدث مع طيور السنونو، فإن وصلت قبل أوانها، تموت. عليها أن تصل جميعًا في الآن ذاته. هكذا هو الأمر مع فانيتشكا. لكن هذا محض استنتاج موضوعي أحمق، أما التصور العاقل هو أنه قام بعمل الله؛ ألا وهو تأسيس ملكوت الله، بزيادة الحب، أكثر مما قام به كثيرون عاشوا خمسين عامًا وأكثر.

٤- كثيرًا ما قالت صوفيا: لقد خلَّصني من الشر. إن طبيعتي شريرة وفظة، أما هو فقد رقَّق منها بالحب، وقرَّبني إلى الله.

٥- نعم، الحب هو الله. أحِبَّ... أحِبَّ من آلمك، ومن أدنته، ومن لم تحبه، وحُجِبت عنك روحه حتى تلاشت تمامًا. سترى في القاع، عبر الماء الصافي، ذلك الجوهر الإلهي لحبه، ولن يكون عليك حينها أن تسامحه. سيكون ذلك مستحيلًا. كل ما سيتوجب عليك حينها هو أن تسامح نفسك لأنك لم تحب الله الذي فيه، ولم تره بسبب كراهيتك.

٦- علينا أن نعيش دومًا، كما لو أن طفلنا الحبيب يموت في الغرفة

المجاورة. إنه يموت دائمًا، كما أموت أنا أيضًا.

٧- قالت صوفيا: إنه جاد كالأطفال.

٨- بعد وفاة فانيتشكا بعدة أيام، عندما بدأ الحب يضعف بداخلي، ورغم أن كل ما منحني الله إياه بحياة وموت فانيتشك لن يزول أبدًا، اعتقدت أنه سيكون من الجيد أن أعزِّز هذا الحب بداخلي بالنظر إلى الناس جميعًا كما لو أنهم أطفال. أتخيلهم مثلًا وهم في السابعة. يمكنني فعل ذلك. إنه أمر جيد.

٩- فرحة الحياة دون إغواء هي موضوع الفن.

١٠ - فهمت على نحو أفضل أن معنى حياتي، وحياة البشر جميعًا، يتلخص في الخدمة، وأنها ليست هدفًا في حد ذاتها.

١١- قرأت مقالة سيئة لسولوفيوف عن (اللا مقاومة). كل وصية أخلاقية عملية تتضمن بداخلها احتمالية أن تناقضها وصية أخلاقية أخرى تنشأ عن المبدأ ذاته الذي نشأت عنه الأولى. مثال: ضبط النفس. هل يمكن أن تكون قادرًا على خدمة الناس دون أن تأكل جيدًا؟ لا تقتل الحيوانات. حسنًا، ولكن هل أدع الحيوانات تفترس بعضها؟ لا تشرب الخمر. ألا أشربه إذَنْ في سر العشاء الرباني، ولا أستخدمه لأغراض علاجية؟ لا تقاوم الشر بالعنف. حسنًا، هل أدع شخصًا يقتل نفسه ويقتل الآخرين؟

يكشف لنا عرض هذه المتناقضات عن أن الإنسان المشغول بذلك لا يود اتباع أي قاعدة أخلاقية. هذه هي الحكاية بأكملها: لا نتوقف

عن الشرب حتى الثمالة بحجة وجود شخص واحد يحتاج إلى العلاج بالخمر. كذلك لا نتوقف عن القتل والإعدام والسجن بسبب مُغتصِب متوهم.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأهبط إلى الطابق السفلي. أعنِّي يا سيدي على أن أحقق إرادتك. لا أريد سواها.

١٨ يناير (موسكو) صباحًا.

مرت خمسة أيام دون أن أفعل شيئًا. كنت أفكر في (التعليم الشفهي) في أوقات الصباح. في يوم واحد كتبت قليلًا في (الأب سيرجيه)، لكن على نحو سيئ. ذهبت ماشا إلى إيليا. تنتقل صوفيا الآن إلى مرحلة جديدة بالحياة بمعاناة شديدة. أعنها يا سيدي. عانيت طوال هذا الوقت من آلام الصداع، وشعرت بضعف رهيب. جاءنا عدد كبير من الزوار في الليالي الماضية، وقد شعرت بالضيق الشديد بسببهم.

الكتابة، خاصة كتابة الأعمال الإبداعية، مُضرِّة لي أخلاقيًا. عندما كتبت (السيد والعامل) استسلمت لشهوة الرغبة في المجد. النجاح والمديح الذين حققتهما القصة هما مؤشر واضح على أن كتابتها كانت أمرًا سيئًا. يبدو أني استيقظت اليوم من سباتي الأخلاقي. بدأت هذه الصحوة منذ يومين.

أهم ما يجب أن أتذكره وأدركه هو أن كل فعل خارجي، مهما بدا لنا عظيمًا، هو في النهاية نكرة تمامًا، فأنت بمثابة دودة صغيرة تشارك في العمل الإلهي، لذا فقيمتك الظاهرية تُقدَّر بـ ١/∞، أي أنها تساوي

صفرًا. تُقدَّر قيمتك بما يستعلنه الله بداخلك .التفكير في مدى قيمتك هو الإغواء الأكبر والأكثر ضررًا. خلِّصني منه يا أبي!

في هذه الفترة جاء أحد الشيوخ من سيبيريا، كان يعيش هناك في الصحراء.

كيف يعيش الناس في الصحراء عندما يحل الظلام؟

مَن يبحث عن النور، سيجده. لا يهم أن تجد النور، بل أن تستنير.

جاء تشيرتكوف. أقضي معه دائمًا وقتًا جيدًا. لقد أنعشني.

فكَّرت كثيرًا في هذه الفترة، لكني لا أجد وقتًا الآن للتفكير. سأكتب في المساء أو غدًا.

٢٧ مارس.

في هذه الفترة كتبت، أو بالأحرى راجعت، خطاباتي إلى شميت وكينورثي وشخص آخر. لم أفعل شيئًا آخر. يا للخزي! لا أحب خطابي لكينورثي ولا خطابي لشميت الذي يتضمن خطة النشر الأوروبي. صوت بقرارة قلبي يخبرني أنه ليس جيدًا. أعتقد أنه كذلك فعلًا. لم أكتب شيئًا، لكني لست مستاءً من نفسي، فحب الله لم يهجرني.

تمضي أموري بخير ويسر مع سيريوجا. لا أتذكر أي مشاعر سلبية صوب أي شخص في تلك الفترة. تصورت أن (السيد والعامل) أثارت ضجيجًا، وذلك لأني سمعت المديح الموجه لها ولم أستمع إلى أي نقد، وتذكرت حكاية الواعظ الذي توقف في منتصف التصفيق الحاد الذي غطى على إحدى عباراته، وسأل: «هل تفوهت بأي حماقة؟».

أشعر بهذا الشعور، وأعرف أني فعلت شيئًا ما أحمق؛ ألا وهو تضييع الوقت على المراجعة الفنية لقصة ضحلة. فكرة القصة ذاتها غير واضحة ومعقدة. إنها قصة سيئة. أود أن أكتب نقدًا لها دون ذكر اسم كاتبه، إن توفر لديَّ الوقت وشعرت أني لن أضيع وقتي في أمر لا يستحق.

في هذه الفترة زرت إيزيوميتشينكو[٣٨٢] في السجن، وخوخلوف في المستشفى. الأول شديد البساطة والمرح، أما الثاني فشديد البؤس. أود أن أكتب أيضًا عن مدى وحشية هذا النوع من العنف. صوفيا لا تزال تعاني، وغير قادرة على الارتفاع إلى مستوى ديني سام. ربما تكون في حاجة لتلك المعاناة، وربما تقوم هذه المعاناة بعملها في داخلها. أشعر بالأسف عليها. لكني أعتقد أنها معاناة ضرورية، كي تشعر بفعل يد الله، ومن ثم تتعرف عليه وتحبه. كنت أفكر بالأمس في وصية ليسكوف[٣٨٣]، وتوصلت إلى أني يجب أن أفعل المثل. إني مستمر في تأجيل الأمر، وكأنه بعيد للغاية، بينما الموت على الأبواب. إنه أمر جيد وضروري، ليس فقط لأنه ينقذ الأقرباء من التردد والشكوك بشأن طريقة تعاملهم مع جثماني، ولكن أيضًا لأن الصوت الصادر من التابوت يبدو مسموعًا.

أعتقد أن وصيتي ستكون كالآتي، إلا لو كتبت شيئًا آخر بعد ذلك[٣٨٤]:

---

(٣٨٢) ابن لأحد الفلاحين، حُكم عليه بعامين في السجن بسبب رفضه تأدية الخدمة العسكرية لقناعاته الدينية المسيحية.

(٣٨٣) مات ليسكوف في فبراير ١٨٩٥، وترك وصية واضحة بخصوص طريقة دفنه، وود تولستوي أن يقوم مثله بترك وصية مفادها أن يُدفن دون أي شعائر.

(٣٨٤) ستتحول الوصية إلى مصدر عداء رئيس بين صوفيا وتشيرتكوف.

١ - ادفنوني حيث أموت، في أفقر مقبرة وأبسط نعش، حيث يدفنون الفقراء. لا تضعوا زهورًا أو أكاليل على مقبرتي، ولا تلقوا خُطبًا. إن أمكن ادفنوني دون حضور كاهن ودون إقامة الصلوات. ولكن إن كان ذلك أمرًا مؤلمًا لأولئك الذين سيدفنوني، فليقوموا بذلك بالطريقة العادية، ولكن بأبسط الطرق وأقل التكاليف الممكنة.

٢ - لا تنشروا خبر موتي في الصحف، ولا تكتبوا نعيًا من أجلي.

٣ - امنحوا كافة أوراقي إلى مَن يظل على قيد الحياة من الشخصيات الآتية: زوجتي وتشيرتكوف وستراخوف وابنتيَّ تانيا وماشا، ليطلعوا عليها ويرتبوها. أي مواضع مشطوبة، أنا الذي شطبتها بنفسي. لذا ليس على ابنتيَّ القلق بشأن ذلك. أستثني أبنائي من هذه المهمة، ليس لأني لم أحبهم، فحمدًا لله أن تزايد حبي لهم في الفترة الأخيرة بشدة، وأعرف أنهم يحبونني، لكنهم ليسوا على وعي كامل بأفكاري، ولم يتتبعوا طريقها، وربما لهم آراؤهم الخاصة، نتيجة لحفاظهم على ما لا يجب الحفاظ عليه. بالنسبة ليومياتي في فترة العزوبية، أرجوكم تخلصوا منها تمامًا، بعدما تختارون منها ما يستحق البقاء. بالنسبة ليومياتي في حياتي الزوجية، أرجوكم تخلصوا من كل ما يمكن أن يضايق أحدًا منها إن نُشِر. لقد وعدني تشيرتكوف بفعل ذلك. أنا متيقن أنه سيقوم بذلك على نحو حسن للغاية لأنه قد منحني حبًّا عظيمًا لم أكن أستحقه، وعاملني كذلك بحساسية أخلاقية شديدة. إني لا أطلب منكم التخلص من يوميات فترة العزوبية لرغبتي في إخفاء حياتي الشريرة عن الناس، فحياتي كانت حياة اعتيادية خسيسة، وهي تمثل من وجهة النظر الدنيوية، حياة الشباب التي

لا تستند إلى أي مبدأ. لكني طلبت ذلك لأن هذه اليوميات التي لم أدوِّن فيها سوى ما عذَّبني من وعيي بخطاياي، ستصنع انطباعًا خاطئًا أحادي النظرة، كما أنها سـ.....

ولكن لا... دعوها كما هي. على الأقل سوف تؤكد على أنه بالرغم من ابتذال ودناءة حياتي في فترة الشباب، إلا أن الله لم يهجرني، وأني في فترة شيخوختي بدأت أفهمه قليلًا وأحبه.

بالنسبة لبقية أوراقي، فأرجو من القائمين عليها ألا ينشروا كل شيء، بل يكتفوا بما يمكن أن يكون مفيدًا للناس.

لا أكتب كل ذلك الآن لإضفاء أي أهمية على أوراقي، ولكن لأني أعرف مقدمًا أن أعمالي سوف تُنشر في الأيام الأولى بعد وفاتي، وستتم مناقشتها، وسوف تُعزى إليها أهمية ما. إن كان الأمر كذلك، أرجو ألا تتسبب أوراقي في الإضرار بأحد.

٤- بالنسبة لحق نشر أعمالي المبكرة: أطلب من الورثة أن ينشروا الأجزاء العشرة وكتاب الأبجدية[٣٨٥] للعامة، وألَّا يتمسكوا بأي حقوق ملكية فكرية. هذا طلب وليس أمرًا. سيكون من الجيد لكم وللجميع إن فعلتم ذلك. إن لم تفعلوا ذلك، فهو شأنكم إذَنْ. هذا يعني أنكم لم تكونوا قادرين على فعل ذلك. إن حقيقة أن أعمالي كانت تُباع في العشرة أعوام الأخيرة هي أكثر ما أحزنني في حياتي.

٥- أطلب بشكل خاص من القريبين والبعيدين على السواء، ألا

(٣٨٥) كتاب تعليمي من تأليف تولستوي مخصص للأطفال.

يمدحوني. أعرف أنهم سيمدحونني لأنهم فعلوا ذلك فعلًا إبان حياتي بأسوأ شكل ممكن. إن أرادوا دراسة ما كتبته، فلينظروا بعناية إلى تلك المقاطع التي أعرف أن قوة الله هي التي تحدثت فيَّ عندما كتبتها، وليستفيدوا منها في حياتهم. مرت أوقات شعرت فيها أني أصبحت بمثابة إعلان عن إرادة الله. كثيرًا ما كنت غير طاهر، منقادًا لشهواتي الشخصية، حتى غطى ظلامي على نور الحقيقة بداخلي، ولكن بالرغم من ذلك، كانت الحقيقة تشق طريقها عبري أحيانًا، وكانت هذه أسعد أوقات حياتي. أطلب من الله ألا تتلوث هذه الحقائق وهي تمر عبري، بحيث يمكن للناس أن يتغذوا عليها، بالرغم من شخصيتي الحقيرة الدنسة.

بهذا المعنى فقط يمكن أن تكون لكتاباتي أهمية. بهذا يمكن أيضًا أن أنال التوبيخ عليها، لا المديح. هذا كل شيء.

في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- صوفيا تعاني بدرجة مريعة. السبب هو أنها وجَّهت كافة قواها الروحية إلى حبها الحيواني لطفلها. لقد وضعت روحها في طفلها، آملة أن يحفظها. لقد أرادت حماية حياة الطفل، ليس بسبب الطفل ذاته، ولكن من أجل العالم... من أجل الله. الفكرة غير واضحة تمامًا.

٢- المعاناة والأنانية متلازمان. الحب لا يعرف المعاناة؛ لأن حياة الحب هي حياة ربانية فائقة القدرة. أما الأنانية فهي تقييد للشخصية.

٣- ما طبيعة الزمن؟ يقولون لنا إنه مقياس الحركة. ولكن ما هي الحركة؟ هل ثمة حركة غير قابلة للشك؟ نعم، ثمة حركة واحدة كذلك:

إنها حركة أرواحنا والعالم بأكمله صوب الكمال.

٤- يرسم المكان حدًّا للشخصية. سأوضح ذلك في وقت لاحق.

٥- قاعدة الحياة باختصار: عِش حياة أبدية في هذه الحياة؛ أي عِش حياة إلهية.

٦- لا تبدد روحك للحفاظ على طبيعتك الحيوانية وزيادة قدرها، بل بدِّد طبيعتك الحيوانية من أجل الحفاظ على روحك وزيادة قدرها. عِش من أجل الروح. عِش حياة إلهية.

٧- أن تعيش حياة إلهية يعني أن ترغب فيما يرغب فيه الله. إن الله يريد الخير للعالم، وهو لا يتحقق إلا بزيادة الحب.

٨- كثيرًا أدرك في نفسي ضعف سعيي صوب الكمال. لهذا سببان: الأول: ضعفي. الثاني: وصولي لما كنت أسعى إليه. إن السعي يتوقف عندما تخطو بقدم إلى الدرجة المنشودة، ويكون عليك أن تجلب قدمك الأخرى لذات الدرجة.

٩- أفضل قطاع من البشر الذين يعيشون حياة دنيوية، هم الذين يحبون أقرباءهم. عليهم أن يدركوا أن ثمة عذابًا لن يتوقف أبدًا في حياتهم؛ لأن الموت في انتظار الجميع.

١٠- الله في داخلنا، وفي هذا وحده تتمثل النظرة الحقيقية للعالم، الملائمة للإنسان. يقول سوتايف: يقول أحدهم إن الله فيه، وفي الآن ذاته يعترف بالكتاب المقدس. لذا عليه أن يعيد تفسير نصوص الكتاب القدس روحيًّا حتى تتسق النصوص مع فكرة أن الله في الإنسان. هذا ما يفعله أيضًا كافة الناس الذين يعترفون في أعماق وعيهم بما يشكل أساس

كل شيء فيه، وفي الآن ذاته يعترفون بنوع من التعاليم الخارجية. بهذه الطريقة يسيئون فهم التعليم الخارجي، عندما يقرنونه بالنظرة الوحيدة الأبدية للحياة. هذا ما يفعله الماديون والاشتراكيون.

١١- أحد الإغواءات الرئيسة، إن لم يكن الأكبر، هي فكرة وجود العالم. ثمة كيانان إذَنْ يتحركان ويتدفقان دومًا: أنا والعالم.

١٢- سألت نفسي قديمًا: لماذا يموت الأطفال؟ لم أجد إجابة ونسيت الموضوع برمته. بعد ذلك، ولم أكن أفكر حينها في الأطفال، طرحت على نفسي سؤالًا عن مغزى الحياة، وقلت إن الإجابة هي زيادة الحب في نفسي وفي العالم. الآن، بعد أن تذكرت سؤالي عن الأطفال، أدركت أن إجابة التساؤل عن مغزى الحياة تجيب تمامًا عنه.

١٣- قبل أن تحب، أو كي تحب، عليك أن تعرف أولًا ما يمكنك أن تحبه، ويستحيل عليك حبه في الآن ذاته. إنه الله المتمثل في العالم والناس.

١٤- إن جنون توريث السلطة يشبه أن يسلم قبطان السفينة إدارتها إلى ابنه أو أحد أقربائه.

١٥- آه لو لا أفعل إلا الأفضل والأشد ضرورة، وأترك كل شيء آخر لله!

١٦- أن تعيش من أجل الله، يعني أن تبدد حياتك من أجل خير العالم. إنها ستتبدد على أي حال، لكنها بين يديك إلا إن انتحرت. بإمكانك إذَنْ ألا تبدد كل شيء من أجل الله أو غيره.

١٧ - مدح الآخرين من أجل السمات الإلهية التي تظهر فيهم يعني استدعاء تلك الصفات فيهم. إن نلت مديحًا على هذه السمات الإلهية، فهذا يعني أنك مدعو لإدراكها.

الساعة الآن الواحدة. سأتناول إفطاري.

٢٨ مارس.

قضيت اليوم كاملًا دون أن أفعل شيئًا. إنها خطية عظيمة. لا تزال صوفيا تعاني، وعاجزة عن السمو دينيًّا. أنا شديد الضعف. الساعة الآن الثانية عشرة. لم أفعل شيئًا. أريد أن أكتب بعض الخطابات.

٦ إبريل.

في هذه الفترة لم أحظَ بزيارات أو خطابات لها أهمية خاصة. أتاني فقط فلاحان شابان: واحد من زفينيجورودسك، والآخر من نيجنيجورودسك. التقيا بكولوسنيكوف[٣٨٦]، وهو إنسان صالح للغاية، واصطحباه معهما للتحدث معه. بدأت العلاج لدى سينيتسين، ولا أعرف هل هذا أمر حسن أم لا. لا... إنه سيئ. لكن العيش في المدينة، وسط أفراد الأسرة أمر يصعب احتماله. أشعر بالضيق الشديد من حياة المدينة المترفة الشريرة البطَّالة. أود أن أكون مفيدًا لصوفيا في ضعفها. أمر لا يغتفر أني كدت أن أكتب: «إذا لم أتمكن من فعل شيء آخر». عذرى الوحيد أني كنت طوال هذا الوقت ضعيفًا للغاية. لقد اكتسب

(٣٨٦) فلاح من أوبوخوفكا. مر على تولستوي في طريق عودته إلى وطنه، حيث طُرد هناك بسبب تعاطفه مع آراء تولستوي.

عمري عشرة أعوام إضافية. ميلي إلى الحب يضعف، لكن حمدًا لله أني لم أهجر بعد حالة الحب الكلية كاملًا. أنا بخير من هذا المنظور؛ أي بقدر ما يمكن لكائن طفيلي أن يكون بخير لوعيه بطفيليته. في هذه الفترة كتبت مجموعة من الخطابات لفينجيروف (ناقد أدبي) يتضمن مقدمة عن بونداريف، وقرأت كتاب جون ريسكين الرائع (دفتر عيد الميلاد)، ودوَّنت بعض الملاحظات بخصوصه.

في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- هدف الحياة هو أن تُبدِّد حياتك الجسدية لتجلي الحب واستدعائه وتحقيق الوحدة. استبدل جسدك المادي بالوحدة مع كافة مخلوقات العالم.

٢- لا يمكن لوحدة المخلوقات والبشر أن تتم إلا بالحقيقة، لذا علينا أن نعرف الحقيقة من أجل تحقيق الوحدة. هذا يعني أن علينا أن نعرف الحقيقة قبل أن يتجلى الحب. معرفة الحقيقة هي معرفة الله. لا يمكننا أن نحب سوى الله وما هو إلهي في العالم والناس. علينا أن نعرفه كي نحبه، وأن تكون لدينا القدرة على ذلك. هذا يعني أن علينا أن نعرفه قبل أن نحبه. معرفة الله تعني معرفة الذات، وأن نميز جوهرنا الإلهي عن كياننا الجسدي؛ أي أن نميز بين الشكل والمحتوى. الأمر كله يتلخص في ذلك.

٣- أن تحيا من أجل الله، يعني أن تحيا من أجل ذاتك المتحدة ببقية المخلوقات.

٤- ألا يعني العيش من أجل الله أن نمنح حياتنا للآخرين؟ أن نبعث

فيهم الحياة الروحية الحقيقية؟

٥- كما أن الحب الجسدي هو الاستعلان الأكبر للحياة الجسدية، لأنه حياة الجسد، كذلك يعد استعلان الحب الإلهي التجلي الأكبر للحياة الروحية، لأنه هو مصدر ها.

كل ما سبق شديد الضعف، ولا يقود إلى الحقيقة. مع ذلك هو صحيح وأنا أعيش به.

٦- تعاني الأم من فقدان طفلها، ولا يمكنها أن تجد العزاء لقلبها. لن يمكنها أن تجد العزاء حتى تدرك أن حياتها ليست في الوعاء الذي تهشم، بل في محتوى الوعاء، الذي لم يتلاشَ رغم تغير شكله. كانت هذه الفكرة جديدة وواضحة وقوية في ذهني، لكنها فقدت معناها عندما دوَّنتها. إن حكمة العالم بأكملها تتلخص في أن تنقل حياتك من إطار الشكل إلى المضمون، وألا تُبدِّد قواك على حماية الشكل، بل من أجل أن يسيل ويتدفق.

٧- الحياة الحقيقية هي الإلهية، لكننا لا نراها، فالإغواءات تحجبها عن أبصارنا.

٨- في الماضي كنت أعيش من أجل خيري الشخصي فحسب. أدركت بعد ذلك أن ثمة جوهرًا آخر أسمى بداخلي، وأن عليَّ أن أعيش من أجله. بدأت أعيش من أجله فعلًا في بعض الأحيان. عليَّ الآن أن أعيش من أجله دائمًا، وإن كان الأمر مستحيلًا، فلأعشْ من أجل ذاتي لأوقات قليلة فحسب. المهم أن يصبح العيش من أجل الله هو القاعدة، والعيش من أجل الذات مجرد استثناء.

٩- أقوى حب وأكبره تأثيرًا هو ذاك الذي نشعر به صوب أناس كنا نكرهم قبلًا؛ إنه حب الأعداء.

١٠- الخير هو هدف الحياة. لا خير إلا في خدمة الله. خدمة الله هي زيادة الحب في العالم، ولا يمكننا أن نحقق ذلك إلا بزيادة استعلان الحب بداخلنا. الحب الذي بداخلنا هو ما يمنحنا أسمى خير، وهو ما نسعى إليه.

١١- ما إن تعرف فيرا إيفانوفنا (مربية عند آل بيرس) بخبر موت أحدهم، وأن ليس هناك من يطلب الراحة لروحه، حتى تقوم بذلك فورًا. صارت ماشينكا (شقيقة تولستوي) أطيب كثيرًا بعد أن ذهبت للدير. ماذا يعني ذلك؟ كيف يمكن أن تندمج الوثنية بالمسيحية[٣٨٧]؟ لا يمكنني تفسير ذلك بوضوح. ما جوهر هذه العبادة؟ لقد عرَّفت الدين في مقالتي (الدين والأخلاق)[٣٨٨] بأنه الأساس الذي نشيد عليه نظرتنا للعالم، ولكن بالإضافة لذلك ثمة معنى آخر خاص بالدين يتمثل في العبادة والأضحية والمعلمين الدينيين... ماذا يعني ذلك؟ أليس ذلك هو الستار الذي نخفه خلفه حياتنا الغارقة في الخطيئة؟

١٢- من السهل جدًّا أن نعرف ما الخير وما الشر في حد ذاتهما، ولكن من الصعب جدًّا أن نعرف ما يتعلق بالمنغمسين في الخير أو الشر.

---

(٣٨٧) أظن أنه يقصد هنا بالوثنية الممارسات الدينية الشعبية وكذلك التي تجري في الكنائس والأديرة كتقديس البشر والاحتفاظ برفاتهم والتبرك بالأيقونات... إلخ.

(٣٨٨) ترجمت هذه المقالة، ونُشِرت في كتاب (في الدين والعقل والفلسفة). صدر عن آفاق للنشر.

١٣- تنبعث أغلب صنوف المعاناة الخاصة بتعاملات الرجل مع المرأة في الأساس من عدم فهم كل منهما لمجال الآخر تمامًا. نادرًا ما يفهم الرجل ماذا يعني الأطفال للمرأة، والمكانة التي يشغلونها في حياتها. كذلك من النادر جدًّا أن تدرك المرأة ماذا يعني واجب الشرف والواجب الاجتماعي والديني للرجل.

الساعة الآن الواحدة. سأهبط إلى الطابق السفلي. ساعدني يا سيدي وأبي كي أعرفك، وأراك في كل شيء، وأن أتحد بك وأقوم بعملك.

١٠ إبريل.

طوال أسبوع الآلام[٣٨٩] وأنا أشعر بالضعف الشديد. لا أفعل شيئًا، ولا أفكر سوى قليلٍ. في أحيان نادرة تلوح جزر من الأفكار فجأة في قلب العتمة والضباب، وربما تبدو مهمة جدًّا لهذا السبب تحديدًا. صوفيا لا تزال مريضة. كانت قد تعافت تقريبًا، ولكن لسوء الحظ عادت لتتبنى لهجتها السابقة الحادة والاستبدادية. أسفت بشدة على فقدانها تلك الحالة المزاجية المحبة التي اكتنفتها بوضوح بعد موت فانيتشكا. لكنها بدأت أول أمس في المعاناة من الصداع والحمى ثانية، وأيضًا عاد إليها ضعفها ولا مبالاتها على نحو قوي بالرغم من قدرهما الضئيل. ساعدني يا أبي أن أشعر وأقوم ما يتوجب عليَّ الشعور به والقيام به. بالأمس تمشيت في الشوارع، ناظرًا إلى وجوه الناس... قليل منهم مَن لم يتشوه وجهه بتأثير الخمر والنيكوتين والسفلس. يثير ضعفهم الأسف والاستياء على نحو مريع، بينما طريق خلاصهم من كل ذلك شديد الوضوح. تُلقِي

(٣٨٩) الأسبوع الذي يسبق عيد القيامة.

الخرفان بأنفسها في الماء، بينما تقف بعيدًا وتلوح لهم بالعودة، لكنهم يواصلون القفز في الماء، وتشعر وكأنهم يقومون بما يجب القيام به، وأنك تعوقهم عن تنفيذ ذلك. أشعر بانجذاب رهيب للكتابة عن علاقة المجتمع بالقيصر[٣٩٠]، وكشف الكذب الكامن في التوجه صوب كل ما هو قديم، لكن مرض وضعف صوفيا يحولان دون تنفيذ ذلك.

في هذه الفترة فكرت في الآتي:

١ - يمضي مسار الحياة الطبيعي كالآتي: في البداية لا يسلك الإنسان إلا كطفل ثم شاب. بعد ذلك يكتسب الخبرة من أخطائه، ويدرك بعض الأمور. عندما يدرك بعد ذلك أهم ما عليه أن يعرفه؛ ألا وهو : ما هو الخير؟ يبدأ في محبة الخير. إذَنْ فهو: يسلك- يعرف- يحب. أما حياته اللاحقة فهي قبل كل شيء آخر بمثابة نشاط يجري باسم ما نحبه، مثلما حياتنا الحاضرة تعتبر امتدادًا لحياة سابقة. بعد ذلك نعرف أمورًا جديدة تستحق الحب، وفي النهاية نحب ذلك الجديد الجدير بالحب. في ذلك يتلخص مسار الحياة.

٢- يشعر المرء بالخزي إن ضُرِب أو اتُّهِم بالسرقة أو تعارك أو تراكمت عليه ديون اللعب... إلخ، لكنه لا يشعر بالخزي إن وقَّع على أمر بالإعدام أو شارك في تنفيذه أو تلصص على خطابات الناس، أو فرَّق الآباء والأزواج والزوجات عن أسرهم أو صادر آخر ما لدى الناس من مصادر رزق أو حتى سجنهم. يقينًا كل هذا أسوأ. متى نعتبره كذلك فعلًا؟ قريبًا، عندما تحين نهاية ذلك النظام القائم على العنف.

---

(٣٩٠) كتب مقالة عن ذلك فعلًا بعنوان (أحلام سخيفة).

الساعة الآن الثانية عشرة. سأتناول إفطاري. أطلب من الله أن يعلمني أن أصنع مشيئته وأحقق إرادته وأخدمه. ليساعدني في ذلك.

١٤ إبريل.

فكَّرت أيضًا في الآتي:

لا أزال أعيش حياة خاملة شريرة. لا أختبر أفكارًا أو مشاعر. أنا في حالة سبات روحي. وإن تجلت لي أي مشاعر، تكون أكثرها دناءة وأنانية مثل التحرر من قيود الأسرة... إلخ. هل هو الإنهاك بعد ما اختبرته مؤخرًا، أم أنها مرحلة جديدة في حياتي تمنيتها منذ زمن بعيد؛ ألا وهي فترة الشيخوخة الطاهرة؟ لا أعرف. سأنام. في فترات الصباح لا يمكنني حتى أن أقرأ، وأكتفي بلعب الورق بمفردي. حالة صوفيا الصحية لا تتحسن، بل تسوء إلى حد ما. فكَّرت الآن في أن عليَّ أن أتذكر أن الوقت المتاح لي للقيام بما يتوجب عليَّ القيام به به في هذا العالم قد قارب على النفاد، لذا فهي خطيئة إن بددت الوقت دون عمل؛ أي دون أن أخدم الله. بغض النظر عن تفكيري في مسألة علاقة عمل الله بالكمال الداخلي بالحب، لا يمكنني الخروج من إطار هذه الفكرة التي مفادها أن هدف الحياة هو تحقيق عمل الله، والقضاء على كل ما يفرقنا، وزيادة الحب، وأن تحقيق ذلك لا يمكن إلا عبر عمل يحقق الكمال الداخلي بالحب.

بينما أكتب الآن أفكر في الآتي:

هدف الحياة هو أن يتخلل الحب جميع ظواهرها، وتحويل الشر ببطء وتدرج إلى الخير، وإنتاج حياة حقيقية، فالحياة الحقيقية هي

حياة الحب وحسب. في الحياة العادية يطرح الإنسان هدفًا لنفسه ألا وهو كمال الحياة الخارجية، دون أن يتوقف عن بلوغ كمال كل ما هو داخلي إلا في بعض الظروف مثل السجن أو حالة تشبه حالة روبنسن كروزو[٣٩١]، حيث لا يعود أمامه سوى الاهتمام بكماله الداخلي. ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أن الحب ليس أمرًا خارجيًّا أو داخليًّا، ولا يمكن أن تكون لديه أهداف متعددة. الحب هو الحياة، لذا... لا... لم تنجلِ لي الفكرة بعد. أريد أن أكتب أني بحاجة إلى نشاط مستمر، لكن لا أعرف ما إن كان ذلك صحيحًا أم لا. سأنام.

في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- كنت أتمشى بالقرب من حديقة ألكسندر[٣٩٢]، وفجأة تخيلت بحيوية فائقة وفرحة غامرة رواية تحكي عن رجل مثقف من أوساطنا، وكيف هرب من زوجته والتحق بالرُّحَّل، وأخذ معه ابنه ومربية ابنه. عاش حياة طاهرة كادحة وربى ابنه هناك. ثم عاد الابن لأمه التي أرسلت في طلبه، وكانت تعيش حياة السادة المترفة والمنحلة تمامًا. يمكنني أن أكتب هذه القصة على نحو رائع. على الأقل هذا ما أظنه[٣٩٣].

٢- تذكرت الآتي بوضوح؛ في كل مرة كنت أقترب من الله لم يكن الأمر يقتصر على أن يدينني القريبون والبعيدون، بل كانوا يشتعلون

---

(٣٩١) قصة كتبها دانيال ديفو، نشرت للمرة الأولى سنة ١٧١٩ تحكى عن شاب انعزل في جزيرة ما، وحيدًا لمدة طويلة دون أن يقابل أحد من البشر... إلخ.

(٣٩٢) واحدة من الحدائق العامة الحضرية الأولى في موسكو. تضم ثلاث حدائق منفصلة، تمتد على طول طول جدار الكرملين الغربي لمسافة ٨٦٥ مترًا.

(٣٩٣) لم تتحقق رغبته في كتابة هذه الرواية.

غضبًا. وكلما ابتعدت عنه - مثل الآن - ازدادوا لطفًا معي.

٣- تصفحت مجلة تتضمن مقالات لكوفاليفسكي وبيشين وسوفوليوف، وقصة لأورزيسكوا (كاتب بولندي)، وتذكرت ما كان أخي سيريوجا ينتظره من الأدب. إنه عمل قلبي وروحي، مغلف بالفكر. هذا حقيقي، وهذا ما يحبه العقلاء جميعًا، بمَن فيهم أنا وسيريوجا. ثمة أعمال فكرية يستبدلون بالقلب فيها خيال مآتة، وهذه هي النوعية التي تملأ المجلات والكتب.

في هذه الفترة ذهبت إلى المحكمة[٣٩٤]. كان الأمر مريعًا. لم أتخيل أبدًا هذا القدر من الغباوة. انشغلت كذلك مع خوخلوف. لم أتخيل أبدًا أن لدى الأطباء هذا القدر من النذالة والقسوة. صوفيا مريضة. أشعر بالأسف والحب صوبها. ساعدني يا أبي كي أهزم نفسي وأزيد الحب بداخلي.

في بعض اللحظات المستنيرة أفكر أن أهم ما في الأمر هو استعلان الحب بداخلي، وكي أقوم بذلك لا يلزمني إلا التخلص من الإغواءات. يتطلب التخلص من الإغواءات واستعلان الحب عملًا، ولا يهم ما إن كان هذا العمل بمثابة تنوير للعالم كله أم مجرد تسكين وتخفيف لأثر خيوط العنكبوت التي تطوقنا، فللأمرين ذات الأهمية.

٤- نحن لا نحب الناس من أجل كرامتهم، بل من أجل ما يفعلونه لنا. لا نحب الناس لأننا نريد أن نحبهم، بل من أجل ما نفعله من أجلهم،

---

(٣٩٤) ليجمع مواد من أجل (البعث).

ولأننا نريد أن نضحي بحياتنا من أجلهم، لذا فالحب يتطلب التضحية، والتضحية تتطلب الحب. كيف هذا؟ ثمة مخرج واحد للإشكالية: تدمير الإغواءات التي تعترض طريق الحب/ الحياة. وما هو الإغواء؟ خداع العقل الذي يشير إلى الحياة في مكان ليست فيه.

٢٥ إبريل.

رحلت صوفيا بالأمس إلى كييف بصحبة تانيا (كوزمينسكايا) التي أتت من أجلها. تحسنت حالتها الصحية قليلًا. لقد نهضت من سقطتها، لكنها لا تزال منهكة ولا تستطيع أن تجد مرتكزًا أخلاقيًّا يُدعِّمها. إن الوضع تراجيدي جدًّا، فقد وهبتها الطبيعة رغبة لا تقاوم، وكذلك فعلت بالرجل، ولكن في حالته ليس للأمر عواقب خطيرة مثلما هو الأمر مع المرأة ورغبتها في إنجاب الأطفال. يؤدي ذلك إلى ظهور الأطفال، وقد وهبت الطبيعة المرأة حبًّا أقوى لهم، وهو حب جسدي، فحمل الأطفال ورعايتهم وإطعامهم والعناية بهم، جميعها أعمال جسدية. المرأة الصالحة تمنح ذاتها كلية لأطفالها، وتُكرِّس نفسها لهم، وتكتسب عادة روحية أن تحيا من أجلهم وحدهم وبهم، وذلك يمثل إغواءً مريعًا، خاصة أن الجميع لا يكتفون بإقرار ذلك، بل يمتدحونه أيضًا. تمر الأعوام، ويبدأ هؤلاء الأطفال في الابتعاد عنها، سواء بالحياة أو بالموت. في الحالة الأولى يحدث الأمر ببطء، ويُستبدل بالحب مشاعر الغضب، وتتحول إلى ما يشبه حجر معلق حول أعناقهم، وتتدخل في حياتهم. في الحالة الثانية؛ بالموت، تشعر بآلام رهيبة مؤقتة، ثم تفارقها الآلام وتجد بدلا منها خواءً. على المرأة أن تعيش، لكنها لا تجد ما تعيش به. لم تعد لديها

عادة، ولا حتى قوة من أجل الحياة الروحية، فقد تبددت قواها جميعًا على أطفالها، الذين لم يعودوا موجودين الآن. هذا ما يجب أن أكتب عنه في رواية عن الأم.

بدأت في تلك الفترة تعلم ركوب الدراجة في المضمار. انجذابي إلى هذا العمل أمر غريب. حاول يفجيني إيفانوفيتش (بوبوف) أن يصدني عن ذلك وغضب بسببه، لكنني لا أشعر بالخزي؛ على النقيض من ذلك، أشعر أنها حماقة مقبولة، ولا أبالي بما يفكر فيه الناس، فالأمر ببساطة لا يضر أحدًا ويمنحني متعة طفولية.

حالة صوفيا الروحية ليست جيدة، ولا يمكنها التسامي عما هو شخصي، وفي حالتها يتمثل ذلك في شؤون الأسرة. لا يمكنها أن تجد المعنى في الحياة الروحية. ذهبت ماشا (ابنته) إلى كييف. يا للفتاة المسكينة! إنها نحيفة وضعيفة. ثمة شيء ما يحدث بين سيريوجا ومانيا[٣٩٥]. سيكون الأمر صعبًا عليه، وسيتوجب عليه أن يغيِّر في نفسه أمورًا عديدة. إن فعل ذلك سيكون الأمر على ما يرام. يستمر علاجي مرتين أسبوعيًّا. أعتقد أني سوف أتوقف عنه في يوم ٢٠.

طوال هذا الوقت كنت أشعر بغياب الطاقة ومبادرة التفكير. اقتصر الأمر على بعض ومضات الفكر بين الحين والآخر، وغالبًا ما تكون في هيئة صور فنية حيوية. لا، الأمر لم يقتصر على ذلك، بل خطط كاملة لأعمال فنية.

---

(٣٩٥) كان سيريوجا (ابن تولستوي الأكبر) يستعد للزواج من ماريا (مانيا) راتشينسكايا.

في هذه الفترة فكرت في الآتي:

١- حبك يستدعي حبًّا في الآخرين؛ أي يستدعي الله. كذلك تستدعي صحوتك صحوة الله في الآخرين.

٢- ذهبت إلى المسرح مع ساشا (ابنته) وماتريونا (صديقتها)، وفي طريق العودة تحدثتا عن بعض مظاهر التقدم المادي التي ستحدث قريبًا مثل الكهرباء... إلخ. تزايد أسفي عليهما، وقلت لهما إن نوع التقدم الذي أنتظره وأحلم به، بل وأحاول أن أعمل من أجله، مختلف، فهو النوع الوحيد المهم، وهو لا يتعلق بالكهرباء أو الطيران في الهواء، بل بتقدم أخوَّة البشر والوحدة بينهم والحب وتأسيس ملكوت الله على الأرض. فهمتا قصدي. قلت لهما إن الحياة تتلخص في العمل على تقريب موعد حلول ملكوت الله. فهمتا قصدي وصدقتاه. الأطفال جادون «وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا هاهُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنَّ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ.» (لوقا ١٧: ٢١). قرأت اليوم عن أحلام كتبها أمريكي، تحكي عن: كيف سيكون شكل الطرق والشوارع... إلخ، في عام ٢٠٠٠؟ إن هؤلاء العلماء الحمقى ليست لديهم حتى الآن أدنى فكرة عن ماهية التقدم. لكنهم يقولون إن الحرب سوف تنتهي لسبب واحد؛ ألا وهي أنها تعوق طريق التقدم المادي.

٢٦ إبريل.

الساعة الآن الحادية عشرة. كتبت خطابًا لأحد السويديين ولشميت ولليفيتسكي. عليَّ أن أكتب لخيلكوف وتشيرتكوف وستراخوف وأليخين.

بالأمس قدت دراجتي في المضمار، ثم تمشيت حتى سيرجي نيكولايفيتش (شقيقه). إنه في حالة معنوية مريعة، وأسرته تعاني بشدة. أردت بعد ذلك أن أمكث وحدي بالمنزل، لكن جاءني إيفان ميخايلوفيتش[٣٩٦]. أعتقد أني كنت مفيدًا له. كتبت خطابًا لصوفيا. ذهبت لفراشي، شاعرًا بكآبة القلب دون سبب واضح، واستيقظت اليوم على الشعور ذاته. جلست لتوي على مكتبي، وأردت أن أواصل العمل على رواية كوني (البعث)، لكنني غير قادر بتاتًا. لذا أقبلت على كتابة اليوميات. على الأقل سوف أكتب بعض الخطابات. رأيت صورتي بالأمس، واندهشت عندما رأيت كم هرمت! لم يعد يتبقى لي الكثير من الوقت. ساعدني يا أبي على استغلاله كي أقوم بعملك. من المريع أن المرء كلما هرم، ثمَّن جدًّا ما تبقى له من قوة؛ من ناحية حجم تأثيرها في الحياة. يكون من المرعب حينها ألا يستخدمها بشكل سليم. تبدو الحياة حينها كما لو أنها تتخمر أكثر فأكثر، حتى تصبح في النهاية كثيفة، بعكس فترة الشباب، حيث يمكن للشاب أن يريقها لأنها لم تتخمر بعد. ساعدني يا أبي... ساعدني... ساعدني!

تحدثت مع إيفان ميخايلوفيتش عن الصلاة. ما إن تطرق الأمر لهذه المسائل: لمَن نصلي؟ ماذا نطلب؟ كيف يحقق صلاتي؟ حتى وجدتني لا أعرف شيئًا. كل ما أعرفه هو أني في حاجة إلى الصلاة، وأني منجذب لها بشكل غريب، وأني أجدني الآن دون أي مؤثر خارجي، أكتب ذلك، ممسكًا نفسي بصعوبة عن البكاء أثناء الصلاة، وأعرف أن من الضروري

(٣٩٦) من التولستويين المتحمسين، وكاتب عدة مقالات. تم القبض عليه ونفيه بسبب آرائه.

لي أن أصلي، وأن هذا الفعل لا يضيع عبثًا، بل هو أكثر ما يمكنني فعله فائدة.

ساعدني يا أبي، وأرني عملك بوضوح. بهذا لن أطلب منك شيئًا، بل سأشكرك وأحبك.

٢٨ إبريل.

بالأمس ذهبت منذ الصباح الباكر إلى خوخلوف. إنه ينعم بحالة من الحرية، ومع ذلك يقول إنه قد فسد: «لقد فقدت عقلي فعلًا». لا أعرف كيف أساعده. ربما الأمر كله يتعلق برغبته الجنسية. لقد عرف النساء في شبابه، لذا لم يعد قادرًا على ممارسة المزيد من ضبط النفس، وأخرج كل ما لديه للنضال ضد الرغبة. لقد بقيت لديه بعض استنتاجات التعليم المسيحي، لا التعليم ذاته. لقد أصبح أنانيًّا نتيجة صراعه الشديد مع نفسه، تمامًا كما يحدث لإنسان يغرق أو يسقط ولا يفكر إلا في نفسه.

السؤال هنا: ما الذي يجب فعله؟ يعاني إيفان ميخايلوفيتش من الأمر ذاته. ما الذي يجب فعله؟ ما الذي يجب على المرء أن يقوله لابنه عندما يصل إلى تلك المرحلة العمرية من الصراع؟ تحدثت عن ذلك بالأمس مع سينيتسين (أستاذ جراحة بجامعة موسكو). الحياة كلها بمثابة صراع للجسد مع الروح، والروح تنتصر تدريجيًّا على الجسد.

الصراع الجنسي هو الأكثر حدة، لكنه ينتهي دائمًا بانتصار الروح. على المرء أن يقول لابنه إن هذا الصراع ليس حدثًا فريدًا أو استثنائيًّا، لكن أهم ما في الحياة هو أن يعرف المرء كيف يستعد للصراع، تمامًا

مثلما يحدث مع الرياضيين؛ عليهم أن يكونوا مستعدين دائمًا، وألَّا ييأسوا أو يجزعوا حينما يتعرضون للهزيمة، بل يستجمعوا شتات أنفسهم ويستعدوا للصراع من جديد. هناك أيضًا السقوط المعتاد؛ السقوط مع أولئك النساء اللاتي لا يردن أن يربطن حياتهن بشخص واحد، وهناك أيضًا سقوط الزواج الذي يمكن أن يمتد إلى ٣٢ عامًا كما في حالتي، ولكن السقوط هو السقوط. يظل على المرء ألا يجزع، وأن ينتظر التحرر الذي سوف يأتيه في النهاية. أعتقد أنه قد أتاني فعلًا. إني لا أفعل شيئًا طوال الوقت، وأشعر بالحزن، كما لو أني أشعر بالخزي من شيء ما.

فكَّرت بالأمس في الآتي:

١- الموت هو إزالة ذلك الحجاب الجسدي الذي يحجب الروح. بعد الموت لا يبقى من الإنسان إلا ما هو روحي. يقولون: «ليس ثمة شيء روحي، بل هي بصمة مادية في أمخاخ البشر». لكني لا أتحدث عن بصمة، بل عن حبي لإنسان يُعزَّز بالحياة والموت. لذا عندما يتهدم ما هو موجود داخل إطار الزمان والمكان، وما يحجب عني ما هو روحي، أتحرر وأندمج مع كياني الروحي الخارج عن إطار الزمان والمكان، ويحدث ذلك بالحب. حين يحدث نحاول أن نحصر هذا الكيان الروحي المتحرر ثانية في إطار الزمان والمكان، فنضع النصب التذكارية والزهور عند القبر، ونتذكر الراحل في أيام بعينها... إلخ.

٢- ثمة ثلاث وسائل لتخفيف أوضاع العمال ونشر الأخوة بين الناس:

أ- لا تجعل الناس يعملون من أجلك، ولا تطلب منهم عملًا بطريقة

مباشرة أو غير مباشرة، ولا تسعَ خلف نوعية الأعمال التي تتطلب عملًا مفرطًا، مثلما هو الأمر مع وسائل الترف.

ب- اعملْ من أجل نفسك، وإن كان باستطاعتك، اعملْ من أجل الآخرين، خاصة تلك الأعمال الصعبة وغير المحببة.

ج- (إنها ليست طريقة، لكنها نتيجة للطريقة الثانية): ادرس قوانين الطبيعة واخترع أدوات تسهل العمل: الآلات - قوة البخار - الكهرباء. عندما يتركز اهتمامك على تسهيل العمل، أو على الأقل عندما يتعلق الأمر بعمل لديك خبرة به سوف تخترع ما هو ضروري فقط، ولن تنشغل باختراع شيء لا ضرورة له.

لكن الناس مشغولون فقط بالطريقة الثالثة، وهذا أمر خاطئ، لأنهم بهذا يهجرون الطريقة الثانية. الأمر لا يقتصر على أنهم لا ينوون استخدام الطريقتين الأولى والثانية، لكنهم ليسوا حتى على استعداد لسماع شيء عنهما. بالأمس كتبت خطابًا لتشيرتكوف. اليوم أود كتابة بعض الكلمات لخيلكوف.

٤ مايو.

لا أزال أشعر بذات اللا مبالاة والكسل. لا أفعل شيئًا. مستمر في قيادة الدراجة. أتى ليوفا، ورحل مع أندريوشا إلى هانكو (بفنلندا). لقد مر بتجربة صعبة. أنا مستمر في المحاولة والبحث، صحيح أن محاولتي تفتقد الثقة في النجاح التي تؤدي إلى النجاح أو اليأس، لكني غير يائس أيضًا، بل كالماء؛ يُغيِّر شكله بتصميم وليونة دون عنف. حمدًا لله لم أرَ

الربيع بعد، ولا أود أن أراه. يبدو أني مستعد للقيام بعمل الله، ومع ذلك لم أبدأ فيه بعد. ساعدني يا أبي. عادت صوفيا من كييف، ولم تتحسن حالتها. آه لو لا أغضب من العلل الروحية مثلما لا تغضبني العلل الجسدية! ولكن في الآن ذاته، عليَّ ألا أغفل عنها. إن لم أتمكن من علاجها فعليَّ على الأقل أن أحتملها بصبر، وأساعد صاحبها في التحرر منها أو في كيفية التعايش معها.

فكرة: عندما يتورط المرء في بعض الترتيبات العملية في علاقاته مع الناس، لا يمكنه أن يهملها فجأة باسم الزهد المسيحي في الحياة. حاولت تفسير هذه الفكرة ولكن بلا جدوى. ثمة أمر واحد مؤكد، وهو يلوح كثيرًا؛ ألا وهو أن الإنسان الذي يخوض غمار علاقات حياتية، ليس عليه سوى الالتزام بالعدالة: «لا تعامل الآخرين بما لا تحب أن يعاملوك به»[٣٩٧]، وعندما يجد هذه المتطلبات صعبة، يهجرها بحجة أنه يدرك المتطلبات المسيحية الأسمى ويود أن يعمل من أجل تحقيقها، وأحيانًا يكون مخلصًا حقًّا في ذلك. يتزوج، وحينما يدرك مدى ثِقل الحياة الأسرية، يقرر أن عليه أن يهجر أسرته وأطفاله ويمضي بعيدًا. أو يفكر في تكوين جماعة تأكل من عمل يديها بالأرض، وعندما يدرك صعوبة تحقيق ذلك، يترك الجماعة ويرحل أيضًا. علينا ألا نخدع أنفسنا، ونتصور أننا في درجة أخلاقية أعلى من درجتنا الحقيقية. إن كنتُ في درجة أعلى، لكان موقفي أسمى. هذا لا يعني أن يظل المرء دائمًا في

---

(٣٩٧) يوردها تولستوي هكذا بصيغة النفي، فكثيرًا ما يركز في فلسفته على ما لا يجب أن تفعله، أكثر مما يجب أن تفعله. الفكرة مشتقة من آية: "وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ هكَذَا» لوقا ٦: ٣١.

ذات الموقف الذي هو فيه. على النقيض من ذلك؛ عليه أن يسعى دائمًا لمفارقته صوب الأسمى. ولكن كي تكون في مستوى أسمى، ليس عليك أن تنكر واجباتك، وتتحرر منها. عليك أن تلتزم بما ألزمت نفسك به، وفي الآن ذاته لا تلتزم بواجبات جديدة من هذا النوع.

ثمة أمر غير واضح أو زائف. لست في حاجة لشيء، ولا أريد تبرير نفسي، ولا أستطيع ذلك من الأساس. هذا يعني أني ليس لديَّ دافع لتشويه الفكرة، ومع ذلك فهي غير واضحة، وثمة أمر مهم مفقود.

فكَّرت اليوم في الآتي:

الحياة حركة. أنا حي، لذا أجد في داخلي القوة على الحركة. أنا حي، شئتُ أم أبيتُ. المهم هو الآتي: هل يعيش الإنسان هذه الحياة بسعادة وسرور أم بآلام وعذاب؟ وها تعاليم الحقيقة تكشف للإنسان عن الطريقين؛ طريق السعادة يتأسس على خدمة الإنسان لله، أما طريق الآلام فيتأسس على خدمة المرء لكيانه الشخصي الزائل. خدمة الله تعني... لا يمكنني إنهاء الفقرة. يعتريني ضعف ذهني.

الحياة حركة. يمكن أن تمتلئ الحياة بالسرور أو العذاب. كي تمتلئ بالسرور لا بد أن تتسق مع تلك الإرادة التي أرسلتني إلى العالم. يجب أن أخدم الله. كيف أعرف الطريقة التي يمكنني بها خدمة الله؟ يمكنني معرفة ذلك عندما تتم الحركة دون عائق، ومن الناحية الذاتية يمكنني معرفة ذلك عندما أشعر بالسرور. متى يحدث ذلك؟ عندما أعيش بحب؛ أي أعيش كالماء، تتغير هيئتي، لكني أواصل التدفق. ماذا عليَّ أن أفعل

كي أعيش بحب؟ عليَّ أن أقضي على أُطُر الخداع التي تجعلنا نريد تحطيم الجدران وأنفسنا.

كيف نقضي على الإغواءات ووسائل الخداع؟ بالفهم.

٧ مايو- يوم الأحد- صباحًا.

صباح اليوم، للمرة الأولى بعد ضباب طويل، فهمت وشعرت بوضوح أن حياة خدمة الناس قد انفتحت لي كاملًا، وأني أريد هذه الحياة وحسب. لكن بدخولي إلى الحياة وجدتني أتذبذب: أين طريق الخدمة؟ هل أذهب إلى خوخلوف وأعالجه؟ أم إلى تلك الآنسة التي طلبها الطلبة بالأمس؟ أم أعود للمنزل حيث الخادمات؟ أم قد تكون الخدمة في لقاء في الشارع؟ أجيب نفسي: الخدمة في كل ما سبق. فلأدوِّن ما هو مطلوب فعله خارج المنزل وأقوم به. ساعدني يا أبي! وفجأة امتلأت الحياة بالسرور. في اليومين الأخيرين كنت أشعر باللا مبالاة. حاولت الكتابة في (أحلام سخيفة) ولكن بلا جدوى. تراودني أفكار أنانية سيئة. كتبت خطابات تافهة كثيرة. فكَّرت في الآتي:

١ - يُغيِّر الدين نظام الدولة دون قصد، أما سلطة الدولة فلا يمكنها أن تغيِّر الدين رغم أنها تحاول فعل ذلك.

٢ - راودتني الفكرة بجلاء ثانية، عن أن الزمن ليس شكلًا من أشكال التفكير، لكنه نسبة حركته إلى الحركة الخارجية.

١٣ مايو.

علاج، وركوب دراجة، وانهيار لحياتي الروحية، حتى إني اشتعلت

غضبًا مؤخرًا لأن الدراجة لم تكن جاهزة، وأسأت للرجل. لا أمر بمثل هذه الحالة المعنوية السيئة منذ فترة طويلة. أنسحب داخل نفسي، وها أنا أنتظر، وفي داخلي قدر ضئيل من الأنانية، بقدر ما هو إلهي.

١٥ مايو.

على نفس الحال. صفا ذهني قليلًا وتنبه. لم أنمْ سوى أربع ساعات فقط. بالأمس شعرت بالإنهاك على دراجتي. خرجت مع ستراخوف في جولة على متون الخيل. حتى اهتمامي بالدراجة يضمحل. من المنتظر أن تصل مانيا غدًا من لندن. أعتقد أن زواجها من سيريوجا سوف يتم. أمر جيد، فمن ناحية سيتعلم سيريوجا الكثير، ومن ناحية أخرى سوف يلهي صوفيا. أريد الآن أن أنتهي من العلاج وأن أذهب غدًا إلى أولسوفيف.

في هذه الفترة فكرت في الآتي:

١ - علينا أن نفرِّق بين الخيلاء وحب الشهرة، وكذلك الرغبة في الحب؛ بمعنى حب الحب. الخيلاء هي الرغبة في تمييز صاحبها عن الآخرين بأفعال تافهة، وأحيانًا شريرة. أما حب الشهرة فهو الرغبة في نيل المديح على ما تفعله من أفعال مفيدة وخيِّرة. الرغبة في الحب هي الرغبة في أن تكون محبوبًا.

الأول يشبه الرقص بمهارة، أما الثاني فيشبه أن تشتهر بأنك طيب وذكي، والثالث يشبه رؤية الناس وهم يُعبِّرون عن حبهم. الأول سيئ. الثاني: رغم كل شيء إلا أنه أفضل حالًا. أما الثالث فمشروع.

لا تستسلم لأي من الثلاثة، ولا تُقدِّر سوى حكم الله. هذه هي القداسة.

٣- الحاجة للتنفس التي لا يمكن منعها أو التوقف عنها إلا لدقائق قليلة على أقصى تقدير، تُسعد صاحبها عندما تُلبَّى بعد حرمان. هكذا هو الأمر مع الطعام أيضًا. لا شك في وجود رغبة في الإشباع. هنا يكمن تحديدًا خداع المادة. كذلك هو الأمر مع إشباع الرغبة الجنسية، فهي ضاغطة جدًّا، ولا شك في الرغبة في إشباعها، وكذلك هو الأمر مع كل ما يسمح ويمنح مزيدًا من المتعة. هنا يكمن خداع أعضاء الجسد. أما المتعة الأكبر من ذلك نحصلها من النشاط الذي ينتج عن دائرة خداع أكبر. في أحيان قليلة، بل نادرة، تبدو قدرة نشاط الحب الروحي لكافة المخلوقات على الإشباع أكبر، فهو يمنح قدرًا أكبر من السرور، كما أنه غير قابل للشك، ويُكسب الإنسان متعة أسمى بكثير، وأكثر ملائمة له. في هذا يكمن خداع القوى الروحية. أما المتعة الأسمى التي نُحصِّلها من هذا النشاط فسببها أن دائرة الخداع أكبر. في الحالة الأولى يتجدد جسد إنسان واحد فقط، ويشعر الإنسان بكيانه الشخصي وحده. في الحالة الثانية يتجدد جنس كامل، ويعيش حينها الإنسان فكرة جنس كامل، ويشعر أنه جزء من هذا الجنس. في الحالة الثالثة يتجدد الجوهر الإلهي؛ ألا وهو الروح، ويُستبدل بالحياة الدنيوية بأكملها، تجلٍّ جديد للروح، ويشعر الإنسان بأنه جوهر إلهي؛ بأنه روح.

عبَّرت عن الفكرة بشكل غير واضح، لكن الفكرة الأساسية سليمة.

٤- بالأمس بدأت صوفيا في التحدث عن حقيقة أن موت فانيتشكا

كان مصدر بلاء ومعاناة رهيبٍ، وأنه كان من عمل الله. كثيرًا ما يتحدث الناس عن شر يجلبه الله للناس. وعندما يفكرون ويتحدثون بهذه الطريقة، يتخيلون أنهم يؤمنون بالله ويصلون له. الله يفعل الشر؟! إن كان من الممكن أن يفعل الله شرًّا، فهو ليس صالحًا إذَنْ، ولا يمكن أن نقول إن الله محبة، وإن لم يكن صالحًا فهو ليس الله. يحدث ذلك نتيجة أن الناس على قناعة بأن الشر الذي يفعلونه ليس فقط صالحًا، بل إنه مِثالي. هم موقنون أيضًا من أن محبتهم لأطفالهم رائعة، وبالتالي عندما يختبرون ذلك الشر الذي ليس إلا عاقبة لخطاياهم، ينسبونه لله لا لأنفسهم. وهكذا، فهم في قرارة أرواحهم يعترفون بأن الله شرير، وينكرونه، وبالتالي لا ينالون عزاؤه.

١٨ مايو.

الحياة كئيبة للغاية. لا أزال أفتقد الرغبة إلى العمل والكتابة، ولا أزال في نفس المزاج الكئيب. أول أمس عاملني أندريوشا بوقاحة دون سبب على الإطلاق. لم أستطع مسامحته. في البداية لم أرد أن أحييه، ثم أخذت أوبخه، لكنه عاد ليعاملني ثانية بمزيد من الوقاحة. لم أتحمل وانصرفت بعد أن قلت إنه أصبح غريبًا عني. كل هذا سيئ. عليَّ أن أسامحه كاملًا، ثم أساعده. رحلت صوفيا بالأمس إلى آل مارتينوف. وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف. بالأمس فكَّرت في الآتي:

لا شك في أن القوى العقلية تضعف مع الشيخوخة؛ أي الطاقة العقلية والذاكرة. ثمة شيء واحد لا يضعف؛ ألا وهو الحب، بل إنه يتزايد. هكذا هو الأمر، وهكذا يجب أن يكون. الضرورة الوحيدة للقوى العقلية هي

تحطيم تلك الحواجز التي تحول دون تجل الحب. إن توجهت القوى العقلية إلى ذلك، من الطبيعي أن تضعف الإغواءات مع الشيخوخة، ولا تكون ثمة حاجة إذَنْ للقوى العقلية. ما يؤكد ذلك أيضًا هو أن القوى العقلية تجلب مديح الناس لصاحبها، أما الحب فلا يمنح صاحبه سوى الاتساق مع الله. مع حلول الشيخوخة لا تَعُد لنا حاجة لمديح الناس، بل يلزمنا فقط أن نعيش في اتساق مع الله.

الساعة الآن الحادية عشرة صباحًا. أريد أن أكتب، لكني لا أستطيع. لفترة طويلة كنت حائرًا بسبب عدم وضوح علاقة العقل (التفكير) بالحب والحياة أيضًا. بدا لي كل واحد منهم أنه الجوهر الإلهي الأساسي. أما الآن يبدو لي أن هذه العلاقة قد انجلت. الحياة هي قوة الحركة، وهي قوة إبداعية أصيلة. عندما لا تستنير بالعقل تصبح محض قوة، أما إن استنارت به، تصبح حبًّا. العقل هو المرشد لطريق الحياة، وليس ثمة طريق للحياة سوى واحد: إنه الحب.

بدت الفكرة واضحة لكنها لا تزال غير مُرضِية.

٢٠ مايو (نيكولسكوي- عند آل أولسوفيف).

بالأمس استعد سيريوجا ومانيا للرحيل. تحدثت معهما. سيريوجا مؤثر حقًّا، فقد جعلته الحياة يتخذ منحى أخلاقيًّا صارمًا تجاه نفسه. تحسنت حالة صوفيا. رحلة مضجرة. يبدو أني محموم. اكتنفتني الكآبة، وكذلك هو حالي اليوم. لا يمكنني فعل شيء. لم أفعل شيئًا بالأمس سوى كتابة بعض الخطابات. استلمت بالأمس الصحيفة، وتضمنت مقالة عن كتاب سيرون بكل افتراءاته وحماقاته، ويا للخزي! شعرت

بالغضب من ذلك[٣٩٨]، ولكن ليس كثيرًا. يقترح الصحفي عليَّ كتابة تفنيد لهذه الافتراءات. إني لم أؤكد شيئًا عن نفسي، لذا ليس لديَّ ما أفنده. أنا هو أنا، ولا أحد سواي أنا والله يعرف مَن أنا فعلًا. لا تراودني الذكريات بهذه القوة أبدًا إلا عندما أكون في حالة ذهنية ضعيفة كتلك التي أنا فيها الآن. فكرت في الكتابة وأنا عند آل أولسوفيف، لكن ها هي الساعة قد بلغت الثانية عشرة، ولم أكتب شيئًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٦ مايو (نيكولسكوي).

كتبت في ذات المساء، ثم أصابتني الحمى. لم أكتب شيئًا بالنهار، وعاودت الكتابة في المساء. كتبت كثيرًا إلى حد ما، حتى إني خططت أكثر من نصف الكتاب (يقصد رواية البعث). الرواية تتطور على نحو غريب. نيخليودوف تابع لهنري جورج، وبالتالي سيُنفِّذ أفكاره، ولا بد أنه سيضعف ويعاني بسبب ابنة تلك السيدة الراقية: ماري أوروسوفا[٣٩٩].

جاءت صوفيا. كانت مهتاجة جدًّا بسبب الكينين[٤٠٠]. حمدًا لله أن الأمور انتهت بخير وسلام. غادرت اليوم في الصباح الباكر. حالتي اليوم أفضل. أنا ميخايلوفنا (زوجة أولسوفيف) أذكى وأطيب مما اعتقدت.

فكَّرت في الآتي:

---

(٣٩٨) امرأة فرنسية عملت كمربية في منزل تولستوي لمدة ٥ أعوام، ونشرت كتابًا عن مذكراتها عن تلك الفترة، ويبدو أن ما كتبته تضمن الكثير من الأكاذيب حتى اقترح البعض على تولستوي كتابة تفنيد.

(٣٩٩) يشير إلى ابنة صديقه أوروسوف، التي صورها في (البعث) في شخصية كورتشاجينا.

(٤٠٠) مادة كانت تُستخدم لعلاج المالاريا.

يتسلون بوضع الصواري والتسلق عليها والفوز بالجوائز. إنها تسلية من ذلك النوع الذي يجذب شخصًا لساعات طويلة، حتى وإن أهلك صحته. كذلك التسلي بالتسابق داخل أشولة، الأمر الذي تبعث مشاهدته السرور... كل هذه التسالي لم يكن بالإمكان أن تظهر إلا بسبب تقسيم الناس إلى سادة وعبيد. إن كافة أشكال حياتنا اتخذت الشكل الحالي بسبب هذه القسمة. ألعاب الأكروبات والنُّدُل في الحانات، والمراحيض المتنقلة بغرف النوم، وصناعة المرايا وكروت الشخصيات الهامة وكافة المصانع... كل ما سبق لم يكن بالإمكان أن يظهر بالطريقة التي هو عليها الآن إلا بسبب قسمة الناس بين سادة وعبيد. ونحن نريد أن نحيا حياة أخوية، وفي الآن ذاته نحافظ على هذه الأنماط في الحياة!

٢٩ مايو (نيكولسكوي).

بدأت أشعر بالتحسن أول أمس. لم تصبني الحمى اليوم أيضًا، ولولا ساقي التي لم تُشف تمامًا بعد لكنت قد اعتبرت نفسي في تمام الصحة والعافية. كتبت اليوم قليلًا وعلى نحو سيئ، وبلا طاقة كافية. لكني تصورت بوضوح نيخليودوف وهو يرتكب جريمته. لا بد أنه أراد أن يتزوج ويعيش ببساطة. كل ما أريده هو ألا يؤذي ذلك الدراما في الرواية. سأحسم الأمر عندما أستعيد قوتي. قمت بجولة على متن الجواد ثم الدراجة. أقرأ كتاب بولتوراتسكي طوال الوقت. أحب هذه المذكرات[٤٠١]. علاقتي بصوفيا تفتقد الدفء؛ الأمر الذي يؤلمني. لا شيء يستدعي الاهتمام فيما يتعلق بالخطابات أو أحداث تلك الفترة.

(٤٠١) خدم مع تولستوي في القوقاز، واستفاد تولستوي كثيرًا من مذكراته في كتابة الحاج مراد.

فكَّرت في الآتي:

١- ماذا يستحسن الناس، وماذا يستحسن الله؟ الأول ذو مستوى متوسط - إن لم يكن دنيئًا - يناسب السمات المعتادة في الناس، حيث نجدها في الجميع أو في الغالبية، أما استحسان الله، فهو لا يتجلى إلا نادرًا، وفي أفضل الناس قاطبة.

٢- التخصص في العمل يُنتج العبودية، فليس ثمة حدود له. حتى يكون التخصص مشروعًا، عليه أن يكون قبل كل شيء طوعيًّا. أما أولئك الذين يسيرون في طريق تخصص العمل فهم يدعمون العبودية خِفية.

٣- يقولون: «إنها لا تستطيع أن تفهم». (يقصد صوفيا) ولكن إن لم يكن بمقدورها أن تفهم، فما الذي يمنعها من الاستماع للآخرين؟ إنها تريد أن تقود نفسها بنفسها دون أن تفهم الحياة، أو تدرك أن نمط حياتها يستحق الإدانة.

الساعة الآن العاشرة مساءً. سأتعشى.

٤ يونيو (موسكو).

أجريت عملية في نيكولسكوي يوم الثلاثاء، واستخدم بيوتر فاسيليفيتش بالخطأ زيتًا بنسبة تركيز ٣٪، وبالتالي... حسنًا... لقد مرضت. رغم ذلك غادرت في المساء التالي. كنت مريضًا تمامًا. وصلت موسكو، ووجدت تانيا وسيريوجا ومانيا. في ذات المساء تألمت بشدة بسبب حصى بالمرارة. خلال هذه النوبات من الألم لم يمكنني أن أفكر في أي شيء سوى أن أتمنى توقف الألم. ربما كان سبب الألم هو تعرضي

لحرارة الشمس الشديدة أول أمس. ظللت مريضًا منذ ذلك الوقت ولمدة خمسة أيام، ولم أفعل شيئًا عدا القراءة. قرأت كتاب كاستيلو الرائع[٤٠٢]. لقد كان مسيحيًّا حقيقيًّا من مسيحيي القرن السادس عشر. قرأت كذلك ترجمة لكتاب ماثيو أرنولد. بعد ذلك استقبلت بعض الزوار.

أشعر بالرغبة في الكتابة. انجلى لي أمر هام خاص بالرواية، يسمى: ازدواجية الحالة المزاجية. اثنان من الناس: الأول وحيد، خجول، يُصلح من نفسه، والآخر يعبد اتباع التقاليد، ويعيش بقوة القصور الذاتي، ويتغنى بها.

بالرغم من بطالتي اللا طوعية، لكن حياتي ليست سيئة. سأغامر بالقول أن ثمة تقدُّمًا يحدث فيها. يزداد حبي للناس، ويصبح طبيعيًّا، وأصبحت أشعر بالألم إن نقص الحب. كان أندريوشا المسكين هنا. حاولت أن أساعده، ولكن دون جدوى.

شعرت فجأة بالأسف على سيريوجا ومانيا. كلاهما يود أن يُحرِّر نفسه ويُقبِل على الطريق الصحيح، لكنهم يزدادان تعثرًا وانحرافًا عنه. بالأمس قرأت عن إبسن قوله إن هجران الحب الجسدي يُجمِّد الحياة في عروق الإنسان، فالحب الجسدي هو ما يقوده إلى الحب الحقيقي. يا للضلال! لا يمكن للإنسان معرفة الحب الحقيقي إلا إن هجر الحب الجسدي، أو لم يعرفه من الأساس. كم يمكن لرواية كوني (البعث) أن تخرج على نحو رائع! كم أفكر فيها أحيانًا! سوف أتعرض لنوعين

---

(٤٠٢) كان سيباستيان كاستيليو واعظًا وعالمًا لاهوتيًّا فرنسيًّا، وأحد أول المؤيدين المسيحيين الإصلاحيين للتسامح الديني وحرية الضمير والفكر.

متطرفين من الحب الحقيقي، والوسط بينهما كاذب.

فكَّرت في الآتي:

١- إن حياتنا مؤسسة على العبودية، والتفكير في أننا يمكننا إصلاحها بالأخوة بين البشر، أو حتى بالمساواة والحرية، يماثل أن نعتقد أن الأهرامات المصرية يمكن أن تكون قد شُيِّدت بواسطة مجتمع متأخ.

٢- سألني ديتيخريف: كيف وبمَ أميز بين العقل والمشاعر؟ أجبته قائلًا إني لا أعرف هذه القسمة، أو بالأحرى لا أعترف بأن هذه القسمة هي الأساسية. ثمة روح يعيش داخل جسدنا، ويتخلل ثناياه كما لو أنه يتخلل منشورًا زجاجيًّا، فينقسم إلى ما نسميه: عقل وشعور وإيمان... إلخ.

أشعر أني في حالة روحية مستنيرة ومنتعشة. لتكن إرادتك.

٧ يونيو.

وصلت أول أمس إلى ياسنايا بوليانا. سافرت مع بولانجي في عربة مستقلة. شعرت بالضيق الشديد. أشعر بالضعف الشديد جسديًّا وروحيًّا. لم أتمكن من قمع شعور خبيث بداخلي... لم أفعل شيئًا بالأمس. كنت سأعكف على كتابة بعض الخطابات لكني لم أتمكن. بالأمس شعرت أن الشهوة تستيقظ بداخلي، وهلعت. ساعدني يا أبي!

كنت ألعب الورق بمفردي الآن، وأفكر في كتاب (التعليم الشفهي).

ثمة قوة روحية إلهية غير مشخصنة داخل شخصيتنا الحيوانية غير الواعية. هذه القوة الروحية، التي تتجلى بالعقل، تحطم هذه الحياة الحيوانية غير الواعية؛ تحطم الحياة الحيوانية الشخصية، لكنها لا تتحرر

من أسر الحياة الحيوانية غير المشخصنة، بل تزرع حياة أخرى أسمى؛ حياة مُحِبَّة داخل هذه الحياة الحيوانية الشخصية.

العقل الذي يُوجِّه طاقته لزيادة خير الحياة الحيوانية ينتج الإغواءات. الإغواء هو بذل الجهد من أجل الحفاظ على الحياة الشخصية. عمل العقل الإلهي هو تدمير هذه الإغواءات، فمن شأن هذا أن يُحرِّر الحب.

الفكرة غير واضحة. لم أقل ما أريد قوله.

موسكو في الصيف: نوافذ متربة ومفارش على الأثاث، وشعور حراس العقارات بالحرية، وأولئك الذين تُرِكوا بالمنزل، هم وأطفالهم، والثياب الصيفية الضيقة، والأفخاذ التي تغطيها السراويل البيضاء القديمة، والمنازل الفارغة ذات الحدائق الرائعة، والعمال تغطيهم الأتربة في الشوارع، وحجارة الأرصفة المشتعلة، والتنزه بصحبة السجائر والبرتقال، والضحكات الثملة الخليعة...

الساعة الآن الثانية عشرة. لا بد من الخدمة، وكشف الإغواءات، ومن ثم علينا أن نحب.

١٢ يوليو.

مرضت بشدة لمدة يومين. وصلت درجة حرارتي إلى ١ , ٤٠ درجة. شعرت بناتي - أعز ما لديَّ - بالهلع من سوء حالتي. للأسف، سيتسبب موتي لا محالة في حزن شديد لهن. صحيح لن يصير حزنًا طويلًا، وسيكون جيدًا، لكنه حزن على أي حال. أستغرق في القراءة طوال الوقت. أحيانًا أقرأ جريدة الأسبوع، وأحيانًا أخرى: الفكر الروسي.

جميعها شيقة لكنها غير ضرورية. في منطقة ترانسكبيان[٤٠٣] لا تزدهر سوى تلك المستوطنات التي تدير اقتصادها بطريقة ضواحي المدينة. أليس الأمر كذلك في روسيا بأكملها؟ ولكن من أين تأتي المدينة بالمال؟ من الضرائب والناس والتجارة، ومن الناس ثانية. ألن يكون من الأبسط أن نكف عن سرقة المال؟ ولكن حينها لن يعود لدينا جيش ولا موظفون ولا مصانع ولا تبادل بضائع. هذا صحيح، ولكن إن اختفت العبودية، فـأولئك من يزرعون الأرض لن يعودوا عبيدًا، ولاعتمد عليهم تمامًا أولئك الذين يديرون الجيش، والموظفون ورجال الصناعة والتجار، لا العكس، كما هو الوضع الآن.

فكَّرت صباح اليوم في فكرة شديدة الأهمية، كما أنها باعثة على السرور: حتى تكون العلاقات مع الناس سليمة وباعثة دائمًا على السرور، ولا تعذبنا أبدًا، علينا أن نعامل الناس عبر الله، أي أن نتذكر في علاقاتنا معهم أن الضروري والمهم، ليس ما هو ضروري لي، بل ما هو ضروري للإنسان الذي ندخل في علاقة معه، وما يريده الله من كلينا على السواء. فلنتذكر ذلك عندما نشعر بالضيق والانزعاج في علاقاتنا بالناس، وسرعان ما سيزول هذا الشعور، ويتبدل السرور بالضيق. جرَّبت اليوم أن أتعامل هكذا مع الناس والأطفال وصوفيا، ومضت الأمور على نحو جيد. ساعدني يا أبي كي لا أنسى ذلك أبدًا. أنا أعرف أن هذه إحدى حقائقك.

---

(٤٠٣) كانت جزءًا من الإمبراطورية الروسية وروسيا السوفيتية المبكرة إلى الشرق من بحر قزوين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٢٤.

سوبوتسكو في سجن تولا. أرسلت له ما يمكنني إرساله، وما طلبه بنفسه، لكني لم أستطع أن أزوره.

١٣ يونيو.

حالتي الصحية سيئة جدًّا. أشعر بالضعف الشديد. الصفراء تملأ معدتي وتكدرني. أخشى الانشغال بصحتي وعلاجي وملاحظة نفسي؛ الأمر الذي أدنت ليوفا عليه قبلًا كثيرًا. بالأمس جاء كل من سيريوجا ومانيا. إنهما يحبان بعضهما بشدة، لكني أخشى - وقد تزوجا - أن يفعلا ما يفعله الناس أحيانًا في بعض المواقف، ولنقل مثلًا: عندما لا يفتح المفتاح بابًا، فيديران المفتاح إلى الناحية العكسية ويضغطان عليه. المقارنة ليست سليمة، لكني أريد القول أن الناس ليس بإمكانهم أن يتدبر كل منهم أمره بنفسه. لنحاول جمع قوانا. قرأت مقالة رائعة في مجلة الفكر الروسي عن الرياضيات. تحدثت مع ميشا وميتيا، وانجلى لي أمر يتعلق برواية كوني (البعث). أفضل وأهم شيء، أني تذكرت في تعاملي مع الناس طوال اليوم أن مَن يتعامل ليس أنا ولا هم، إنما هو الله. ساعدني دومًا!

فكَّرت في الآتي:

١- لم أكتب سابقًا أن تعاليم المسيح ليست قواعد، بل هي مجرد إشارات للإغواءات، أو بالأحرى لأشكال مختلفة لإغواء واحد أساسي. يتأسس هذا الإغواء على فكرة أن حياتك قد وُهِبت لك من أجل خيرك الشخصي، وبالتالي:

أ- أنت مخلوق من أجل نيل السعادة، ويحق لك أن تغضب على أولئك الذين يحولون بينك ونيلها.

ب- وُهِبت الشهوة الجنسية من أجل متعتك.

ج- يمكنك أن تنال خيرك الشخصي، شرط وجود شيء ما صلب تمامًا بداخلك.

د- يمكنك التخلص من الشر الذي يلحق بك بإلحاقه بالآخرين.

ه- يلزمك أن تنتمي لشعب ما بعينه حتى تحافظ على خيرك هذا.

فكَّرت كذلك في:

٢- تقل دقة العلوم المادية الملموسة الآتية عن نظيرتها المجردة كلما يقترب موضوع الدراسة من الحياة الإنسانية: الرياضيات - علم الفلك - الكيمياء - الفيزياء - الأحياء (حيث تبدأ عدم الدقة) - الأنثروبولوجيا (تتزايد عدم الدقة) - علم الاجتماع (وهنا تصل عدم الدقة إلى الحد الذي تقضي فيه على صفة العلم من الأساس).

٣- لا يمكننا أن نعرف المستقبل، وليس علينا فعل ذلك. هذا النوع من الجهل هو شرط ضروري للحياة. من شأن المعرفة الكاملة أن تستبعد إمكانية الحياة نفسها. ما من محاولة لفعل ذلك في حياتنا المادية إلا وجلبت البلية لأصحابها أو للآخرين. الإنسان في جهله بالمستقبل يشبه إنسانًا غمَّوا عينيه وسدُّوا أذنيه كي لا يرى هؤلاء الضحايا الذين يسحقونهم في كل خطوة، ولا يسمع صرخاتهم. يقل مقدار هذه الجهل في حالة واحدة؛ ألا وهي تزايد الانتقال من مجال الجسد إلى الروح،

وحينما لا يعيش الإنسان من أجل تحقيق أهدافه المادية، بل الروحية، وحينما يُقرن إرادته بإرادة الله.

الساعة الآن الخامسة. أنا أفضل حالًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

١٥ يونيو - الساعة الثامنة مساءً.

رحل سيريوحا بالأمس. أنا مسرور لأني تحدثت وتعاملت معه على نحو طيب. أحدنا رقَّ من الحب. وصلت صوفيا بالأمس بصحبة الأطفال وإيليا. جاءنا كثير من الزوار في الصباح، وتحدثت مع كورسينسكي (شاعر). سألني كيف عليه أن يجيب عن مطالبتهم إياه باختيار كاهن يؤدي أمامه سر الاعتراف. حمدًا لله أني حتى الآن لم أنسَ في تعاملي مع صوفيا والأطفال أن علاقتي ليست معهم في الأساس، بل مع الله. أمر جيد جدًّا. وصلني اليوم خطاب من ألماني يتضمن مقتطفًا من الهراء الذي نشرته سيرون عني. حزِنتُ. لم أتغلب على حزني حتى الآن. لا، بل تغلبت. الأمر لا يخصني، بل الله. إن كان من الضروري أن تتعرض شخصيتي للإذلال، فليكن هذا. أنا بخير على أي حال.

كنت سأعكف اليوم على الكتابة في رواية كوني (البعث)، لكني لم أتمكن. لست بخير صحيًّا. لم أقم حتى بجولتي على الدراجة. عاصفة رعدية! بالإضافة إلى التعاملات الشخصية المعتادة، لم أفعل شيئًا طوال اليوم سوى التفكير في الوسط الذي يعيش فيه نيخليودوف (بطل البعث): مربية قد أتممت خطبتها، وهي أم كذلك، ماتت لتوها. أثَّر ذلك فيه وفي جوهره بشدة. ساعدني يا إلهي كي أتذكر أن عليَّ أن أتذكرك أنت وحدك، وأني سواء كنت بمفردي أو مع الآخرين - وهو

الأمر الأهم - فإني معك أنت. سأتمشى ثم أتناول عشائي.

١٧ يونيو.

لا أزال أشعر بالألم ذاته في معدتي، وبالتالي أشعر بالكآبة والضعف الشديد. أمس كان يومًا كئيبًا. لم تكن صوفيا في حالة مزاجية جيدة. لم تتحدث إلا عما يؤلمني: أعمالي وإيرادات أعمالي وتوزيع الملكية والسرقة[٤٠٤] ومذهب النباتية. تمالكت نفسي ظاهريًا، لكني لم أستطع في داخلي أن أستدعي مشاعر الشفقة صوبها. كان عليَّ أن أشعر صوبها بالشفقة؛ لأن الحياة كانت شديدة الصعوبة عليها. تذكرت أن كافة علاقاتي مع الناس هي علاقات مع الله، لكن شعوري بذلك كان أضعف من الماضي. لا أريد أن أضعف، بل أريد أن أفكر وأشعر على هذا النحو حتى النهاية. ذهبت بالأمس إلى أوفسيانينكوفو وتحدثت مع الفلاحين هناك ومع إيفان إيفانوفيتش عن الله. لقد أكَّد لي هذا الحوار بشدة على أن في غياب مفهوم «الله»، ودون الوعي به لا يمكن أن تكون ثمة رؤية عقلانية للعالم.

الساعة الآن العاشرة صباحًا. أشعر بالضعف. قلت في نفسي بسبب ذلك أن عليَّ في أوقات الضعف تحديدًا أن أخدم الله. قد يستمر الضعف حتى النهاية، وبالتالي عليَّ أن أُعوِّد نفسي أن أعمل وأخدم وسط الضعف والكآبة، وحتى المعاناة. لم أفكر في شيء طوال هذه المدة يستحق التدوين، لكن رواية كوني (البعث) تنجلي لي أكثر فأكثر.

---

(٤٠٤) ربما يقصد سرقة الفلاحين للأخشاب من أراضيه.

١٨ يونيو.

بالأمس جاءني قاضٍ عسكري يسألني مالًا من أجل تشييد مدرسة. تحدثت معه حديثًا مطولا، غير مقنع وغير ضروري. بدأت أنسى الله في معاملاتي مع الناس. استلمت أيضًا بالأمس من دونايف مقتطفًا من جريدة بها معلومات عن تسعة من الدوخوبوريين[٤٠٥] قد رفضوا أداء الخدمة العسكرية، وكذلك أعاد بعض أفراد قوات الاحتياط هويتهم العسكرية. المفاجئ في الأمر أن ذلك لم يسعدني. سأبين السبب لاحقًا. لم أتعامل بلطف مع صوفيا وميشا. تمشيت حتى كوزلوفكا. في المساء خرجت على متن الجواد. عاد إليوشا وبقية الصبية. حالتي الصحية كما هي... ضعف شديد. عليَّ أن أتأقلم مع هذا الضعف. فكَّرت في الآتي:

١- قرأت رد هربرت سبنسر على بالفور[٤٠٦]. إنها مجاهرة باللا أدرية. بالرغم من محاولة اللا أدرية أن تبدو مختلفة عن الإلحاد بحجة استحالة المعرفة، لكنهما شيء واحد، لأن الجذر واحد؛ ألا وهو رفض معرفة الله. هكذا أقرأ سبنسر الذي يقول إنه لا يريد إسقاط الإيمان بالله، لكن عليه أن يفعل ذلك. خداع الذات إذَنْ هو مجرد بديل آخر. يقول: «ليس هناك أي باعث على السعادة في إدراك المرء أنه مجرد بثرة صغيرة بالمقارنة بالكون الفسيح. ما من عزاء كذلك في إدراك أن معاناتنا التي

---

(٤٠٥) مجموعة دينية مسيحية روسية، كانت تدعو للسلام والعيش في جماعات بالقرى، ورفضوا الملكية الفردية والخدمة العسكرية وشجعوا العمل الجماعي.

(٤٠٦) الأول هو الفيلسوف البريطاني الشهير، والآخر هو السياسي البريطاني المعروف بوعد بلفور. رد سبنسر كان على كتاب بالفور (أساس الإيمان).

يتعذر التخلص منها تنشأ عن قوى عمياء، وتدمرنا بلا مبالاة وعلى نحو فجائي، كدود صغير، وغدًا تدمر عوالم بأكملها. كذلك ليس ثمة أي سرور في التفكير في أن العالم بأكمله ليس له معنى أو هدف عقلي. إن الرغبة في الوصول للمعنى حاضرة في اللا أدرية بقدر قوة حضورها في أي اتجاه آخر. ولكن عدم التوصل إلى تفسير مُرض لا يبعث على الرضى في اللا أدريين كما يتصور البعض». هذا بالضبط ما أخبرني إياه إيفان إيفانوفيتش أول أمس: «ثمة حركة أبدية أزلية تجري وسط المكان والزمان اللا نهائيين. وسط هذا أعيش وأتلاشى، وهذا أمر لا شك فيه. أي شيء آخر؛ أي تصور عن أي كيان عاقل قد أكون نشأت عنه، لتحقيق الهدف الذي أنا مخلوق من أجله أنا وبقية المخلوقات هو محض خداع للذات».

علينا أن نعرض هاتين النظرتين المتناقضتين للعالم على النحو الآتي: يقول اللا أدريون: «أراك مولودًا من والديك، كما هو الأمر مع جميع المخلوقات الحية التي تحيط بي؛ تلك المخلوقات التي تحيا في ظروف معينة خاضعة لأبحاثي ودراساتي، وأقوم بدراسة نفسي وبقية المخلوقات، سواء كانت حية أم لا. وفقًا لدراساتي، شكَّلت هذه الظروف حياتي. بالنسبة للأسئلة المتعلقة بالأصل والمصدر، فإني أبحث فيها بذات الطريقة القائمة على الملاحظات والتوجهات، ومن ثم أنال معرفة تتزايد رويدًا رويدًا. لا أجيب عن السؤال المتعلق بمصدر هذا العالم والهدف من وجوده ومن وجودي فيه، وأجد أنه لا يمكن الإجابة عنه بذات الوضوح والتحدد الذي يمكنني أن أجيب بهما عن التساؤل

بشأن ظروف معينة موجودة في العالم فعلًا. الإجابة عن هذا السؤال إذَنْ التي تزعم وجود إله عاقل نشأ عنه هذا العالم، قد حدَّد لي قانونًا معينًا لهدف معين، غير ممكنة بالنسبة لي، لأنها لا تتمتع بالوضوح والموثوقية اللذين تتمتع بهما الإجابات عن أسئلة بشأن أسباب وظروف ظواهر حياتية مختلفة». هكذا يتحدث اللا أدري، وعادة ما يقولون كذلك: «لم يؤكد التعليم المسيحي على أصل العالم» ولا يفترض اللا أدري إمكانية صحة أي وجهة نظر أخرى سوى التي نكتسبها بالملاحظة والافتراضات القائمة على هذه الملاحظات. إن لم يَبْدُ حديثه صحيحًا، فعلى الأقل يبدو منطقيًّا تمامًا.

أما المسيحي الذي يعترف بإله للإنسان فيقول: إني أرى نفسي فيما لديَّ من خواص روحية للعقل والحب، وأعترف أني كائن روحاني؛ أي أني كائن عقلاني محب، مخدود بالجسد، ساعيًا إلى زيادة القوى الروحية كي تتجلى بأكبر قدر ممكن، وأستنتج من ذلك أن سمة العقل المحب الروحية بداخلي لا يحدها شيء. أنا حي لسبب واحد؛ ألا وهو أني كائن عقلاني. اعترافي بكياني العقلي لا يعني اعترافي بأن حياتي وكل شيء آخر لا بد وأن يكون عقلانيًّا. يجب أن يكون لديَّ هدف لأكون عقلانيًّا. والهدف عليه أن يكون خارج كياني؛ أي في ذلك الكائن الذي نُعتبر أنا وكافة المخلوقات الأخرى بمثابة أدوات له لتحقيق أهدافه. هذا الكائن موجود، ولا بد أن أنفذ قانونه (إرادته). أما الأسئلة التي من شاكلة: ما طبيعة هذا الكائن الذي يطلب مني تنفيذ قانونه؟ متى ظهرت هذه الحياة العقلية بداخلي؟ كيف تظهر في بقية المخلوقات

داخل إطار الزمان والمكان؛ أي: ما طبيعة الله؟ هل هو كيان مشخصن أم غير مشخصن؟ كيف خلق العالم؟ هل هو مَن خَلَقَ العالم؟ متى ظهرت الروح بداخلي؟ في أي سن؟ كيف ظهرت في الآخرين؟ من أين جاءت وإلى أين تمضي؟ جميعها أسئلة عليَّ أن أتركها بلا إجابة؛ لأني أعرف مقدمًا أني لن أتوصل إلى إجابة نهائية بشأنها داخل مجال الملاحظات والأفكار، لأن كل شيء يتعلق بها مخفي داخل إطار الزمان والمكان اللا نهائيين. لذات السبب لا أعترف بالإجابات التي قدمها العلم بشأن أمور كالآتي: كيف نشأ العالم: الشمس والأرض؟ كيف ظهرت الروح؟ في أي أجزاء الرأس يتواجد المخ؟

في الحالة الأولى يعترف اللا أدري لنفسه بكيان حيواني فقط، وبإقراره بالجانب المادي من شخصيته فحسب، لا يعترف بجوهره الروحي، ويتصالح مع فكرة تخرق متطلبات العقل؛ ألا وهي عدم وجود هدف من وجوده.

في الحالة الثانية يعترف المسيحي بأنه مخلوق عقلاني فحسب، وبالتالي يعترف بما يتسق مع متطلبات عقله حسب، ولا يعترف بواقعية ما اكتسبه بالتجربة المادية، ويعتبر هذه المعرفة خيالية ومخطئة. كل منهما محق. الفارق المهم بينهما هو الآتي: بحسب النظرة الأولى للعالم، ليس ثمة معنى لحياة الإنسان والعالم بأسره، لذا فإننا إن غضضنا البصر عن كافة المحاولات العكسية، فإن ثمة الكثير من التصورات الشيقة والمنسية تنبع من هذه الرؤية للعالم، لكنها لا تُنتج شيئًا يمكننا أن نسترشد به في

حياتنا. طبقًا للرؤية الثانية للعالم فإن الحياة الإنسانية والعالم كله لهما معنى عقلاني محدد ومباشر، بسيط ومناسب لكافة أوضاع الحياة. علاوة على ذلك فإنه لا يخرق إمكانية الأبحاث العلمية التي وُضِعت بذلك في مكانها المناسب.

أود أن أراجع كل ما سبق حينما أكون في حالة أفضل. لقد كتبت على نحو سيئ، لكن الفكرة في حد ذاتها جيدة.

٢- فكَّرت في فكرة شديدة الأهمية: في الفترة الأخيرة شعرت بضعف شديد، وبالتالي شعرت باقتراب الموت؛ أي باقترابي من حياة جديدة أسمى، وبالتالي شعرت على نحو أبسط وأوضح بتهافت البحث عن مديح الناس. ولم يعد يسعدني هذا النجاح الخارجي الذي يتحقق من منظوري بتحقيق ملكوت الله على الأرض. حسن هو ما يتعلق برفض الخدمة العسكرية... وماذا بعد؟ ومهما حدث... هل هذا كل شيء؟ هل يمكن لشيء خارجي أن يُحقق الرضى؟ التقدم الداخلي؛ الأمر الذي يخضع لسلطاننا، والحركة والاقتراب من الله، هو الأمر الوحيد الذي يمكنه أن يحقق الرضى والسرور الأبديين. أشعر بذلك في روحي بأكملها. أما التقدم الخارجي، فهل يمكننا أن نعتبره نجاحًا؟ ناهيكم عن أنه قد يكون محض كذب، أو رؤية ضيقة أحادية النظرة، ولكن هل يمكنه إثبات أي شيء؟ المجتمع والشعب والإنسانية ســ.....

لا يمكنني أن أكمل... يتملكني ضعف عقلي.

١٩ يونيو.

لا أزال أشعر بذات الضعف. ألم أتحرر بعد؟ عونك يا أبي. بالأمس خرجت على متن الجواد، والتقيت بتشيرتكوف وزوجته، ومكثت معهما. قال تشيرتكوف أن الإنسان يمكنه أن يؤمن فعلًا بشرعية الملكية... إلخ؛ أي أن يؤمن بالكذب! أعتقد أن هذا مستحيل. يقول: «إنهم يؤمنون بالعهد القديم». لكنهم يؤمنون به لسبب واحد؛ ألا وهو أنه يُبرِّر ما يحتاجون إلى تبريره. في المساء وصلني من تولا خطاب من شميت وعدد من الجريدة وكتاب يارنفيلت[٤٠٧]. أنهيت اليوم قراءة الكتاب. كتاب صادق لكنه رخو وسطحي. الساعة الآن الثانية. لم أفعل شيئًا عدا القراءة. أريد كتابة بعض الخطابات.

٢٨ يونيو (ياسنايا بوليانا).

مرت تسعة أيام. في الأيام الأخيرة كتبت في (البعث). إنها تستولي عليَّ أكثر فأكثر، وتزداد جلاءً لي. جاء الكثيرون: تشيرتكوف - كاساتكين - كاترينا إيفانوفنا - بوليجين. تعالت الموسيقى. بدأت أنسى أن علاقاتي ليست مع الناس بل مع الله. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١ - لا أذكر هل دوَّنت ذلك من قبل أم لا. لا يمكننا، ولا يجب علينا أن نعرف المستقبل في المجال المادي. هذا الجهل هو شرط ضروري للحياة المادية. إن عرفنا المستقبل، لما استطعنا العيش ماديًّا. أما في مجال الروح، فإننا نعرف كل شيء. ليس ثمة مستقبل في مجال الروح.

---

(٤٠٧) أرفيد يارنيفلت: كاتب وقاضٍ فنلندي. الكتاب المقصود بعنوان (صحوتي).

لذا فإن ضبابية حياتنا ستقل قدرًا إلى تلك الدرجة التي تنتقل فيها حياتنا من المادية إلى الروحية ونتحرر من أصفاد المادة.

٢- لا ضرورة للقتال من أجل انتظام الحياة السياسية وعدم استسلام الناس لشهواتهم وطغيانهم، ولكن يلزمهم فَهْم القانون. من أجل ذلك وُجِدت الحكومة. في البلاد الدستورية تتكون الحكومات من ممثلين ومندوبين. هؤلاء المندوبين الذين تم اختيارهم من أجل تخليص الناس من الطغيان هم الذين يتقاتلون معًا. هكذا كان الأمر في فرنسا ثم في إنجلترا. هذا ما يحدث الآن كذلك في البرلمان الإيطالي.

٣- (٢٠ يونيو) هطلت الأمطار بالأمس. سحب كثيفة مبعثرة ومظلمة على صفحة السماء. يلاحقني الظل سريعًا على الطريق ويغطي الحقول. لحق الظل بي، وشعرت بنسمة باردة، وفي الوقت ذاته فارقت الظلال نباتات الجاودار المتقلقلة، وبدا لون الجاودار أخضر ناصع. لم يستمر ذلك لأكثر من وهلة قصيرة. الآن يغطيني الضوء، والظل يغطي الجاودار، والسحب في السماء.

٤- الحب الحقيقي هو الحب الذي تجد موضوعه غير جذاب.

٤ يوليو.

في الأيام الأخيرة كتبت مرتين على نحو جيد. يمكنني أن أقول إني انتهيت الآن من وضع اللمسات الأخيرة على تصور رواية كوني (البعث). كتبت أكثر من عشرة خطابات بالأمس وأول أمس، أحدها

بالإنجليزية[٤٠٨]، قلت فيه ما أعتقده. عملت مرتين بالحصاد. بالأمس ذهبت لتولا على متن الدراجة. جاء سيريوجا، ولم أتعامل معه على نحو جيد. بدأ الضعف يصيب قراري المتعلق بالتعامل مع الله في تعاملاتي مع الناس. أحاول على أي حال، وأحيانًا أنال عونه. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- الخير الذي يكشف شرور الناس يبدو لهم شرًّا خالصًا. نتيجة ذلك أن يبدو لهم الإحسان والإنسانية وحتى الحب أمورًا مسيئة وصادمة. أكثر الظواهر التي توضح ذلك تمامًا هي أن نشاط الإنسان الرئيس؛ ألا وهو تحسين الذات، يتألف من محاولة فهم وعيه الخاص.

٢- نحن في حاجة إلى جلاء الوعي حتى نتمكن من مقاتلة الإغواءات. إن رأى الإنسان بوضوح أن عملًا ما شريرًا؛ أي لا أخلاقيًّا ومضرًّا، فمن المؤكد أنه لن يقوم به. لكن كثيرًا ما يُقال - مثلما قال بولس - «أعرف أن هذا فعل شرير وأفعله رغم ذلك»[٤٠٩]. ثمة درجات من المعرفة. المعرفة الكاملة هي التي تنير الموضوع كاملًا من كافة نواحيه. ينجلي الوعي في دوائر عديدة متحدة المركز.

الإنسان لا يفعل أمرًا يراه شريرًا إلا لأنه يريد التوقف عن الفعل، والتواجد داخل الدائرة، حتى إن لم تكن قد استنارت من كافة نواحيها. مثال: لا أريد أن أدخن. التدخين =

---

(٤٠٨) للكاتب الأسترالي أ. س روسا، وقد أكد فيه تولستوي إقراره بحل هنري جورج لمشكلة الأرض.

(٤٠٩) إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. رومية ٧: ١٥.

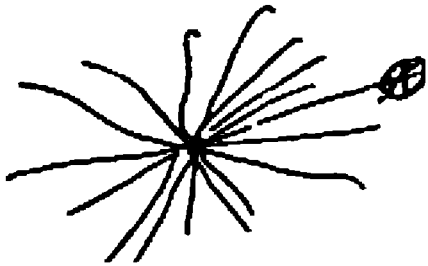

لا... يستحيل توضيح الأمر بالرسم. ما أريد قوله هو أني لن أتوقف عن التدخين ما دام الخطأ والخطية والضلال الذين ينبع منهم فعل التدخين، لم ينجلوا بعد، وما دمت لم أفارق بعد خطيتي.

استلمت لتوي برقية تعلمني بأن ستراخوف في الطريق.

١٢ يوليو.

في هذه الفترة وصل ستراخوف. كنت سعيدًا جدًّا برؤيته. كتبت إلى فيسيليتسكايا قائلًا إننا عندما نعرف أن إنسانًا قد حُكِم عليه بالموت، نتصرف بطيبة تجاهه ونحبه. كيف إذَنْ لا نحب شخصًا ما عندما ندرك أننا جميعًا محكوم علينا بالموت؟ من الغريب أنه لا يدرك حالته تحديدًا[٤١٠]. أكتب كل يوم تقريبًا، والأمور تتقدم. كما تتقدم معرفتك بمَن يعيشون حولك، تتقدم كذلك معرفتك بشخصياتك الفنية التي تعيش معها. عملت كثيرًا أيضًا، رغم شعوري بالهرم والضعف. ذهبت لزيارة دافيدوف، ووجدته فعلًا. نقلت عنه بعض الملاحظات بشأن سير جلسة

(٤١٠) يتحدث عن ستراخوف، فقد أجرى عملية جراحية لإزالة ورم، ويبدو أنه لا يفهم ذلك بوضوح. مات ستراخوف بعد عدة أشهر.

المحاكمة[٤١١]. يُثقلني وجود الزوار الدائم، فلم أعد أنعم بالهدوء ولا بالوحدة في فترة الصيف.

فكرت في أمر ما لكني لم أدوِّنه، ثم نسيته. بالأمس نقلت التبن إلى أوفسيانينكوفو. ذهبنا جميعًا لحضور الزفاف[٤١٢]، وعدنا لتونا، عدا صوفيا. يقلقني غيابها.

٥ أغسطس.

لم أدوِّن يومياتي منذ حوالي شهر. لم أقضِ هذا الشهر على نحو سيئ. عملت قليلًا في الحقول، وشاركت مرة في حصاد الجاودار. كتبت كثيرًا في رواية كوني (البعث). الأمور تتقدم فيها. في هذه الفترة قرأت كتاب كيد (التطور الاجتماعي»[٤١٣]، وبعض المقالات عني في جريدة الحقيقة ومواضع أخرى. عندما تقرأ عن نفسك قد يبدو لك أن ما يشغلك هو ما يشغل العالم كله، ولكن هذا غير حقيقي. وصلني خطاب من خيلكوف يتضمن تقريرًا عن الاضطهادات التي يتعرض لها الدوخوبوريون. كتبت خطابًا للصحف الإنجليزية، تجري ترجمته الآن. لا أفكر باستمرار في كتاب التعليم الشفهي كما كنت من قبل، لكني أفكر فيه بقوة متزايدة. الفكرة المركزية في الكتاب هي أن الإنسان وُجِد في هذا العالم بحيث يهلك، وهو في حاجة للنجاة من ذلك المصير. إنه

---

(٤١١) ليستفيد منها في مشاهد المحاكمة بـ(البعث).

(٤١٢) زواج سيريوجا ابن تولستوي.

(٤١٣) كان بنجامين كيد عالمًا اجتماعيًّا بريطانيًّا. اشتهر عالميًّا من خلال نشر كتابه (التطور الاجتماعي) في عام ١٨٩٤.

في حاجة للتمسك بإرادة الله التي يشعر بها بداخله كي يخلص. فعل الخلاص هو الفعل الوحيد المثمر والمفضي إلى تحقيق إرادة الله في العالم بإقامة ملكوته.

جاء بعض الزوار بصحبة أصدقائهم، ولم يثيروا اهتمامي. جاء بوشا مرتين، ورحل بالأمس إلى خيلكوف بالقوقاز. جاء كذلك إيفان ميخايلوفيتش وبوليجين، والآن جاء يفجيني إيفانوفيتش. أسعد دائمًا بلقاء الأخير.

ساءت الأمور مع صوفيا. لقد خرجتُ على متن الجواد وتأخرتُ بسبب الأمطار. سخرتْ مني؛ الأمر الذي آلمني، وتفتحت الجروح القديمة. طلبتْ مني اليوم أن أعطيها يومياتي. رفضت بعد أن قلت إن هذا لن يجلب سوى المشاكل. أخطأتُ لأني لم أشفق عليها. إنها منهكة ومريضة روحيًّا، والجدال معها سيكون بمثابة خطيئة. كم أشعر بالأسف عليها لأنها لا تدرك أبدًا أخطاءها! رغم ذلك ليس هذا ما يهم، بل عليَّ أن أنشغل بأخطائي أنا، وألا أقارن أخطائي بأخطائها. الجميع يخطئون، وكل بحسب الضوء الذي في داخله. أزعجني الصِّبية في هذه الفترة، خاصة أندريوشا. إنه مشوش تمامًا. لا يرى أو يسمع شيئًا وكأنه ثمل دائمًا. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي ودوَّنته:

١- أجلس عند نافذة البيت الريفي. الظلام يخيِّم على المكان والذباب يطن ويضرب وجهي. ثمة فلاحة تحدق من نافذتها، وتقول لنفسها بتكاسل: باتيوشكا... يا رب السماء! عسى أن تأتي سحابة وتمطر علينا!

٢- فكَّرت أثناء قراءة كتاب كيد: ما معنى التقدم؟ التقدم في رأيي هو الغلبة المتزايدة للعقل على قانون الصراع الحيواني، أما من منظور التطوريين فهو انتصار قانون الصراع الحيواني على العقل، فالتقدم لا يمكن أن يحدث إلا كنتيجة لهذا الصراع.

٣- العلم لا يكون حقيقيًا إلا عندما يبحث عما يجب أن يكون. ولكن طبقًا لآراء التطوريين، العلم يجب أن يبحث فيما كان وما هو كائن، ويوضح لماذا يجب أن نعتبر ما هو موجود حسنًا. هكذا يتعامل كافة التطوريين مع العلم. بالتالي يستنتجون أن الصراع شرط ضروري للتقدم، وبالتالي هو أمر محمود.

٤- تفسير الوراثة طبقًا لوايزمان[٤١٤] يتأسس على حقيقة أن كل بذرة أو جنين تتضمن بيوفور[٤١٥]، ويتحول البيوفور إلى محددات للهوية في صورة خلايا البلازما الجرثومية، ثم تتحول هذه الخلايا إلى خلايا جنسية. يا لها من فكرة رائعة من أجل مسرحية كوميدية!

٥- يتوصل كيد إلى استنتاج مفادة أن الحافز الرئيس للتقدم الإنساني هو الدين، لكن الدين من منظوره هو غريزة غير عقلانية، وبالتالي لا يمكن دراسته. هكذا لم يدرس مكونات هذه القوة التي تمثل الدافع الرئيس للتقدم الإنساني. أعتقد أن هذا الدين هو ما نحتاج

---

(٤١٤) عالم أحياء تطوري ألماني. صنّفه إرنست ماير كثاني أكبر منظّر تطوري مرموق من القرن التاسع عشر، بعد تشارلز داروين. كانت مساهمته الرئيسة هي نظرية البلازما الجرثومية، والتي تعرف أيضًا باسم الوايزمانية، لكن النظرية لم تعد صالحة لمفاهيم العلم المعاصر.

(٤١٥) لفظة انتهى استعمالها في العلم المعاصر، تشبه مفهومنا عن الجين، بمعنى مادة وراثية تحمل صفات وراثية محددة.

تحديدًا إلى دراسته؛ أي أن ندرس ما يشكل أساس التقدم الإنساني، لكني لا أرفض دراسة الصراع أيضًا. بهذا أدرس أهم ما يجب دراسته، وأكثر ما نحتاج إلى دراسته. أما هو فيرفض دراسة أهم ما نحتاج إلى دراسته، ويكتفي بدراسة ما لا نحتاج إلى دراسته، أو على الأقل ما نحتاج إليه بقدر أقل.

٦- تحدثنا عن الحياة الأسرية. قلتُ إن الحياة الأسرية الجيدة لا يمكن أن تتحقق إلا عندما تُربَّى المرأة على الوعي بضرورة خضوعها لزوجها دائمًا في كل شيء، عدا ما يتعلق بمسائل الروح الدينية بالطبع. قلت إن ما يثبت ذلك هي حقيقة أن الأمر كان كذلك من البداية، بقدر ما عرفنا عن حياة الناس. يؤكد على ذلك أيضًا أن الحياة الأسرية مع الأطفال هي بمثابة عبور المياه على سطح قارب بائس، لا يمكنه شق طريقه في الماء إلا بخضوع من على متنه لشخص واحد. هذا الشخص دائمًا كان الرجل، فبسبب أنه لا يتولى رعاية الأطفال، بإمكانه أن يكون مرشدًا أفضل لزوجته، من أن تكون هي مرشدة له. ولكن هل المرأة تابعة للرجل دائمًا؟ لا على الإطلاق. ما داما لم يتزوجا بعد فكلاهما متساويان. ما معنى حقيقة أن الزوجات الآن لا يكتفين بالمطالبة بالمساواة، بل بالسيادة كذلك؟ ذلك لأن شكل الأسرة يتطور، وبالتالي ينهار الشكل القديم. إن العلاقات بين الجنسين تبحث لها عن شكل جديد، بينما يتهاوى الشكل القديم. من المستحيل أن نعرف كيف سيكون الشكل الجديد للعلاقة بينهما، مع أن ثمة عدة احتماليات. من المحتمل مثلًا أن يبقى عدد متزايد من الناس على بتوليتهم. قد يصبح الزواج أمرًا مؤقتًا، ينتهي بإنجاب

الأطفال، لذا ينفصل الزوجان بعد إنجاب الأطفال ويُكملان حياتهما بعفاف. قد يتولى المجتمع تربية الأطفال. من المستحيل أن نتنبأ بشكل العلاقة الجديد. لكن لا شك أن الشكل القديم يتهاوى، وأن استمراره مرهون بخضوع الزوجة لزوجها، مثلما كان الأمر في كل مكان، ومثلما الأمر قائم الآن في الأسرة التي لا تزال تحافظ على تماسكها.

٧- حرية الإرادة؟ تارة ينكرونها وتارة يثبتونها. حرية الإرادة ليست إلا الحياة الإلهية الأبدية الحقيقية، التي يمكننا أن ننالها ونلحق بها في حياتنا الآنية. كيف نثبت حرية الإرادة؟ إنها الله ذاته، الموجود بداخلنا، والفاعل فيها. أكون حرًّا عندما أتحد بالله. يحدث ذلك عندما أنزع من نفسي كل ما يحول دون عمل الحب، وعندما أسلم نفسي له كاملًا.

٨- يقول كيد إن التقدم لا يتم بفعل القوى العقلانية؛ بل بفعل قوى دينية غريزية عمياء. لكنه يقول إن التقدم لا يحدث إلا بتكاثر وسائل العيش؛ أي مع أكبر قدر من التكاثر البشري. هل يمكن للشعور الديني أن يدفع الإنسان صوب التكاثر وحسب؟ إن تذكرنا اليهود يمكننا أن نجيب بالإيجاب. لكن الرحمة تعارض مباشرة فكرة التكاثر والصراع، وهي تشكل أساس كافة الأديان تقريبًا.

٩- جلب لي تريجوبوف كتاب سيرجي عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي. كتاب جيد، لكنه طويل وصعب، يضم نصوصًا كان بالإمكان أن تكون واضحة وبسيطة. بسبب هذا الكتاب عدتُ للتفكير بحيوية في كيفية التعامل مع الكنيسة الأرثوذكسية.

لا شك أن مَن يُسلِّمون أنفسهم له يصبحون أفضل من ذي قبل،

مثل أتباع الطائفة الإنجيلية وغيرهم. ولكن لماذا أشعر بالنفور من هذا التعليم؟ ولماذا وبَّخ المسيح الفرسيين بقسوة؟ لأن إن لم يكن لدينا سوى الأرثوذكسية والجهل، فالكفة تميل لصالح الأولى. ولكن عندما تُستعلن لنا حقيقة بهذا السمو؛ تلك التي تجلت للمسيح، كيف لا نشعر بالنفور من مثل هذا التعليم، الذي يعتبر بمثابة كذب في ضوء تعاليم المسيح؟

إن لم يكن معي طعام لجوادي سوى علف مر المذاق، لأطعمته إياه، وطلبت الخير من أجل أولئك الذين منحوني إياه. ولكن إن توفر معي شوفان جيد، لا يمكنني حينها ألا أستاء من أولئك الذين يطعمون الجواد بالعلف المر. ولكن عادة ما يُقال لي إن الناس يُقبِلون من تلقاء أنفسهم على تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية. يمكن لجواد أن يتعود على الطعام المر المضر. من المستحيل ألا يشعر المرء بالأسف من ذلك ويستاء من أولئك من عوَّدوه على ذلك.

١٠- عِش حياة حيوانية، وستعيش داخل إطار الزمان والمكان. ولكن تجلي الحياة الإلهية الحقيقية التي أتحد فيها بالله، يحدث خارج إطار الزمان والمكان. لا أعرف متى عِشت هذه الحياة: هل في الماضي أم سأعيشها في المستقبل؟ هل في الطفولة أم الآن أم في المستقبل؟ لم أُعبِّر عن الفكرة بوضوح، لكنها شديدة الوضوح والأهمية لي.

١١- اندلعت عاصفة وأنا في كولبنيا[٤١٦]. مكثت مع مجموعة من الفلاحين الميسورين. تعشوا: بطاطس - خبزًا، وبدا الخيار لذيذًا على

(٤١٦) قرية تبعد عن ياسنايا حوالي ٧ كيلو متر.

نحو خاص. أطفال مقعدون - أعضاء منهكة من فرط العمل، بلا فراش، والذباب والقذارة في كل مكان. أبشع ما في الأمر كانت حالة اليأس من الخلاص الروحي. لا يؤمنون بالحياة الأخرى، ولا يثقون في إمكانية الحياة وفقًا لتعاليم المسيح.

٧ سبتمبر.

لم أُدوِّن يومياتي منذ أكثر من شهر. عانيت خلال تلك المدة من حياة الصبيين: أندريوشا وميشا الشريرة. حاولت مساعدتهما. كنت أخرج على متن الدرَّاجة وأكتب في (البعث). عبثًا قرأت مما كتبت لأولسوفيف وتانايف وتشيخوف[٤١٧]. لا أشعر بالرضى عنها الآن، وإما أني سأنحيها أو أعيد العمل عليها ثانية. في الأيام الأخيرة أتمشى في الغابة وأنتقي بعض الأشجار من أجل الفلاحين. فكَّرت في هذه الفترة في الآتي:

في الفترة الأخيرة أشعر باقتراب الموت بقوة. يبدو أن حياتي المادية تتمسك بآخر شعرة، ولا بد أنها سوف تنتهي سريعًا. أزداد اعتيادًا على ذلك تدريجيًّا، وبدأت أشعر بالأمل بينما أتقدم في الحياة.

في هذه الفترة كتبت للصحف الإنجليزية عن الدوخوبوريين، لكني لم أرسل ما كتبته. ذهب بوشا إلى القوقاز[٤١٨]، وكان من المفترض أن يعود في أول الشهر، ولكن الآن قد بلغنا السابع من الشهر ولم يعد بعد. قرأت كذلك خطابًا شيقًا من أحد البولنديين عن الوطنية، وكتبت إجابة

---

(٤١٧) قبلها بشهر كانت زيارة تشيخوف الأولى لياسنايا، وقرأ مخطوطة (البعث).

(٤١٨) كي يجلب معلومات إضافية عن الاضطهاد الذي يتعرض له الدوخوبوريون.

أولية عن خطابه. أول أمس أتاني فرنسي من طرف إرتيل. يؤمن بالمادة ولا يؤمن بالله. قلت له إن هذا بسبب وباء الجنون الذي تفشى. ماشا شقيقتي عندنا الآن، بينما تانيا وساشا عند سيريوجا، وماشا مع ميشا في موسكو. سوف يصلان غدًا. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

١- أراقب مرح وشجاعة وحرية وسطوة الشباب، والأكثر منهم: الأطفال. في حالتنا - نحن الشيوخ - تُذلِّنا الخطابا وتلطخ تلك القوة الإلهية الكامنة بداخلنا. يستحيل على الشباب أو الأطفال ألا يثقوا في أنفسهم ويتمتعوا بالحرية. لا بد أن يكونوا هكذا؛ لأن جوهر الحياة الإلهية في داخلهم لم يتلطخ بعد.

٢- يخضع العامل المادي لقانون الصراع من أجل الوجود، وكذلك نخضع له من حيث كوننا مخلوقات مادية. ولكن بالإضافة لوجودنا المادي نحمل في داخلنا جوهر الحب، وهو ليس فقط غير خاضع لقانون الصراع، لكنه مناوئ له أيضًا. تجلي هذا الجوهر بداخلنا هو ما نسميه: حرية الإرادة.

٣- يريدون الوصول إلى تحقيق الأخلاق بعد صراع واحد. لكن لا يمكن للصراع أن ينتج شيئًا سوى الصراع. يموت الأضعف ويبرز الأقوى نتيجة الصراع، ثم يتصارع هؤلاء الأقوياء ثانية، ويهلك الأضعف منهم ثانية، ويبرز أقواهم... وهكذا إلى الأبد. لا يمكن للصراع أن ينتج سوى صراع بين أطراف أكثر قوة، ويستمر الأمر.

٤- لا شيء يمكنه أن يثبت وجود الله أفضل من محاولات التطوريين الاعتراف بالأخلاق، ومحاولة استنتاجها من الصراع.

من الواضح أنها لا يمكن أن تنشأ عن الصراع. هم يشعرون أن الحياة تستحيل من دون الأخلاق، ويعترفون بها، ويحاولون جعلها تتسق مع مواقفهم، ويريدون أن يتوصلوا إلى الأخلاق من منظور التطور، وهو أمر شديد الغرابة وغير منطقي بدرجة تفوق محاولة استنتاج الأخلاق من التعاليم التي أعطاها الله لليهود في سيناء! إن خطأهم في الأساس هو أنهم ينكرون الوعي بأناهم الروحية التي خلقها الله، الذين هم جزء منه، فمن دونه لا يمكن تأسيس أي نظرة عقلانية للعالم. يدفعهم ذلك إلى تمرير ليس فقط ما هو غامض، بل وما هو متناقض كذلك؛ أي يمررون فكرة أخلاق الإله الذي استبعدوه من نظرتهم للعالم. أول أمس سألني رجل فرنسي: ألا يكفي الخير والجمال لتأسيس الأخلاق؟ هذا يعني مجددًا الله الذي يتمسكون به، ولكن يخشون الاعتراف به بسبب جنونهم.

٥- شخص أساء لك، فغضبت منه، لكنك تمالكت نفسك ولم تُسِئْ إليه. ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أن ثمة ضغينة في قلبك، ولا يمكنك التعامل مع هذا الإنسان بطيبة. كما لو أن الشيطان الواقف دومًا عند باب قلبك، قد استغل هذه اللحظة عندما شعرت بالضغينة صوب هذا الرجل، وفتح الباب وقفز إلى داخل قلبك وجلس فيه كما يجلس السيد في مكانه. اختبرت ذلك بالأمس، وكان عليَّ بذل المزيد من الجهد المتمثل في: التواضع- اللطف مع من أساء لي، حتى أتمكن من إخراج هذا الوغد من قلبي.

٦- خرجت هذا المساء على متن الجواد وصليت. قلت: لا أبغي شيئًا سوى تنفيذ إرادتك. بينما كنت أصلي بذلك قلت: كم أنا صالح

لأني لا أبغي شيئًا فعلًا سوى تنفيذ إرادته، ولأني مستعد لفعل أي شيء يريده مني! وفجأة تصورت علاقتي بالله بحيوية شديدة. إني بكاملي من صنع يديه، وأعيش فيه وبه. ما أمدح نفسي عليه إذَنْ ليس إلا اعترافًا بأنصع الحقائق التي لا شك فيها. لا يهم أن تعتقد خلية في جسدي أنها مستقلة عن بقية الجسد، وأن تفخر بتنفيذ ما لا يمكنها إلا أن تنفذه. بدا لي غريبًا أن أتباهى بتكريس نفسي لإرادة الله حتى أني انفجرت بالضحك. كنت في حالة روحية جيدة جدًّا.

٧- صليت لله وفكرت في عبارة «لتكن مشيئتك». قلت إنها تعني فعلًا ما تقوله. أحيانًا كنت أعتقد أن العار والوشاية إن لحقا بي بسبب تنفيذي إرادته، من شأنهما أن يحولا دون تحقيق العمل المرجو. ظننت أني في حاجة إلى سمعتي الجيدة كي أقوم بعمل الله. هذا غير صحيح. ربما أنا في حاجة إلى العار، مثلما احتاج المسيح إليه. أنا بخير.

٨ سبتمبر.

عيد سعيد[٤١٩]. لست بخير صحيًّا. سعال ورشح بالأنف شديدان. وصل الصبية وماشا في الصباح. تشيرتكوف هنا في حجرة بالمنزل[٤٢٠]. وصلني خطاب من مينشيكوف (صحفي) يعرض فيه اختلافه الكامل معي. وصلني كذلك خطاب جميل لطيف من سوبوتسكو. عكفت على كتابة الخطابات. كتبت خطابًا لمينشيكوف وصححت خطابًا سأرسله لأحد البولنديين. كلاهما متوسط، لا جيد ولا سيئ. بعد ذلك وصل

---

(٤١٩) يقصد عيد ميلاد العذراء مريم.

(٤٢٠) كان ينوي شراء قطعة أرض بالقرب من ياسنايا.

بوشا. قرأت مقالته عن الاضطهادات[٤٢١]. جيدة جدًّا. عليَّ أن أكتب مقدمة لها. راجعت المقالة السابقة. غير مناسبة. الساعة الآن التاسعة. فكرت في شيء ما لكني نسيته.

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٢ سبتمبر.

في هذه الفترة كتبت بعض الخطابات: للبولندي ولمينشيكوف، وعاودت العمل على مقالتي عن اضطهاد الدوخوبوريين. عاد بوشا وجلب بعض المعلومات، ولكن بتفاصيل أقل مما كنت أريد. المقالة لا بأس بها، لكن ربما أنا مخطئ. أرسلت كل شيء لكينورث[٤٢٢]. سافرت صوفيا لموسكو وعادت. أشعر بالأسف والحنو عليها أكثر من أي وقت مضى. الآن أرى شخصيتها كاملًا بمزيد من الوضوح. يعذبني أندريوشا لأني غير قادر على إقامة علاقة سليمة معه. تانيا لطيفة وهادئة وطيبة. ماشا في موسكو. جاء جاستيف، وأتي أندري بوتكيفيتش بالأمس. إنه غريب عني كالمعتاد. اليوم رحل تريجوبوف. تمضي أموري معه بخير دائمًا. لم أكن بخير صحيًّا، ولم أستعد عافيتي تمامًا بعد، لكن ذهني حاضر تمامًا. أرى الآن جوانب جديدة شديدة الأهمية أغفلتها في الرواية (البعث). أقصد فرحة أن يحطم المرء كافة القواعد والعادات المعروفة، ووعيه بحياته الصالحة. في هذه الفترة فكَّرت كثيرًا، ونسيت الكثير.

١ - الحب ساحر حقيقي. ما على المرء إلا أن يحب، وسرعان ما سيرى ما يحبه فاتنًا. أعرف أمرًا واحدًا: لا تعوق عمل الحب بالإغواءات،

---

(٤٢١) يقصد التي يتعرض لها الدوخوبوريون.

(٤٢٢) مقالة بوشا وخطاب تولستوي، ونُشِر كلاهما في جريدة التايمز.

والأهم من ذلك أن تحب الحب، وتعرف أن الحياة فيه وحده، وفي غيابه لن تجد سوى المعاناة.

٢- تذكرت كيف كنت أتجادل كثيرًا مع الدوجمائيين الدينيين من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية والإنجيلية وغيرهم. يا للعبث! كيف يمكن للمرء أن يتناقش فعلًا مع إنسان يعتقد أن ثمة رؤية واحدة صحيحة للعالم وعلاقتنا به؛ تلك الرؤية التي تم التعبير عنها منذ ١٥٠٠ عامًا من قِبل الأساقفة الذين اجتمع بهم قسطنطين في نيقيا؟ إنها الرؤية التي مفادها أن الله مثلث الأقانيم، وقد أرسل ابنه الوحيد ليولد من عذراء منذ ١٨٩٠ عامًا مضت من أجل أن يُكفِّر عن ذنوب العالم... إلخ. لا يمكن إجراء نقاش مع هؤلاء الناس. كل ما يمكنك فعله هو أن تسامحهم أو تشفق عليهم أو تحاول أن تعالجهم، لكن عليك أن تتعامل معهم كما تتعامل مع المجانين، ولا تتجادل معهم.

٣- عدم الرضى عن النفس هو علامة الاحتكاك والحركة.

٤- ما من مؤمن واحد في هذا العالم لم تصبه بعض لحظات الشك في وجود الله. هذه الشكوك غير مضرة، بل على العكس إنها تقوده إلى فهم أسمى لله. لقد اعتدت على الله الذي أعرفه، ولم أعد أؤمن به. إنك لا تؤمن بالله إيمانًا كاملًا إلا عندما يتجلى لك ثانية. ستتجلى لك جوانب جديدة فيه عندما تفتش روحك عنه بكل ما لديها من قوة.

٥- ما أريد أن أكتبه لا يزال ضبابيًّا، لكنه تأجج بداخلي بقوة، وبعث السرور في قلبي عندما فكرت فيه. إنه الآتي تحديدًا:

لماذا أناي منذ ستةٍ وثلاثين عامًا هي هي التي كانت من ساعتين؟

لأني أحب أناي. لأن الحب يربط كافة هذه الهويات المختلفة المتمددة في إطار الزمن، لتصبح أنا واحدة. يمكنني أن أرى بوضوح عبر الزمن كيف يربط الحب بين صنوف الأنا المختلفة ويضمها إلى أنا واحدة. هذا ما يحدث مع جسدي داخل إطار المكان. يقول عالم وظائف الأعضاء: اليد هي الأنا، لأنها عضو واحد، ويشير ألم الأعصاب إلى الوحدة. ولكن لماذا أتألم؟ لأني أحب كل ما يمثل جسدي. لقد ربط الحب الأعضاء المختلفة في جسم واحد. تحب الأم شعر ابنها المقطوع، وتتألم عندما يُزال. كذلك يمكنك أن تحب أناس عاشوا في الماضي ومرضوا وعانوا. حب أناك في حدود الزمان والمكان هو ما ندعوه «الحياة». هذا الحب لأناك هو حب قد تبلور ليصبح بمثابة فعل غريزي، أما حبك لبقية المخلوقات في إطار الزمان والمكان قد يكون بمثابة استعداد لحياة أخرى. إن حياتنا هي ثمرة المجال السابق للحب، وسينشأ المستقبل عن مجالات الحب في حياتنا الحاضرة. كيف؟ لا أعرف بعد.

٦- كم من المدهش أن تصبح لا نهائية الزمان والمكان بمثابة دليل على قوة العقل الإنساني! كثيرًا ما كنت أفكر على هذا النحو. في الآن ذاته ليس ثمة دليل أكثر وضوحًا على عدم كمال العقل الإنساني وضيق أفقه وكذبه من أنه لا يمكن أن يتصور شيئًا خارج إطار الزمان والمكان. لكن مفهوم الزمان والمكان هو محض هراء ومناقض لمتطلبات العقل. لا بد وأن يشير الزمن إلى مجال التسلسل، أما المكان فإلى مجال مواضع الأشياء، وفي الآن ذاته ليس ثمة مجال لهذا أو لذاك. لا أعرف تعريفات أكثر دقة للزمان والمكان من التعريف الذي وضعته وأنا لا أزال صبيًّا في

الخامس عشر من العمر، وكان كالآتي: الزمان هو قدرة الإنسان على تخيل كثير من الأشياء في المجال ذاته، وهو أمر لا يمكن أن يحدث إلا عبر التسلسل. أما المكان فهو قدرة الإنسان على تخيل كثير من الأشياء في وقت واحد، وهو أمر غير ممكن إلا مع عدد من الأشياء الدائمة. يمكن تعريف الزمان والمكان كخاصتين للبشر، ولا معنى أبدًا من تعريفهما كخاصتين للأشياء. سأكون منطقيًّا تمامًا إن قلت إني أتمتع بخاصية رؤية كل ما يمكنني أن أراه في مجال المكان والزمان، لكني سأكون أحمق تمامًا إن تصورت الأشياء والعالم بأكمله موجودين فعلًا في مجال الزمان والمكان، لذا لا يمكننا أن نصل إلى أي إجابات لأسئلة عن كيفية حدوث الأشياء والعالم بأكمله، وما قبل ذلك... إلى ما لا نهاية، وأسئلة عن جوهر ومكان الأشياء والعالم كله.

بالتالي هذا هو أكثر الافتراضات عبثًا: الأشياء والعالم موجودون فعلًا داخل إطار الزمان والمكان. هذا ما يفعله الناس فيما يطلقون عليه العلوم الوضعية.

٢٤ سبتمبر.

قضيت يوم أمس على نحو جيد، لكني عملت قليلًا. كتبت خطابًا لماشا. فكَّرت في الآتي:

خرجت لأتمشى قبالة الحديقة قبل الإفطار، ورأيت فطرًا قد نما حديثًا على فرع شجرة زيزفون. لامسته بعصاي وقلت في نفسي: إنه حي. لقد توفرت الشروط المناسبة لوجوده، فظهر في المشهد. فكرت في كل شيء يعيش في هذا العالم اللا نهائي طبقًا لذات الظروف.

تعجبت من حكمة وعقلانية تنظيم هذا العالم. أفقت لنفسي وأدركت أن الدهشة لا يجب أن تكون من حكمة تنظيم هذا العالم، بل من تفكيري الذي يرى كل شيء حكيمًا للغاية. إنها الدهشة ذاتها التي أشعر بها عندما أرى نصف كرة في السماء أو دائرة مرسومة حولي. لا بد أن قانون الرؤية هو السبب. من جانب آخر لدي قوانين عقلي، وهي التي أسبغت هذا النظام على كل شيء أراه من حولي.

الساعة الآن الواحدة.

حاولت الكتابة في البعث ولكن بلا جدوى. لعبت الورق بمفردي وفكرت في أن عليَّ أن أعيش بالأفعال، لا بالكلمات، لا من أجل نفسي أو الناس، بل من أجل الله. حتى أعيش على هذا النحو فعلًا، عليَّ أن أعوِّد نفسي على ذلك، كما تعودت سابقًا أن أعيش من أجل نفسي ثم تعودت على العيش من أجل من أحبهم. صحيح أن الأمر لن يكون سهلًا وبسيطًا ومألوفًا في البداية، لكني سأتعود عليه، وسأعيش بهذه الطريقة دون تفكير. سأحاول. دوَّنت ذلك عمدًا كي ألاحظ كيف سيكون الأمر بعد شهر. سأكتب وأتكلم وأعمل وآكل وأنام، وأفعل كل شيء من أجلي ومن أجل الله. أما إن استطعت فعل كل شيء من أجل الله وحده، فيا للهدوء والقوة اللذين سأتمتع بهما! ساعدني يا أبي.

٢٥ سبتمبر.

في يوم ٢٤ تراجعت مرة عن الحياة من أجل الله، وحدث ذلك حينما خرجت بعد الغداء إلى أحد المقعدين البائسين وعاملته ببرود، وتكرر الأمر في المساء حينما أجبت صوفيا بكآبة عن آل خيلكوف.

فكرت في فكرة مهمة في يوم ٢٤:

العيش من أجل الله؟ كيف أحقق ذلك؟ كيف وصلت من البداية للعيش من أجل نفسي وحسب؟ لا بد وأنها قناعتي بأن كل حياة أخرى عديمة المعنى وغير مفيدة ومدمرة، وأن كل حياة أخرى ليست حياة حقيقية. ليست القناعة أو الشعور الذي نسترشد به هما ما يمنحاننا القناعة الصلبة، بل التجربة التي نختبرها وكذلك خلو كل حياة أخرى من المعنى. أعتقد أني قد توصلت إلى ذلك.

مساء ٢٥: عملت صباحًا على (البعث)، وراجعتها من البداية. إنها جيدة. على الأقل لا أشعر بالنفور منها. واصلت التفكير في العيش من أجل الله، ولم أنسَ ذلك في تعاملاتي إلا مرتين مع أندريوشا؛ عندما سمعته ينهض في الصباح لم أخرج من غرفتي لملاقاته، وكذلك فعلت في المساء عندما عاد. غاب عن المنزل ليومين كاملين. لا بد أنه يشعر بالكآبة. كلما ازداد فسادًا، وجب عليَّ أن أمنحه المزيد من الحب. هذا ما لم أفعله. خرجت بعد الغداء مع جاستيف لقطع بعض الأشجار من أجل فيليب وأندريان (فلاحين من ياسنايا)، ثم تجولت على متن الدراجة. وصلني خطاب من بوديانسكي ومقتطف من جريدة أرسله لي فيزيفا (أديب ومترجم). فكرَّت في الآتي:

ربما نعتقد أن العيش من أجل الله هو العمل على إقامة ملكوت الله، والأهم أن نقنع الناس أن يكونوا أخيارًا وأن يبتعدوا عن الإغواءات وأن يعاونوا الآخرين في حياتهم. هذا خداع. لا يمكن أن نعيش من أجل الله إلا عندما نحب الناس ونظهر الحب وننشر عدواه في الآخرين فيؤمنون

به. أنا في حاجة شديدة لإدراك ذلك الآن، بينما أقرر أن لا حاجة لأرتب للناس شيئًا أو ألهمهم به، بل كل ما عليَّ فعله هو أن أعاملهم بلطف ومحبة. هذه هي الوسيلة الأقوى لتأسيس ملكوت الله.

٢٦ سبتمبر.

كان يومًا كئيبًا. استيقظت مبكرًا، لم أنم جيدًا. فكرت قليلًا. بعدما تناول الإفطار انتظرت أن يستيقظ أندريوشا. فكرت كثيرًا هل أدخل غرفته أم لا. دخلت. كان رأسه أسفل الغطاء، لكني أدركت في النهاية أنه لم يكن نائمًا، فتكلمت معه. كلمته بعطف ولطف ولكن بشكل غير مقنع. تراجعت وشعرت بالمعاناة. ظل صامتًا ولم ينبس بشفة. خرجت للعمل، وقبل أن تمر ساعة سمعت الضجيج المتواصل لصوت أكورديون في المطبخ. لم أصدق ما سمعته، ونظرت من نافذة المطبخ. لقد ابتعد. لم أحتمل ذلك فقلت: «ذلك أسوأ من خوخلوف». لم يجبني بشيء على الغداء وخرج في غضب. شعرت بالخزي الشديد لأني لم أتمالك نفسي. لقد غضبت لأن كلماتي لم تصنع تأثيرًا، وذلك من فرط أنانيتي، ونسيت أن على المرء - بل ويتوجب عليه - أن يعيش من أجل الله وحده. لم أنجح في الكتابة كذلك. أجريت الكثير جدًّا من التغييرات وتعثرت. شعرت بالخزي من كتابة كل هذه التلفيقات. كان بوديانسكي[٤٢٣] على حق حينما كتب أنه ليس من الملائم أن يكتب المرء استعارات أدبية رمزية. دائمًا ما أشعر بذلك، ولا أشعر بالراحة إلا عندما أكتب ما أعرفه

---

(٤٢٣) مالك أراضٍ هاجر إلى كندا في عام ١٨٩٩ ليعيش مع الدوخوبوريين، وعاد إلى روسيا في عام ١٩٠٥ وكتب كتابًا عنهم. سيتم القبض عليه لاحقًا بتهمة توزيع كتب تولستوي المحظورة.

وأفكر فيه فقط.

غفوت بعد الغداء. أكلت تفاحة فشعرت بحرقة في المعدة. لم أفعل شيئًا بالمساء. وصلني خطاب مزعج من مينشيكوف، يكشف عن عدم فهمه لي، وكذلك خطاب من معلم من طشقند. فكرت صباحًا في فكرة مهمة للغاية وجيدة. أخشى أن أنساها. سأحاول تذكرها:

لن يعرف الإنسان ما إن كان يعيش أم لا حتى يدرك نفسه. عندما يدرك أنه حي، سيطرح على نفسه هذا السؤال لا محالة: لماذا يعيش؟ بعد ذلك سيبحث عن إجابة عنه. عندما يتوصل إلى الإجابة، لن يهدأ حتى يقوم بما يعيش من أجله.

الساعة الآن الثانية عشرة.

٢٩ سبتمبر- الثامنة مساءً.

أول أمس اقتربت من أندريوشا أثناء شرب الشاي وبذلت جهدي كي أتحدث معه. نلت مكافأتي، فقد كان قانعًا كفاية، وعلى استعداد للتحدث معي. لكنه عاد بالأمس إلى المنزل على الغداء، تفوح رائحة الخمر من أنفاسه. لم أستطع كتم شعوري بالضيق. لم أقل شيئًا. واصلت العمل على (البعث) أمس وأول أمس. بالأمس ذهبت على متن دراجتي حتى تولا ولم أتحدث مع جلافيرا كيرن بالجدية اللازمة. نسيت لماذا أعيش. وصلني خطاب من ماكوفيتسكي، وآخر من شميت.

لم أكتب اليوم سوى خطاب لماكوفيتسكي وآخر لشميت. سأرسل الخطابات والمقالة (عن اضطهاد الدوخوبوريين). لم أجب عن خطاب

مينشيكوف. لا أشعر أني قادر على ذلك الآن.

فكرت في أمرين:

١ - قال لي جاسيتف عبارة ساحرة. كنا نتحدث عن الانطباع الذي تتركه الكتب في الفلاحين: «من الصعب إرضاؤهم؛ لأن حياتهم جدية للغاية». هذه عبارة مهمة للغاية. آه لو يفهمها المزيد من الناس في عالمنا هذا!

٢ - حلمت اليوم أن أحدهم صفعني على وجهي، وأني شعرت بالخزي لأني لم أدعه للمبارزة، وأدركت بعدها أن لا حاجة بي لدعوته للمبارزة لأن ذلك سوف يثبت صلابة مبدئي الخاص باللا مقاومة. الأفكار التي تأتينا في الأحلام بشكل عام من النوع المتدني. عندما يحلم المرء، يعمل المخ، أما العقل، وهو القوة الدافعة للتقدم الأخلاقي، فلا يعمل.

٦ أكتوبر.

وصلتني خطابات من بوبوف وبوشا وتشيرتكوف وشميت وكينورث. أجبت عنها جميعًا بالأمس، وكتبت خطابين طويلين لبوديانسكي ومينشيكوف. جاء جاستيف. ضايقته البنات وأسأن إليه، فرحل. إنه رفيق طيب. جاء إيليا. ثمة قدر قليل من الروحانية بداخله. وصل أندريوشا. يمكنني أن أرى بوضوح أنه سيفقد صحته ويموت سريعًا. جاء رجل أمريكي، وعامل فنلندي المولد قد اغتنى، وهو اشتراكي وشيوعي! شخصية غير مؤثرة على الإطلاق، لكنه أخبرني

بما هو أكثر تشويقًا مما أخبرني به الأمريكي الآخر اللبق. الأمر الرئيس الذي أخبرني إياه أن ستة ملايين فقط بالولايات المتحدة، من أصل ستين مليونًا، يعملون بأيديهم. أي أن النسبة تصل إلى ١٠٪ تقريبًا، أما عندنا فأعتقد أنها قد تصل إلى ٥٠٪ أو أكثر. هذا يعني أن رجلًا يحرث بصحبة ١٨ جوادًا ومحاريث يصل عرضها إلى ساجن (مقياس روسي قديم - حوالي ١,٢ متر)، ويقوم شخص واحد بزراعة ١٠ فدان في اليوم، وينال مقابل ذلك من ٢ - ٤ دولار أو أكثر قليلًا. ماذا يعني ذلك؟ إلى أين يقودنا؟ إنه أمر فائق الأهمية لكني لم أستوضح الأمر تمامًا بعد. يمكن أن نعالج مشكلة العمل على هذا النحو: ساعات عمل أقل، وزيادة في الدفع وعمل أسهل. السؤال الوحيد هنا: ما العمل الذي يجب أن نقوم به؟ تراودني فكرة أن الأمر كله يتعلق بأن نجعل العمل جذابًا وحياة العمَّال مبهجة. يبدو أن الأمر كله يتعلق بذلك. حينها سيود الرأسماليون أنفسهم أن يصبحوا عمالا. ولكن كيف نجعل العمل جذابًا؟ لا بد إذَنْ أن تكون ظروف العمل مبهجة، ولا يجب أن يكون العمل ضروريًّا. أعتقد أن ثمة أفكارًا هنا جديدة ومهمة، لكني لا أعرف بعد كيف أعبِّر عنها. إن شاء الله سأفكر فيها. أشعر الآن بالنفور من الكتابة.

لا أتذكر ما إن كنت قد دوَّنت سابقًا في دفتري هذه الملاحظة التي راقت لي كثيرًا أم لا: إننا لا نقتنع بأمر ما بقوة كاملة وصلبة لا تتزعزع حينما تكون الحجج لا تقاوم منطقيًّا، ولا حتى عندما يتسق شعورنا مع متطلبات العقل، بل يحدث ذلك في حالة واحدة؛ عندما يقتنع الإنسان بالتجربة أن ثمة طريقًا واحدًا فقط، بعد أن يختبر النقيض. بهذا نصبح

على قناعة بأن ثمة حياة واحدة فقط؛ ألا وهي اتباع إرادة الله.

٩ أو ١٠ أكتوبر.

يبدو أن اليوم ٩ أكتوبر. ليس لديَّ ما أستنسخه من دفتري. جاء سيرجينكو (حرفي) وكان يتزلف على نحو سيئ. كتبت على نحو جيد ليومين. ذهبت إلى تولا على متن الدرَّاجة وأُنهكت بشدة. غادرت تانيا إلى موسكو. شعرت بالضيق من صوفيا، ولكن يبدو أني أنا المذنب. أقرأ الآن الأناجيل بالإيطالية. كتبت خطابًا لإدواردز[٤٢٤]، وآخر لشميت. راودني شعور خريفي لطيف. تمشيت وفكرت في ازدواجية نيخليودوف (بطل البعث). عليَّ أن أعبر عنه بمزيد من الوضوح.

١٢ أكتوبر.

أنا بمفردي مع صوفيا وساشا. أقرأ بالإيطالية. أندريوشا يعذبني. بالأمس تحدثت معه كثيرًا. أشعر أن هذا كله بلا جدوى. ماريا ألكسندروفنا هنا. جاء أرسينيف كذلك. وصلني كتاب إيطالي[٤٢٥]. إنه عن تعليم المسيحية في المدارس. إنها فكرة رائعة تلك التي مفادها أن تعليم الدين هو نوع من الإكراه. هذا هو إغواء الأطفال الذي تحدث عنه المسيح[٤٢٦]. أي حق لدينا في تعليم الأطفال ما تتنازع بشأنه الغالبية الكبرى من البشر حتى الآن؟ أمور من قبيل: التثليث - معجزات بوذا أو

---

(٤٢٤) جوزيف إدواردز: محرر اشتراكي إنجليزي.

(٤٢٥) كتاب لبوليكاربو بتروتشي بعنوان (الدين في المدارس، أمسيات ليلية).

(٤٢٦) وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «لَا يُمْكِنُ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِلَّذِي تَأْتِي بِوَاسِطَتِهِ! خَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحىً وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ، مِنْ أَنْ يُعْثِرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ. لوقا ١٧: ١ - ٢.

محمد أو المسيح؟ لدينا أمر واحد يمكننا أن نعلمه إياهم، بل ويجب أن نعلمهم إياه، ألا وهو التعليم الأخلاقي. هذه فكرة رائعة فعلًا. بينما كنت ألعب الورق بمفردي فكرت في نيخليودوف، وكيف يجب أن يحظى بوداع مؤثر بسونيا.

١٣ أكتوبر.

طوال هذه الأيام وأنا أرى أن ثمة شيئًا ما يعذب صوفيا. ضبطتها تكتب خطابًا. قالت لي إنها سوف تحدثني لاحقًا. فهمت الأمر هذا الصباح. لقد قرأت كلماتي اللعينة التي كتبتها عنها في لحظات غضب. شيء ما أغضبني حينها فكتبته فورًا ثم نسيته. شعرت في قرارة روحي أني اقترفت فعلًا خاطئًا، وها قد قَرَأته. كم عانت البائسة! لقد عانت عزيزتي بفظاعة، وبدلًا من أن تغضب مني كتبت لي هذا الخطاب[٤٢٧]. لم أختبر شعورًا مماثلًا بالذنب من قبل. آه لو كان بإمكان ذلك أن يزيد من اقترابنا! آه لو استطاعت تخليص نفسها من إيمانها بالتفاهات وآمنت بروحها وعقلها! بينما كنت أتفحص يومياتي، وجدت فقرة - أو بالأحرى فقرات كثيرة مماثلة - أتبرأ فيها من هذه العبارات الشريرة التي كتبتها عنها. لقد كتبت هذه العبارات في لحظات غضب. أكرر ذلك الآن لكل من سيقرأ هذه اليوميات. كنت غاضبًا بشدة منها بسبب حدة مزاجها الطائش والمتهور، ولكن كما اعتاد فيت أن يقول: كل زوج ينال الزوجة التي يحتاجها. لقد كانت الزوجة التي أحتاجها، ويمكنني رؤية ذلك الآن بشكل ما. لقد كانت الزوجة المثالية بالمعنى الوثني، من حيث الإخلاص

(٤٢٧) طلبت منه في خطابها أن يزيل كافة المقاطع التي تسيء إليها في يومياته.

والولع بالحياة العائلية وإنكار الذات وحب الأسرة بالمعنى الوثني، وثمة إمكانية بداخلها لأن تصبح صديقة مسيحية. أدركت ذلك بعد موت فانيتشكا. هل سيتحقق ذلك بداخلها؟ ساعدها يا أبي! ما حدث اليوم جعلني سعيدًا حقًّا. لقد رأتْ قوة حبها لي، وسوف تراها مجددًا. فكَّرت في الآتي:

من سمة النساء أن يساندن حركة الحياة بالإنجاب وتربية الأطفال، وإمداد الحياة بقوى جديدة بدلًا من التي تنفد. أما الرجال، فمن سماتهم أن يُوجِّهوا تلك القوى؛ أي الحياة نفسها. يمكن للطرفين أن يفعلوا هذا وذاك، ولكن سمة كل منهما أن... لا أريد الكتابة، ومع أن لديَّ العديد مما يمكن تدوينه لكني سأنحيه.

٢٤ أكتوبر.

فوَّتُّ أيامًا كثيرة. سافرت صوفيا إلى بطرسبرج وعادت مجددًا. عادت العلاقات بيننا إلى وضعها الرائع. حققت (سلطان الظلام) نجاحًا كبيرًا[٤٢٨]. حمدًا لله أن ذلك لا يبهجني. " افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ" (لوقا ١٠: ٢٠). كتبت خطابًا لأندريوشا الذي أحزنني كثيرًا. ولحسن الحظ كان له تأثير. كتبت لميشا خطابًا طويلًا مليئًا بالبراهين. عاودت العمل على (البعث) مجددًا، وتوصلت إلى أن كل ما كتبته سيئ، وأن مركز الثقل ليس في الموضع الصحيح، وأن قضية الأرض في الرواية تضعفها وتشتتها. أعتقد أني سأتوقف عن العمل في الرواية، وإن عاودت الكتابة فيها سأبدؤها من جديد. وصلني خطاب جيد

(٤٢٨) ذهبت صوفيا إلى بطرسبرج لحضور العرض الأول لمسرحية تولستوي.

من شكارفان، وعليَّ أن أجيب عنه. جاء بوليجين وإيفان ديميتريفيتش الآن. تحدثا على نحو جيد. فكَّرت في الآتي:

ثمة شيء يشكل محتوى ومادة الحياة، أو هو الحياة نفسها؛ إنه الله. لقد توحدت بكل ذلك، ورأيت كل شيء قد توحد. الحب يُوحِّد كل شيء. في البداية أحببت جسدي وأصبح هو أنايا. الآن قد أحببت روحي، وستصبح بعد الموت "أنا" أخرى. سأحاول أن أوضح الفكرة بمزيد من الدقة:

عندما أستيقظ في هذه الحياة وأعي نفسي، أراها داخل إطار الزمان والمكان كجزء من كل لا نهائي؛ كل يتكون من هذه الأجزاء المتحدة ببعضها التي تشبهني، وأسميها: البشر أو المخلوقات الحية، أو حتى النباتات. جميعها متحد بالحب الذي أختبره في داخلي، وأراه في بقية المخلوقات، وأسميه "الحياة". الحب هو ما يمنح هذه الحياة؛ أي يوحِّد كل ما يُشكِّلني، وهذا يعني أني أحب كل ما يشكلني في إطار الزمان والمكان. أرى الحب، هذا الجوهر الذي يوحد المخلوقات، في كل مخلوق على حدة. بقدر ما أعيش في هذه الحياة يتزايد حبي لشيء ما موجود خارجي كياني، ولا يُكوِّن نفسي: أحب الأشياء والناس، والأكثر من ذلك، شيئًا مجردًا: إنها الفضيلة، أو الخير بقدر ما أفهمهما، ويقل حبي تدريجيًّا لمَن شكَّلني ومنحني الحياة في هذا العالم ووحَّدني معه بالحب. نستنتج من ذلك أنه شيء غير مادي، ولا يناسب حواسي الخمس؛ إنه كيان روحي. أما ما يتعلق بأن حياتي تتوحد به بالحب، فيقودنا إلى استنتاج أن حبي المتناقص لهذه الحياة، وحبي المتزايد لشيء

ما خارج هذه الحياة، هما بمثابة حركة انتقال من هذه الحياة لتلك، وهو الأمر الذي لن يلائمني حتى أدخل هذه الحياة فعلًا. إن موتي الجسدي وحبي المتزايد أكثر فأكثر لهذا الكيان الروحي الذي يتجاوز هذه الحياة، يؤكدان على صحة افتراضي. إني أفترض تحديدًا أن ثمة كيانًا يبدو لي أنه يضم كل شيء؛ إنه الله، وفيه تتجلى وحدات مختلفة ومتحدة في الآن ذاته، ودرجات مختلفة من الحب هي ما جعلت الكائنات على ما هي عليه الآن. أنا واحد من هذه الوحدات المتحدة. في وجودي السابق، ربما لم أكن إنسانًا، وقد أحببت ما يشكل الكيان الروحي للإنسان، وانتقلت من درجة متدنية من الوجود إلى الدرجة التي أحببتها. الآن أحب كيانًا، وها أنا أنتقل إلى هذا الشكل الجديد من الوجود الذي يتناسب مع درجة حبي. وهكذا ثمة عدد لا نهائي من أشكال الوجود. «فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ» (يوحنا ١٤: ٢).

بقدر ما يمكنني أن أرى وأفهم، يتجلى لي العالم على أنه عدد من الوحدات، لا فقط من المخلوقات، بل كذلك من الكواكب والنجوم، لأصل إلى درجة معينة من الاتحاد. ما إن يتغير شكل اتحادي، حتى يتغير العالم كله بالنسبة لي. يتناسب شكل الاتحاد الذي أناله مع متطلباتي الروحية وقدر حبي وازدهارهما في هذا العالم. ثمة قانون محدد يمكن أن يزدهر الحب بموجبه؛ إنه قانون حياتنا الأخلاقية، الذي يخضع له الناس جميعًا، بحيث يكون في انتظار الجميع شكل جديد ووحدة جديدة بالحياة. كل هذه مجرد افتراضات، لكني أثق فيها ثقتي في دوران الأرض حول الشمس.

٢- ما إن ينحي العقل الإغواءات بعيدًا؛ أي خير نظامنا المتدني، حتى يبدأ الإنسان لا محالة في السعي إلى الخير الحقيقي؛ أي الحب. سأحاول أن أعبر عن الفكرة بمزيد من الدقة.

ما دام الإنسان يعيش حياة حيوانية (وهي تستمر كذلك في الطفولة) فليس أمامه سوى طريق واحد. ولكن ما إن يستيقظ العقل بداخله ووعيه بوجوده، حتى يجد أمامه دائمًا طريقان: إما أن يُخضع طبيعته الحيوانية لعقله، وإما أن يجبر عقله على خدمة طبيعته الحيوانية. تعتمد الإغواءات في الأساس على إجبار العقل على الخضوع للطبيعة الحيوانية. إن أخضع الإنسان طبيعته الحيوانية لعقله، ونحَّى الإغواءات بعيدًا، يفتح العقل أمامه طريقًا وحيدًا لا غير، وسيسعى الإنسان صوبه.

لقد أُنهكت... لا يمكنني مواصلة التفكير. سأؤجل التفكير حتى المساء. سرعان ما حلَّت الساعة الثانية.

٢٥ أكتوبر.

يوم أمس وافق ٢٤ أكتوبر. رحلتْ صوفيا بصحبة ساشا. عندما استقلت العربة شعرتُ بأسف شديد عليها، لا بسبب رحيلها، بل أسفت على روحها. والآن أشعر بالأسف الشديد حتى أني أحبس دموعي بصعوبة. أشعر بالأسف لشعورها بالكآبة والحزن والوحدة. أنا الشخص الوحيد الذي تتمسك به، وفي قرارة روحها تخشى أني لم أعد أحبها... تخشى أني لم أعد أحبها بقدر ما أستطيع من كل قلبي، وأن سبب ذلك هو اختلاف رؤيتنا للحياة. إنها تعتقد أني لا أحبها لأنها لم تقترب مني. لا تظني هذا يا صوفيا. إني أزداد حبًّا لكِ، وأدرك جيدًا أنك لم تستطيعي أن

تأتي لي، وبسبب ذلك أصبحتِ وحيدة. لكنك لستِ وحيدة. أنا معكِ، مهما كنتِ. إني أحبكِ... أحبكِ حتى النهاية.. أحبكِ إلى أقصى درجة ممكنة.

أواصل ما لم أتمه بالأمس:

١- مادام الإنسان قد نال عقلًا، لا بد أن يستخدمه (مَثَل الوزنات)[٤٢٩]. ما إن يستخدمه حتى يدرك أن ليس بإمكانه العيش من أجل نفسه، وما إن يدرك ذلك حتى يبدأ سريعًا في العمل المطلوب منه. ما إن يعمل حتى ينال مكافأة. الإغواءات هي ما تُعطِّل ذلك وتُوجِّه العقل صوب الحياة الحيوانية. سأحاول التعبير عن الفكرة بشكل أوضح. ما

---

(٤٢٩) وَكَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ، فَأَعْطَى وَاحِدًا خَمْسَ وَزَنَاتٍ، وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَآخَرَ وَزْنَةً. كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ. فَمَضَى الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا، فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ. وَهكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ، رَبِحَ أَيْضًا وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. وَأَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ. وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أُولئِكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي. هُوَ ذَا خَمْسُ وَزَنَاتٍ أُخَرُ رَبِحْتُهَا فَوْقَهَا. فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، وَزْنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَ ذَا وَزْنَتَانِ أُخْرَيَانِ رَبِحْتُهُمَا فَوْقَهُمَا. قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي الأَرْضِ. هُوَ ذَا الَّذِي لَكَ. فَأَجَابَ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ وَالْكَسْلاَنُ، عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِبًا. فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَاتٍ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. متى ٢٥: ١٤ - ٢٩

إن يستيقظ الإنسان على هذه الحياة، حتى يبدأ عقله في العمل. أساس العقل هو وعي صاحبه بوجوده المستقل عن بقية العالم. عندما تظهر هذه القوة في الإنسان، سرعان ما يكتسب سلطانًا على نفسه. قبل ذلك كان يعيش وفقًا لقانون خارجي، ولكن بعد أن بدأ العقل في العمل، حتى أصبح بإمكانه - بل ويتوجب عليه ذلك - أن يعيش وفقًا القانون الذي يفرضه العقل. أقول «يتوجب عليه»؛ لأن العقل الذي يتجلى فيه القانون يطالب صاحبه بذلك. هذا هو معنى مَثَل الوزنات: وعي الإنسان بوجوده المستقل، فقد وُهِب العقل للإنسان كي يستخدمه ويسترشد به في حياته. إن فعل ذلك زاد الخير في حياته، وإن لم يفعل ذلك فَقَدَ حتى هذه الحياة التي لديه.

يكشف تجلي العقل للإنسان عن أن حياته الحيوانية ليست حياة، وليس لها أي معنى، بل هي مجرد محتوى ومادة للحياة، ويكشف له كذلك عن أن حياته لن تصبح حقيقية إلا عندما تُستغل من أجل تنفيذ المتطلبات الموجودة داخل عقله. في هذا يتلخص معنى مَثَل الكرامين[٤٣٠]. أولئك البشر الذين لديهم عقل، ويعيشون حياة حيوانية من أجل أهداف حيوانية، يشبهون أناسًا وُهِبوا بستانًا، وخيرات عظيمة، مع شروط واضحة يمكن عند تنفيذها أن يستفيدوا من البستان. إنهم يريدون الاستفادة من البستان دون التقيد بالشروط. يتسبب ذلك في هلاكهم. إن متطلبات العقل تتأسس على ألا تفعل شيئًا ليس له معنى. الحياة الشخصية ليس لديها معنى. ليس ثمة معنى لنشاط يتناقض مع العقل. الهدف محجوب عنا، لكن لا بد أنه

(٤٣٠) راجع إنجيل متى ٢٠: ١ - ١٦.

موجود. عندما أتصرف بشكل يتسق مع العقل فإني أشارك في الوصول للهدف. بالسلوك على هذا المنوال، أنال أكبر قدر من الرضى الشخصي. بهذا يمكننا أن نفهم هذه العبارة: «اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (متى ٦: ٣٣)، ويمكننا كذلك أن نفهم: « وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ» (متى ١٩: ٢٩).

هذا ما كان، وما كان لا بد أن يكون، ولكنْ ثمة قصور ذاتي كامن في الحياة الحيوانية السابقة التي كانت تهدف للخير الشخصي، وبالتالي يواصل أولئك الذين نالوا نعمة العقل، الحياة من أجل خيرهم الشخصي. علاوةً على ذلك، يستخدمون العقل الذي وُهِب من أجل اكتشاف لا عقلانية الحياة الشخصية، لخدمة خير فرد أو مجموعة. في هذا يتلخص ما يسميه التعليم الإنجيلي: الإغواءات - الكمائن.

٢- ثمة أربعة إغواءات رئيسة: إغواء الخير الشخصي- إغواء خير الأسرة- إغواء خير الوطن- إغواء خير الإنسانية كلها. بوجود الإنسان داخل نطاق الزمان والمكان، لا يمكنه تحقيق منفعته الخاصة أو منفعة أي شخص آخر، ولا يمكنه حتى أن يساهم في الوصول إليها؛ لأن ليس بإمكانه أن يعرف العواقب التي ستنتج عن أفعاله وسط هذه الظروف اللا نهائية المعقدة. أمر واحد بإمكانه أن يفعله، وهو واثق تمامًا أنه لن يخطئ؛ ألا وهو أن يسلك بما يتسق مع نور عقله.

٣- حياة الإنسان حركة. بعد أن يدرك الإنسان أنه حي، يرى أن

حياته تتحرك وفقًا لقانون قابع خارجه، وفي الآن ذاته يدرك أن العقل المتجلي فيه لديه قانونه الجديد، وهو موجود داخل نفسه، وبإمكانه - بل وعليه - أن يوجِّه حياته بمقتضاه. إن حركة الحياة، وقوة هذه الحركة لا تتوقف على الإنسان، ولكن بتجلي العقل فيه، يصبح مسار هذه الحركة تحت سلطانه تمامًا. تتأسس فكرة الإغواء على الآتي: بدلًا من استخدام العقل في توجيه حركة الحياة، يستخدمه الإنسان في تقوية هذه الحركة الموجودة آنفًا. يتبدد العقل بلا جدوى نتيجة لهذا الانحراف والحياة الحيوانية. العقل هو دفة القيادة، شراع ذو طبيعة حيوانية. الرياح هي القوة الإلهية. لا، هذه المقارنة سيئة. العقل هو الجزء المنحدر من الخزان الذي يوجِّه المياه إلى عجلة الطاحونة. المياه هي القوة الإلهية. لا... مقارنة سيئة كذلك. لا بد أن الفكرة لم تنجلِ لي بعد.

٤- إن عدم الفعل أكثر أهمية مما يتصور الناس، وحتى مما كنت أتصور. آه لو لا تتمكن لحظات الكآبة من إجبارنا على فعل شيء! إنها لا تؤدي إلا إلى زيادة الأمر سوءًا، وستفسد ما فعلته قبلًا، وربما ما كنت ستفعله بعد ذلك. فلتسيطرْ تمامًا على نفسك في اللحظات التي تمتلئ فيها بالطاقة، حتى تجد لديك القوة التي توجهها بها.

٥- الحب هو القوة الإلهية والحياة التي لا تتوقف عن الحركة. إن لم تستضئْ هذه القوة بنور العقل، فإنها تكون بمثابة حب للنفس، أما تلك التي تستنير بنور العقل تكون بمثابة حب للمخلوقات والناس والحقيقة والخير والله.

٦- ضبط النفس والتواضع يدعمان نشاط العقل. العقل يحرر الحب.

٧- كثيرًا ما تذهلني نبرة الناس الواثقة والجميلة والموحية في حين يكون حديثهم محض حماقات.

٢٨ أكتوبر.

الحياة التي نراها حولنا هي حركة للجواهر تحدث وفقًا لقوانين معينة. نشعر في داخلنا بوجود قانون مختلف تمامًا، لا يتعلق تمامًا بهذه الجواهر، يطالبنا بتنفيذ متطلباته. يمكننا القول إننا نرى وندرك كافة القوانين الأخرى لسبب واحد؛ ألا وهو وجود هذا القانون بداخلنا. إن لم ندرك هذا القانون لما أدركنا بقية القوانين. أهم ما يميزه عن بقية القوانين هو أن هذه القوانين خارجة عن كياننا، وتجبرنا على طاعتها، أما هذا القانون فيشكل أنفسنا أكثر مما يمكننا القول أنه داخل أنفسنا، وهو يقوم بالعكس؛ أي أنه يحررنا عندما نتبعه؛ لأننا عندما نتبعه نصبح أنفسنا حقًّا. بالتالي نحن منجذبون إلى تنفيذ هذا القانون، وسننفذه لا محالة آجلًا أو عاجلًا. هذا ما تعنيه حرية الإرادة. إن الحرية هي الاعتراف بما هو موجود حقًّا؛ خاصة ذلك القانون الداخلي الذي يشكل أنفسنا. القانون الداخلي هو ما نطلق عليه العقل، الضمير، الحب، الخير والله. لهذه الكلمات معانٍ مختلفة، لكنها جميعًا تشير إلى أمر واحد من زوايا مختلفة. جوهر التعليم المسيحي هو الاعتراف بهذا القانون الداخلي. يمكننا النظر إلى العالم هكذا: العالم موجود، وهو يسير وفقًا لقوانين معروفة، وهناك بعض المخلوقات في هذا العالم خاضعة لهذا القانون،

ولكنها في الآن ذاته تحمل في داخلها قانونًا أسمى من بقية القوانين، ولا يتسق معها، ولا بد له أن ينتصر في هذه المخلوقات وينتصر على القوانين الأدنى منه.

إن حياة الناس والعالم كله تتلخص في هذا الصراع والانتصار التدريجي للقانون الأسمى على القانون الأدنى.

٥ نوفمبر.

فوَّتُّ ستة أيام. يبدو أني فعلت القليل في هذه الفترة: كتبت قليلًا وقطعت بعض الأخشاب وشعرت بالمرض، لكني عايشت الكثير في هذه الفترة. السبب في ذلك يعود إلى الآتي: قرأت يومياتي في السبعة أعوام الأخيرة كاملًا كي أوفِّي بوعدي لصوفيا [٤٣١]. أشعر أني أقترب من التعبير ببساطة ووضوح عما أعايشه. كم هو أمر جيد أني لم أُنْهِ كتاب (التعليم الشفهي)! ربما سوف أكتبه على نحو مختلف وبصورة أفضل، إن كانت هذه هي إرادة الله. أتفهم لماذا يصعب قول هذه الأمور بسرعة. إن كان يمكن قولها جميعًا فورًا، بما كنت سأعيش في مجال الفكر؟ لا يمكننا تولي هذه المهمة الآن. خرجت لأتمشى منذ قليل وفهمت بوضوح لماذا لا أستطيع الكتابة في (البعث). البداية زائفة. لقد أدركت ذلك بينما كنت أفكر في قصتي للأطفال (من المحق؟) وأدركت أن عليَّ أن أبدأ فيها بحياة الفلاحين، فهم الموضوع الأساسي والعنصر الإيجابي، بينما البقية هم مجرد ظلال، ويمثلون العنصر السلبي في الرواية. الأمر ذاته في

(٤٣١) وفاءً لوعده لصوفيا حذف تولستوي ٤٥ مقطعًا رأت صوفيا فيهم إساءة حادة لها.

البعث. عليَّ أن أبدأ بها[٤٣٢]. أود أن أبدأ الآن.

وصلني في هذه الفترة خطاب من كينفورت وآخر رائع من شكارفان، ومن أحد الدوخوبوريين من تيفليس. لم أكتب شيئًا لأحد منذ فترة طويلة. أشعر باعتلال عام، وأفتقر للطاقة اللازمة. الأمور بخير مع الفتيات. أساءت تانيا لماشا، وشعرت بالألم من ذلك.

٧ نوفمبر.

عملت قليلًا في اليومين الماضيين على (البعث) في شكلها الجديد. من المخزي أن أتذكر كيف بدأتُ الرواية به، لذا أشعر بالسرور من أني غيرت بداية العمل. قطعت بعض الأخشاب، وذهبت لأوفسيانينكوفو، وحظيت بحديث جيد مع ماريا ألكسندروفنا وإيفان إيفانوفيتش. كان مساعد فالتس هنا[٤٣٣]، وكذلك جاء أحد الفرنسيين ومعه قصيدته. كان غبيًّا. وصلني خطاب مبهج من صوفيا. هل ستكون ثمة وحدة روحية كاملة فعلًا؟ ساعدني يا أبي.

٨، ٩ نوفمبر.

كتبت قليلًا في (البعث)، وذلك ليس لخيبة أملي، بل بسبب شعوري بالضعف. بالأمس وصل دونايف. عملت بالأمس كثيرًا في قطع الأخشاب حتى أُنهكت. تنزهت اليوم. عرجت على كونستنتين

---

(٤٣٢) أي أن يبدأ بوصف ماسلوفا لا نيخليودوف.

(٤٣٣) أحد المسؤولين بالمسرح بالصغير بموسكو، والتقى بتولستوي ليناقش إنتاج مسرحية (سلطان الظلام).

بيلي[٤٣٤]، وشعرت بالأسف الشديد عليه. ثم تمشيت في القرية. الحياة جيدة عند القرويين، أما عندنا فتثير الخزي. كتبت بعض الخطابات. كتبت لبوجينوف، ولثلاثة آخرين. فكرت في الآتي:

١- ثمة حكمة تؤكد على حقيقة أن العقل يحرر الحب الكامن في الإنسان: «من يفهم كل شيء يغفر كل شيء»[٤٣٥]. إن سامحت إنسانًا فأنت تحبه. أن تسامح يعني أن تتوقف عن الإدانة والكراهية.

٢- إن آمن الإنسان بشيء ما من حديث شخص آخر، فهذا يعني أنه سيفقد إيمانه لا محاله بما كان سيؤمن به لو لم يؤمن بما استمع إليه. من يؤمن بألوهية المسيح والقيامة والأسرار... إلخ، يفقد إيمانه بالعقل. لذا فهم يقولون بشكل مباشر أن لا حاجة لنا للإيمان بالعقل.

٣- لقد أعطاني سوبوتسكو مفتاحًا لفهم السؤال الآتي: لماذا يؤمن الناس بإله مشخصن، كالإيمان بألوهية المسيح وما شابه؟ إنه واحد من أولئك الطموحين الذين يريدون أن يكونوا دائمًا على حق، ليس فقط أمام الناس، ولكن أمام نفسه أيضًا. لقد استسلم لضعفه مرتين؛ الأولى عندما أقسم على الولاء للقيصر الجديد بناءً على طلب الضابط، والمرة الثانية عندما واصل تناول اللحم بينما كتب بنفسه عن مذهب النباتية. إنه يعرف في قرارة روحه أن الأمرين خاطئان، لكنه يريد أن يكون على حق، فابتدع نظريات كاملة يمكنه بها أن يتوصل إلى أن من الأفضل ألا يرفض القسم حتى لا يختال زهوًا وما إلى ذلك. توصل أيضًا بنظرياته إلى أن من

---

(٤٣٤) فلاح مريض من ياسنايا.

(٤٣٥) tout comprendre c'est tout pardonner.

الأفضل أن يتناول اللحم لأن التقيد بعدم تناوله يبدو تقييدًا لحريته. إنه يمضي قدمًا ويكتب لي عن الصلاة والتصور المشخصن لله، وعن أننا يمكننا أن نطلب منه طلبات في الصلاة، لكني لا أجيب عن خطاباته. ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أنه في لحظة الضعف التي أقسم فيها وتناول اللحم، بدأ يصلي لإلهه المشخصن، منتظرًا منه أن يستمع لطلباته. إن كان صارمًا مع نفسه، واضعًا الحقيقة فوق تبرير نفسه لاعترف أنه فعل أمرًا سيئًا عندم أقسم وتناول اللحم، وأنه في لحظات ضعفه قد توجه لإله مشخصن مُتخيَّل يستمع لصلواتنا، ولاعترف كذلك أننا في لحظات الضعف نتكهن بالمستقبل ونؤمن بالفأل والنذير ونتوجه لله. بالتالي كان سيدرك أن عليه ألا يفعل ذلك فيما يتعلق بالله، مثلما هو الأمر مع القسم وتناول اللحم، ولأدان ضعفه. لكنه في حاجة لأن يكون على حق، لذا يختلق خرافات بسبب ضعفه وينشئ نظريات ويختلق سفسطات وأمثلة منمقة حتى يثبت حقيقة ما يود ثباته في لحظات ضعفه. هذا وحده ما يفسر الخرافات بأكملها والإيدولوجيا الكنسية. بوجه عام الناس لا يؤمنون بخرافات الكنيسة طالما لم يضعفوا بعد. ما إن يصيبهم الضعف، حتى يبحثوا سريعًا عن دلائل على صحة الخرافات، وذلك إن كانوا غير صارمين مع أنفسهم، ويفضلون تبرير أنفسهم عن الحقيقة.

وصلني خطاب شيق من هولندا بشأن ما يجب أن يفعله شاب قد دُعِي لتأدية الخدمة العسكرية، بينما يعول أمه.

مكتبة
t.me/t_pdf

١٠ نوفمبر.

نمت نومًا سيئًا جدًّا. يعتريني ضعف جسدي وعقلي. لم أستطع

الكتابة. تنزهت على متن الجواد. وصل بوشا. وصلني خطاب جيد من صوفيا، وكذلك منشور فرنسي رائع عن الحرب. نعم، لا نزال في حاجة إلى عشرين عامًا أخرى حتى تعم الفكرة. رأسي يؤلمني من صداع قوي. ساعدني يا أبي في فترة الضعف الشديدة هذه كي لا أسقط أخلاقيًا. هذا ممكن.

١١ نوفمبر.

أكتب وأفكر في أني قد أموت. أفكر في الأمر كل يوم ويزداد اعتيادي عليه.

١٥ نوفمبر.

كنت عنيفًا طوال الوقت حتى أني لم أكتب شيئًا سوى بضعة خطابات، ومنها خطاب لشكارفان. جاء دونايف وبوشا وماريا فاسيليفنا. رحلوا بالأمس وذهبتُ لماريا ألكسندروفنا. إنها مريضة. اليوم وصلت الخالة تانيا وصوفيا. لم أنم ليلًا، وبالتالي لم أستطع العمل. لكني دوَّنت أمرًا ما يتعلق برواية كوني (البعث)، ودوَّنت بعض اليوميات. أقرأ الآن في حِكم شوبنهاور. كتاب جيد جدًا. لنستبدل فقط بـ «إدراك خيلاء الحياة» خدمة الله، وحينها سأوافقه تمامًا. الساعة الآن الثانية. سأكتب ما دوَّنته فيما بعد.

٧ ديسمبر.

لم أدوِّن شيئًا منذ شهر تقريبًا. في هذه الفترة انتقلت إلى موسكو. خفَّت وطأة ضعفي قليلًا، والآن أعمل بجدية على عرض للإيمان، وإن

لم أكن قد أصبت نجاحًا كبيرًا. بالأمس كتبت مقالة قصيرة عن عقوبة الجلد[٤٣٦]. استلقيت بالنهار لأغفو قليلًا، وشعرت كأن شخصًا ما قد دفعني، فنهضت وبدأت أفكر في الجلد ومن ثم كتبت المقالة. أثناء هذه الفترة ذهبت إلى المسرح لحضور بروفات (سلطان الظلام). لا يزال الفن بمثابة لعبة كما بدأ قديمًا، والآن أصبح لعبة إجرامية للبالغين. ما يؤكد على ذلك هي الموسيقى التي استمعت إليها كثيرًا. إنها لا تؤثر على أحد، بل على النقيض من ذلك؛ تشتت المرء إن عزا إليها أهمية كبيرة وغير مناسبة لها، وهو الأمر الذي يحدث في أغلب الأوقات.

الصبية جميعًا في حالة سيئة، يختفون كثيرًا ويبدون تبلدًا. رفض سولر[٤٣٧] أداء الخدمة العسكرية وزرته. مات فيلوسوفوف[٤٣٨]. صوفيا تحتمل هذه الفترة الحرجة من عمرها على نحو جيد.. كتبت بضعة خطابات تافهة.

فكَّرت كثيرًا في هذه الفترة من حيث أهمية الأفكار. كثير منها لم أستطع قبولها ونسيتها:

١ - عادة كنت أرغب في التعرض للمعاناة والاضطهاد. هذا يعني أني كنت كسولًا، ولم أُرِد العمل، بل أردت أن يعمل الآخرين من أجلي، فيعذبوني بينما لا يكون عليَّ سوى احتمالهم.

---

(٤٣٦) مقالة بعنوان (يا للخزي!) وقد ترجمتها ونُشِرت في كتاب (في الدين والعقل والفلسفة) صادر عن آفاق.

(٤٣٧) أحد الفنانين المعاصرين لتاتيانا ابنة تولستوي، ألقوا به في مستشفى الأمراض العقلية لرفضه أداء الخدمة العسكرية.

(٤٣٨) حمو إيليا ابن تولستوي.

٢- مخيف حقًّا ما تفعله السلطة بالأطفال حينما تُفسد عقولهم لأهدافها الشخصية أثناء التربية. إنهم يوحون للطفل بهذا الهراء، ليتحول الفهم الزائف وضيق الأفق المادي اللذين لم يكشفهما أحد إلى مكتسب عظيم للعقل!

٣- العنف مُغرٍ؛ لأنه يحرر المرء من عناء الفهم وعمل العقل. علينا ببذل الجهد لفك العُقد.

٤- عادة ما يؤدي الإيمان القسري إلى انحراف عقلي يجعل صاحبه يرضى إما بالوثنية وإما المادية، ولكليهما جوهر واحد. الإيمان بحقيقة تصورنا هو نوع من الإيمان بوثن، لا بد أن تكون نتيجته أن نقدم الأضحيات من أجله.

٥- يمكنني أن أتصور انتقال الوعي إلى حياة الروح إلى الحد الذي لا يعود صاحبه يقابل آلام الجسد سوى بالسرور.

٦- امرأة جميلة تبتسم، ونحن -الرجال- نعتقد أنهن ما دمن يبتسمن فإنهن يقلن الصواب، ولكن كثيرًا ما تُتبَّل الابتسامة بكل ما هو عفن.

٧- التربية: ليس على المرء سوى أن ينشغل بالتربية حتى يرى كافة تشوهاته. ما إن يراها حتى يبدأ في إصلاحها، وإصلاح الذات هو أفضل وسائل تربية النفس والأطفال واليافعين على السواء.

قرأت الآن خطاب شكارفان، حيث ذكر فيه أنه لا يرى خيرًا في المساعدة الطبية، وأن إطالة عمر حيوات كثيرة تافهة لقرون عديدة يعتبر أقل أهمية بما لا يُقارن من إشعال شرارة الحب الإلهي في قلب إنسان

واحد، حتى أن الأمر يبدو كضربة مروحة ضعيفة من أجل توقد النيران. في هذه الضربة تحديدًا يتلخص فن التعليم بأكمله، وكي تشعل هذه الشرارة في قلوب الآخرين عليك أن تشعلها في قلبك أولًا.

٨- أن تحب يعني أن ترغب فيما يرغب فيه مَن تحبه. لكن مَن تحبهم يرغبون في أمور متناقضة، لذا ليس بالإمكان سوى أن تحب ما يرغب فيه شخص واحد. فلتحب ما يرغب فيه الله.

٩- يبدأ الإنسان حياته بحب نفسه وحسب، وينفصل عن بقية المخلوقات، ويحدث ذلك بأن يحب كل ما يشكل كيانه دون توقف. ولكن كلما عاش حياة واعية، ازداد عدد من يحبه من المخلوقات. على الرغم من أن هذا الحب يختلف عن حبه لذاته الذي لم يكن يتوقف أبدًا، لكنه على أي حال يرغب في الخير لكل مَن يحبهم، ويبتهج بالخير ويعاني من الشر اللذين يختبرهما كل مَن يحبهم، ويتوحد بكل من يحبهم. لهذا الحياة هي الحب، فلماذا إذَنْ لا أعود أفترض أن أناي التي أعتبرها جوهري وأحبها حبًّا استثنائيًّا، لم تكن في السابق إلا مزيج من الأهداف التي أحبها، كما هو الأمر الآن؟ هذا ما حدث وما يحدث. الحياة هي زيادة الحب وتوسيع أُطر المرء، وهذا يحدث عبر حيوات متعددة. في الحياة الآنية أتصور أن عملية توسيع الأطر تحدث بالحب، وهي عملية لازمة لحياتي الداخلية ولحياة العالم كله. لكن حياتي يمكنها أن تتجلى في عدد لا نهائي من الأشكال. لا يمكنني أن أرى الآن سوى الشكل الحالي. في الوقت الذي أزداد فيه فهمًا لحركة الحياة في هذا العالم بزيادة الحب ووحدتي مع بقية المخلوقات بالحب أيضًا، تحدث

أفعال أخرى كثيرة لا يمكنني رؤيتها، مثلما أضع ثمانية مكعبات في أحد جوانب اللوحة ولا أرى بقية جوانب المكعبات، ولكن بغض النظر عن ذلك يتم الرسم بشكل صحيح طبقًا للجوانب غير المرئية لي من هذه المكعبات. كانت الفكرة واضحة تمامًا عندما خطرت على ذهني، لكني نسيت الكثير، ولم أكتب سوى هراء.

١٠- فكرت كثيرًا في الله وفي جوهر الحياة، ولم أصل إلى الشك في كليهما، وتفحصت حججي. كل ما أردته في الفترة الأخيرة هو أن أؤمن بالله وبروح لا تستنفد، ويا للعجب! لقد شعرت بالثقة راسخة هادئة لم أشعر بمثلها من قبل. الأمر لم يقتصر على أن شكوكي وما قمت به من فحص لحججي لم تُضعف إيماني، لكنها أكدته بشدة.

١١- لم يهبنا الله العقل كي ندرك أننا في حاجة إلى الحب، ولكن كي يشير لنا أيضًا إلى ما لا يجب أن نحبه.

١٢- كما هو الأمر في أي مهنة، لا يتعلق الفن بإعادة عمل أمور معروفة على نحو صحيح، بل يتعلق بالتصحيح الدائم للأخطاء التي لا مفر من ارتكابها وتفسد العمل، كذلك هو الأمر مع الحياة. الحكمة الأساسية في الحياة لا تتعلق بأن تقوم من البداية بالأمر على وجه صحيح، ولكن تتعلق بتصحيح الأخطاء والتحرر من الأوهام والإغواءات.

١٣- السعادة هي إرضاء متطلبات الإنسان الذي يعيش من لحظة ولادته وحتى الموت في هذا العالم فقط، أما الخير فهو إرضاء متطلبات الكيان الأبدي الذي يعيش داخل الإنسان.

١٤- إن جوهر تعاليم المسيح هي أن يدرك الإنسان أنه كطير لا

يستفيد بجناحيه، يشقى على هذه الأرض، وأن يدرك أنه ليس كيانًا فانيًا يعتمد على العالم، لكنه كطائر أدرك أن لديه جناحين، وجربهما. إن جوهر تعاليم المسيح أن يفهم الإنسان أنه لم يولد أبدًا ولن يموت، بل هو موجود دائمًا، يمر بهذا العالم الذي يمثل شكلًا من وسط عدد لا نهائي من أشكال الحياة، بهدف تنفيذ إرادة الله الذي أرسله إلى هذه الحياة.

٢٣ ديسمبر.

ماشا عند إيليا. وصلني اليوم خطاب لطيف منها. أنا في موسكو. لم أدوِّن يومياتي منذ فترة طويلة. في هذه الفترة وصل آل تشيرتكوف، ومر يومان على وصول كينورثي. إنه لطيف جدًّا. وصل ابني سيريوجا. بدا حزينًا نحيلًا. تحدث اليوم عن نظريته. أشعر بالسرور؛ لأني لم أشعر تجاهه سوى بالأسف. تعاملت معه على نحو جيد. التحق أندريوشا بالجيش. أتانا الجندي اليوم. كان طيبًا وبسيطًا. واصلت الكتابة في عرض الإيمان. الأمور تتقدم فيه. أفكر على نحو متقطع في المسرحية[٤٣٩]. استغرقت الليل بأكمله في التفكير فيها. لست بصحة جيدة، فلديَّ دور برد قوي. فيما يتعلق بخطاب قد وصل لي من أحد الإنجليز، بدأت في كتابة خطاب عن الصراع بين إنجلترا وأمريكا[٤٤٠]. في هذه الفترة فكَّرت في الآتي:

---

(٤٣٩) الضوء يسطع في الظلام.

(٤٤٠) طلب جون مانسون الإنجليزي من تولستوي أن يعبر عن رأيه بخصوص الصراع بين إنجلترا وأمريكا على حدود فنزويلا. كتب تولستوي مقالة ردًّا على ذلك، ونُشِرت بعنوان (الوطنية أم السلام؟).

١ - فكّرت عدة مرات بوضوح شديدة في أن كافة شرور العالم تنشأ بسبب أن الناس يعتبرون أنفسهم وشخصياته هدفًا يستحق أن يحيوا عن وعي من أجله. الأمر سيان سواء تعلق ذلك بشخصية كل امرئٍ فقط، أم بمجموعة من البشر. ما دام الإنسان لا يعيش بوعي من أجل نفسه، فهو لا يرتكب شرًّا. إن كان ثمة صراع، سرعان ما ينتهي الشكل اللا واعي منه مثلما هو الأمر في الصراع مع البيئة المحيطة؛ إما أن يتكيف الإنسان مع البيئة المحيطة أو يهلك، وهذا الصراع لا يعتبر في حد ذاته نوعًا من القسوة أو الشر. لا يكتسب الصراع قسوة إلا عندما يُوجِّه الإنسان وعيه إليه، ويعد نفسه من أجله، فيزيد من قوته وطاقته. كما قال باسكال: ثمة ثلاثة أنواع من الناس: أولئك الذين لا يعرفون ويتسمون بالتواضع، وأولئك الذين يعرفون، وأولئك الذين لا يعرفون ويظنون أنهم يعرفون، ومن الفئة الأخيرة يأتينا شر العالم كله. هذه الفئة تتكون من أولئك الذين استيقظ الوعي بداخلهم لكنهم لم يعرفوا بعد كيف يجب أن يستخدموا هذا الوعي.

٢ - أهم ما في الأمر هو أن تتذكر دائمًا من أنت. إن تذكرت أنك لست جوهرًا ماديًّا مؤقتًا، بل جوهر أبدي كلي العلم، لم تكن لتمر بهذا الموقف الصعب الذي لا تجد له مخرجًا الآن. «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟» (يوحنا ١١: ٢٥ - ٢٦) تمشيت في الشارع. سألني أحد الفقراء صدقة، ونسيت مَن أنا ومررت به. ثم تذكرت فجأة مَن أنا - كما يتذكر المرء أن يتناول الطعام فجأة حينما يجوع- وعدت إليه، فوجدته

جالسًا منهكًا، وقدمت له صدقة. هكذا يجب أن يتذكر المرء مَن هو حينما تقترب منه النزاعات والمشاجرات والإساءات ولحظات الكبرياء.

٣- لا يمكنك أبدًا أن تتوقف عن الاستيقاظ من تلقاء نفسك؛ أي أن تغفو في النوم. كذلك لا يمكنك أن تتوقف من تلقاء نفسك عن العيش. الحياة قبل كل شيء هي إرادة العيش.

لا... الفكرة غير واضحة.

٤- استقبل ملذات الجسد التي تجدها في طريقك بامتنان ما دامت لا تشكل خطيئة، أقصد ما دامت لا تتعارض مع وعيك ولا تجلب لك المعاناة. استخدم جهودك وحريتك في خدمة الله وحده.

٢٤ ديسمبر.

وصلني بالأمس خطابٌ علنيٌّ منشورٌ في الصحف من قِبل سبيلهاجن الاشتراكي بخصوص دروجينين[٤٤١].

* * *

(٤٤١) سبيلهاجن: صحفي ألماني اشتراكي، كتب خطابًا مفتوحًا لتولستوي ينتقده فيه على مقدمته التي كتبها لحياة دروجينين، على أساس أنه كان يشجع الشباب على العصيان المدني.

مكتبة

telegram @t_pdf

ليف تولستوي

اليوميات ١٨٩٠ - ١٨٩٥

عندما يكتب أديب أو مفكر مذكراته أو سيرته الذاتية، فهو يتأمل ويفكر ويختار مناطق بعينها ليعرضها للقارىء ويحذف أخرى، ويخرج المنتج العام في صورة قصة متماسكة موجَّهة بحسب رؤية الكاتب في وقت الكتابة، لكن اليوميات تختلف عن ذلك، فهي تدوين لأحداث وأفكار وهواجس اليوم، سواء كانت هامة أم غير كذلك، إنها بمثابة كاميرا ترصد ما يحدث على المستوى الخارجي والداخلي دون تمييز، وإن كان المنتج قد يبدو فوضويًا، أو يتسم بالإسهاب أو بذكر تفاصيل غير مهمة، لكنه في الوقت ذاته يكون بمثابة مجهر حقيقي على ما يحدث داخل تكوين هذه الشخصية، فكافة التفاصيل الصغيرة هي ما شكّلت شخصية صاحبها، وقد تم تدوينها دون تمييز أو تفكير، خاصة أن صاحبها لم يكن يكتبها بهدف النشر، لذا قد يصبح عيب هذا المنتج من حيث فوضويته وعدم اتساقه في بعض الأحيان، هو عين ميزته من حيث تقديمه لصورة حقيقية بالغة الصدق. لكن الأمر يتطلب من القارىء صبرًا وتأملا في أصغر التفاصيل حتى يدرك كيف تشكلت هذه الشخصية.

ISBN 978-977-765-265-0

آفاق
للنشر والتوزيع
AFAQ BOOKS